
جَامِعَةُ الدَّوْلَةِ الْعَرَبِيَّةِ

مَعْلَمَاتُ بَحْثٍ وَالدِّرَاسَاتِ الْعَرَبِيَّةِ

رِسَالَةُ بَحْثٍ

الدَّوْلَةُ السَّعُودِيَّةُ الْأَوَّلَى

١٧٤٥م - ١٨١٨م

١١٥٨هـ - ١٢٣٣هـ

باحث هاوي الحقيقة

@AzizUf

تأليف

عبد الرحمن عبد الرحمن بن عبد الرحيم

جَامِعَةُ الدَّوْلَةِ الْعِلْمِيَّةِ

مَعْلَمَاتُ الْبَحْثِ وَالذَّرَائِبَاتِ الْعَرَبِيَّةِ

رِسَالَةُ بَحْثٍ

الدَّوْلَةُ السَّعُودِيَّةُ الْأَوَّلَى

١٧٤٥م - ١٨١٨م

١١٥٨هـ - ١٢٣٣هـ

باحث هاوي الحقيقة

@AzizUf

تأليف

عبدالعزیز فهد القاسم

عبد الرحمن عبد الرحمن عبد الرحيم

تقديم

بقلم الأستاذ الدكتور أحمد عزت عبد الكريم

مدير جامعة عين شمس

ظهرت في السنوات الأخيرة دراسات كثيرة متنوعة بلغات مختلفة تناولت شبه الجزيرة العربية : جغرافيتها ، تاريخها ، أوضاعها الاقتصادية والسياسية ، وكان طبيعياً أن يزداد الاهتمام بدراسة أحوال الجزيرة العربية في أعقاب تفجر البترول وظهور الوحدات السياسية الكبرى ، وفي مقدمتها المملكة العربية السعودية .

وقد أقبل بعض الباحثين من شباب جامعاتنا ومعاهدنا على الإدلاء بدلوهم في هذا الحقل ، فقاموا بدراسات قيمة ، ويسرني أن أقدم اليوم إحدى هذه الدراسات ، وهي الرسالة التي أجازها معهد البحوث والدراسات العربية التابع لجامعة الدول العربية بالقاهرة لدرجة ماجستير في التاريخ العربي الحديث للباحث السيد/ عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم .

وقد عرفت السيد/ عبد الرحيم منذ سنوات ، وعرفت فيه حبه للعلم وإخلاصه للبحث وما يقتضيه ذلك من صبر ودأب . وقد ظل تحت إشرافي بضع سنوات يجمع مادة رسالته من الوثائق والمراجع الأصلية وغيرها ، ينقب ويقرأ ويراجع ويستخلص النتائج ، ويحاول في هذا كله أن يكون موضوعياً ، لا يفتنه رأى ولا يستهويه اتجاه معين ، حتى استوى له بعد جهد جهيد هذه الرسالة التي يسرني أن أقدمها اليوم لجمهور القارئ ، بعد أن تفضل المعهد مشكوراً بنشرها على نفقته ، لتأخذ مكانها الجدير بها بين الدراسات العلمية الجادة لتاريخ الجزيرة العربية ، وخاصة في تلك الحقبة البعيدة من الزمن ، التي

(و)

شهدت قيام الحركة السلفية التي عرفت باسم الدعوة الوهابية ، لتصبح — على مر الزمن — أصلاً تفرعت منه حركات إصلاحية كثيرة في بقاع مختلفة من العالم الإسلامي ، ولتسكون النواة التي التف حولها ملك سعودى ، نشأ فى منتصف القرن الثامن عشر فى كنف هذه الدعوة ، ثم أثبت قدرته على البقاء رغم ما تعرض له من عواصف فهو لا يزال حتى اليوم أكبر تشكيل سياسى فى الجزيرة العربية .

وقد عنى الأستاذ عبد الرحيم عبد الرحمن بتتبع تاريخ هذه الدولة فى مرحلتها الأولى ، وقد عرفت باسم : الدولة السعودية الأولى (١٧٤٥ هـ - ١٨١٨ م) ، منذ قامت وتوسعت ثم استكملت بناءها السياسى حتى انهيارها نتيجة لاصطدامها بالدولة العثمانية ممثلة آنذاك فى قوة مصر على عهد محمد على ، فى النصف الأول من القرن التاسع عشر .

أحمد عزت عبد الكريم

القاهرة ١٩٦٩

مقدمة المؤلف

تاريخ الدولة السعودية الأولى ، موضوع هذه الدراسة التي تقدمها اليوم ، شغل فترة طويلة إلى حد ما ، امتدت من ١١٥٨/١٢٣٣ هـ — ١٧٤٥/١٨١٨ م أى حوالى ثلاثة وسبعين عاماً تقريباً .

ويجب أن نشير منذ البداية ، أن هذه الفترة كانت عبارة عن سلسلة من الأحداث المتتابعة المتتالية ، التي شملت معظم أجزاء جزيرة العرب ، وأجزاء من العراق ، وأطراف بلاد الشام ، نتيجة لمحاولة آل سعود بسط نفوذهم على هذه الأجزاء من الولايات العربية التي كانت تابعة للدولة العثمانية آنذاك .

وقد دفعنى إلى دراسة هذه الفترة من تاريخنا العربى عاملان :

أولهما : أننى رأيت فى (الدعوة السلفية) التى نهض بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، والتي أصبح يطلق عليها اسم « الدعوة الوهابية » عاملاً من أبرز عوامل التجديد التى بدأت تميز المجتمع العربى منذ القرن الثامن عشر الميلادى ، كما أننى رأيت فيها امتداداً لحركات الإصلاح الدينى والاجتماعى التى استمرت متصلة على امتداد تاريخنا العربى ، منذ ابن تيمية الذى عاش فى القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى) (ت ٧٢٨ هـ — ١٣٢٧ م) . كما أنها مهدت لحركات الإصلاح التى ظهرت بعدها فى العالمين العربى والإسلامى .

ثانيهما : أننى رأيت فى الدولة السعودية الأولى — التى قامت على أساس موازنة حركة الإصلاح السلفى — إحدى المراتب الكبرى فى تاريخ العرب فى العهد العثمانى ، وأصبحت معلماً بارزاً من معالمه .

لذا أقبلت على دراسة هذه الفترة متخذاً من مخالف الشيخ محمد بن عبد الوهاب والأمير محمد بن سعود صاحب الدرعية آنذاك سنة ١١٥٨ هـ — ١٧٤٥ م

(ح)

بداية لتاريخ هذه الدولة على اعتبار أنه منذ هذا التاريخ بدأ نجم آل سعود يأخذ في الصعود .

والحق أنه بعد دراستي لتاريخ الدولة السعودية الأولى ، وملازمتي لهذا الموضوع ملازمة جادة ، ما يقف على أربع سنوات ، يمكنني أن أقول إن تاريخ هذه الدولة ، أشبه ما يكون بملحمة تاريخية كبرى ، فقد كان يلفت نظري دائماً عند قراءة المصادر الأصلية لهذا التاريخ أنني لا أكاد أجِد يوماً من أيام تاريخ هذه الدولة يخلو من غزو أو غارة يشنها آل سعود وأتباعهم على منطقة من مناطق شبه الجزيرة العربية ، أو قبيلة من قبائلها ، أو على أطراف الولايات العربية في العراق وبلاد الشام .

ومما هو جدير بالإشارة أن هذه الدولة تعرضت في مراحل تاريخها الأولى لكثير من الأخطار ، إلا أنها استطاعت أن تصمد لها وتتغلب عليها ، حتى غدت تجربة رائدة في عصرها ، على أرض جزيرة العرب ، كما سيلس القارئ ذلك من خلال فصول هذه الدراسة .

وقد بلغت هذه الدولة ذروة مجدها في عهد الإمام سعود بن عبد العزيز المعروف بسعود الكبير [١٢٢٩/١٢١٨ هـ - ١٨١٤/١٨٠٣ م] إذ بعد فترة حكم هذا الإمام ، دخلت الدولة في دور انهيارها الذي تم في عام ١٢٣٣ هـ - ١٨١٨ م على يد الجيوش المصرية تحت قيادة إبراهيم باشا .

وقد سرت في دراستي لتاريخ هذه الدولة على منهج علمي :

فدرست الأوضاع الدينية والاجتماعية والسياسية ، التي كانت سائدة في إقليم نجد المهد الأول للدولة ، أو بعبارة أخرى درست البيئة الأولى لهذه الدولة وظروفها .

ثم درست بعد ذلك الدعوة السلفية ومبادئها وجهود الشيخ محمد بن

عبد الوهاب في سبيل نشر دعوته، ووضعت تقييداً لهذه الدعوة مالها وما عليها، ثم تعرضت لجهود آل سعود في توحيد إقليم نجد وإخضاعه لسيطرتهم وجهودهم في إخضاع المناطق المجاورة لهذا الإقليم، وأوضحت العوامل التي أدت إلى نجاحهم في السيطرة على هذه المناطق حتى أصبحت دولتهم تطل على الخليج العربي وخليج عمان في الشرق، وعلى البحر الأحمر في الغرب.

وقد اتضح لي أثناء دراستي، أن مبادئ الدعوة السلفية كانت دائماً أسبق في الوصول إلى المناطق التي يتعرض لها آل سعود، وبالتالي لعبت دوراً كبيراً في انتصارهم على تلك المناطق.

أما تطلع آل سعود إلى المناطق العراقية الواقعة غربي الفرات، وأطراف بلاد الشام فقد خصصت له فصلاً مستقلاً، أوضحت فيه عوامل هذا التطلع وتحدى سلطات الدرعية للدولة العثمانية وإعلانها زوال السيادة العثمانية عن الحرمين ومنعها لحامل الحج التي تأتي من الولايات التابعة لآل عثمان.

ثم درست نظم الحكم والإدارة للدولة وعلاقاتها الخارجية التي أثبت أنها لم تبدأ في الوضوح إلا في الطور الأخير من تاريخ الدولة، وأثبت أنها لم تكن علاقات ود وصداقة، بل ظهر لي أن معظم القوى المالية التي عامرتها والتي كان لها اهتمام بالخليج العربي، كانت تربص بها وترجو انهيارها، ولقد أثبتت الوثائق المصرية أن شاه إيران الشيعي بارك نجاح محمد علي وإلى مصر السني في تحطيم هذه الدولة والقضاء عليها^(١).

وخصصت الفصلين الحادي عشر والثاني عشر لدراسة الحملات المصرية التي جردت ضد الدولة السعودية - دراسة وثائقية - اعتمدت فيها على الوثائق المصرية والسعودية ووثائق حكومة الهند البريطانية ثم أشفقت بالبحث

(١) انظر الفصل المباشر، ص ٢٧٨ - ٢٧٩، وماحق رقم ١٧، ص ٤٠٠ -

مجموعة من الوثائق لم يسبق نشرها ، رأيت فيها إثباتاً لما وصفت إليه في بحثي وفائدة للتاريخ .

وقد اعتمدت على مصادر متنوعة أستطيع تصنيفها من حيث النوع في المجموعات التالية :

- ١ - وثائق عربية بعضها نشر والبعض الآخر غير منشور .
 - ٢ - وثائق أجنبية منشورة .
 - ٣ - مصادر عربية أصلية في الموضوع .
 - ٤ - كتابات الموظفين السياسيين والرحالة الأجانب الذين زاروا أو أقاموا في بعض مناطق شبه الجزيرة العربية .
 - ٥ - الدراسات الحديثة العربية والأجنبية التي لمست بعض جوانب البحث .
- أما من حيث اتجاهات هذه المصادر ، وبخاصة الأصلية منها وموقفها من الدعوة السلفية وآل سعود فيمكن تصنيفها إلى المجموعات التالية :
- ١ - مصادر موالية لآل سعود والدعوة إلى درجة التطرف حتى إنها تعتبر أن كل من لم يتبع نظام الدولة ومبادئ الدعوة ، أهل شرك تجب محاربتهم وتعتبر ديارهم ديار حرب وجهاد ، فهي تعبر عن وجهة نظر سعودية بحتة .
 - ٢ - مصادر معادية للدعوة وآل سعود ، وتنفّر إليهم على أنهم أصحاب بدعة تجب محاربتهم ، ويدخل في نطاق هذا النوع الوثائق المصرية التي سجلت حروب الجيوش المصرية في بلاد العرب .
 - ٣ - أما المصادر الأجنبية بما فيها الوثائق ، وكتب الرحالة ، فلها وجهة نظر تنفق وأهدافها ومصالحها ، حتى إنها كثيراً ما يجانبها العيوب .
 - ٤ - أما الدراسات الحديثة التي لمست بعض جوانب الموضوع فلا يوجد بها ما يشبع نهم الباحث .

وإزاء هذه المصادر المختلفة في اتجاهاتها ، يواجه الباحث صعوبة الوصول إلى الحقيقة التاريخية ، وقد حاولت جهد طائفي أن أصل إليها ، متحرراً ومتنبهاً عنها بين هذه المتناقضات .

والحق أن توجيهات وإرشادات أستاذي الدكتور أحمد عزت عبدالكريم مدير جامعة عين شمس ، كانت المصاييح التي أضأت الطريق أمامي ، وهدتني إلى سبل البحث السليمة ، فقد منحتني أستاذي من جهده ووقته الكثير ولم يترك فرصة متاحة لديه إلا ومنحتني إياها ، لقراءة فصول الرسالة معي وتوجيهي وإرشادي ، وإنني أعتقد جازماً أنه منحتني من وقته وجهده وعطفه أكثر مما يمنحه أي أستاذ لطلابه ، فإليه أقدم آيات الشكر والعرفان بالجميل ، وإن كنت أعلم أن ذلك أضف الإيمان .

وقد زادني أستاذي من عطفه الأبوي ، حينما سمى جاداً في مساعدتي وقولاً مخلصاً أن يشرف على بحثي لرسالة الدكتوراه عن « الريف المصري في القرن الثامن عشر » .

كما أقدم بخالص شكري وعميق امتناني إلى أستاذي الجليلين ، سيادة المؤرخ الكبير الأستاذ محمد رفعت رئيس قسم الدراسات التاريخية بمعهد البحوث والدراسات العربية ، والدكتور صلاح العقاد لتفضلهما بقراءة البحث ومناقشته ولا بد مني إلا أن أقدم جزيل شكري لمعهد البحوث والدراسات العربية - على ما قدمه لي من عون مادي أثناء طبعي للرسالة - والقائمين عليه والسامعين به جميعاً لما قدموه لي من عون أثناء إعدادي لرسالتي . ومن واجب الشكر والعرفان بالجميل أن أقدم شكري إلى السادة موظفي دار الوثائق التاريخية والسادة أمناء مكتبات جامعة الدول العربية وجامعة عين شمس والقاهرة وإلى كل من مد يد العون لي ، أقدم وافر شكري وعظيم امتناني ، والله الموفق وعليه قصد السبيل .

عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم

الفصل الأول

إقليم نجد الأرض والسكان

١ — لمحة موجزة عن الأرض .

٢ — حالة السكان الاجتماعية .

٣ — الحالة الدينية .

٤ — الحالة السياسية .

الفصل الأول

إقليم نجد : الأرض والسكان

نقد موجزة عن الأرض :

إن دراسة الدعوة السلفية — التي قامت في نجد — والدولة السعودية الأولى تدعونا إلى أن نقدم دراسة موجزة لإقليم نجد الأرض والسكان ، كي نكون على دراية بأسماء الأماكن والمواقع التي كانت مسرحاً لتاريخ الدعوة والدولة .

وكلمة نجد تطلق على المرتفع من الأرض ، وإقليم نجد يجعل القسم الأوسط من شبه الجزيرة العربية . ويحده من الغرب إقليم الهضاب العربية والحجاز ويمتد إلى الشرق حتى نطاق الدهناء والأحساء . ويوجد بنجد كثير من الأودية أهمها وادي حنيفة الذي يعد من أكبر أودية شبه الجزيرة العربية . ووادي الرمة الذي يبدأ بالقرب من المدينة المنورة ويمر بالقصيم .

ويمكن اعتبار البلاد النجدية سلسلة من الواحات المتشابهة في التشكيل المختلفة في المساحة التي يتوافر فيها الماء الجوفي قريباً من سطح الأرض . وتمتد هذه الواحات من القصيم إلى وادي الدواسر على أطراف سلسلة جبل طويق^(١) . وأهم واحات نجد :

القصيم : واقعة إلى ما بعد المنحدرات وجنوبي جبل شمر وتمتد في خط في خط يبلغ طوله أكثر من مائة ميل^(٢) . ومركزها بلدة بريدة التي تقع على

(١) فؤاد حمزة ، قلب جزيرة العرب ، ص ١٥ ؛ عمر رضا كحالة جنرالية شبه جزيرة العرب ص ٦٠ .

(٢) حافظ وجهه ، جزيرة العرب في القرن العشرين ص ٣ .

مرتفع رملي وأرضها ذات خصوبة والمياه متوفرة في هذه الواحة وتمتاز بكثرة
بساتينها ومن قراها الأسياح وعين ابن فهد وحذيفال والشقة والعيون^(١).

السدير : هي الجزء الشمالي من طويق وامتد أكبر نواحي الجبل والجزء
الرئيسي من هذه الواحة هو السهل المنخفض المأهول بالسكان وأهم بلدان
السدير الجمجمة (عمرت ٨٢٠ - ١٤١٧ م) والزلفى وجلاجل والتويم
والداخلة والحصون والجنوبية وحوطة والعودة وحرمة وروضة سدير وكانت
واحة سدير تعرف في ذلك الوقت « بريف نجد لأجل ما تحتوى عليه من الزروع
والفواكه الطيبة وطيب الفلاة والعشب »^(٢).

الحوطة : واحة مركزها بلدة الحوطة وهي كثيرة البساتين وينبع منها من
القرى نظام والحلوة.

الحريق : مركزها بلدة الحريق وهي شديدة الحرارة وآبارها بعيدة
العور^(٣).

وادي الدواسر : يمس حافة الربع الخالي ومن أشهر نواحيه السليل ومن
قراها الدمام وحفاج ورويسة وواحات وادي الدواسر غنية بشجر الأثل
والكروم والنخيل وخاصة في الجهة الشرقية.

الوشم : واحة كبيرة وعاصمة هذه الناحية شقراء ومن بلدانها ثمرماء
وأبينة وحرمل والقرائن وكان لشقراء مكانة تجارية عظيمة مع الهند وسوريا
والعراق ولا يزال أهلها يحبون مختلف الأقطار في سبيل التجارة^(٤) والجنوب

(١) عمر رضا كحالة ، جغرافية جزيرة العرب ص ٢٤٨ .

(٢) مؤلف مجهول ، لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب ، تحقيق الدكتور
أحمد أبو حاكم ص ١٤١ .

(٣) عمر رضا كحالة ، المرجع السابق ، ص ٢٤٢ .

(٤) لمع المرجع ص ٢٤٦ .

للشرق من هذه الناحية خصب كثير المياه أما الوسط والشمال فأرضهما غير خصبة .

الحميل : تقع هذه المنطقة شمال العارض وأهم قرأها ثادق وهي بلدة صنفرة في الشمال الشرقي من حريملا . وفي هذه الواحة توجد أشجار النخيل بكثرة وأرضها قابلة للحراث^(١) . وتوجد بها بعض العيون والآبار .

العارض : مركز هذه الناحية مدينة الرماض ، ومنطقة العارض عبارة عن واحة كبيرة جميلة تمتد من سفح جبل طويق شرقاً إلى المنفوحة . وتتوسط بلدان نجد ، ومن بلدانها . الدرعية منشأ آل سعود ومقر إمارتهم . والمارية والجليلة والمدينة . وهذه المنطقة غنية بالعيون والآبار ذات المياه العذبة وتوجد فيها أشجار النخيل والبقول^(٢) .

الخرج : ناحية خصبة التربة غزيرة المياه تزرع في أرضها الحبوب وفي بساتينها الثمار وقاعدتها الدلم ومن قرأها السلمية وزميقة ونعجان والسيح .
جبل شمر : تذكره لأنه يعتبر كجزء منتم لإقليم نجد . ومنطقة جبل شمر عبارة عن جبال أجا وسلمى وتسكنها قبائل شمر المشتغلة بالزراعة نظراً لخصوبة هذه المنطقة وتوفر المياه^(٣) .

يشة : تتكلم عنها لأنها لعبت دوراً هاماً في تطور تاريخ الدولة السعودية الأولى ولأن بعض الجغرافيين يسمونها من إمارات العارض^(٤) . ومركزها يشة وهي بلدة زراعية مكونة من جملة قرى واقعة في الوادي المسمى باسمها . وهي نقطة هامة على الطريق الممتد من وادي الدواسر إلى الحرمين ومن أهم الأماكن الواقعة بين الطائف وصنعاء ويعتبرها العرب مفتاح اليمن .

ونظراً لبقاء سكان إقليم نجد في شبه عزلة فترة طويلة من الزمن عن

(١) عمر رسا كعالة ، جغرافية جزيرة العرب ، ص ٢٤١ .

(٢) أمين الريحاني ، تاريخ نجد الحديث ، ص ٢٥ .

(٣) مؤلف مجهول ، لم الشهاب ، ص ١٤٢ - ١٤٧ (من حدود نجد وواحاتها) .

(٤) فؤاد حرة ، لب جزيرة العرب ، ص ٦٧ .



الاختلاط فإنهم يمثلون العرب الخالص ، وإن كان يوجد في بعض المدن والقرى النجدية عناصر كثيرة من الزوج ، الذين اختلطوا بالسكان الأصليين ، الذين ينتمون إلى جنس البحر المتوسط^(١) .

أما عن توزيع القبائل في إقليم نجد في فترة قيام الدولة السعودية الأولى فقد أصبح يختلف عما كان عليه قبل الإسلام نظراً لتحرك كثير من القبائل إلى خارج شبه الجزيرة ، إما على هيئة أفراد في القوات العربية الحاربة أو كمجموعات استقرت في البلاد التي فتحتها الجيوش الإسلامية ؛ لأنها وجدت حياة أفضل في هذه البلاد مما كانت عليه في موطنها الأصلي في نجد . وهذا يفسر لنا سر اختفاء بعض القبائل من توزيعها الجغرافي حالياً^(٢) . وأشهر الأمثلة لذلك قبائل أسد وطى ، وبكر بن وائل فإن بعض هذه القبائل استقر في العراق وفي سوريا . وأم القبائل التي كانت تعيش في نجد أيام الدولة السعودية الأولى هي : حنزة وشمر والدوامر وسبيع ونميم وقحطان والظفير والصلبة ويحاور هذه القبائل في الأحساء آل مطير وبنو خالد والناصير والعمان وآل مرة وبنو ياسر والموازم والرشابدة^(٣) .

الحالة الاجتماعية :

لم تكن الحالة الاجتماعية في إقليم نجد تختلف عما كان سائداً في ذلك الوقت في أنحاء شبه الجزيرة العربية فهناك عدة سمات تميز هذه الحالة :

أولاً : القبيلة هي الوحدة الاجتماعية الأساسية .

ثانياً : السكان إما بدو وإما حضر .

ثالثاً : تحكم العرف والتقاليد المتوارثة في القبيلة .

وقد لعبت هذه الأمور دوراً هاماً في تاريخ السكان الاجتماعي . فكل

(١) دكتور محمود طه ، جغرافية شبه الجزيرة العربية ، ج ١ ، ص ١٤٤ .

(٢) نفس المرجع ، ص ١٤٣ . K.S. twitchell, Saudi arabia, p. 81.

(٣) دكتور محمود طه ، المرجع السابق ، ص ١٤٥ .

قبيلة لها شيخها الذى له الرياسة فيها وهو عادة أوفر أفراد القبيلة ثراء وهو الرجل الذى يشار إليه بالبنان بين أفرادها .

وأفراد القبيلة الواحدة يتفاوتون فيما بينهم فى الغنى . وأحياناً كثيرة كان أفراد القبيلة الواحدة يقطنون فى مناطق متفرقة وفى قرى مختلفة كما أنه كان يوجد بين أفراد القبيلة البدو الرحل ، والحضر المستقرون .

أما البدو فإنهم ينتقلون بأغنامهم وإبلهم وراء الرعى حينما وجد ويتجولون فى مناطق مختلفة بحثاً وراء سبل رزقهم . وهذه الحياة العنشة التى كان يحياها البدو كانت سبباً فى قتال القبائل من أجل الرعى والماء فإذا كثر السكان أو ضنت عليهم الأرض فلا سبل أمامهم إلا القتال والإغارة على من جاورهم أو الهجرة إلى أراض جديدة إن كان إلى الهجرة سبيل وهذا يفسر لنا بعض الهجرات التى استمرت حتى القرن التاسع عشر من قلب نجد إلى سوريا والمراق وشواطئ الخليج^(١) .

أما الحضر فهم سكان الواحات والقرى الذين كانت لهم صفة الاستقرار ورغم ذلك فإن حياتهم كانت متأثرة بحياة البدو لما بينهم من صلات المصاهرة والقرى والتجارة . والحضر تختلف طباعهم باختلاف المناطق التى يعيشون فيها وظروف الحياة التى تحيط بهم . وقد كانوا فى تنافس وتفاخر دائم فأهل القصيم يفضلون أنفسهم على سائر سكان نجد بالمسلم والمعرفة وسماحة الخلق والإحاطة بأحوال العالم وأهل العارض يمتزجون بالشجاعة والصبر على المسكاره والمحافظة على شوائب العرب^(٢) .

صوماً كان المجمع النجدى فى ذلك الوقت مجتمعاً قبيلاً فالنجدى الذى يستطيع من طريق القوة والقوة وحدها أن يسيطر على منطقة يصبح أمرها

(١) حاط وحب، المرجع السابق ، ص ٩ .

(٢) حمود ساكنا ، المرجع السابق ، ص ٢١٦ .

والسيد المطامع فيها . فقد كان الغزو سهيلاً إلى الاستيلاء وسهلاً رحباً إلى الرزق والثراء وهناك بيت شعر يمثّلون به :

بسفك الدما يا جارئ تحقن الدما وبالقتل تنجو كل نفس من القتل^(١)

ويذكر صاحب لمع الشهاب أن « من صفات أهل نجد التجارة . فإن كثيراً منهم تجار يسفرون إلى أطراف الروم^(٢) وبقية جزيرة العرب ... ثم يأتيهم من طريق القطيف والبحرين شيء كثير . واعلم أن أنواع هذه التجارات كلها الغالب في جلبتها هم أهل نجد خاصة »^(٣) .

ورغم حب بعض أهل نجد لممارسة مهنة التجارة وسفر كثير من تجارهم إلى حلب ودمشق ومصر والهند وغيرها ، إلا أن التجارة في الفترة السابقة لقيام الدولة السعودية فقدت أهميتها كمورد رزق لِمُضْ سكان نجد نظراً لفقدان الأمن وعدم استقرار النظام وانتشار الفوضى .

الحالة الدينية :

وكان أكثر السكان في ذلك الوقت حاضرم وباديهم جهلة تسيطر عليهم البدع وأصبحت معرفتهم بقواعد الدين الصحيحة جد نادرة وتمكنت في نفوسهم مفاهيم خاطئة بعيدة عن تعاليم الإسلام . حتى أصبح من المسمير إقلاع الناس منها وبذا بدأوا يميلون إلى التوسل بالقبور وغيرها من الجمادات التي جاء الإسلام ليحطمها ويقضي على عباداتها .

والناظر في أحوال نجد قبيل ظهور المصلح السلفي الشيخ محمد بن عبد الوهاب يجد أن الناس أصبحوا يقدسون الأولياء ويحجون إلى قبورهم ويتسعون إلى

(١) ابن الرمان ، المرجع السابق ، ص ٧ - ٨ .

(٢) يقصد بلاد الدولة العثمانية .

(٣) مؤلف مجهول ، لمع الشهاب (تحقيق د . أحمد أبو حكمة) ، ص ٨٣ - ٨٤ .

أضرحتهم ويقدمون لهم النذور ويستشفعون بهم لطلب منفعة أو لدفع ضرر وأضحت هذه الأمور عقيدة راسخة عندهم^(١).

وانتشرت الأضرحة والقبور في كل مكان ففي الجبيلة يوجد قبر زيد بن الخطاب ، الذي كان أهل نجد يحجون إليه لاعتقادهم أنه يفرج عنهم الكرب ويقضي لهم حوائجهم ويكشف عنهم النوب^(٢).

وفي القذا يوجد ذكر المغيل المعروف بالفعال وكان يقصده النساء والرجال بغير كون به ويستفدون فيه . وكان لأهل نجد اعتقاد في شجرة تسمى شجرة « القيب » تأمها النساء اللاتي يرزقن بمواليد من الذكور ويملقن عليها الخرق البالية لمل أولادهن يسلون من الموت والحسد . كما تأمها أيضاً طوائف النساء اللاتي يردن الأزواج والمواقر ليرزقن بالأولاد والموانس ليأت لهن الخطاب . ولقد انهار الشيخ محمد بن عبد الوهاب فيما بعد بنفسه على هذه الشجرة وقطعها .

كذلك كان لهم اعتقاد في غار كبير في أحفل الدرعية يزعمون أنه انشق بمعجزة لامرأة تسمى بنت الأمير ليحميها من تعذيب الفسقة الذين كانوا يريدون بها سوءاً فأصبح الناس يرسلون إلى هذا الغار اللحم والخبز هدية .

وكان في الخرج رجل يدعى « تاج » نهج الناس فيه سبيل الطواغيت فأنهالت عليه النذور واعتقدا فيه النفع والضرر وكانوا يذهبون للعج إليه أفواجاً وينسجون حوله كثيراً من الأساطير والخرافات . ولم يقف الأمر بأهل نجد عند هذا الحد بل إنهم كانوا يذهبون القباح ويرمون لحومها في القلوات زاعمين أن الجن والشياطين يأتون هذه اللحوم فيأكلونها ويتم بذلك رضام مل مرضام فيبرأون^(٣).

(١) فريد مصطفي ، آل سعود في التاريخ ، ص ٥٨ .

(٢) حسين بن غنام ، تاريخ نجد (تحقيق لأمير الأسد) ص ١١ .

(٣) حسين بن غنام ، المرجع السابق ، ص ١١ - ١٢ .

والحقيقة أن هذه الحالة لم تسكن مقصورة على أهل نجد دون بقية سكان شبه الجزيرة العربية وما يجاورها من أقطار العالم العربي . فإن أهل الحجاز لم يكونوا أحسن حالا ، فقد انحرف الناس عن الدين الصحيح ومزجوا العقائد الدينية ببعض البدع والخرافات بل إن الدعاء عند القبور أصبح من الأمور المألوفة لدى كافة الناس . فما يفعل عند قبر خديجة في الملى وعند قبة أبي طالب من استغاثة وطلب شفاة شيء تهول له النفوس . ولم تسكن الحالة الدينية في مصر واليمن وحضرموت والشعر وعدن ونحما والحديدة وحلب ودمشق والعراق وبلاد الأكراد والقطيف والبحرين والإحساء بأسعد حالا مما كان عليه الوضع في نجد ، ففي كل بلد من هذه البلدان يوجد قبور أو جناد أو نبات أو شبح يكف الناس على تعظيمه والتقرب إليه والاستغاثة به^(١) .

ولا شك أن تلك صورة سيئة لما وصل إليه حال المسلمين . كانت في أشد الحاجة إلى مصلاح يصل على إصلاحها وإبرازها في إطار إسلامي صحيح . وما تجدر الإشارة إليه أن للذهب الذي كان سائداً في إقليم نجد هو مذهب أحمد بن حنبل قاضٍ بشر يذكر في سوابقه سلسلة من العلماء الحنابلة الذين عاشوا في بلدان نجد وقراها وأخذ عنهم كثير من فقهاء هذا الإقليم أصول ومبادئ هذا المذهب منذ بداية القرن العاشر الهجري ، على رأسهم أحمد بن يحيى بن عطوة بن زيد التميمي الحنبلي الذي كان في الجبيلة وتوفي سنة ٩٤٨ هـ - ١٤٤١ م والذي تآق على يديه أصول للذهب كثير من الفقهاء الحنابلة من بينهم شهاب الدين أحمد بن عبد الله وأحمد بن محمد بن مشرف^(٢) . وشرف الدين أبو النجاء موسى ابن أحمد بن موسى الذي كانت له يد طويلة في التعريف بالمذهب الحنبلي وتنقيحه ومهذيب مسائله وترجيحه وأخذ عنه كثير من فقهاء نجد^(٣) .

(١) حسين بن غنام ، المرجع السابق ، ص ١١ .

(٢) عثمان بن بقر ، عنوان المحدث في تاريخ نجد ، ج ١ ، ص ٢٢ .

(٣) نفس المرجع ص ٢٢ .

ومن بين الذين اهتموا بدراسة وتدريس مذهب أحمد بن حنبل في نجد جد الشيخ محمد بن عبد الوهاب ووالده؛ فقد كان يث هذه الأسرة ملتقى لطلاب العلم والراغبين في دراسة مذهب أحمد بن حنبل .

ورغم ضعف مذهب أحمد بن حنبل في الأقطار الإسلامية الأخرى إلا أنه كان العالب في إقليم نجد ؛ فلم تذكر ترجمة افاض من قضاء إمارات نجد إلا ومن بين أوصافه الحنبلى ، ولم يذكر عالم حنبلى في القاهرة أو دمشق دون أن يكون من بين أساتذته أو تلاميذه أحد النجديين ^(١) .

وانتشار هذا المذهب في إقليم نجد بفكر سر ذبوع مؤلفات ابن تيمية وهو على مذهب أحمد بن حنبل في هذه المنطقة وربما كان وصول هذه المؤلفات إلى نجد سبباً في ترجيح هذا المذهب على غيره من المذاهب . يؤيد ذلك أن هذه المؤلفات كان لها تأثير كبير على الشيخ محمد بن عبد الوهاب فقد عكف على دراستها واعتناق آراء صاحبها منذ فترة مبكرة وقبل قيامه بالرحيل لطلب العلم خارج نجد .

وعلى أى حال؛ فإنه رغم تأثير الطرق الصوفية في القرن الثامن عشر الميلادى (١٢ هـ) على كثير من الفقهاء إلا أنه ظهر من بين حنابلة نجد فقهاء لم نرعة تجديدية قبل ظهور الشيخ محمد بن عبد الوهاب وعلى رأس هؤلاء الفقهاء عثمان بن أحمد النجدي المتوفى سنة ١٠٩٧ هـ - ١٦٨٥ م والذي صنف كثيراً من المصنفات في الفقه الحنبلى ^(٢) وليس أدل على إعجاب علماء نجد بمذهب ابن حنبل من قول العلامة مرعى بن يوسف النجدي الحنبلى المشهور بالأزهرى اتلقبه العلم بالأزهر (توفى سنة ١٦٢٣ م - ١٠٣٣ هـ) بقول :

لئن قلد الناس الأئمة إننى لفي مذهب الخبر ابن حنبل راغب
أقلد فتواه وأعشق قوله وللناس فيما يشقون مذاهب

(١) دكتور صلاح الصفاد ، دعوة حركات لإصلاح الدين ، الملة التاريخية ، ج ٧ ،

(٢) عثمان بن بقر ، المرجع السابق ، ص ٨٦ .

المكان السياسي :

كان إقليم نجد في النصف الأول من القرن الثامن عشر مقسماً إلى عدد من الإمارات الصغيرة أو بتعبير أدق كانت كل بلدة من بلدانه مستقلة بشؤونها ولها أميرها الذي يعمل على حمايتها وإدارتها وله الكلمة المسموعة فيها .

ولم يخضع إقليم نجد للدولة العثمانية حتى ذلك الوقت حيث أنه لم يظهر ضمن قائمة التقسيمات الإدارية التي وضعت في أوائل القرن السابع عشر وظل معمولاً بها حتى القرن التاسع عشر . فلم يشهد الإقليم ولاية عثمانيين يأتون إليه ولا حامية تركية تجوب خلال دياره ^(١) . وربما كان تعليل ذلك أن الدولة العثمانية لم يكن يعنيها كثيراً أن تسيطر على هذه المنطقة الداخلية التي لا فائدة ترجى منها . رغم وجود النفوذ العثماني على أطراف إقليم نجد في الحجاز والأحساء . وإن كان هذا النفوذ في المنطقة الأخيرة اسماً فقط حيث أن إدارتها الحقيقية أصبحت في يد قبيلة بني خالد منذ سنة ١٦٧٠ م — ١٠٨٠ هـ ^(٢) . وقد أشار إلى هذه الحقيقة ابن بشر المؤرخ النجدي ^(٣) .

أما إمارات نجد الصغيرة فلم يكن هناك رابطة سياسية تربط بينها بل إن العلاقة بين هذه الإمارات كان يسودها الفتور والجفاء والمহারبة في معظم الأوقات . وأظهر الأسر النجدية الحاكمة في ذلك الوقت آل معمر في الميمنة ودهام بن دواس في الرماض . وآل زامل في الخرج . وآل سعود في الدرعية . وبهنا أن نمرض بإيجاز لتاريخ الأسرة السعودية في الفترة السابقة للدعوة لنرى كيف استقر بها المقام في الدرعية التي أصبحت مركزاً لإمارتها والتي غدت فيما

(١) ساطع المصري ، الدولة العثمانية والبلاد العربية ، ص ٢٢٨ — ٢٢٩ .

R Bayly Winder, Saudi Arabia in 19 Century, p. 7.

(٢) دكتور عبد الكريم طرابية ، مقدمة تاريخ العرب الحديث ، ص ١٠ ، ص ٢٤ .

R Bayly Winder, Saudi Arabia in 19 Century, p. 29.

(٣) مهدي بن بشر ، المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٦٥ .

بعد قاعدة دينية وحربية وسياسية لدولة لعبت دوراً هاماً في تاريخ شبه الجزيرة العربية بوجه خاص وفي التاريخ العربي بوجه عام حتى يومنا هذا .

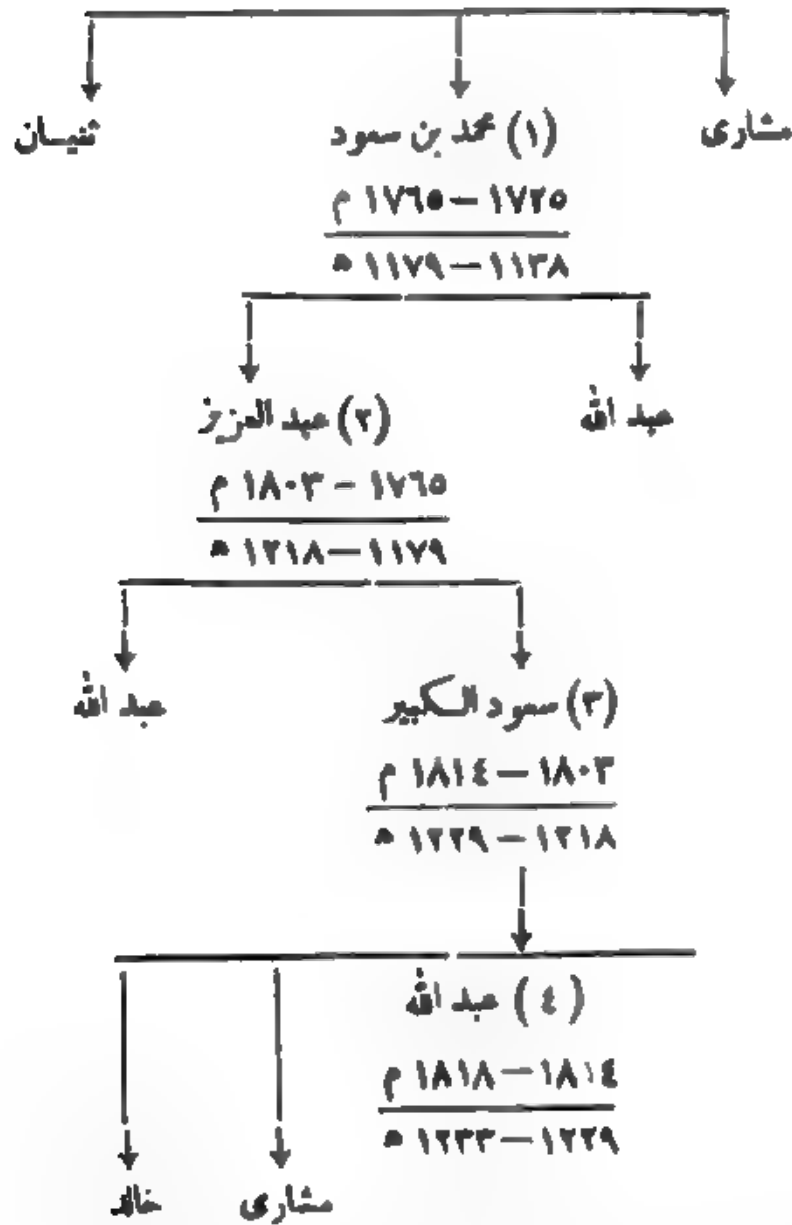
تنسب الأسرة السعودية إلى عشيرة هذلة وهي من قبائل ربيعة التي تعد من أكثر القبائل العربية عدداً قنفاً فروع في نجد والمراق وسوريا .

وكان مانع بن السبب الملقب بالمريدي جد آل سعود يقطن بلدة الدروع من أعمال القطيف وتربطه بآبى درع رئيس حجر اليمامة والجزعة المروفين قرب الرياض صلة نسب ومصاهرة وكانت بينهما مراسلة أسفرت في النهاية عن مجيء مانع المريدي إلى آبى درع سنة ١٤٤٦ م - ١٨٥٠ هـ فأقطعه الأخير أرض المليد ونصيبه المروفين بالقرب من الدرعية فاستقر بها هو وأسرته . واستطاع خلفاؤه ضم المناطق المتاخمة لحدود المليد وغصيبة بعد مهاجمة آل يزيد وآل دغهمر والاستيلاء على منازلهم ^(١) .

وعند ما آل حكم هذه الإمارة إلى مقرن بن مرخان اختار الدرعية عاصمة له وكان ذلك سنة ١٦٨٢ م - ١١٠٠ هـ . ثم آل الحكم بعده لابنه سعود ثم لحفيده محمد بن سعود الذي بمعه سنة ١٧٢٥ - ١٧٦٥ م - ١١٣٨ - ١١٧٩ هـ تبدأ الإمارة السعودية طوراً جديداً في تاريخ حياتها يزداد نمواً وازدهاراً يتحالف الأمير السعودي مع صاحب الدعوة السلفية الشيخ محمد بن عبد الوهاب كما سنرى ذلك في حينه وسنرى أن مهاجري القطيف في مدى جيلين أو أكثر أصبحوا سادة للأقاليم الذي هاجروا إليه . وهاك شجرة نسب الأسرة السعودية المفق عليها ذكرها فيما يلي مع إعطاء أرقام للذين تولوا زمام الأمور منهم في فترة الدولة السعودية الأولى حتى انهيارها سنة ١٨١٨ م - ١٢٣٣ هـ ونهمل نكته شجرة النسب حتى الوقت الحاضر لأن ذلك يخرج عن نطاق بحثنا .

شجرة نسب الأميرة السعودية (١)

سعود بن محمد بن مقرن بن مرخان



هدنان
معد
نزار
ربيعة
أسد
عزة
وائل
بكر
شيبان
ذهل
مرة
هام
سعد
الحارس
ربيعة
موسى
مرخان
مقرن
محمد

تلك صورة موجزة لإقليم نجد الأرض والسكان في الفترة السابقة لقيام الدولة السعودية الأولى ١٧٤٥ م - ١١٥٨ هـ توضح لنا حالة هذا المهاد الذي كان مسرحاً لأحداث تاريخ هذه الدولة .

(١) اعتمدنا في شجرة هذا النسب على كتاب عنوان الجدل لاس بقمر ، وكتاب تاريخ نجد الحديث وماضيات أمين الريحاني ، وتاريخ المملكة العربية السعودية في حاضيتها وحاضرها .

(٢) ربيعة - سقط من تاريخ الريحاني ولموجود في المصادر الأخرى .

الفصل الثاني

محمد بن عبد الوهاب ودعوته السلفية

- ١ — محمد بن عبد الوهاب نسبه ونشأته .
- ٢ — الدعوة السلفية ومبادئها .
- ٣ — جهود ابن عبد الوهاب لنشر دعوته .
- ٤ — تقييم الدعوة السلفية .
- ٥ — انتقال صاحب الدعوة إلى الدرعية ودخول محمد بن سعود في الدعوة .

الفصل الثاني

محمد بن عبد الوهاب ودعوته السلفية

إن وادي حنيفة الذي شهد في العهد الأول للإسلام نشأة مسيئة الكذاب ومخديه للرسول وللدعوة الإسلامية ، فيه نشأ صاحب الدعوة السلفية الشيخ محمد ابن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن محمد بن أحمد بن راشد بن يزيد التميمي . فهو يتعذر بأصله إلى قبيلة تميم تلك القبيلة التي حافظت على موطنها في إقليم نجد واستقرت وتوطنت وتركت حياة الرعي والبدو واشتغلت بأوجه النشاط الأخرى من زراعة أو تجارة^(١) .

فقد شهد عام ١٧٠٣ م - ١١١٥ هـ ميلاد طفل للشيخ عبد الوهاب قاضي المدينة بوادي حنيفة وهي من أعالي نجد . فأسماه محمداً وكان ذلك زمن إمارة عبد الله بن محمد بن محمد بن عبد الله بن معمر . وكان الشيخ عبد الوهاب آنذاك بجانب وظيفته القضائية يقوم بتدريس التفسير والحديث والفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل وكان يئته مكاناً يقصده طلاب العلم وبعض العلماء حيث « يمضون الوقت في جدال فقهي أو نقاش ديني وكان الطفل وقد شب وأصبح صبياً ، يحلوه أن يراقب مجلس أبيه عن كئيب فينصت لأحاديث القوم ومجادلاتهم »^(٢) وكان يفضل حلقات الدرس التي يخصصها الشيخ الوالد لطلابه الذين يقصدونه من كل حذب وصوب على مجالس أنرايه ، ولذا نشأ الشيخ محمد ابن عبد الوهاب واسع الثقافة بالنسبة للجيل الذي عاصره واستطاع أن يحفظ القرآن قبل أن يبلغ الربيع العاشر من عمره . بالإضافة إلى أنه كان شغوفاً بالعلم

(١) دكتور محمود طه ، حفرافية شبه الجزيرة العربية ، ج ١ ، ص ١٤٥ .

(٢) دكتور عبد الحميد الطريقي ، الوهابية دين ودولة ، بحث مستخرج من مجلة كلية

السات سنة ١٩٦١ ص ٤٢ أبو الطيب صديق ، التاج المسكول ، ص ٣١ .

والدراسة وكان يصرف كل وقته في القراءة والاطلاع في كتب الفقه والتفسير والحديث والعقائد وكتب ورسائل أحمد تقي الدين بن تيمية التي كانت مصدر إلهام له في كثير من المسائل .

وكان الشيخ محمد سريع الفهم سريع الكتابة وتوسم فيه أبوه خيراً فتمهده وكان يعترف به حتى أنه قدمه للامامة في الصلاة وهو يافع . وكان الوالد يقول « لقد استفدت من ولدي محمد فوائد شتى في الأحكام »^(١) وظل الشيخ محمد يواصل دراسته ومناقشته ومجادلته أحياناً لأبيه حتى برز في حل كثير من الفتاوى والمسائل الفقهية التي كانت تعرض عليه .

وفي سن الثالثة عشرة تهيأ لأداء مناسك العمرة والحج ثم زار قبر الرسول في المدينة حيث مكث هناك شهرين كاملين . رأى خلالها كثيراً من ظواهر الشرك التي ترتكب باسم الدين مما أثار في نفسه روح المقاومة لهذه الأمور .

رحل صاحب الدعوة بعد ذلك لطلب العلم فذهب أولاً إلى الحجاز حيث التقى في المدينة بالمعالم النجدي الشيخ عبد الله بن إبراهيم بن يوسف من آل سيف رؤساء بلد الجمعة بنجد وكان هذا الشيخ محباً للإصلاح فتوثقت الصلة بينه وبين الشيخ محمد بن عبد الوهاب حتى أن الشيخ عبد الله قال له ذات يوم ألا تحب أن ترى ما أعددتنا للجمعة (بلد الشيخ عبد الله) من سلاح فقال الشيخ محمد بلى ؛ فأخذه إلى حجرة ملئت كتباً وصحفاً ومجلدات وقال هذا ما أعددتنا للجمعة فرد عليه الشيخ محمد نعم ما أعددت لها من سلاح .

وفي المدينة اجتمع أيضاً بعالم آخر ذي مكانة عظيمة هو الشيخ محمد حياة السدي للذي وأخذ عنه وأجازه الشيخ^(٢) .

(١) حماد بن همام ، تاريخ نجد ، تحقيق ناصر الأسد ٢٦ .

(٢) عثمان بن بقر ، عنوان المجد في تاريخ نجد ، ج ١ ، ص ١٧ .

رجع الشيخ محمد من الحجاز إلى نجد حيث أقام قليلا من الوقت ، ثم
وحل إلى العراق وزار بغداد والبصرة التي مكث فيها أربع سنوات . وقد راقه
أن يدرس بها اللغة والحديث على يد أحد علماء المجموعة وهي بلدة من أعالي
البصرة وكان هذا الشيخ هو محمد الجموعى فقرأ عليه الشيخ ابن عبد الوهاب
الكثير من كتب اللغة والحديث . ولم يقصر جهده أثناء إقامته في البصرة على
الدراسة فقط . فقد كان النفوذ الأكبر في هذه المدينة لدلالة الشيعة الذين يحلون
الأولياء . ويقصدون قبورهم وأضرحتهم . فهاله ما يرى وما يسمع من البدع
والخرافات التي ألصقت بالدين وتوارثها الناس جيلا بعد جيل حتى أصبحت
لديهم شيئا راسخا . فأبدى الشيخ محمد تقدمه لهذه الأمور وشرع يشرح عما نجلى
له من حقائق التوحيد في مجالسه وقد وصف لنا نفسه هذه المجالس فقال « كان
أناس من مشركي البصرة يأتون إلى شبّهات يلقونها على فاقول وهم قعود لدى ،
لا تصلح العبادة كلها إلا لله . فيبته كل منهم فلا ينطق فاه »^(١) وضاق أهل
البصرة بالشيخ وآرائه وحملوا عليه حملة قاسية لأنه كان عنيفا عليهم في ردع
كل من يعظم أحد الأولياء أو الصالحين . وأخرجوه من بلدهم مطرودا فحدثته
نفسه بالذهاب إلى الشام ولكن ضيق ذات اليد جعله يمدل عن فكرته هذه^(٢) .
ف قصد الأحساء ونزل على الشيخ العالم عبد الله بن محمد بن عبد اللطيف الشافعي
الأحسائي ولم تطل مدة إقامته في الأحساء فقد رحل عنها عائداً إلى حريملاحيث
كان أواه . وكان آنذاك في نحو الخامسة أو السادسة والثلاثين من عمره وقد
اكتمل نضجه وانمت دائرة ثقافته وازدادت تجاربه أثناء رحلته^(٣) .

أما القول بأن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحل إلى بلاد فارس وأقام

(١) حديث من فقام ، المرحم السابق ، ص ٢٨ .

(٢) ٥ . الطريق ، المصدر السابق ، ص ٤٣ .

(٣) دكتور جمال الدين اشبال ، المركات الإصلاحية ومراكز الثقافة و العرف الإسلامي

الحديث ، ج ١ ، ص ٥٦

في كردستان وهمزان وأصفهان وغير ذلك من البلاد الفارسية حيث درس فلسفة الإشراف والتصوف^(١) فلا يستطيع الأخذ به لمدة اعتبارات استطيع أن نجزم بها أن الشيخ لم يرحل إلى بلاد فارس :

أولاً : لم نجد من بين آثار الشيخ ما يدل على معرفته باللغة الفارسية قراءة وكتابة ولم يذكر مؤرخو نجد أنه كان يتكلم هذه اللغة أو يلم بها رغم حرصهم على ذكر كل ما يدل على براعة وذكاء الشيخ .

ثانياً : إن دراسة آثار شيخ من كتب ورسائل تثبت أنه ليس بها أثر لفلسفة التصوف والإشراف التي يزعم أصحاب هذا القول بأنه قام بدراساتها ببلاد فارس بل إن الشيخ نفسه يذكر في رسالة له إلى الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد اللطيف الأحساني أنه لا بدعو إلى مذهب صوفي أو فلسفي . فكيف إذن يكون قد درس الفلسفة والتصوف .

ثالثاً : أن جميع الذين ذكروا هذا الرأي اعتمدوا على مصدر واحد هو كتاب « لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب » . وهذا المصدر رغم دقته في كثير من الأمور إلا أنه معروف بعدائه للشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعوته بالإضافة إلى أن هذا القول لم يذكر في أي مصدر من المصادر الأصلية الأخرى في هذا الموضوع .

رابعاً : إن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ذكر في رسائله العديدة البلاد التي زارها وتلقى العلم فيها على يد علمائها ولم يذكر بلاد فارس . ولم نجد له رسائل موجهة إلى أي من علماء فارس في عصره . فهل عاش في بلاد فارس ودرس بها دون أن يكون علاقة مع أحد فيها .

(١) دكتور جمال الدين الشيال ، المرجع السابق ، ص ٥٩ ؛ دكتور محمد بدیع شرم ، دراسات في النهضة العربية ص ١٨ ؛ نهلاء عز الدين ، العالم العربي (ترجمة محمد عوض وآخرون) ص ٩٥ ؛ لمع الشهاب ، ص ١٩ .

لكل هذه الاعتبارات لاستطيع الأخذ بأن الشيخ زار بلاد فارس أثناء رحلته لطلب العلم .

ومن بين العوامل التي أثرت في تكوين شخصية الشيخ محمد بن عبد الوهاب بالإضافة إلى البيت والرحلة . شخصية أحمد تقي الدين بن تيمية الذي عاش في القرن الثامن الهجري^(١) ورغم طول الفترة الزمنية التي تفصل بينهما إلا أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب عكف على آثار ابن تيمية من كتب ورسائل وفتاوى درسها وتفهمها وأخذ عنها ونسخ بعضها لنفسه . بل إن المبادئ التي نادى بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب كانت هي نفس المبادئ التي سبقه بها ابن تيمية بأربعة قرون . فكل منهما نادى بالرجوع إلى الكتاب والسنة وآثار السلف الصالح ومقاومة البدع والخرافات التي ألصقت بالإسلام ؛ فدعوة الشيخ محمد بن الوهاب تعتبر تطوراً تاريخياً لدعوة ابن تيمية^(٢) . وإن كانت دعوة ابن تيمية قد أثارت عليه في حينها نائرة الصوفية وأصحاب الطرق في مصر والشام وإن لم يان جانب صاحب الدعوة لمعارضيه الذين أفتوا ببطلان دعوته وزيفه وزيفه عن الإسلام وأوغروا صدور أهل السلطان عليه وخوفهم من آثار دعوته عليهم حتى نجحوا في مساعيهم وزجوا به في غياهب السجون عدة مرات .

وقد كان ابن تيمية حراً في تفكيره في دائرة الكتاب والسنة وما صح عن الصحابة من آثار بشرط وقوفه بصدورها عنهم^(٣) . وكان شديد الحاربة للبدع والمنكرات وخاصة ما كان منها وسيلة للشرك مثل التمسح بالقبور والصلاة عندها والاستغاثاة بنير الله والتبرك بالأشجار والأحجار التي يقدسها العامة ويعتقدون في قدرتها على رفع الضرر وجلب الخير . ومن مبادئه التي كان

(١) دكتور حسن سليمان عمسود وآخرون . تاريخ المملكة العربية السعودية

ص ٦٠ - ٦١ .

R. Bayly Winder, Saudi Arabia in 19 Century, p. 8. (٢)

(٣) محمد أبو زهرة ، ابن تيمية ، ص ٦ .

لها أثر كبير في شخصية محمد بن عبد الوهاب أن الاجتهاد بابه مفتوح أمام كل راغب وعدم التقليد المقنن بل إن الكتاب والسنة وآثار السلف من الصعابة هي المصدر الأساسي لكل مجتهد يستطيع عن طريقها الاهتداء إلى الرأي الصائب حتى ولو خالف رأي الأئمة الأربعة .

ظل الشيخ ابن تيمية ينادى بمبادئه هذه حتى توفى في سجنه بقلعة دمشق سنة ٧٢٨ هـ - ١٣٢٧ م ^(١) ورغم قيام تلاميذه بين الآونة ولأخرى بالمناداة بمبادئه إلا أن جهودهم لم يقدر لها النجاح والذبوع حتى قام الشيخ محمد بن عبد الوهاب في القرن الثاني عشر الهجري ينادى بدعوته التي كان فيها إحياء لدعوة ابن تيمية . ومما يؤكد ذلك أن كل رسائل الشيخ محمد بن عبد الوهاب التي كتبها إلى علماء عصره أو أرسلها إلى أصحاب الشأن أو وجهها إلى الناس عامة مملوءة بشواهد من كلام الشيخ ابن تيمية أو من شروحه لبعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ^(٢) .

الدعوة السلفية ومبادئها

يطلق بعض الكتاب على الدعوة السلفية اسم المذهب ، كما يطلق عليها البعض الآخر اسم الوهابية . والحقيقة أن استعمال هذين الوصفين للدعوة غير دقيق فهي ليست بمذهب جديد في الإسلام حتى يصح إطلاق لفظ المذهب عليها بل إن صاحب الدعوة نفسه كان حريصاً على أن يؤكد للناس أنه لا يدعوهم إلى مذهب جديد في الإسلام وذكر في إحدى رسائله قائلاً « إني لم آت بمخالفة بل أقولها والله الحمد إن ربي هداني إلى الصراط المستقيم ديناً قديماً ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين ولست والله الحمد أدعو إلى مذهب صوفي أو غيره بل أدعو إلى الله وحده لا شريك له وأدعو إلى سنة رسول الله صلى الله عليه

(١) حافظ وهبة ، جزيرة العرب في القرن العشرين ، ص ٢٣٤ - ٢٣٥ .

(٢) دكتور جمال الدين الشيال ، المرحوم السابق ، ص ٦٠ .

وسلم الى أوصى بها أول أمته وآخره^(١).

وذكر ابنه عبد الله ذلك أيضاً لعلماء مكة سنة ١٨٠٣ م -- ١٢١٨ هـ .
قال « مذهبنا في الأصول مذهب أهل السنة والجماعة وطريقتنا طريقة
السلف^(٢) . ولذا نرى أن وصف الدعوة بالمذهب فيه مغالاة لأن الشيخ لم يأت
بمذهب جديد مثل المذاهب الأربعة بل دعا إلى تخليص سلوك المسلمين مما علق به
من بدع وخرافات متبعا في ذلك مذهب أحمد بن حنبل .

أما وصف الدعوة بالوهابية فقد أطلقه عليها خصوم الشيخ محمد بن عبد الوهاب
حتى يبرهنوا للناس أن مبادئه التي يدعو إليها بدعة جديدة خارجة على مبادئ
الإسلام . بل إن أعداء الدعوة من الترك ومن جاراتهم غالوا في ذلك وأطلقوا
على أتباع الدعوة الروافض والخوارج حتى إن الوثائق الرسمية للتبادلة بين محمد
على والباب العالي تمتع الأمير السعودي الذي يعمل على نشر مبادئ الدعوة
السلفية باسم « الخارجى »^(٣) .

أما أتباع الدعوة فيطلقون على أنفسهم اسم « حنابلة » أو « الوحدين »
أو « الأخوان » أو « السلفيين »^(٤) . ويحبون من الناس أن ينعتوهم بأحد
هذه الأسماء .

أما الدعوة نفسها فإننا نرى أن الوصف الذي يطابق جوهرها هو لفظ
« السلفية » وإذا أردنا لها تمييزاً عن غيرها من الدعوات الإصلاحية الأخرى

(١) من محمد بن عبد الوهاب إلى عبد الله بن محمد بن عبد العليق « تاريخ نجد »
ص ٢١٥ . أنظر أيضاً ، الجزء الأول من الرسائل والمسائل النجدية القسم الأول .

(٢) الهدية السنية ص ٣٨ .

(٣) من الباب العالي إلى محمد علي ، دفتر (١) مميه تركي ، ص ٤ وثيقة (٣) يناير ١٨٠٨ ،
ذى الحجة ١٢٢٢ .

(٤) محمد حامد القلي ، أفر الدعوة الوهابية ، ص ٤٤ ، صلاح العقاد ، دعوة حركات
الإصلاح ص ٩١ .

التي ظهرت في أجزاء مختلفة من العالمين العربي والإسلامي فإننا نذكرها باسم
« الدعوة السلفية النجدية » .

أما المبادئ التي ارتكزت عليها هذه الدعوة فهي :

أولاً - الدعوة إلى التوحيد :

أي الدعوة إلى الله وحده لا شريك له وإفراد العبادة كلها له وعدم إشراك
غيره معه في العبادة فعني « لا إله إلا الله » نفي صفة الألوهية عن كل المخلوقات
وإثباتها لله وحده وأن العبادة إذا صرفت لغيره صارت شركاً واعتمد الشيخ محمد
ابن عبد الوهاب في دعوته إلى التوحيد على الكتاب والسنة وآثار السلف فالحق
سبحانه وتعالى يقول « وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً »
ويقول « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً » ويقول « قل هو الله أحد الله
الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد » .

والرسول عليه السلام يقول « وإذا سألت فاسأل الله » وفي حديث آخر
قال « من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه
على الله عز وجل » . وفي حديث عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال كنت
رديف النبي صلى الله عليه وسلم على حمار فقال لي « يا معاذ أتدري ما حق الله على
العباد وما حق العباد على الله ؟ قلت الله ورسوله أعلم قال فإن حق الله على العباد
أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك
به شيئاً . قلت يا رسول الله أفلا أبشر الناس قال لا تبشروهم فيتكلوا »^(١) .

جد الشيخ محمد بن عبد الوهاب في تعريف أهل نجد بأصول التوحيد
ونوافضه وألف أثناء مقامه في حريملا كتابه « التوحيد الذي هو حق الله على

(١) محمد بن عبد الوهاب ، كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبد ، ص ٣٢ .

العبيد « الذي انتشر وذاع بعد وفاة والد الشيخ سنة ١١٥٣ هـ - ١٧٤٠ م لأن الشيخ كان يدارى أباه لما كان بينهما من خلاف حول أسلوب الدعوة^(١) .

ولم تلق دعوة الشيخ إلى التوحيد وترك نواقضه من الأمور الشركية أذناً صاغية لدى كل أهل ^{البلاد} بلده فبعضهم آمن بما يدعو إليه والبعض الآخر وقف مشدوهاً مما يسمع ويستغربه ويقول « إن كان ما يقوله هذا الإنسان حقاً فالناس ليسوا على شيء »^(٢) وفريق ثالث وقف منه ومن دعوته إلى التوحيد موقف المداء السافر لحاجة في نفسه وكان من بين هذا الفريق بعض العلماء والأمراء وأهل البصرة والأحساء وقد ذكرهم الشيخ في إحدى رسائله فقال « ولا يخفكم أن الذين عادونا في هذا الأمر هم الخاصة لا العامة فكاتبناهم وخاطبناهم بالتي هي أحسن وما زادهم ذلك إلا نفوراً »^(٣) .

عاداه العلماء لأنهم رأوا فيما يدعو إليه تقويضاً للمكانة التي كانت لهم لدى العامة وإبصاراً لأبواب الرزق التي يتكسبون منها عن طريق اعتقاد الناس فيهم والحج إليهم لكتابة التماس والحجب وغيرها . ومن أنكد الذين عارضوا الدعوة إلى التوحيد وعادوا الشيخ محمد بن عبد الوهاب سليمان بن سحيم وأبو محمد ومهما من مطوعة^(٤) الرياض . فقد بذلوا ما استطاعوا من جهد في سبيل تغيير الناس من اللبائذ التي يدعو إليها ابن عبد الوهاب وصوروا لأصحاب السلطان وعلماء الأقاليم الأخرى على أنها تحمل في طياتها القضاء على سلطنتهم وإهدار مكائدهم^(٥) .

(١) حسين بن غنام ، المرجع السابق ص ٧٧ .

(٢) نفسه ، ص ٧٧ .

(٣) من محمد بن عبد الوهاب إلى عبد الله بن محمد بن عبد الطيب تاريخ نجد

ص ٢٢٧ .

(٤) المطوعة : مردها مطوع وهي كلمة تطلق على رجل الدين في نجد .

(٥) حسين بن غنام ، تاريخ نجد ، ص ٢٩٤ .

صمد صاحب الدعوة أمام معارضة أعدائه ورسل العلماء والأمراء موضحاً لهم أهداف دعوته وأنه لم يأت يحدّد وإنما يريد الرجوع بالإسلام إلى صفاته وأبعاد الأمور الشريكة عن دائرة تعاليمه .

ولما كانت الدعوة إلى التوحيد تتطلب محاربة نواقضه فإن الشيخ محمد بن عبد الوهاب نادى بمحاربة البدع المضلة وزيارة القبور التي حاول ما وسعه الجهد إقناع الناس بالحجة الدائمة من أحاديث الرسول وآثار السلف الصالح بالعدول عما يفعل أهل عصره عند زيارتهم القبور واتخاذها أعياداً أى إمكانية للمباداة . وعند ما لم يجد آذاناً صاغية له دعا إلى هدم المشاهد وتسويتها وحمل بنفسه على قبر زيد بن الخطاب في الجبيلة وهدمه وانتظر الناس ليروا ما يحدث له من الشر والبلاء — حسب اعتقادهم — ولم يحدث له شيء فكان ذلك نصراً عملياً له ولدعوته أقنع البعض بصحة ما يدعو إليه . وأعلن الشيخ أن شد الرحال إلى القبور والسفر إليها بدعة مضلة . ونادى بمحاربة الاستشفاع أى طلب الشفاعة من الغير لأن ذلك من الأمور التي تنقض التوحيد الخالص وأعلن أن الله سبحانه وتعالى هو الذي يمن على أهل الإخلاص فيغفر لهم ذنوبهم بواسطة من منحهم الإذن في الشفاعة^(١) . أما ما عليه الناس من طلب الشفاعة من الأشخاص أنفسهم سواء منهم الأحياء أو الأموات فهذا شرك وباطل ومناقض للتوحيد . وأعلن حربه على الإيمان بالخرافات وبعض الجادات والنباتات وما أحدثه المتصوفة من طقوس رأى أنها تمثل مظاهر الشرك والوثنية كالحقنات الذكر وما يصاحبها من رقص وطرب والاعتقاد في قدرة الأولياء على الإتيان بالخوارق والمعجزات والاستغاثة بهم لجلب نفع أو دفع ضرر^(٢) . ولذا فإن الشيخ محمد بن عبد الوهاب نادى بالجهاد المشروع في سبيل نشر عقيدة التوحيد الخالصة لوجه

(١) محمد بن عبد الوهاب ، كتاب التوحيد ، ص ٥٦ ؛ كشف الشبهات ص ١٢ .

(٢) د . د . جمال الدين الشيال ، المرجع السابق ، ص ٥٩ .

الله وعدم إشراك غيره معه في عباداته وإفرادها له^(١). فمن اتبع طريق التوحيد سلم من المحاربة ومن خالفها فقد حل دمه وماله وعلى هذا المبدأ سار اتباع الدعوة السلفية من آل سعود في حروبهم التي شنوها في داخل نجد وخارجه واشتد الخلاف بينهم وبين معارضتهم الذين قالوا إن من قال « لا إله إلا الله محمد رسول الله » فقد حرم ماله ودمه فرد عليهم اتباع الدعوة السلفية بأن القول لا عبرة به ما لم يدعم بالعمل فمن قال « لا إله إلا الله محمد رسول الله » وهو لا يزال يدعو للوثني ويستغيث بهم ويسألهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات فهو مشرك كافر حلال الدم والمال ولا عبرة بقوله^(٢) وحقت عليه كلمة الجهاد حتى يقبض سبيل التوحيد الخالص .

ثانياً - الاجتهاد :

كان الاجتهاد ثانياً للباديء التي ارتكزت عليها دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية والاجتهاد الذي دعا إليه صاحب الدعوة هو الاجتهاد الذي لا يخالف نصوص القرآن وسنة الرسول وآثار السلف الصالح وأنكر الشيخ وتبعه تلاميذه وأتباع دعوته تقليد أحد غير الأئمة الأربعة مالك وأبي حنيفة والشافعي وأحمد بن حنبل ، لعدم ضبط المذاهب الأخرى مثل مذهب الشيعة وغيره .

ولم يلتزم الشيخ وأتباعه بمذهب أحمد بن حنبل في كل الأحوال بل إنهم في بعض المسائل الفرعية التي تؤيد بنص من القرآن والسنة ورأى أحد الأئمة الثلاثة الآخرين أخذوا به وتركوا رأي أحمد بن حنبل « كافي مسألة إرث الجد والإخوة وأى الفريقين يقدم على الآخر في الإرث فإنهم في ذلك يخالفون رأي ابن حنبل ويتبعون رأي الأئمة الثلاثة الآخرين فيقدمون الجد بالإرث لأن هذا

(١) R. Hayy Winder, Saudi Arabia in 19 Century, p. 11.

(٢) حافظ وهبة ، جزيرة العرب في القرن العشرين ، ص ٣٩٠ — ٣٩١ .

هو الذي صح عندهم وترجع»^(١).

وأعلن الشيخ محمد بن عبد الوهاب الحرب على المقلدين المعاندين الذين أعلنوا بدورهم أن صاحب الدعوة زائع عن الدين كافر يجب أن يستحل دمه ولكن الشيخ ظل صامداً لهم حتى انتصرت دعوته واستمر في مواصلة اجتهاده وتبصيره الناس بأمور الدين في حدود أصوله الصحيحة وله أمور اجتهادية في بعض المسائل « مثل جعل دية المسلم ثمانمائة ريال بدل مائة ناقة فإنه في الحقيقة يخطو خطوات الإمام أحمد »^(٢) في الاجتهاد.

وأوضح الشيخ محمد بن عبد الوهاب موقف الإسلام من كثير من الأمور التي كانت شائعة في عصره وندد بها وحاربها وأعلن أنها تعد خروجاً عن تعاليم الإسلام . وبذل كل ما استطاع في سبيل إقناع معاصريه بمبادئه والإيمان بها .

جهود محمد بن عبد الوهاب لنشر دعوته :

مرت جهود الشيخ لنشر دعوته بمرحلتين متميزتين هما :

أولاً : مرحلة الجهد الفردي .

ثانياً : مرحلة الجهد الجماعي .

ونقصد بمرحلة الجهد الفردي الفترة التي كان الشيخ يقف فيها وحيداً في الميدان يحاول أن يكسب لأنصار إلى جانب دعوته وهذه المرحلة بدأها منذ فترة مبكرة وفي أثناء طلبه العلم فقد أنكر ما رآه في المدينة المنورة من الأفعال التي يأتيناها الناس عند قبر الرسول عليه السلام . وفي البصرة أعلن حربه على البدع التي يرتكبها أهلها وكان قاسياً على كل من يذكر اسم أحد الأولياء أو الصالحين محاملاً بهالة من التقديس فأخرجوه من ديارهم مطروداً كما لحق أذاًهم

(١) دكتور محمد عبدالله ماضي ، النهضة الحديثة في جزيرة العرب ، ج ١ ، ص ٢٩٠ .

(٢) حاشي وعبه ، المرجع السابق ، ص ٣١١ .

أسناده الشيخ محمد الجموعى^(١) . وحينما عاد إلى حريملا بدأ يبث دعوته بين الناس وأخذ ينكر ما يقومون به من الأمور الشركية واشتد إسكاره لأفعالهم حتى حدث بينه وبين أبيه كلام وجدال ثم بينه وبين أهل حريملا ولكن الشيخ دارى والده حتى توفى ١١٥٣ هـ - ١٧٤٠ م^(٢) وبعد وفاة الشيخ الوالد أعلن الشيخ محمد دعوته مراعاة وشاع أمره في بلدان العارض في حريملا والميمنة والدرعية والرياض وأتى إليه كثيرون من أهل تلك البلاد وانتظموا في سلك دعوته . وألف كتابه « التوحيد الذى هو حق الله على العبيد » .

ولكن المقام لم يطب له في حريملا ورأى أنها ليست الميدان الصالح لنشر دعوته خاصة وأن عبيد إحدى قبيلتيها أرادوا الاعتداء عليه والفتك به فمنهم بعض الناس من القيام بذلك^(٣) . وعلى إثر هذه الحادثة نقل الشيخ ميدان نشاطه إلى الميمنة مسقط رأسه وإن قيل إن ذهابه إليها كان بدعوة من أميرها بعد أن بلغه شدة ما يلاقىه الشيخ من أهل حريملا . وأكرم أمير الميمنة عثمان بن حمد ابن عبد الله بن معمر لقاء الشيخ وذاع أمره وكثر أتباعه خاصة وأن الأمير نفسه أصبح من أتباع الدعوة العاملين على نشر مبادئها . وهنا في الميمنة نبأ لمرحلة الثانية من جهود الشيخ لنشر دعوته ونقصدها مرحلة الجهد الجماعى .

في هذه المرحلة لم يعد الشيخ وحيداً وإنما أصبح له الكثير من التلاميذ والأتباع وانتقل بمبادئه من ميدان الدعوة النظرى إلى التطبيق الملم إذ استطاع عن طريق هذا الجهد الجماعى أن يهدم كثيراً من القباب والمساجد التى كانت مبنية فوق القبور ومن يسمها قبر زيد بن الخطاب في الجبلية كما عمل جهده في قطع

الجبلية

(١) إبراهيم نصيب بن السيد صبيحة افه الحيدرى ، عنوان الجهد في بيته أحوال جهاد والصره ومحمد ح ٢٩ .

(٢) حسين بن غنام المرحوم السابق ، ص ٢٧ .

(٣) فريد مصطفى ، آل سعود في التاريخ ، ص ٩ .

الأشجار التي كانت لها قداسة عند العرب البدو من سكان إقليم نجد وعلى رأسها شجرة الذيب ذائعة الصيت^(١) .

وفي المدينة أيضاً قام الشيخ بتطبيق حد الرجم الذي توجبه الشريعة الإسلامية على امرأة بما ارتكبت وذلك بعد أن اعترفت له المرأة بزناها وأثبتت ذلك بالشهود المدبول وتأكده من صحة عقلها وسلامة اعترافها . وشارك عثمان ابن معمر أمير المدينة في رجمها بل كان أول من بدأ تنفيذ هذا الحد . وطار خبر رجم هذه المرأة في كل الأنحاء . واشتهر أمر صاحب الدعوة بعد هذه الحادثة بصورة خشي منها أعداؤه من العلماء والأمراء فكتبوا إلى علماء الأحساء والبصرة والحرمين يؤلبونهم عليه وأخذوا يخوفون أصحاب السلطان من الحكم من دعوته « وزعموا أنه يملأ قلوب الجهال والطفام بكلامه ويقوهم بطريقته فيخرجون على حكاهم ويعلمون العصيان^(٢) » ، وشكوا أمره وأمر عثمان بن حمد ابن معمر إلى سليمان آل محمد رئيس بني خالد والأحساء (١١٤٩ - ١١٧٦ هـ) ١٧٣٦ - ١٧٦٢ م وكان عثمان عاملاً له وخوفوه من خطر دعوة الشيخ التي آمن بها عامه^(٣) . وكان سليمان آل محمد « له يد طويلة في أرض العرب سيما في نواحي العراق مما يلي نجد وفي نجد نفسها وكذا أطراف الشام إذ معسكره كبير ودولته عظيمة وشجاعته معروفة وقومه الخوالة أهل بأس شديد وخلق عديد وكان يغزو نجد إن لم يرضه كل واحد من حكامها بشيء^(٤) » فسارع سليمان بالكتابة إلى عامله في المدينة يقول له « إن المطوع الذي عندك قد فعل ما فعل وقال ما قال فإذا وصلك كتابي فاقتله فإن لم تقتله قطعنا خراجك الذي عندنا^(٥) » وذكر له أيضاً « بأنني أمتنع تجار بلدك عن التردد إلى أطرافنا من

(١) أمين الرحمان ، تاريخ نجد الحديث ، ص ٣٩ .

(٢) حسين بن همام . الرجم السابق ص ٧٩ .

(٣) لم الشهاب ، تحقيق د . أحمد مصطفى أبو حاكم ، ص ٣٤ .

(٤) حسين بن همام . الرجم السابق ، ص ٧٩ .

الأحساء والقطيف وسواحل قطر كالأبارة وغيرها بل أمنهم عن كل بلد أنا لم فيها،^(١) أخافت هذه الأمور عثمان بن معمر وخاصة خراجة الذي قدر بمبلغ ألف ومائتين ذهباً بعملة العصر وما يتبعها من الطعام والكسوة^(٢).

واستغل أعداء الشيخ في العينة أسر سليمان آل محمد لعثمان وملاً وقلبه خوفاً وهماً إذا لم يطمع أمير الأحساء . فما كان من عثمان إلا أن أمر الشيخ محمد ابن عبد الوهاب بمغادرة العينة إذ ليس له حول ولا قوة لإزاء محاربة سليمان^(٣). وقصد الشيخ الدرعية التي أصبح له فيها بعض الأتباع ومن بينهم أخوا أميرها ثنيان ومشاري ابنا سعود لعله يجد فيها الميدان الصالح لمواصلة نشاطه لنشر مبادئ دعوته . وما حسب أعداؤه أن رحيله إلى الدرعية سيكون بداية لدور جديد في تاريخ الدعوة والأسرة السعودية . إذ هناك في الدرعية وسع الشيخ دائرة جهوده بعد أن وجد قوة السلاح التي تؤيده لنشر مبادئه .

وإذا كانت وسائل الشيخ لبث دعوته في مرحلة الجهد الفردي لا تتعدى النقاش والوعظ وإرسال الرسائل إلى العلماء والأمراء وكتابه التوحيد . فإنه في المرحلة الثانية بالإضافة إلى هذه الوسائل أصبح له تلاميذ في معظم بلدان نجد عملوا بدورهم على إذاعة الدعوة بين الناس كما ساهم بعض الأمراء بدور كبير في نشرها فلا شك أن انضمام عثمان بن معمر إلى الشيخ في العينة كان من أبرز العوامل التي ساعدت على نشر الدعوة في تلك الفترة . وبعد انتقال صاحبها إلى الدرعية وجد أكبر العون من أميرها محمد بن سعود لمواصلة جهوده السلفية هذا عدا الرسائل العديدة التي لم يفتر الشيخ عن كتابتها وإرسالها إلى أمراء الأقاليم ورؤساء العربان ومطوعة البلاد المختلفة وإلى بعض أنصاره يشرح لهم فيها مبادئ دعوته . وأفكاره وكتائب أعداءه أيضاً وعلى رأسهم الشيخ سليمان

(١) لم الشهاب ، ص ٣٤ .

(٢) إبراهيم نصيح ، المرجع السابق ، ص ١٣٩ .

(٣) لم الشهاب ، ص ٣٤ .

ابن سحيم وأبوه محمد فقد قام سليمان بن سحيم بإرسال رسالة إلى أهل البصرة والأحساء يشنع فيها على الشيخ محمد بن عبد الوهاب ويفترى عليه وكان قصده من وراء هذا العمل إثارة العلماء والمسلمين على صاحب الدعوة حتى يهبوا لمحاربته والقضاء على دعوته في مهدا ونص مقدمة الرسالة دليل كاف على ذلك فهو يقول « من النكير إلى الله تعالى سليمان ابن سحيم إلى من يصل إليه من علماء المسلمين وخدام شريعة سيد الأنام ولد آدم من الأولين والآخرين سلام عليكم ورحمة الله وبركاته أما بعد :

فإنني يحيط به علمكم أنه قد خرج في قطرنا رجل مبتدع جاهل مضل ضال ، من بضاعة العلم والتقوى عاقل ، جرت منه أمور فظيمة ، وأحوال شنيعة منها شيء شاع وذاع وملأ الأسماع وشيء لم يتعد أما كنا بعد ، فأحببنا نشر ذلك لعلماء المسلمين وورثة سيد المرسلين ليصيروا هذا المبتدع صيد أحرار العقول لصغار بغاث الطيور ويردوا بدعه وضلالاته وجهله وهفواته . والقصد من ذلك القيام لله ورسوله ونصرة الدين جعلنا الله وإياكم من الذين يتعاونون على البر والتقوى»^(١) . ثم فند بعد هذه المقدمة ما افتراه على الشيخ وما أنكره عليه . فرد عليه الشيخ محمد بن عبد الوهاب برسالة بسط فيها كل ما ادعاه عليه ابن سحيم وقال إن كل هذه الأمور بهتان عظيم^(٢) .

وانتمت جهود الشيخ محمد في سبيل نشر دعوته عن قيامه بكتابة كثير من المؤلفات أوضح فيها أهداف دعوته ومبادئه ولهذه المؤلفات أهمية كبيرة في العلوم الدينية وهي :

١ - كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد :

أول كتاب ألّفه الشيخ في أثناء إقامته في حريملا خلال قيامه بالرحلة التي سمّاها مرحلة الجهد الفردي ، عرف فيه التوحيد وفضله وتفسير شهادة لا إله

(١) حنين بن همام ، المرجع السابق ، ص ٢٩٣ .

(٢) نفس المرجع ص ٢٩٥ - ٣٢٤ .

إلا الله وبين فيه نواقض التوحيد من الأمور الشركية وهذا الكتاب مطبوع
طبعت عدة أخرى الطبعة التي قام الشيخ محمد سالم محسن المدرس بالأزهر
بتصحيحها وطبعت بالقاهرة بدون تاريخ .

٢ — كتاب الكبائر :

بين فيه الشيخ الأشياء التي عدّها من الكبائر التي تخالف قواعد الإسلام
طبع عدة طبعت آخرها ضمن مجموعة الحديث النجدية من ص ٢٠٥ — ٢١٤
طبع للطبعة السلفية بالقاهرة سنة ١٣٧٥ هـ — ١٩٥٥ م .

٣ — كتاب كشف الشبهات :

كتيب صغير أو بمبارة أدق رسالة مطوّلة وجهها الشيخ إلى الناس كافة
وبين فيها معرفة التوحيد وأصوله وهذا الكتاب مطبوع عدة مرات مفرداً
وضمن مجموعات وآخرها في كتاب تاريخ نجد لحسين بن غنام تحقيق الدكتور
ناصر الدين الأسد من ص ٢٣٣ — ٢٥٨ طبع القاهرة سنة ١٣٨١ هـ — ١٩٦١ م .

٤ — كتاب السيرة الطويلة :

ذكر فيه سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وبين مواقفه وغزواته بتفصيل
يطلب عليه الأسلوب الخطابي ومطبوع عدة مرات آخرها طبعة المطبعة السلفية .

٥ — كتاب السيرة المختصرة :

اختصار لسيرة الرسول عن سيرة ابن هشام بأسلوب الشيخ محمد بن
عبد الوهاب ومطبوع عدة مرات آخرها طبعة المطبعة السلفية .

٦ — كتاب مختصر الهدى النبوي : النبوي

استعرض فيه الشيخ أثر الهدى النبوي على العرب وإخراجهم من ظلام
جاهليتهم إلى نور الإسلام الخفيف مطبوع^(١) .

(١) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج ١ ، القسم الأول .

٧ - كتاب فضل الإسلام :

فيه بيان لفضل الإسلام . وتفسيره وما جاء في الخروج عن دعوى الإسلام . ومطبوع طبعات كثيرة آخرها ضمن مجموعة الحديث النجدية ص ١٩٣ - ٢٠٤ طبع القاهرة سنة ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٥ م .

٨ - كتاب أصول الإيمان :

بين فيه معرفة الله والإيمان به ويحوى أيضاً شرح للإيمان بالقدر والتعريض على طلب العلم وكيفية طلبه . مطبوع ضمن مجموعة الحديث النجدية ص ١٦٥ - ١٩٢ طبع القاهرة سنة ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٥ م .

٩ - كتاب الأصول الثلاثة وأدلتها :

به شرح لهذه الأصول وهي معرفة الله ومعرفة نبيه ومعرفة دين الإسلام بالأدلة . عني بنشره وتحقيقه وتصحيح أصوله وكتابة حواشيه الشيخ محمد منير الدمشقي الأزهرى أحد علماء الأزهر طبع بالطبعة اليوسفية بالقاهرة بدون تاريخ .

١٠ - كتاب مجموع الحديث على أبواب الفقه .

١١ - كتاب مختصر الأنصاف .

١٢ - كتاب الشرح الكبير

١٣ - كتاب مسائل الجاهلية

وللشيخ عدا هذه المؤلفات كثير من الرسائل المطولة والمختصرة التي كان يرسلها إلى الأمراء وشيوخ العرب والعلماء^(١) . والتي قام تلميذه الشيخ حسين ابن غنام بجمع ما وصل إليه منها وسجله في الجزء الأول من تاريخه المسمى

(١) خير الدين الزركلى ، قاموس الأعلام ، ج ٧ ، ص ١٣٨ .
انظر أيضاً مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج ١ ، القسم الأول .

« روضة الأفكار والأفهام لمرئاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوى الإسلام » .
والذى قام الدكتور ناصر الدين الأسد بتحقيقه ونشره باسم تاريخ نجد طبع القاهرة
سنة ١٣٨١ هـ - ١٩٦١ م .

وأسلوب الشيخ محمد بن عبد الوهاب فى مؤلفاته وفى رسائله يقسم بطابع
الوعظ ويكثر من سرد الآيات القرآنية والأحاديث وأقوال السلف إلى حد أن
تصبح كتاباته أحياناً مجرد جمع للنصوص^(١) ، وترتيبها وسردها للاستدلال بها
وربما كان لعلامة الدعوة السلفية تأثير كبير فى اتسام أسلوب الشيخ بهذه السمات
الخطابية .

تقديم الدعوة السلفية :

أثارت الدعوة السلفية ولا تزال تثير جدلاً كثيراً فأيدها الكثيرون
وعارضها الكثيرون . والحقيقة أنها لم تأت بجديد فى الدين الإسلامى ولم
تكن خارجة عن مبادئه . بل إنها دعوة سنية سلفية فصاحتها وأتباعها يؤمنون
بمذهب أهل السنة والجماعة ويسبرون على طريقة السلف الصالح فيما يتعلق
بآيات الصفات وأحاديثها . فهم يقرون هذه الآيات على ظاهرها ويكفلون عليها
على الله مع اعتقادهم حقائقها وعدم الخوض فى تفاصيلها وتفسيرها كما كان يفعل
بعض الناس وقد قال بهذا ابن صاحب الدعوة عبد الله عندما سئل من علماء
مكة حين دخلها مع الأمير سعود بن عبد العزيز سنة ١٢٩٨ هـ - ١٨٠٣ م
قال : « مذهبنا فى الأصول مذهب أهل السنة والجماعة وطريقتنا طريقة السلف
التي هى الطريق الأسلم ولأعلم والأحكم خلافاً لمن قال طريقة الخلف أعلم وهى
أننا نقر آيات الصفات وأحاديثها على ظاهرها ونكل عليها إلى الله مع اعتقاد
حقائقها . فإن « مالكا » وهو من أجل علماء السلف لما سئل عن الاستواء فى
قوله تعالى « الرحمن على العرش استوى » قال الاستواء معلوم والكيف مجهول

(١) الدكتور صلاح الطائى . دعوة حركات الإصلاح السلفى ، ص ٩٠ .

والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة ^(١) فالدعوة في أصولها تعتمد على مصدرين أصليين للتشريع هما القرآن والسنة ^(٢).

أما في الفروع أى في التطبيق العملي للمبادئ والمعاملات فكانت تعتمد على مذهب الإمام أحمد بن حنبل في معظم الأحوال خلا ما يثبت لأصحاب الدعوة فيه دليل من القرآن والسنة ويؤيد برأى أحد الأئمة الآخرين فإنهم في تلك الأحوال يخالفون مذهب الإمام أحمد ويتركون العمل به وقد قال عبد الله ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب في هذا « ونحن أيضاً في الفروع على مذهب الإمام أحمد بن حنبل ولا نشكر على من قلد أحد الأئمة الأربعة دون غيرهم » ^(٣).

أما أعداء الدعوة فلقد رموها بما لم يكن فيها وذلك باتهام أتباعها بالقول بأن العصا خير من النبي ^(٤). وباتخاذهم راية شعارها : « لا إله إلا الله محمد رسول الله » (بحدف ميم محمد) أى ليس هناك رسول الله ^(٥). ولا شك أن هدفهم من وراء ذلك هو نشر دعاية سيئة للدعوة وأتباعها وإظهارها بأنها بدعة جديدة لتغيير الناس منها وكان من بين الذين عارضوا الدعوة في بدء أمرها أخو الشيخ محمد بن عبد الوهاب سليمان بن عبد الوهاب مؤلف كتاب الصواعق الإلهية الذى أنكر على أخيه مرتبة الاجتهاد وانتقد آراءه وعارض تفسيراته بتفسيرات تقابلها معتمداً على نفس المراجع التى كان يعتمد عليها الشيخ صاحب الدعوة وهى كتب ابن تيمية وابن القيم وكان يقول للشيخ « نهينا الله وإياكم من الضلال » ^(٦).

(١) رشيد رضا : الوعايون والحجاء : ص ١١ .

(٢) Burkhardt, Notes on Bedouins, p. 278.

(٣) د . محمد عبد الله ماضى ، المرجع السابق ، ص ٣٨ .

(٤) أحمد بن زبى دحلان ، خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام ، ص ٢٣٠ .

(٥) حافظ وهبة ، المرجع السابق ، ص ٣١٤ .

(٦) سليمان بن عبد الوهاب ، الصواعق الإلهية في الرد على الوهابية ص ٣٠ انظر بشأن

الخلافا بين أتباع الدعوة ومعارضهم ، عبد الله التميمي ، الفصل الخامس .

والواقع أن المبادئ التي نادى بها محمد بن عبد الوهاب كانت كلها مبادئ قديمة جديدة في نفس الوقت ^(١). قديمة اسكونها لم تخرج عن تعاليم الإسلام ولم تأت فيه بجديد. وجديدة لأن الإسلام الصحيح أصبح غريباً عن النفوس في ذلك الوقت. فرأى الناس أن إنكار أفعالهم التي يقومون بها ودعوتهم إلى أصول الدين التي أصبحت بعيدة عن نفوسهم رأوا في ذلك شيئاً جديداً عليهم. ولم تكن رغبة الشيخ محمد بن عبد الوهاب تستهدف كما ظن البعض تعديل العقائد التي جاء بها الإسلام أو إعطاء التعاليم الإسلامية نفساً جديداً وإنما هدف أولاً وقبل كل شيء إلى محاربة البدع والموودة بالإسلام إلى أصله الصادق.

ولكن مما يؤخذ على أصحاب الدعوة وأتباعها أنهم غالباً في كثير من الأمور واعتقدوا أن من يرى غير رأيهم فيها كافر حلال الدم والمال فهم مثلاً يغالون في الأشياء التي يعتقدون أنها بدعة مكروهة كالترزين بالحلى والجواهر وشرب الدخان وغير ذلك من الأمور وربما كان مرجع هذه الغلاة والتزمت الشديد أن كثيراً من أتباع الدعوة كانوا من البدو الذين أساءوا فهم مبادئها فقالوا في تكفير المسلمين الذين لا يرون رأيهم ولا يعتقدون مبادئهم وأوجبوا قتلهم ^(٢). وتشددوا في مسألة لبس الممامة وأنها السنة ^(٣). كما أنهم عملوا على تنفيذ مبادئهم ونشرها بالقوة ولم ينتظروا حتى يقتنع الناس بها « وكان كثير منهم يرون أن ما عدا قطرم من الأقطار الإسلامية التي تنتشر فيها البدع ليست بممالك إسلامية وأن دارهم دار حرب وجهاد » ^(٤) حتى إن الشيخ حسين بن غنام تلميذ الشيخ محمد بن عبد الوهاب سعى كتابه الذي كتبه بإيجاز من الشيخ ابن عبد الوهاب نفسه سماه « روضة الأفكار والأفهام لمرئاد حال الإمام

(١) د. طه حسين، الحياة الأدبية في جزيرة العرب، مجلة الهلال مارس ١٩٣٣.

ص ٦٠١.

(٢) د. عبد الحميد البطريق، المصدر السابق، ص ٥٦.

(٣) حافظ وهبة، المرجع السابق، ص ٣١٤.

(٤) أحمد أمين، زعماء الإصلاح، ص ٢٠.

وتمداد غزوات ذوى الإسلام . وظل التعصب والمخالاة يلازمان أتباع الدعوة حتى قيام الدولة السعودية الثالثة في مطلع هذا القرن فوقف أتباع الدعوة في وجه تيار الحضارة الجديدة واعتبروا المخترعات الحديثة من البدع التي لا يرض عنها يرضى الدين وعارضوها أشد المعارضة ولكن الحكومة السعودية استطاعت في النهاية إقناعهم بأن هذه المخترعات ليست بدعاً وإلى تقدم من النوع الذى حث عليه الدين وأصوله .

ورغم وجود جانب المخالاة في الدعوة السلفية فالذى لا شك فيه أنها أصبحت في مقدمة الحوادث التي كان لها تأثير كبير في هر الركود الذى سيطر على العالم العربى في تلك الفترة من التاريخ . ولا شك أيضاً في أنها كانت دعوة رائدة في ميدانها رغم صعوبة الظروف التي تمت فيها حتى ذاعت مبادئها وانتشرت وأصبحت نموذجاً لما جاء بعدها من حركات الإصلاح . بل إنها في الواقع كانت كالنهر الكبير الذى تنفرع منه جداول صغيرة فقد قام كثير من الدعوات الإصلاحية في العالم لإسلام متأثرة بهذه الدعوة وكلها في الحقيقة تنشد الرجوع بالإسلام إلى أصوله الأولى .

دخول الأمير محمد بن سعود في الدعوة

وصل الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى الدرعية عصر اليوم الذى أخرج فيه من المدينة وقضى الليلة الأولى عند عبد الله بن سويلم في أعلا الدرعية^(١) . وحاب ابن سويلم على نفسه من بطش ابن سعود أمير البلدة ، فوعظه الشيخ وهذا من روعه^(٢) . ثم انتقل في اليوم التالى إلى دار تلميذه الشيخ أحمد بن سويلم الذى غمر بيته بأنصار الشيخ وسريديه وكان من بينهم ثنيان ومشارى أخوا الأمير محمد بن سعود اللذان حاولا إقناع أخيهما الأمير بمقابلة الشيخ

(١) هناك بن بصر ، عنوان المحدث في تاريخ نجد ، ج ١ ، ص ١١٠ .

(٢) نفس المرجع ، ص ١١٠ .

فتردد بادية الأمر فاجأ إلى زوجته موسى بنت أبي وطبان من آل كثير وكانت ذات فطنة وذكاء فأخبرها بما يدعو إليه الشيخ وبأهداف دعوته فارتاحت نفسها لما سمعت من أخبار الشيخ محمد بن عبد الوهاب ثم اختارت الوقت المناسب للتحدث إلى زوجها في هذا الأمر وقالت له : « إن هذا الرجل ساقه الله إليك وهو غنيمة فاعظم ما خصك الله به »^(١) فاتفق الأمير بقولها ودعا أخاه مشارى وطلب منه أن يدعو الشيخ لمقابلاته ولكن مشارى استعطف أخاه الأمير في أن يسير بنفسه لمقابلة الشيخ وقال له : « سر إليه رحلتك وأظهر تعظيمه وتوقيره ايسلم من أذى الناس »^(٢) . فسار الأمير محمد بن سعود إلى بيت أحمد ابن سويلم وهناك رحب بالشيخ وقال له : « أبشر ببلاذ خير من بلادك وأبشر بالعز والمنعة فقال الشيخ وأنا أبشرك بالعز والتكبير وهي كلمة لا إله إلا الله من تمسك بها ونصرها ملك بها البلاد والعباد وهي كلمة التوحيد وأول ما دعت إليه الرسل من أوامهم إلى آخرهم »^(٣) . وليس هناك ما يبدل على تحديد يوم هذه المقابلة وهل حدثت بعد مجيء الشيخ إلى الدرعية بفترة قصيرة أو طويلة أن المراجع لا تشير إلى ذلك وإن فهم من كلام ابن غنام وابن بشر مؤرخي نجد أنها حدثت بعد مجيء الشيخ بفترة قصيرة وعلى أي حال فإن الأمير محمد بن سعود خشي أمرين بعد أن يقوم بنصرة الدعوة .

أولاً : أن يهجره الشيخ إلى مكان آخر ويستبدل به غيره .

ثانياً : أن يقف الشيخ في وجه ما يأخذه من مال من أهل الدرعية .

لذا أراد أن يكون بينه وبين صاحب الدعوة عهد وميثاق فقال له : « يا شيخ إن هذا دين الله ورسوله الذي لا شك فيه وأبشر بالنصرة لك ولما أمرت به والجهاد لمن خالف التوحيد . ولكن أريد أن أشتري عليك انتعتين :

(١) عثمان بن بشر ، المرجع السابق ، ص ١١ .

(٢) نفس المرجع ، ص ١١ .

(٣) نفس المرجع ، ص ١١ .

الأولى : نحن إذا قفنا في نصرتك والجهاد في سبيل الله وفتح الله لنا ولاك
البلدان أخاف أن ترحل عنا وتقبل بنا غيرنا .

الثانية : إن لي على الدرعية قانوناً آخذهم منهم في وقت الثمار وأخاف أن
تقول لا تأخذ منهم شيئاً .

فجواب الشيخ أيها الأمير أما الأولى فأبسط يدك بالدم والهدم بالهدم .

وأما الثانية : فعل الله أن يفتح لك الفتوحات فيموضك الله من العنائم
ما هو خير منها . ثم إن محمداً بسط يده وباع الشيخ على دين الله ورسوله
والجهاد في سبيل الله وإقامة شرائع الإسلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .
فقام الشيخ ودخل معه البلد واستقر عنده^(١) . وتم التحالف بين الشيخ والأمير
على نصرة الحق ومحاربة مظاهر الشرك . والواقع أن هذا التحالف بدل على
بمد نظر الأمير محمد بن سعود السياسي فهو قد رأى أن ليس لآل سعود شأن
يذكر حتى وقته فكل أمرهم محصور في الدرعية والسيطرة عليها وليس لهم نفوذ
يذكر في بقية بلدان نجد . ورأى أن خير وسيلة لتوسيع سيطرتهم واسط

(١) عثمان بن بشر ، المرجع السابق ، ص ١٢ ؛ حسين بن غنام ، المرجع السابق
ص ٨١ . يذكر صاحب لمع الشهاب أن الاتفاق بين الشيخ والأمير قد تم على الصورة التالية
فقد قال الأمير للشيخ عند وروده إلى الدرعية : « هذه اقربى قريتك والساكن أنت وله ؛
فلا نخشى (نخش) أعداءك ، والله لو اطلقت علينا جميع نجد ما أخرجناك عما فقال :
أنت كبيرهم وشريفهم أريد منك عهداً على أنك تجاهد في هذا الدين . والرياسة والإمامة
فيك وفي ذريتك . وأن المشيخة والخلافة في الدين في وفي آلى من بعدى أبداً . بحيث
لا يتقدم أمراً ولا يقم صلحاً ولا حرباً (حرب) إلا ما أراه كذلك فإن قبلت هذا فأخبرك أن
الله يملكك على أمور لم يدركها أحد من عظماء الملوك والولاة ، وتكون عاقبة أمرك محمود
عند الله . لأنك أثبت الدين ونصرته . ولم تقصر ربك عن رتبة الصحابة والخلفاء الذين
نصروا رسول الله (ص) وأى منزلة أعلى من هذه ؟ فقال محمد بن سعود قبلت ومايتك
على ذلك فتأبى واشترط كل منهما على صاحبه ما اشترط عليه . الأمر لمع الشهاب . تحقيق
الدكتور أحمد أبو حاكم ، ص ٣٠ - ٣١ . ووضح أن صاحب لمع الشهاب يؤكد أن
الشيخ والأمير اتفقا على اقتسام السلطة فيما بينهما .

سلطانهم وإعلاء شأنهم هو الجهاد الديني الذي حالف عليه الشيخ ويؤيد ذلك أنه اشترط على محمد بن عبد الوهاب ألا يتركه إلى غيره عند ما ينسحب أمره وأمر الدعوة لأن ذلك سيؤدي إلى انكشاف مأسكه ثابته . وسلم للشيخ نظير ذلك بالشرط الثاني من شروط التحالف بينهما حينما ضمن موافقته على هذا الشرط الذي رأى فيه قوام آماله السياسية .

وكان الاتفاق بين الأمير والشيخ النواة الأولى في بناء مروح الدولة السعودية الأولى وعلو شأن آل سعود^(١) .

وما أن ذاع أمر هذا الاتفاق ١١٥٨ هـ - ١٧٤٥ م في بلدان نجد حتى أتى الوافدون إلى الدرعية من كل مكان في نجد منهم المازل ومنهم المنجس وإن استجاب فريق كبير لكلمة التوحيد وتحولت الدرعية إلى عاصمة دينية وسياسية وحربية في نفس الوقت وضافت دورها عن تحمل العدد المغير الذي هاجر إليها من أنصار الشيخ من المدينة وغيرها من بلدان نجد^(٢) . وكان أهل الدرعية ومن هاجر إليها في ذلك الوقت في ضيق مالي . ثم تحسنت أحوالهم بعد ذلك بسبب ما حصلوا عليه من العنايم والزكاة التي أصبحت تنجي من البلدان التي خضعت للدرعية .

وعند ما علم عثمان بن معمر أمير المدينة باتفاق الشيخ محمد بن عبد الوهاب والأمير محمد بن سعود خشي كثيراً من الأمور فركب ومعه رجال من المدينة ورؤسائها إلى الدرعية يريد إرجاع الشيخ إلى بلده ولكنه لم يجد إلى ما أتى إليه سبيلاً فرجع إلى المدينة حائراً في أمره وإن أبدى في الظاهر مناصرته للشيخ والأمير محمد بن سعود^(٣) ولكن تصرفاته لإزاء الدرعية فيها بعداً كلفت أنه لم يكن صادقاً فيها أبداً .

(١) د . د . عبد الحميد الطريقي ، المصدر السابق ، ص ٤٧ .

(٢) نفس المرجع ، ص ٤٨ .

(٣) عثمان بن معمر المرجع ، السابق ، ص ١٣ .

الفصل الثالث

الدولة السعودية وتوحيد نجد

- ١ — مناهضة الرياض لآل سعود .
- ٢ — صدام آل سعود مع المناطق البعيدة الأخرى .
- ٣ — العامل التي ساعدت آل سعود على توحيد نجد .

الفصل الثالث

الدولة السعودية وتوحيد نجد

أخذ شأن إمارة الدرعية يعلو بتعالف الشيخ محمد بن عبد الوهاب والأمير محمد بن سعود وخشى كثير من رؤساء البلدان في إقليم نجد هذا الحدث. وآتى بعضهم إلى الدرعية يريد أن يؤمن نفسه وبلده ضد الجهاد وإن بدا فيما بعد أنه كان يظهر خلاف ما يبطن كعثمان بن معمر. ومنهم من أعلن مناهضته للدعوة السلفية ولاتساع نفوذ الأسرة السعودية ورغم إعلان كل من حريملا والعينة والمنفوحة الإيمان بمبادئ الدعوة السلفية وقبول النفوذ السعودي. إلا أن عملية توحيد إقليم نجد استغرقت من آل سعود أكثر من أربعين عاماً. خاضت خلالها حرباً طويلة مريرة مع مدن وقرى هذا الإقليم. فلم تخل مدينة أو قرية إلا ودخلت مع آل سعود في حرب.

وكان دھام بن دواس حاكم الرياض أكبر خصم للدعوة السلفية والنفوذ السعودي. ودهام بن دواس هذا كان والده رئيساً للمنفوحة. وكان رجلاً ظالماً فلما مات تولى إمارة المنفوحة بعده ابنه محمد بن دواس. فقام ابن عمه زامل ابن فارس ومعه أهل المنفوحة بقتله وأجلوا إخوته ومن بينهم دھام عن بلادهم فهاجروا إلى الرياض واستقروا بها وكان حاكمها آنذاك زيد بن موسى أبا زرعة الذي قتل بيد أحد أبناء عمه ولكن خادمه خميس استطاع أن يقتل قاتله وأن يتولى إمارة الرياض لمدة ثلاث سنوات كان في أثناءها دھام بن دواس خادماً للمبد خميس^(١). ثم جرت أمور في الرياض جعلت خميس يهرب إلى المنفوحة حيث لقي حتفه هناك وبعد هربه ترأس في الرياض دھام بن دواس بحجة النيابة

(١) حسين بن عامر، المرحم السابق، ص ٨٩.

عن ابن أحمه الصمير ابن زيد بن موسى أمير الرياض السابق^(١) . ولكنه تنكر لهذا المبدأ الذي أعلنه وأجل ابن أخته عن البلاد . فهاجمه أهل الرياض وأرادوا القتل به فأرسل أخاه مشلماً إلى الأمير محمد بن سعود يطلب منه أن ينجده ضد أهل الرياض . فبعث إليه أمير الدرعية أخاه مشارى على رأس قوة استطاعت أن تقدم له العون وأن تفره في مكانه ووقف مشارى بن سعود بجانبه عدة شهور حتى استتب له الأمر في الرياض فتركها^(٢) إلى الدرعية^(٣) .

وبعد ما تحالف الأمير محمد بن سعود والشيخ محمد بن عبد الوهاب دعا الأمير محمد بن سعود دهما إلى اعتناق مبادئ الدعوة السلفية والدخول في طاعة الدولة السعودية استنكر دهام هذه الدعوة وشبث بينهما حرب طويلة الأمد استمرت سبعة وعشرين عاماً . كان الدور الأول منها عشرين سنة أي طوال فترة حكم الأمير محمد بن سعود . كن دهام خلال هذه الفترة يحتل البلد اليوم ليحليه في الغد . وكان يلجأ في حرب آل سعود إلى سلاح الدسائس والفتن حيناً ، وإلى المصالحة معهم أحياناً ؛ فقد عاهد أربع مرات ونكث عهده أربع مرات وانضم إليهم يحيوشه وحارب معهم المعارضين لنفوذهم ولكنه تنكر لهم بعد ذلك وحارب كل أمير سمودي .

إن دهام بن دواس ما كاد يعلم ١١٥٩ هـ - ١٧٤٦ م بتلبية المنفوحة لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ودخولها في طاعة آل سعود حتى هجم عليها يريد فتنها وإجبارها على إعلان العصيان^(٤) . وربما كان الدافع له من وراء هذا العمل أنه كان يطمح في استرداد المنفوحة والاستيلاء على مقاليد الحكم فيها بعد أن طرد منها هو وإخوته فلما رآها أذعنت لحكم آل سعود أسرع بنزوها آملاً أن يبعدها إلى حوزة أسرته . ورغم استيلائه على قصر الإمارة فيها إلا أن

(١) Lady Anne Blunt, A Pilgrimage to Najd, vol. 2, p. 252.

(٢) حسين بن عنام ، المرحوم السابق ، ص ٨٩ .

(٣) عبد الله القصبي ، الثورة الوهابية ، ص ٦٧ .

أميرها على بن مزروع استطاع إجبار دهام ورجاله على الخروج منها بعد أن أصيب دهام نفسه بجرحين^(١).

استمر الصراع بين الدرعية والرياض متواصلاً لا تكاد تخلو سنة من سنوات حكم الأمير محمد بن سعود دون أن يشن فيها غزوة أو غزوتين على الرياض داخل أراضيها نفسها ، وأحياناً أخرى كان دهام بن دواس يتجمع في نخل ميدان العارك داخل أراضى الدرعية أو المناطق التي أذعنّت لحكمها وفي كل غزوة كان يتعمل كل من الطرفين جزءاً من الخسائر .

في ١١٧١ هـ - ١٧٥٧ م قرر آل سعود أن تكون لهم نقطة انطلاق بالقرب من الرياض حتى يستطيعوا إزال الحزائم المتتابعة بها وإسقاطها فقام الأمير عبد العزيز بن محمد بن سعود ببناء حصن الغدوانة غرب الرياض في وادي حنيفة ولكن هذا الحصن لم يأت بالثمرة المرجوة منه في الوقت القريب^(٢) . وظل دهام بن دواس صامداً للغزوات السعودية ومثيراً للفتنة ضد آل سعود تارة ومشهراً للحرب ضدهم تارة أخرى ومتعالماً مع كل من أميرى الإحساء ونجران تارة ثالثة . بل إن دهام كان وراء كثير من عمليات الارتداد التي كانت تحدث في المدن والقرى الأخرى ضد النفوذ السعودي .

وعلى أى حال فإن التفسير الصحيح لهذا الصراع المبرير بين الرياض والدرعية هو أن أمير الرياض كان يخشى انهيار نفوذه وسلطانه أمام نفوذ وسلطان آل سعود اللذين أخذوا في الصعود . فهو صراع من أجل السلطة في جوهره وليس صراعاً من أجل نشر مبادئ الدعوة السلفية أو معارضتها . فإن الدعوة السلفية أصبح لها أتباع في كل مدن نجد حتى في الرياض نفسها فاعتناق

(١) عثمان بن بصر ، المرجع السابق ، ص ١٧ .

(٢) عثمان بن بصر ، المرجع السابق ، ص ١٠ ؛ حسين بن خنام ، المرجع السابق ص

مبادئ الدعوة كان دائماً سابقاً للاذعان لسلطة آل سعود في تلك الفترة . والذي أذكره في الصراع بين أمراء البلدان النجدية والدرعية هو مبدأ الاحتفاظ بسيطرتهم وسلطانهم في مناطقهم .

وبالرغم من شدة غزوات الدرعية للرياض فإنها لم تستسلم حتى نهاية عهد محمد بن سعود ١١٧٩ هـ - ١٧٦٥ م وظل دهام بن دواس يمثل الخصم المنيع والمدمر القوي للدولة السعودية ويعمل جاهداً على الحد من اتساعها وحاول أن يستغل فرصة وفاة الأمير محمد بن سعود ويعمل على تحطيم النفوذ السعودي الذي أصبح يشمل كثيراً من بلدان نجد فخالف زيد بن زامل حاكم الدلم والخرج وشنا هجوماً عاصفاً على الصيغيات في منفوحة . سارع الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود حاكم الدولة السعودية الجديدة بمهاجمة الرياض وغزا أخوه عبد الله قبيلة السبيع حليفة دهام إلا أن هذا العمل لم يهن من جانب أمير الرياض^(١) . وقدر الإمام عبد العزيز بن محمد قوة هذا الخصم وأدرك يقيناً أنه وراء كثير من عمليات الارتداد التي تحدث بين آونة وأخرى ضد النفوذ السعودي فعمل جاهداً في القضاء سريعاً عليه فأكثر من غزواته للرياض آملاً أن تسقط في إحدى هذه الغزوات .

ازدادت حدة الصراع بين الدرعية والرياض في الفترة الواقعة ما بين ١١٨١ هـ - ١٧٦٧ م : ١١٨٧ هـ - ١٧٧٣ م وكان الإمام عبد العزيز بن محمد ابن سعود يقود الحملات ضد الرياض بنفسه حتى كاد أن ييأس من سقوطها واستسلامها . بل إن جيوش دهام وصلت ١١٨٥ هـ - ١٧٧١ م إلى بلدة عرقة أسفل الدرعية وهددت عاصمة آل سعود نفسها لولا أن الجيوش السعودية استطاعت مطاردة دهام في الصحراء والاشتباك معها في قتال شديد قتل فيه ابن دهام دواس وسعدون قرب بئر القواراة . وبعد هذه الحادثة بدأت قوة أمير الرياض تضعف واستغل الإمام عبد العزيز هذا الضعف الذي حل بجانب خصمه

واستمر في مواصلة غزواته للرياض طوال عام ١١٨٦ هـ - ١٧٧٢ م فغزاها في هذا العام مرتين وفي ١١٨٧ هـ - ١٧٧٣ م استطاع هدم مرقبها^(١). وما إن حل ربيع الآخر من نفس العام حتى كان دهم قد مل القتال وفضل الهروب إلى الخرج ومعه أتباعه فدخل الإمام عبد العزيز الرياض بمحيوشه فوجد سكانها قد هعروها فحتم أبوابها حتى لا تسرق محتوياتها وأرسل جيوشه في إثر الهاربين ليقتلوا المبطئين منهم ويستولوا على أموالهم وجد الجيش السعودي في أثرهم حتى وصل إلى الدلم^(٢). وبهذا الهروب الذي فرضه دهم على نفسه وعلى أتباعه « انتهى القتال الذي استمر زهاء السبعة والعشرين عاماً وتقدر خسائر الجانبين بأربعة آلاف قتيل من الطرفين . كانت خسائر دهم ألفين وثلاثمائة وخمسة الجانب السعودي ألف وسبعمائة ولا يزال الناس في نجد يذكرون هروب دهم بالسخرية كلما قام شخص عندهم بعمل يدل على الحق »^(٣).

والواقع أنه بهروب دهم من الرياض واستسلامها للتفوذ السعودي تخلصت الدولة السعودية من أكبر مشاهض كان يقف في وجه توسعها في إقليم نجد.

الهزائم بين الدول السعودية والقرى النجدية الأخرى :

الواقع أنه إذا كانت كل من المينة ومنفوحة وضمري وحريملا والمباربة والقوبية والحوطة والجنوية والحمل وتادق والقصب والفرعة ومعظمها من بلدان العارض قد أعلنت الولاء لآل سعود منذ وقت مبكر بعد تحالف الشيخ محمد بن عبد الوهاب والأمير محمد بن سعود إلا أن هذه البلاد كثيراً ما كانت ترد بين الولاء للدرعية أو الانضمام إلى جانب أعدائها وعاربتها فالمينة التي كان أميرها عثمان بن حمد بن معمر أول من اعتنق المبادئ السلفية وشارك في

• الرق • حصن المدينة والسكان الذي ترف منه حوش الهدو .

(١) حسين بن غنام ، المرجع السابق ، ص ١٢٧ .

(٢)

R. St. John Philby, Saudi Arabia, p. 63.

هدم كثير من القباب وقطع الأشجار التي لها قداسة عند العرب البدو وكانت إمارته الميدان الأول لإذاعة مبادئ الدعوة السلفية . ورغم إعلان عثمان خضوعه للدرعية منذ البداية وإن كان ذلك حدث منه تأميناً لجانيه وحماية لفؤاده على يده إذ أنه قدر أن الجيوش السعودية لا بد أن تنزو المدينة إن عاجلاً أو آجلاً . ففضل الانضمام إلى جانب الدولة السعودية سلماً . وشارك في حروب آل سعود ضد الرياض وتولى إمارة جيوشهم عدة مرات . إلا أن أحداثاً بدت منه أثبتت أنه لم يكن صادقاً في طاعته للدولة ففي عام ١١٦٠ هـ - ١٢٤٧ م لم يشارك في موقعة دقة ضد دهم بن دواس ولما خشي اكتشاف أمره طلب من الشيخ محمد بن عبد الوهاب والأمير محمد بن سعود أن يصفعا عنه فأجيب إلى مطلبه وبذلك ابن غنام أن « محمد بن سعود نفسه صار له منقاداً لا يخالفه في شيء بل يتابعه ويوافق في السفر والغزو والجهاد »^(١) .

ولكن عثمان بن معمر استمر على ثقائه للدولة السعودية واستمر يعمل في الخفاء على توجيه ضربة قوية لها . فحاول مرة عقد اتفاق سرى ضد دهم بن دواس وأمره موه عليهم بأن غرضه من وراء هذا الاتفاق إدخال دهم بن دواس في دائرة الدعوة والدولة . وأظهر حسن نواياه^(٢) . ولكنه عاد وأظهر عدم صدقه في الولاء للدولة السعودية للمرة الثالثة عندما رفض دخول ثرمدا مع عبد العزيز بن محمد ابن سعود وانسحب من أمامها بفرقة ولم يمكن عبد العزيز من دخولها .

وعندما تزايد مكر عثمان ضد الدولة وتأكد ذلك بالقرائن لأهل بلده قام جماعة منهم بقتل عثمان بعد انقضاء صلاة الجمعة في رجب سنة ١١٦٣ هـ - ١٢٤٩ م ولما وصل نبأ قتله إلى الدرعية ذهب الشيخ محمد بن عبد الوهاب بنفسه إلى المدينة

(١) حسين بن همام للرجع السابق ، ص ٩٤ .

(٢) حسين بن همام ، نفسه ، ص ٩٥ .

(٣) قس الرجح ، ص ٩٧ .

وأمر عليها مشارى بن معمر رغم معارضة أنباع الدعوة ورغبتهم في عدم تقليد أحد من آل معمر لأموال المدينة . فكان ذلك في منتصف رجب ١١٦٣ هـ — يونية ١٧٤٩ م . ولكن مشارى هذا بدت منه فيما بعد أمور كثيرة أثبتت عدم إخلاص بيت آل معمر لسلطة الدرعية وتوجس منها الشيخ محمد بن عبد الوهاب والأمير محمد بن مسعود خيفة فمزلاء بعد أن استمرت السلطة في يده عشرة أعوام وأمر على المدينة سلطان بن محسن المعمرى وأمرأ بهدم قصر آل معمر^(١) . وبهذا العمل نجحت الدرعية في القضاء على بيت من أكبر البيوت النجدية التي ناهضت الدولة السعودية في عهدها الأول وإن كانت مناهضة هذا البيت في الواقع لم تصل في حدتها إلى الدرجة التي كانت عليها مناهضة الرياض . فالمدينة لم نشهر حروباً ضد الدرعية وإنما مناهضة البيت الحاكم فيها كانت عبارة عن محاولات لإيجاد تجمع ضد الدولة فصيح آل سعود وأتباعهم في القضاء عليها في حينها .

أما أمر حربملا مع آل سعود فقد كان أيضاً أمر صراع من أجل قضية المصير فبالرغم من أن حربملا كانت من البلدان الأولى التي أعلنت خضوعها لسلطان الدرعية إلا أن عام ١١٦٥ هـ — ١٧٥١ م شهد مناهضة هذا البلد لنفوذ الدولة الجديدة ونظمها إذ قام أناس من أهلها بتعريض من قاضيا سليمان بن عبد الوهاب أخو الشيخ محمد^(٢) بنقص عهدهم الذي قطعوه على أنفسهم لكل من الشيخ محمد بن عبد الوهاب والأمير محمد بن سعود . ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل إنهم قاموا بإخراج كل من لم ينقص عهده من بلادهم فكان على رأس هؤلاء المطرودين الأمير محمد بن عبد الله وأخوه عثمان وبعض رجاله ومن بينهم مبارك بن عدوان وأبيه عدوان بن مبارك . فقصده هؤلاء إلى الدرعية

(١) حسين بن غنام ، المرجع السابق ، ص ٩١٣ .

(٢) كان سليمان بن عبد الوهاب من أكبر المعارضين للشيخ محمد وألف كتابه الصواعق الإلهية في الرد على الوهابية ولكنه عاد في النهاية واعتنق المبادئ السلفية .

ونزلوا ضيوفاً على أميرها ^(١) . نفخى المتمردون من وصولهم إلى الدرعية فأرسلوا في أثرهم وقدأ من قبيلة الأمير محمد بن عبد الله لاسترضاء الطرودين وإرجاعهم إلى بلادهم مع تقديم الاعتذار عما بدا من أهل بلادهم . خشية قيام الدرعية بإعلان الحرب ضد بلادهم . وقبلما يجمع الوفد في إرجاع الطرودين إلى بلادهم ولكن ما كاد يستقر بهم المقام بعد رجوعهم حتى هجمت عليهم قبيلة آل راشد ومعها أهل حريملا وقتلوا الأمير محمد بن عبد الله ومعه ثمانية من أتباعه واستطاع مبارك بن عدوان أن ينجو من القتل وبلغاً إلى الدرعية طالباً النجدة فسير معه الأمير محمد بن سعود جيشاً تحت إمرة ابنه عبد العزيز استطاع بمساعدة الأمير محمد بن عبد الله أمير ضرمي الاستيلاء على حريملا وإعلان الأمان لجميع السكان إلا من أحدث حدثاً . وأمر على حريملا من قبل آل سعود مبارك بن عدوان وعاد إلى الدرعية لسبع أو ثمان خلون من جمادى الآخرة ١١٦٨ هـ — ٢٢، ٢١ مارس ١٧٥٥ م بعد أن أصبحت دور ونخيل حريملا غنيمة للمجاهدين من أتباع الدعوة ^(٢) . واضطرت جيوش آل سعود للظهور مرة ثانية في نفس العام ١١٦٨ هـ — ١٧٥٥ م لإتقاذها من هجمات أمير الرياض وحلفائه واستطاعت إنزال الهزيمة بقوات الحلف الذي تكون ضد حريملا برعاية أمير الرياض دهم بن دواس في « موقعة الدار » ^(٣) .

ولكن هل حفظ مبارك بن عدوان هذه اليد الطولى التي قدمها له أمير الدرعية من توليته لإمارة حريملا والوقوف بجانبه ضد أعدائه حتى ثبتت قدماء في إمارة هذا البلد ؟

الواقع أن مباركاً لم يحفظ هذه اليد فقد ملأه الفرور والتعال وأخذ يزدري من أهل بلده كل من هو على طاعة مبادئ الدعوة السلفية والدولة السعودية .

(١) عثمان بن بصر ، المرجع السابق ، ص ٢٩ — ٣٠ .

(٢) حسين بن غنام ، المرجع السابق ، ص ١٠٤ .

(٣) عثمان بن بصر ، المرجع السابق ، ص ٣٠ .

ووصل به الأمر أنه أصبح لا يبرأ أوامر الأمير محمد بن سعود اهتماماً ولا يقوم بتنفيذها . فأصدر الشيخ محمد بن عبد الوهاب والأمير محمد بن سعود أمراً بما يمزله من إمارة حريملا واصطعبه الأمير عبد العزيز بن محمد بن سعود معه إلى الدرعية حيث اجتمع به الشيخ محمد بن عبد الوهاب وقال له : « يا مبارك خذ من نخيل حريملا ما تريد واجلس عندنا في عز ووقار وما تحتاج من مال فنحن نقوم بمنحك إياه » ^(١) . وعين لإمارة حريملا ابن عمه أحمد بن ناصر بن عدوان . وحاول مبارك أن يستعيد إمارة حريملا بعد أن استنجد بأهل الجمعة وأهل سدير والوشم وثرمدا وجمع جيشاً كبيراً لتنفيذ خطته ولكن قوات الأمير عبد العزيز بن محمد بن سعود تصدت له وأفسدت عليه خطته وتشتت شمل مبارك وأتباعه وظل مطروداً حتى توفي مفجأ في الجمعة ١١٧٤هـ - ١٧٦٠م ^(٢) . وبوفاته انطوت صفحة أمير من الأمراء الذين ناهضوا الدعوة والدولة السعودية الأولى في منطقة المارض .

والواقع أن جميع بلدان وقرى نجد كانت دائماً التردد بين الولاء للدولة السعودية والاستقلال عنها وإثارة الاضطرابات ضدها بالقومية وثرمدا وضرمي وشقرا وأشبقر وثادق والحمل والمودة والحوطة ومنفوحة والقصب ورغبة والفرعة جميع هذه البلدان كانت في شبه ثورة ضد النفوذ السعودي فإتكااد الجيوش السعودية تركت البلدة منها حتى تفاجأ بارتداد في بلدة أخرى مما جعل جيوش الدرعية في حالة حرب دائماً مع هذه البلدان .

آل سعود والخرج :

كانت منطقة الخرج من أعنف المناطق النجدية مقاومة لاتساع نفوذ

(١) عثمان بن يوسف ، المرجع السابق ، ص ٤٠ - ٤٢ .

(٢) عبد الكريم هرايبه ، مقدمة تاريخ العرب الحديث ، ص ١٠٠ ، ص ٣٥٥ .

الدرعية فقد تزعم القنومة في هذه المنطقة زيد بن زامل الديلمي الذي عقد حلفاً مع زعيم وادي الدواسر وزعماء المنطقة الآخرين وطلب المساعدة من أهل نجران وقبائلها نظير مبالغ من المال قدمت لزعماء نجران . وهذه الوسائل استطاع زيد ابن زامل حشد جيش كبير سار نحو العارض وهدفه القضاء على الدرعية والنفوذ الذي أصبح لها واشتبك هذا الجيش في عدة معارك مع القوات السعودية منى في أنفائها بحسائر فادحة لأن القتال كان يدور بين أشجار النخيل ولم يكن لأفراده خبرة بطبيعة هذا النوع من القتال الذي كانت تجيده القوات السعودية . مما اضطر الزعماء النجراتيون إلى إيقاف حملتهم والعودة إلى بلادهم دون أن يحققوا هدف حلينهم في القضاء على قوة آل سعود^(١) . ولكن زيد بن زامل لم يثقل من خطته وظل واقفاً معرضاً جيشه للقتال ولما أدرك حقيقة ألا جدوى من قتاله مع القوات السعودية التي كانت تفوق جيشه عدداً وقوة اضطر أن يعقد صلحاً مع الدرعية أعلن فيه خضوعه لسلطانها . ولكن هذا الصلح الذي تم ١١٨٩ هـ - ١٢٧٥ م لم يكن طويلاً الأمد ففي العام التالي لعقده ١١٩٠ هـ - ١٢٧٦ م أعلن زيد بن زامل خروجه على شروط الصلح ورفضه للنظام السعودي^(٢) . فأصدر الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود حاكم الدولة آنذاك أمره بتنحية زيد عن إمارة الدلم وتعيين سليمان بن إبراهيم بن عفيصان أميراً لها من قبل آل سعود .

لم يستسلم زيد بن زامل لأمر الدرعية وعقد تحالفاً مع زعماء الهيمامة والعناصر الساخطة على النظام السعودي وجمع قوة استطاع بها أن يحبر سليمان بن عفيصان والحامية السعودية التي معه على الانسحاب من الدلم وأمسك بزمام الأمور فيها مرة أخرى . وبدأ بالاشتراك مع حسن البجادي زعيم الهيمامة في التخطيط للثورة العامة في إقليم الخرج ضد آل سعود مستغلاً فرصة انشغال جيوش الدرعية

(١) حسين بن ضام ، المرجع السابق ، ص ١٣٩ - ١٤٠ .

(٢) نفس المرجع ، ص ٤١ - ١٤٢ .

بغزو آل مرة للمرة الثانية^(١) .

وصلت أنباء الاضطرابات في منطقة الخرج إلى الإمام عبد العزيز بن محمد فأدرك أنه لا بد من وضع حد لأمر هذه المنطقة التي أزعجت اضطرابات الدرعية فأرسل ابنه سعود بجيش كي يقوم باستقصاء أخبار الوضع في المنطقة . ولكن هذا الجيش التقى بقوات الخرج المحلية عائدة من رحلة استطلاعية فنشبت بين الطرفين معركة في قناة الصهباء . انسحب على إثرها كلاهما عائداً إلى بلاده .

عباً الأمير عبد العزيز بعد هذه الحادثة معظم جهوده الحربية لإخماد ثورة الخرج وقاد بنفسه بعض الحملات التي وجهت ضد هذه المنطقة . كما قاد ابنه سعود معظمها وبنى « حصن البدع » إلى الشرق من الدلم ليكون بمثابة نقطة انطلاق لقوات السعودية ضدها . ووضع فيه حامية سعودية بقيادة محمد بن غشيان فأدرك أهل الدلم أنه لا يستقيم لهم أمر وهذا الحصن على حاله هذه من المراقبة لهم والتهديد . فاستجاروا بسعود بن عريعر وقاموا بمساعدته بهجعتين على الحصن فصدما^(٢) .

وفي ١١٩٨ هـ - ١٧٨٣ م استطاعت إحدى الدوريات السعودية التي كان منوطاً بها إبقاء طرق القوافل الرئيسية مفتوحة وحفظ الأمن فيها . استطاعت هذه الدورية قتل زيد بن زامل أثناء عودته من غزو السبيع تخففه في قيادة أهل الخرج ابنه براك .

وفي ١١٩٩ هـ - ١٧٨٤ م قاد الأمير سعود بن عبد العزيز حملة على الخرج وسلب قافلة متجهة إلى الحوطة وقتل بعض رجال هذه القافلة وكان من بينهم زامل الابن الثاني لزيد بن زامل . في تلك الأثناء جددت عن الموقف في الخرج أمور أضمت من كفتها فقد بدأ الصراع الأسرى بين أفراد الأسرة الحاكمة

(١) حسين بن همام ، من المرح ، ص ٩١٧ .

(٢) حسين بن همام ، المرحم السابق ، ص ١٥٠ - ١٥١ .

يلعب دوره في إضعافها فقد قام أبناء عم الأمير براك بن زيد أمير الخرج بقتله وجأوا إلى الدرعية وكان الموقف صالحاً لتحقيق قوات الدولة السعودية ما عجزت عنه من قبل فواصل الأمير سعود حملاته على الخرج .

وفي ١٢٠٠ هـ - نوفمبر ١٧٨٥ م بعد هجوم صاعق تمكن من الاستيلاء على الدلم وإخضاعها نهائياً لفوذ الدرعية وبهذا العمل انتهى الصراع العنيف ضد فوذ آل سعود في هذه المنطقة فقد أعلنت بقية بلدان الخرج استسلامها وحذا حذوها أيضاً سكان وادي الدواسر المجاور لهذه المنطقة^(١). وهكذا شهدت نهاية ١٢٠٠ هـ - ١٧٨٥ م إمتداد حدود الدولة السعودية الأولى إلى هذا الحد نحو الجنوب والشرق .

آل سعود والقصيم :

إذا كانت الدرعية حتى ذلك الوقت بسطت سلطانها على المناطق الواقعة في غربها وجنوبها وشرقها إلا أن بلدان الشمال في منطقة القصيم قد قاومت النفوذ السعودي بعنف ففي ١١٩٦ هـ - ١٧٨٢ م قام المناهضون بقتل دعاة الدولة والحاضمين لنفوذها ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل إن أهل القصيم أجمعوا أمرهم على إعلان العصيان وعدم قبول الحكم السعودي ونقضوا العهد الذي قطعوه على أنفسهم في السابق للإمام عبد العزيز بن محمد حاكم الدولة والشيخ محمد بن عبد الوهاب صاحب الدعوة السنية^(٢) .

وعلى أي حال فإن جميع سكان القصيم آزرُوا الثورة ضد النظام السعودي خلا مدن بريدة والرس وتنومة وإن أثبتت الشواهد على أن هناك عناصر من بين سكان هذه المدن مالات الثورة مثل سليمان الحجيلاني وبعض أهل بريدة .

(١) حسين بن غنام ، المرجع السابق ، ص ١٦٠ - ١٦٩ .

(٢) نفس المرجع ، ص ١٥٢ - ١٥٣ .

وكعادة المناهضين لآل سعود استجار ثوار القصيم بسعدون بن عربهر صاحب الأحساء الذي ظهر بجيش كبير أمام بريدة التي كانت تعتبر مركز النقل للنفوذ السعودي في المنطقة . ولما طال حصارها دون جدوى رفع المهاجمون الحصار عنها . وسار سعدون إلى البيص لينظم جيشه الذي انضم إليه زعماء السدير المنفيون إلى الزبير^(١) . وانضم إليه في تلك الأثناء أيضاً زيد بن زامل أمير الخرج وكان لا يزال حتى هذا الوقت كما سبق أن أوضحنا يناهض النفوذ السعودي ، وقرر قادة هذا الجيش أن يكون معومهم أولاً على الروضة واستطاعوا فعلاً احتلالها بعد أن استسلمت القوة السعودية الموجودة بها بعد أن تعهد المهاجمون بحماية حياة أفرادها .

وكان الجيش السعودي الذي أعدته الدرعية للقضاء على ثورة القصيم معسكراً في بلدة تادق يستطلع الموقف وتطوراته ، ويرقب الأحداث عن كثب . وعندما أدرك قادته أن الظروف في صالحهم بدأوا الهجوم على الروضة واشتبكت القوات السعودية مع قوات آل ماضي زعماء المقاومة في عدة معارك قتل في أنفائها الأمير عون بن نافع رئيس آل ماضي . وفي تلك الأثناء وصل الأمير سعود بن عبد العزيز بجيشه المنظم إلى ميدان القتال . واشتد الهجوم السعودي على الروضة ولم يبق في يد الأمير عقيل الذي خلف أخاه عون في الإمارة غير الحصن وإزاء هذا الموقف المتدهور اضطر إلى طلب الصلح وتعهد :

أولاً : القيام بدفع مبالغ كثيرة كتعويض عما حدث من إتلاف .
ثانياً : طرد آل ماضي من الروضة ومعهم جميع مؤيديهم وأتباعهم^(٢) .
وبعد إخضاع الروضة بدأ الأمير سعود بن عبد العزيز بحث أمور المدن والقرى المجاورة التي أهتمت بمساعدة الخارجيين على نظام الحكم السعودي مثل الدخيلة والفارغة ، وبعمليات عسكرية سريعة نجح في إخضاع منطقة القصيم

(١) عثمان بن دحمة ، المرجع السابق ، ص ٥٦ .

(٢) حسين بن غنام ، المرجع السابق ، ص ١٥٦ .

للفوز السعوى . وعاد إلى الدرعية بعد أن عين عمالاً على مدن وقرى هذه المنطقة وأصبحت حدود الدولة السعودية الشمالية تمتد حتى نهاية حدود القصيم في الشمال .

آل سعود وجبل شمر :

أدرك الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود حاكم الدولة السعودية بعد أن نجحت جيوشه في القضاء على ثورات الخرج والقصيم ، أهمية منطقة جبل شمر الاقتصادية فأرضها خصبة التربة وتنوفر بها عيون المياه التي تكفل قيام الحياة الزراعية المزدهرة بالإضافة إلى أن هذه المنطقة لها علاقة تجارية مع مدن العراق وقراء مما زاد في أهميتها الاقتصادية . وأصبح إخضاع هذه المنطقة لفوز آل سعود ضرورة عليها الظروف نظراً لمجاورتها المباشرة لحدود ملك آل سعود . بالإضافة إلى القيمة الاقتصادية التي ستكسبها الدولة بإخضاع منطقة جبل شمر التي كانت تخضع لفوز آل على . فأصدر الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود أمره إلى حجيلان أمير القصيم بإعداد حملة وغزو منطقة جبل شمر وقام حجيلان بإعداد الحملة التي كلف بها . ولكن جنود الحملة التفتوا في أثناء طريقهم إلى جبل شمر بقافلة محملة قادمة من العراق إلى حائل فسلموها كل ما تحمل وعاد حجيلان وجنوده مسرعين إلى بلادهم مكتفين بهذه النتيجة دون تحقيق أمر الدرعية^(١) .

قرر توبى زعيم للمتفق الانتقام من حجيلان لاعتدائه على القافلة المراقية . فقاد في (١٢٠١ هـ - نوفمبر ١٧٨٦ م) جيشاً مجهزاً بالذخائر الحربية ووصل إلى تنومة فهاجمها ثم اتجه إلى بريدة نفسها يريد أن يحطمها ويقضى على أميرها حجيلان . ولكن توبى اضطر إلى إنهاء عملياته الحربية في القصيم قبل الاستيلاء على بريدة لوقوع اضطرابات في بلاده أجبرته على إنهاء

(١) حسان بن بشر ، المرجع السابق ، ص ٨٠ .

عملياته . وكان عبد المحسن صاحب الأحساء قد جهز جيشاً لمساعدة ثويني في عملياته في القصيم ولكن جيش عبد المحسن لم يصل إلى القصيم بل عاد إلى بلاده عند ما سمع عبد المحسن بانسحاب ثويني إلى بلاده^(١).

استغل حجيلان انشغال ثويني زعيم المنتفق بالقضاء على الاضطرابات التي ثارت ضده في بلاده وجدد هجومه على منطقة جبل شمر وبعد عمليات حربية نجح في إخضاع المنطقة وسكانها للحكم السعودي . ولكن بعض عناصر من قبائل شمر بقيت مناثرة للنظام السعودي وكانت تتعالف تارة مع قبائل مطير وتارة مع قبائل حرب ضد الدرعية حتى اشارت مقاومتهم ومن لم يفضل من هذه العناصر البقاء تحت سلطة الدولة الجديدة ، هجر بلاده إلى أراضى العراق . وكانت آخر العمليات العسكرية السعودية في منطقة جبل شمر ١٢٠٧ هـ - ١٢٩٢ م^(٢).

وهكذا تم للدولة السعودية توحيد إقليم نجد في وحدة سياسية واحدة تحت سيادة الحاكم السعودي الذي أصبح له أمراء وقضاة وعمال ودعاة في جميع مناطق نجد الموحدة . وبإتمام هذا العمل أصبح على الدولة أن توجه جهودها الحربية إلى ميادين أخرى جديدة خارج حدود نجد داخل أراضى شبه الجزيرة العربية وخارجها . ولابد لنا قبل أن نقتنع بجهود الدولة في هذه الميادين من ذكر العوامل التي نرى أنها ساعدت آل سعود في نجاحهم في توحيد إقليم نجد رغم طول الفترة التي استغرقها هذا العمل من ١١٥٨ هـ - ١٢٤٥ م ، ١٢٠٧ هـ - ١٢٩٢ م . وأهم هذه العوامل :

أولاً : عدم توحيد وتنسيق جهود الإمارات النجدية إزاء التوسع السعودي جعل الدرعية تستغل هذا الموقف غير للوحد وتلجأ إلى حرب الإمارات النجدية واحدة تلو الأخرى فهي تبدأ بإمارات العارض ثم الخرج

(١) عثمان بن بقر ، نفس المرجع ، ص ٥١ .

(٢) نفس المرجع ، ص ٩٩ .

فالقسم وغيرها من المناطق النجدية . حتى في الأوقات التي جمع بعض الإمارات تحالف ضد النفوذ السعودي كنا نجد أنه سرعان ما ينفرط عقد هذا التحالف إما بانسحاب جيش أحد أعضائه من الميدان وإعلانه الخضوع للنفوذ السعودي أو بسبب خوف أحد أمراء الحلف على ضياع نفوذه إذا استمر في المقاومة فكان يعلن تحله من الحلف نظير الإبقاء على إمارته مع الخضوع للدولة السعودية فميوعة الموقف في الإمارات نجد إزاء التوسع السعودي كانت من أهم العوامل التي ساعدت على نجاحهم في النهاية في توحيد الإقليم .

ثانياً : الانقسامات الأسرية فقد أصبحت البيوت الحاكمة في معظم إمارات نجد منقسمة على نفسها إزاء السيطرة السعودية فبينما كان بعض أفراد هذه البيوت يقاوم آل سعود ونفوذهم كان البعض الآخر يؤيدهم ويعمل على ترجيح كفتهم ضد ذويهم ولدينا أمثلة كثيرة على ذلك من بينها آل معمر في العيينة وآل زامل في الخرج وآل عدوان في حريملا وآل حجيلان في القصيم وما حدث في هذه البيوت حدث في معظم البيوت الحاكمة في واحات نجد وقرأها ومدنها .

ثالثاً : هجرة كثير من القبائل النجدية إلى العراق إما هروباً من العمليات العسكرية السعودية أو بسبب القحط والجفاف الذي كثيراً ما كان يلم ببلدان نجد ترك للميدان مخلصاً أمام القوات السعودية التي كانت عملياتها العسكرية متواصلة ومتصاعدة مما ساعدها على النجاح .

رابعاً : وجود عناصر اعتنقت مبادئ الدعوة السلفية في معظم بلدان نجد وقرأ قبل أن يصل إليها النفوذ السعودي . فأصبحت هذه العناصر بمثابة طابور خامس داخل بلدانهم لآل سعود الذين يعملون على نشر مبادئ الدعوة بالإضافة إلى أن هناك عناصر أخرى تركت بلدانها وهاجرت إلى الدرعية حتى من الرياض نفسها التي كانت عتبة في سبيل التوسع السعودي لفترة طويلة والتي

بسقوطها انتهى دور تردد مدن نجد الأخرى بين الولاء لآل سعود أو أعدائهم .
وكان وجود هذه العناصر في الدرعية خير عون لها في معرفة نقط الضعف في
مواقع البلدان الأخرى المناهضة لها .

وقامت العناصر التي اعتنقت مبادئ الدعوة بدور كبير في القضاء على
رؤوس المقاومة ضد النفوذ السعودي كما حدث مع عثمان بن حمد بن معمر في
المدينة إذ قام أتباع الدعوة بقتله عندما رأوا انحرافه كما سبق أن بينا ذلك .

ووجود هذه العناصر يفسر لنا حقيقة هامة وهي أن انتشار مبادئ الدعوة
كان دائماً يسبق الخضوع للنفوذ السعودي . وكان يمهده سبيل النجاح في
معظم الأحوال ويصل على ترجيحه .

الفصل الرابع

ضم الأحساء

- ١ - الموامل التي دومت الدولة السعودية إلى ضم الأحساء .
- ٢ - الصراع الداخلي في الأحساء واستغلال آل سعود له .
- ٣ - نجاح آل سعود في ضم الأحساء .
- ٤ - أثر ضم الأحساء على الدولة السعودية .

الفصل الرابع

ضم الأحساء

إقليم الأحساء يقع في المنطقة الشرقية من شبه الجزيرة العربية وهو في جلته عبارة عن واحة كبيرة أو عدة واحات توجد بها الآبار التي تتميز بفسارة مياهها في المناطق الساحلية حيث تحيط بها المراعي الوفيرة . وتوجد بإقليم الأحساء في الداخل واحتان كبيرتان هما: واحتا الأحساء والقطيف^(١) . ولكثرة الآبار التي توجد بالأحساء فإن البدو الرحل كانوا يقصدونها وخاصة في فصل الصيف وغالب هؤلاء العرب من بدو المعجمان .

أما القبائل التي كانت تقطن الأحساء في الفترة التي عاصرت قيام الدولة السعودية الأولى فهي قبائل بني خالد وقبائل المعجمان وبني هاجر وعناصر من آل مرة . وكان أقوى هذه القبائل بني خالد الذين كانوا يحكمون الساحل الشرقي للجزيرة العربية تحت السيادة العثمانية وإن كانت السلطة الحقيقية أصبحت في أيديهم منذ ١٠٨٠ هـ - ١٦٧٠ م^(٢) .

وكان سكان الأحساء في ذلك الوقت ينقسمون إلى طائفتين كبيرتين هما السنة والشيعة وكان يطلق على الشيعة اسم البعارنة وكانوا يشكلون معظم سكان واحة القطيف ونصف سكان الأحساء . وأهم مدن الأحساء آنذاك المحفوف والبرز^(٣) .

(١) أنور الرغاسي ، جزيرة العرب جغرافياً ، ص ٥٥ .

(٢) Dickson, The Arab of the Desert, p. 248.

(٣) British Admiralty, A Handbook of Arabia, vol. 1, p. 300.

محمد حكيم الأوسي ، تاريخ نجد ، ص ٣٠ .

ولعب إقليم الأحساء دوراً كبيراً في مناهضة الدعوة السلفية والدولة السعودية الأولى وخاصة شيعة هذا الإقليم واستمر الصراع بينهما قرابة النصف القرن وكان وراء هذا الصراع عوامل كثيرة أزكت من ناره ، كما جدت على الموقف عوامل دفنت بالدولة السعودية إلى العمل لضم إقليم الأحساء إلى أملاكها . وأهم هذه العوامل :

(أولاً) الخلاف المذهبي : ففي الأحساء كان يسود المذهب الشيعي وكذلك ينتشر فيه أتباع مذهب الخوارج والقرامطة وتنتشر في معظم قرى ومدن الإقليم المبادئ الإباحية . ومبادئ الدعوة السلفية السنية تتعارض مع هذه المبادئ . وكان أمراء الأحساء يحدون في ظل هذه المبادئ السائدة في مجتمعهم حماية لسلطانهم . ولذا حدث أول صدام بين الدعوة وأمراء الأحساء عندما ذاع أمر رجم الشيخ محمد بن عبد الوهاب لذانية أثناء مقامه في المدينة يوم أن كان حكم الأحساء بيد سليمان بن محمد بن عريم الذي كان له نفوذ كبير في بعض بلدان نجد والذي أمر عثمان بن معمر بطرد الشيخ من بلده فأطاع عثمان كما سبق أمره : ولما بدأت مبادئ الدعوة تجدد سبيلها إلى القوة والذبوع بفضل مناصرة آل سعود لها بدأت أسباب العداء بين أمراء الأحساء وآل سعود تظهر وتتضح معالمها وزاد من حدتها وقوتها حث علماء الأحساء وغيرهم من العلماء المعادين للدعوة لأمراء بني خالد وتشجيعهم في القضاء على الدعوة ومبادئها التي تحمل في ثناياها هدم نفوذهم وتقويض سلطانهم أمام ازدياد وقوة آل سعود الذين يحملون لواء الجهاد لنشر هذه المبادئ وظل هذا العامل من الأسباب الرئيسية للصراع بين الدولة السعودية والأحساء حتى نحت الدولة في تحقيق هدفها بإخضاع الأحساء لسلطانها وفرض مبادئ الدعوة على سكانه .

(ثانياً) هروب بعض القبائل النجدية إلى الأحساء ووقوفها بجانب بني خالد ضد آل سعود جعل أمراء الدرعية يفكرون جدياً في تأديب هؤلاء

الفارين ومطاردتهم مثل آل فدهان الذين لجأوا إلى الأحساء^(١) . بالإضافة إلى أن أمراء الأحساء قاموا بدورهم بتقديم المساعدة لكل من طلبها منهم من أمراء المدن النجدية بل إنهم أنفسهم عملوا على التحالف مع بعض هذه البلدان مثل الوشم وسدير والمخير والخرج والرياض والمحمل ضد النفوذ السعودي لأنهم رأوا في اتساعه خطراً يهددهم إذا ما قدر لهم أن يحاورهم مباشرة . فكان لهذه الأعمال التي قام بها أمراء بني خالد أكبر الأثر في إزكاء روح العداء بين الطرفين وانتظرت الدرعية حق نهيات لها الظروف لعزو الأحساء .

(ثانياً) العامل الاقتصادي كان من بين العوامل التي دفعت الدولة السعودية لضم الأحساء ، فلا شك أنه بعد أن نجح عبد العزيز بن محمد بن سعود في توحيد إقليم نجد وأصبح لدولته أوجه صرف عديدة رأى من الخير أن يزيد من مواردها بأن يضم إليها إقليم الأحساء الذي تكثر فيه الواحات الخصبة التي تتوفر فيها المياه والتي طالما جذبت أنظار عدد كبير من القبائل النجدية بالإضافة إلى أن إقليم الأحساء يشرف على الخليج حيث الحركة التجارية والمصايد التي كانت تشكل مورد رزق كبير في ذلك الوقت . لاشك أن هذه الموارد الضخمة بالنسبة لاقتصاد العصر ستزيد من دخل الدولة السعودية وتساعد في سد مصروفاتها والقيام بأعبائها بالإضافة إلى أنها ستجعل منها دولة خليجية وتوسع من دائرة اتصالاتها وتمهد لها السبيل في ضم بقية مناطق الخليج إلى حوزتها .

وعلى أي حال فإن ظروف الأحساء الداخلية في الربع الأخير من القرن الثامن عشر هيأت الفرصة للدولة السعودية للتدخل في أمور الأحساء والنجاح في إخضاعه لسلطانها . تلك في رأينا أهم العوامل التي دفعت بالدولة إلى القيام بهذا العمل .

(١) لمع الشهاب ، ص ٦٢ .

وقد بدأ الصدام المباشر بين الدولة السعودية والأحساء منذ ١١٧٢ هـ - ١٧٥٨ م عندما تحالف عريمر بن دجين وعشائر بني خالد مع عدد كبير من مناطق نجد وعلى الأخص مع الوشم وسدير ومبيخ والخرج والرياض بقصد محاربة الدرعية والقضاء على نفوذها الديني والسياسي . ولكن أخبار هذا التحالف وصلت إلى الدرعية فأخذت أهبتهما لصدهجمات أعدائها عليها ورغم وصول قوات عريمر وأحلافه إلى الجبيلة في وادي حنيفة إلا أن تصدعاً حدث في صفوفها حيث أرسل أهل نادق والمحمل يطلبون الصلح مع الدرعية وإعلان خضوعهم لها مع إقرارهم بدفع غرامة كبيرة عقاباً لما حدث منهم^(١) . فقامت الدرعية بإرسال صاري بن يحيى إلى المنطقة ليؤكد الطاعة والإخلاص للحكومة المركزية^(٢) . ولم يقدر لجهود عريمر ضد الدولة السعودية الأولى أن تلقى نجاحاً في هذه المرحلة .

والواقع أن قوة الدولة السعودية الأولى في ذلك الوقت لم تكن قادرة على شن غاراتها على الأحساء نفسها لأن الأمر لم يصفو لها في كل نجد وطرقها إلى الأحساء غير ميسرة لذلك اكتفت بالاستعداد لصدهجمات آل خالد عليها وعلى البلدان التابعة لها حيث أن قوة الأحساء آنذاك كانت قادرة على توجيه ضرباتها إلى الدولة السعودية داخل نجد نفسها يؤازرها في ذلك بعض البلدان النجدية التي كانت لا تزال تمادى آل سعود . ورغم فشل عريمر في للرحلة السابقة من القتال مع قوة آل سعود إلا أنه في ١١٧٨ هـ - ١٧٦٥ م قام بمحاولة ثانية لمحاربة الدرعية لعله في هذه الجولة يستطيع إسكات صوتها فاستنفر بني خالد وأهل الأحساء وراسل كلا من حسن بن هبة الله المكرمي صاحب نجران الذي كان بدوره يتحرك صوب الدرعية يجمعه مع عريمر نفس الهدف . ودهام بن دواس الذي قام بإخبارهما بأن الدرعية في حالة سيئة والفرصة مواتية لإسقاطها .

(١) عثمان بن بفر ، المرجع السابق ، ص ٤٧ .

وانضمت إلى جيش عريعر أثناء تحركه صوب الدرعية عناصر نجدية كثيرة كانت ساخطة على النظام السعودي الذي فرض عليها . واستطاع أمير نجران أن يوجه إلى قوات الدرعية أقصى ضربة شهادتها منذ بدء حربها مع أعدائها بل إنها هددت الدولة الناشئة بالسقوط واسكن الأمير محمد بن سعود والشيخ محمد بن عبد الوهاب استطاعا عن طريق الدبلوماسية عقد صلح مع أمير نجران ولم يمكناه من مواصلة هجماته على الدرعية والحق أن هزيمة قوات نجران لقوات آل سعود جمعت محمد بن سعود يخشى على دوائه من الأخطار التي تحيق بها وتوفى في هذا العام وهو لا يعلم ما المصير الذي ستؤول إليه بعده .

وعندما وصلت قوات عريعر بن دجين بالقرب من الدرعية كان الصلح قد تم بينها وبين حسن بن هبة الله الذي كتب إلى عريعر يقول له : « لو كان هذا الاتفاق قبل أن يجرى الصلح بيننا وبينه (أي بين محمد بن سعود) لانتظم الأمر على وفق خاطرك ، لكن الآن نحن حصل مرادنا من الانتقام ، وقد طلب منا النفوس ونحن أهل له عند القدرة ، وأعطيناه فلا يمكننا إبدال القول ، أما أنت فمختار بحربك معه . نحن لا نتعرض بشيء »^(١) استاء عريعر من ملك حليفه أمير نجران ولكنه استطاع بقواته وقوات أحلافه من النجديين محاصرة الدرعية لمدة شهر ورميها بالدافع ولكن قوات الدرعية بقيادة عبد العزيز ابن محمد بن سعود تمكنت من الخروج خارج الدرعية ومقاتلة قوات عريعر وأحلافه لمدة أيام فاشتد الضيق بعريعر ومن معه وقرر الانسحاب وفك حصار الدرعية ورغم إغراء أهل الحريق له بالاستمرار في العمليات العربية حتى سقوط الدرعية إلا أنه رحل ومعه أتباعه بعد أن خلفوا وراءهم أربعين قتيلًا^(٢) .

والواقع أن غارات وهجمات زعماء بني خالد خلال الفترة الأولى من تاريخ الدولة السعودية أي فترة حكم محمد بن سعود كانت متتابة إن لم تكن

(١) مؤلف مجهول ، لم الشهاب تحقيق د . أحمد أبو حاكمه ص ٤٢ .

(٢) هنان بن بصر ، المرجع السابق ، ص ٤٨ .

على الدرعية ذاتها فعلى المدن التي خضعت لتنفيذها وكان هدفهم من وراء هذه العمليات القضاء على الدولة السعودية قبل أن يتم لها توحيد إقليم نجد وتصبح خطراً جسيماً يهدد إقليمهم والنفوذ الذي أصبح لهم فيه منذ أن استأثروا بالحكم في هذا الإقليم دون الدولة العثمانية منذ ١٠٨٠هـ / ١٦٧٠م .

أما في الفترة الثانية من تاريخ الدولة السعودية أي في عهد الإمام عبدالعزيز ابن محمد بن سعود الذي نجح في إسقاط الرياض ١١٨٧هـ / ١٧٧٣م وبذلك وضع حداً لتردد المدن النجدية الأخرى بين الولاء لمدولته والولاء لأعدائها . فإن قوات ابنه سعود الذي أصبح القائد العام لجيوش الدولة السعودية تغلغلت في المناطق المتاخمة لحدود العراق والأحساء فأدرك عريم بن دجين الخطر الذي أصبح يحيق بإقليم الأحساء نفسه إن عاجلاً أو آجلاً . فقرر القيام ببعض الأعمال العربية لعله عن طريقها يستطيع إبعاد هذا الخطر السعودي عن بلاده . وكان الميدان الذي اختاره لهذه الأعمال العربية التي قرر القيام بها منطقة القصيم النجدية ففي ربيع ١١٨٨هـ / ١٧٧٤م قام بشن هجوم عاصف على بريدة عاصمة القصيم ونجح في إقصاء أميرها عبد الله بن حسن وأسره للوالين لآل سعود وأولى أمرها راشد الدريبي الذي كان مفاهماً لتنفيذ الدرعية ووجدت أعمال عريم في منطقة القصيم قبولا من لدن بعض العناصر النجدية التي لم تسكن راضية عن النظام السعودي وإنما قبلته خشية تهديد السلاح .

وأخرى عريم النجاح الذي لقيه في منطقة القصيم بمهاجمة الدرعية نفسها وشجعه على ذلك العناصر النجدية التي انضمت إلى جيشه . ولكن الموت كان أسبق إليه من تنفيذ خطته فقد توفي في الخاية بعد شهرين من انسحابه من بريدة^(٢) . ويعتبر موت هذا الزعيم الأحسائي الحد الفاصل بين فترتي القوة

(١) أحد أبو حاككة ، تاريخ الكويت ، ١ ، القسم الأول ، ص ٧٥ ؛ عثمان بن

بهر ، المرجع السابق ، ١ ، ص ٦٥ .

(٢) حسين بن همام ، المرجع السابق ، ص ١٢٧ .

والضعف في تاريخ بني خالد فقد أصاب كفتهم بعد موته الخلل والاضطراب لتنازع أمرائهم وضعف هؤلاء الأمراء وعدم سيطرتهم على أمور الجند والحكم في بلادهم بالدرجة التي كانت لأسلافهم .

فقد تولى رئاسة بني خالد والأحساء بعد وفاة عريعر ابنه الأكبر بطين فانفق عليه أخواه دجين وسعدون وخنفاء في بيته وآل الأمر بعده لدجين ولكن مدة إمارته لم تطل فقد دس له سعدون السم ليخلص له الأمر . . . هذه الأحداث تبين لنا إلى أي مدى وصل الضعف والتنازع بأمراء بني خالد نتيجة للصراع على الرئاسة .

وإذا كانت الدولة السعودية في المرحلة السابقة من الصراع السعودي - الأحسائي قد استطاعت أن تصد هجمات بني خالد التي قصدوا من ورائها الحيلولة دون قيام دولة واحدة في نجد إلا أنه في الوقت الذي حل فيه الضعف بكفة الأحساء كانت الدولة السعودية قد نجحت في بسط سلطانها على كل إقليم نجد . وأصبح نظر آل سعود ممتداً إلى الأحساء نفسها للأسباب التي سبق ذكرها . مستغنيين حالة الإقليم الأحسائي الداخلية من ضعف حكام بني خالد وكراهية السكان لهم . ولكن سعدون بن عريعر حاول في ربيع ١١٩٢هـ / ١٧٧٨م أن يقوم بالتحالف مع زيد بن زامل ببعض الأعمال العسكرية ضد الدولة السعودية لعله يستطيع استرجاع مكانة أسرته في نظر سكان الأحساء الذين أصبحوا يعلنون حكم هذه الأسرة . وفي الوقت نفسه قام ببعض التصرفات التي تدل على ضعفه وارتباك سياسته فهو لسبب غير واضح قرر التناغم مع الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود حول عقد صلح بين الطرفين وقبل أن تمقدها بينهما معاهدة من أجل ذلك ولكن اجتماعاً بين عبد العزيز وسعدون لم يحدث بشأن هذا الصلح بل إن سعدون نفسه قام ببعض الأعمال التي كانت تقضاً وإخلالاً للصلح قبل أن يولد^(١) .

(١) عثمان بن بشر ، المرحوم السابق ، ص ٧٠ .

والمراجع تلزم الصمت إزاء هذا التصرف من سعدون ولم تذكر سبباً أو تعليلاً لطلبه الصلح مع الدولة السعودية وربما كان الأقرب إلى الصواب تفسير هذا التصرف من جانب سعدون أمير الأحساء يرجع إلى أحد العاملين الآتين أو كلاهما معاً :

أولاً : أن سعدون أصبح لا يأنس في نفسه القدرة على الوقوف أمام الدولة السعودية خاصة وأن شوكة حلفائه البجديين قد ضعفت وأصبح لآل السعود السلطة على كل مناطق نجد وأصبح في قدرة الدرعية وبخطامها العسكرية الذي سندرسه فيما بعد أن تقضى على من يقف أمام تحركاتها . ربما أدرك سعدون ذلك فطلب عقد صلح مع الدرعية لأنه يستطيع عن طريق السبل الدبلوماسية أن يضمن استمرار نفوذه ونفوذه أسرته على إقليم الأحساء وإبعاد الخطر السعودي عنه .

ثانياً : لعل سعدون كان يهدف من وراء هذا الصلح الذي لم يتم أن يضمن مساندة الدولة السعودية له ضد المؤامرات التي بدأ أمراء بني خالد يدبرونها ضد بعضهم عندما دب الانقسام بينهم يؤيد هذا الرأي أن سعدون نفسه لجأ إلى الدرعية فيما بعد عندما هزم أمام قوات أخيه دويحس الذي تولى أمر الأحساء بعده بالاتفاق مع عبد المحسن بن سرياح وثوين بن عبد الله رئيس المتفق . وفلا قبلته الدرعية لاجئاً حتى وفاته ١٢٠٤ هـ ١٧٩٠ م .

وعلى أي حال؛ فإن سعدون بن عريعر لم ييأس من محاولاته ضد آل سعود رغم الضعف الذي حل بكفته ففي ١١٩٣ هـ / ١٧٧٩ م حاول أن يثير بعض المدن النجدية ضد نفوذ الدرعية بالتحالف مع حرمة وزلفى ضد الجمعة التي كانت تمثل مركز الحساس للنظام السعودي ولم تنجح محاولته بل إنه كان أول من تخلى عن خطة القتال . وفي ١١٩٥ هـ ١٧٨٠ م قدم مساعداته العسكرية لأهل الدلم ضد حصن البدع السعودي . وفي ١١٩٦ هـ ١٧٨٢ م سار بقواته إلى منطقة القصيم

لمساعدة أهل هذه المنطقة ضد بريدة . ولكن جميع هذه المحاولات التي قام بها سعدون بن عريم تغلبت عليها قوات آل سعود ولم تنجح في تحقيق أهدافها^(١).

وبدأ آل سعود منذ ١١٩٨ هـ ١٧٨٣ م يتخذون موقف الهجوم على الأحساء فقد أصبحت سيطرتهم تامة على كل إقليم نجد فبدأت قواتهم تقوم ببعض الأعمال الحربية ضد الأحساء وفي عقر دارها حيث أن سعود بن عبدالعزيز سار في ذلك العام على رأس جيش ووصل إلى قرية العيون من أعمال الأحساء وأخذ كثيراً من حيواناتها وسلب بيوتها وأمتعتها ثم قفل راجعاً إلى بلاده .

وفي العام التالي ١١٩٩ هـ ١٧٨٤ م واصل عملياته الاستفزازية ضد الأحساء إذ اعترض بقواته سبيل قافلة من أهل الخرج والفرع ظاهرة من الأحساء فسلبها وقتل رجالها .

والواقع أن هذه العمليات التي قام بها الأمير سعود في هذين العامين ضد الأحساء كانت من قبيل استطلاع قوة العدو والوقوف على مدى تحصيناته في دياره تمهيداً لتوجيه الجيوش إليه وتحطيم قوته . وكانت الظروف الداخلية في الأحساء في ذلك الوقت من الموامل المشجعة للجيوش السعودية في توجيه ضرباتها ضد الأحساء . فقد وصلت الخلافات والانقسامات بين زعماء بني خالد إلى درجة إعلان الحرب على سعدون بن عريم والاستمئانة ضده بثوبى ابن عبد الله شيخ المفتق . فلبجاً سعدون إلى الدرعية بمد هزيمته كما سبق أن أشرنا لذلك . على أثر هذه الأحداث أمر الإمام عبد العزيز بن سعود قائده سليمان ابن عقيصان بإعداد جيش والإغارة على الأحساء فقام هذا القائد بالإغارة على بلدة الجشة وغزا العقير البندر المعروف عند الأحساء وأشعل فيه النيران بمد

(١) حين بن غنام : الرجم السابق ص ١٥٠ - ١٥٥ .

انظر أيضاً : أحمد مصطفى أبو حاكمة ، محاضرات في تاريخ شرق الجزيرة ،

ص ١٣٠ - ١٣٣ .

أن استولى على ما فيه من أموال^(١) .

ووصلت عمليات الأمير سعود بن عبد العزيز العسكرية في الأحساء ١٢٠٣ هـ ١٧٨٨ م إلى بلدان أهل القرى — والبرز والمخوف وقربة الفضول في شرق الأحساء وسلبت جيوشه كثيراً من أموال وأمتعة هذه البلدان واستطاع الأمير أن يقتل عيوناً لعبد المحسن بن مرداح كانوا يتجسسون عليه ويرصدون حركاته^(٢) .

ومما تجدر الإشارة إليه أن القوات السعودية منذ ١٢٠٤ هـ ١٧٨٩ م أصبحت تضم بعض زعماء بني خالد منهم زيد بن عريمير وبعد انتصار قوات آل سعود في ذلك العام على قوات الأحساء لجأ بعض رؤساء بني خالد إلى قطر ولاد بعضهم الآخر بالفرار إلى بعض مدن الأحساء وتحصن بها وطلب الأمان والطاعة من الأمير سعود بن عبد العزيز الذي أجاب هذا الفريق إلى مطالبه . وأراد سعود أن يعين زيد بن عريمير الذي كان موجوداً بين قواته أميراً على الأحساء من قبل الدرعية ، ولكن زيداً خشي عاقبة قبوله لمنصب الرياسة في إقليم الأحساء ورفض أمر سعود له . فشك الأمير سعود في الأمر ورحل عائداً إلى الدرعية مكثفياً بهذا القدر من النصر .

واستمرت عمليات الأمير سعود العسكرية ضد الأحساء متواصلة حتى استطاع في ١٢٠٧ هـ ١٧٩٢ م أن يصل إلى ماء اللصافة وكانت إمارة بني خالد إذ ذاك قد آلت إلى براك بن عبد المحسن بعد قتل أبيه .

وحاول براك أن يصد قوات الأمير سعود ولكن قواته هزمت في معركة الشيط شرق اللصافة . وعلى أثر هزيمة القوات الأحسانية أرسل الأمير سعود مندوبين إلى أهل الأحساء وزودها بكتب يدعوهم فيها إلى الدخول في طاعة آل سعود

(١) عثمان بن بقر ، المرجع السابق ، ص ٨٣ .

(٢) نفس المرجع ، ص ٨٥ .

والعمل بموجب نظامهم والإيمان بمبادئ الدعوة السلفية ويحذروهم عاقبة صدم واستمرارهم في المقاومة .

أدرك أهل الأحساء فداحة ما حل بهم من خسائر في الأموال والأرواح نتيجة للعمليات العسكرية السعودية التي هددهم في معاشهم ولذا أرسلوا إلى الأمير سعود بدعونه للقدوم عليهم ليعلموا له البيعة فقام الأمير سعود بترتيب كينين ليدرك من يريد الحرب من أهل الأحساء ثم قدم إليهم ونزل قرب « عين نجم » حيث قاموا بمبايعته على قبولهم النظام السعودي ومبادئ الدعوة السلفية .

وأعان سعود إعفاهم من الجهاد أعواماً . وتنفيذاً لمبادئ الدعوة السلفية أمر بهدم ما في الأحساء من القباب والأضرحة وظواهر الشرك وأمر بإقامة الشمارل الدينية والصلوات في المساجد . وعين محمد بن سليمان أميراً على القوات السعودية في الأحساء . ومحمد الحلى أميراً إدارياً من قبل الدرعية على الإقليم كله . وحسين أبو سبيت صاحب بيت المال في هذا الإقليم . وقفل راجعاً يريد العودة إلى الدرعية ليطلع أباه على ما فعله . وفي طريق عودته وصلته الأنباء بأن أهل الأحساء ثاروا على عثلى الدرعية لديهم وقتلهم فاستشار سعود رجاله هل يعود إلى الأحساء ليضع حداً لهذا التمرد أم يستمر في عودته إلى الدرعية ليتمكن من إعداد قوة عسكرية ضخمة تكفل له إنهاء الصراع الأحسائي — السعودي . ورجع رجال سعود الرأي الأخير وعادوا بقواتهم إلى الدرعية^(١) .

وفي العام التالي ١٢٠٨ هـ ١٧٩٣ م عبأ آل سعود قوات ضخمة لشن غزوة انتقامية على الأحساء ووصلت قواتهم إلى قرية الشقيق من قرى الشمال في الأحساء وأطلق الأمير سعود فرق البدو على جميع قرى ومدن الشمال تدميرها وتنهبها فاضطر أهالى هذه المنطقة تحت ضغط هذه العمليات التخريبية إلى الاستسلام والخضوع لحكم الدرعية .

(١) حسين بن ضام ، المرجع السابق ، ص ١٨١ — ١٨٥ .

وأدرك أهل الأحساء أن قوتهم لم تعد تستطيع الوقوف أمام قوات آل سعود فتوجه براك بن عبد الحسن بن سرداح من أمراء بني خالد إلى عبدالعزيز ابن محمد بن سعود بالدرعية وطلب منه الأمان وكف يد ابنه سعود عن بلادهم فأرسل عبد العزيز بن محمد إلى ابنه سعود بطلب منه رفع يده عن بني خالد وأمر عبد العزيز بتعيين براك حاكماً على بني خالد من قبل آل سعود . فقام براك نفسه بمطاردة أولاد هريرم النافرين ضد النفوذ السعدي^(١) .

ورغم وصول النفوذ السعدي إلى هذه الدرجة في إقليم الأحساء إلا أن أهل الشرق من هذا الإقليم لم يقبلوا الخضوع للحكم السعدي لأنهم شيعة وآل سعود سنيون وبذكر صاحب لمع الشهاب ذلك بقوله : «وبقي شرق الأحساء لم يطمع . وهذا الشرق بلادين * كثير يبلغ عددها أربعين قرية ، وأهل ذلك شيعة المذهب ، وكبيرهم قاطبة علي بن أحمد ، وكان شجاعاً فأرسل له سعود بن عبدالعزيز أن بطيع ولا يكاتب آل حميد ، فأبى عن ذلك وأظهر العداء لسعود . فسار سعود بنفسه إلى بلاد الشرق وجعل يحاربه علي بن أحمد ، ستة أشهر ، فلم يدرك سعود من حرب علي بن أحمد شيئاً^(٢) . ولم يقف الأمر بأهل الشرق الشيعة عند هذا الحد بل إنهم شجعوا العناصر الساخطة على نفوذ آل سعود ففي ١٢١٠ هـ ١٧٩٥ م عندما ثار بعض زعماء المناطق الأخرى ضد النفوذ السعدي وعلى رأسهم صالح بن النجار وعلي بن حمد وسلاطان الجبيل أقبلت إليهم قبائل الرقة والنمائل الشيعة وأنجه الجميع إلى المبرز للقضاء على النفوذ السعدي هناك وبذكر ابن بشر أن براك بن عبد الحسن الذي كان يحكم باسم آل سعود في الأحساء مალأ المتمردين ؛ لأنه طمع في أن يحكم مستقلاً عن نفوذ الدرعية التي كان يتلقى منها الأوامر . ولكن المتمردين لم يتمكنوا من دخول المبرز . إذ قام أمير

(١) حسين بن غنام ، المرجع السابق ، ص ١٨٧ .

(*) يعتمد بلداناً كثيرة .

(٢) لمع الشهاب ، ص ٧١ .

السياسب بإبلاغ خبر هذا التمرد للدرعية^(١). فأسرع عبد العزيز بن محمد بن سعود بإرسال القائد إبراهيم بن عفيصان بقوة استطلاعية أمام جيش ابنه سعود. ورغم انشاقاق صالح بن النجار عن حلفائه التمرديين إلا أن الرفعة والسمائل الشيعة ثبتوا في عصيانهم فقاتلهم إبراهيم بن سليمان بن عفيصان وأنزل بهم الهزيمة^(٢).

وأقام الأمير سعود شهراً في الأحساء يقيم الحد والقصاص على من رأى أنه يستحق ذلك وأجلى البعض عن البلاد وأمر بهدم كثير من الأسوار والبروج وبنى قصراً وضع فيه مرابطين من الجيش السعودي لردع كل من تسول له نفسه الخروج عن طاعة الدرعية وولى إمارة الإقليم لتاجم بن دهم^(٣).

ولكن أهل الشرق لم يذعنوا للنظام السعودي وأرسوا إلى سليمان باشا وإلى بغداد يطلبون منه النجدة ويرجونه أن يفتك أسر ثويني بن عبد الله رئيس المنتفق ليقود جيش النجدة ولما كثرت رسائل أهل الأحساء إلى سليمان باشا أفرج عن ثويني وعقد له إمارة الجيش وندبه إلى قتال الجيوش السعودية وأمره أن يعمل على تدمير نجد ومن فيها^(٤). ورغم قوة الحملة التي قادها ثويني إلى الأحساء إلا أنها لم تحقق الهدف للرجو منها بل انتهت بقتل ثويني نفسه على يد أحد عبيد بن خالد ويدعى « طميسا » ليلة للنفوذ السعودي^(٥). ولم يستطع جيش ثويني مواصلة العمليات العسكرية في الأحساء بعد قتله وبانتهاء هذه العمليات الحربية التي وضع طميس حداً لها بقتله ثويني. أصبحت النجدة للقوات السعودية وبذكر صاحب لمع الشهاب أن الأمر استقر لآل سعود في أرض بنى خالد أتم الاستقلال، ماعداً بلادين الشرق من تبعة الأحساء والقطيف كذلك،

(١) عثمان بن بصر، المرجع السابق، ص ١٠٥.

(٢) نفسه، ص ١٠٥.

(٣) عثمان بن بصر، المرجع السابق، ص ١٠٦.

(٤) حسين بن خنم، المرجع السابق، ١٩٥.

(٥) عثمان بن بصر، المرجع السابق، ص ١٠٨.

فصار سعود ثانياً على حرب علي بن أحمد صاحب بلاد الشرق فافتتح جملة قرى من قراه ، وقد انحصر على بن أحمد في قلعة صغيرة كانت محظفاً له هو وأبناء عمه ومائة رجل . فحاصرهم سعود ورماهم بالدفع حتى هدم طرفاً من البنيان^(١) وتمكن سعود في النهاية من هزيمة أهل الشرق الشيعة وإخضاع هذه المنطقة لنفوذ آل سعود . وتطبيق مبادئ الدعوة السلفية السنية في جميع قرى هذه المنطقة الشيعية .

أما القطيف فقد سار إليها إبراهيم بن عفيصان وجعل يفزو أطرافها وينهب ويقتل من يقع تحت يديه فأطاعه أكثر قرى القطيف وبعد عمليات عسكرية واسعة النطاق تمكن إبراهيم بن عفيصان من الاستيلاء على قلعة القطيف وتاورت « ثم استقر الأمر لآل سعود في أرض القطيف وكتب إبراهيم ابن عفيصان إلى عبد العزيز بالفتح . فبحث إليه عبد العزيز بأن أقبل إلى الدرعية وولى في القطيف على جملة الرعايا أحمد بن غانم ، وعلى القلاع والمسكر زيد بن نهبان التميمي فعمل كما أمره به وسار إلى الدرعية . فأقام شهراً » . ثم قال له عبد العزيز « قم يا إبراهيم سر على بركات الله تعالى إلى الأحساء وكن أميرها ، وأمير القطيف من توابعك ، وكل ما تراه صلاحاً للدين ومقرباً لأحوال المسلمين افعله . واستمد من إخوانك المسلمين ما شئت من العسكر فأت عينا في ذلك القطر^(٢) . وبهذا العمل تمكنت الدرعية من إزالة حكم بني خالد من الأحساء بعد أن دام فيها أكثر من مائة وثلاثين عاماً .

ومما تجدر الإشارة إليه أن تدخل آل سعود في الأحساء مر بثلاث مراحل يمكن إجمالها فيما يلي :

أولاً : المرحلة الأولى بدأت بالفتوحات السعودية ١١٩٤ هـ / ١٧٨٠ م وهدفها الأساسي محاربة المدن الإحسانية والقبائل التابعة لبني خالد .

(١) لمع الشباب ، ص ٧١ - ٧٢ .

(٢) نفس المرجع ، ص ٧٥ - ٧٦ .



عن اطلال بعد الصباغ مقاطعة الاحساء

ثانياً : المرحلة الثانية مرحلة استغلال الصراع الذي حدث بين أمراء بني خالد وشيخه آل سعود لإضمار كفة أعدائهم « وقد جعل عبد العزيز يكتب إلى بعض مشايخ بني خالد ويدس إليهم الرشوة ويعدمهم بأن الأمر كذا وكذا ، إن تفرقتم عن آل حميد ، وآل الأمر إلينا . أجعل كل طائفة منكم رأساً ورأساً منها . وأملكها أرضاً وبلداً تكون ذخيرة لها » (١) .

ثالثاً : المرحلة الثالثة تمثلت في غزو المدن الأحسانية وتحطيم أسوارها وقلاعها وإقامة حصون سعودية في داخلها أو بالقرب منها لتكون بمثابة نقط وثوب على هذه المدن إذا ثارت ضد نفوذ الدرعية وعلى أي حال فقد كان تخضوع الأحساء للدولة السعودية آثار ذات أهمية كبيرة على تطور ونمو هذه الدولة فقد زاد من مواردها الاقتصادية نظراً لما تجنيه من ضرائب شرعية طبقاً لنظامها المالي الذي سخره فيما بعد . بالإضافة إلى أنه وسع من دائرة النفوذ السعودي السياسي الذي أصبح يشرف على مياه الخليج في الشرق مباشرة . وصار للدولة السعودية منفذاً بحرياً وانتشرت المبادئ السلفية في كل قرى ومدن الأحساء وأضعفت من كفة الشعار الشيعة والقرمطية التي كانت ذاتة في هذه القرى والمدن قبل خضوعها لنفوذ آل سعود .

وفتح خضوع الأحساء للدرعية الطريق أمامها إلى قطر والبحرين والكويت على ساحل الخليج أي إلى المناطق الناحية لهذا الإقليم ، كافتح أمامها الطريق إلى عمان .

الفصل الخامس

التوسع السعودي في الخليج وعمان

• آل سعود وقطر .

• آل سعود والبحرين .

• آل سعود والكويت .

• آل سعود وعمان .

الفصل الخامس

الخليج وعمان

بعد أن أتمت الدولة السعودية إخضاع الأحساء لنفوذها وأصبحت تشرف على مياه الخليج بدأت تتطلع إلى المناطق الأخرى الواقعة على ساحله لتضع يدها على هذه المناطق التي كانت آنذاك تنمو بالحركة التجارية بالإضافة إلى أن بعض هذه المناطق خصب التربة صالح للزراعة وأتجهت أنظار آل سعود أولاً إلى قطر وكان ذلك بإيماز من إبراهيم بن عفيصان .

قطر :

كان يسكن قطر في ذلك الوقت ثلاث قبائل هم آل مسلم وهم أكثر سكانها عدداً ويقطنون قرى فريجة والقويرط ، وآل أوى حسن ويقطنون قرية اليوسفية ، والمعاوية ويسكنون الرويفية والطبيخ . وترجع هذه القبائل بنفسها إلى ربيعة ، بالإضافة إلى آل خليفة من العتوب الذين استقر بهم المقام في « الزبارة » (*) بعد انفصالهم عن التحالف الذي كان قائماً بينهم وبين آل صباح والجلالة منذ سنة ١١٣٨ هـ - ١٧١٦ م والزبارة موضع على الساحل تجاه جزيرة البحرين من جهة الجنوب . وكانت لقطر آنذاك مكانة تجارية وزراعية كبيرة بالنسبة لاقتصاد مصر . وقام إبراهيم بن عفيصان القائد السعودي في أواخر ١٢٠٧ هـ - ١٧٩٢ م بغزو قطر واستطاع إخضاع معظم قراها (١) . مثل فريجة والحويلة واليوسفية والرويفية وغيرها ولم تكن غير الزبارة لم تخضع

(*) يذكر صاحب البحرين درة الخليج العربي أن استقرار آل خليفة في الزبارة تم في عام ١١٤٠ هـ / ١٧٢٧ م . ثم بنوا بها قلعة «طبيعة» تسمى اليوم قلعة مرير عام ١١٨٢ هـ / ١٧٦٨ ، انظر : البحرين درة الخليج العربي لمحمد بهجت سنان ، ص ٩٢٢ .
(١) حنين بن همام ، المرجع السابق ، ص ١٨٠ .

له بل إن المتوب الذين كانوا يقطعونها تصدوا لأهل البلدان الأخرى الذين هاجمهم وأرسلوا بهم كثيراً من الخسائر . فرأى ابن عفيصان أن يتعرض لأهل الزبارة بنفسه فكتب إلى الدرعية يخبرها بذلك فرد عليه عبد المزيـن بن محمد « نعم هذا هو الصلاح »^(١) فقاد جيشاً واستطاع أن يدمر قرية الحويلة . ويذكر صاحب لمع الشهاب « أن إبراهيم بن عفيصان بعث بعض العزاة حول الزبارة بفزون المتردين إليها من طريق الر من حطابة وسفانة المتردين دائماً وزبارة بنير تردد هؤلاء بصيق المعاش بها لأن لا ماء فيها وحطب يحصل بقربها فتأوها وحطبها على فرسخ ونصف فرسخ وعند أكثرهم مواش من إبل وغنم وقر ولا مرعى لها إلا البرية »^(٢) واستمر إبراهيم بن عفيصان في تشديد هجماته على الزبارة حتى استولى على قلعتها ويذكر صاحب لمع الشهاب أن « المتوب لما شاهدوا محاصرة إبراهيم بن عفيصان لهم ، وأنه لا يندفع إلا بقوة تامة وهم ليسوا بالمقاتلين له خارج السور انفق رأيهم بالحل من الزبارة بالكلية ، وترك الزبارة على حالها ظناً منهم أن دولة بني سعود ما تدرم ، وأنهم سيمودون إليها . فركبوا بأجمعهم وساروا إلى البحرين ، ولم ينزلوا منها إلا بلدة الجو »^(٣) . وهجرة المتوب من الزبارة إلى البحرين انتهت كل مقاومة في قطر لنفوذ آل سعود . وأصبحت شبه جزيرة قطر جزءاً من الأملاك السعودية على ساحل الخليج .

آل سعود والبحرين :

البحرين جزيرة على مسافة اثنتي عشر ميلاً من بر الظهران وتمتاز بـعدة أرضها وكثرة محاصيلها بالإضافة إلى شهرتها بالزؤلوف في ذلك الوقت . وكان آل خليفة قد ضموا البحرين سنة ١١٩٦ هـ - ١٧٨٢ م قبل هجرتهم إليها - إلى

(١) لمع الشهاب ، ص ٧٦ .

(٢) نفس المرجع ، ص ٧٦ .

(٣) نفسه ، ص ٧٨ .

مركز حكمهم في الزبارة على أثر الاضطراب الذي ساد فارس بعد مقتل كريم خان الزندي وكان أثر هذا الاضطراب قد امتد إلى البحرين نفسها^(١).

وعلى أي حال فإن الشيخ سليمان آل خليفة نقل جميع أفراد أسرته من الزبارة سنة ١٢١٢ هـ — ١٧٩٧ م إلى قرية جوا في البحرين على إثر اشتداد المعرت السعودية على الزبارة كما سبق ذكره . ولكن السيد سلطان بن أحمد حاكم مسقط نجح في غزو البحرين سنة ١٢١٥ هـ — ١٨٠٠ م وعين أخاه سعيداً حاكماً عليها من قبله وأخذ معه إلى مسقط الشيخ محمد أخا الشيخ سليمان رهينة عنده . ونزل سعيد قرية عرادا^(٢) ونى قلعة على ساحلها الغربي الشمالي لتكون مقراً لحكم مسقط ومحصن بها . عندئذ اضطرب آل خليفة إلى الرحيل بمائلاتهم وأنبايعهم مرة ثانية إلى بلدتهم القديمة الزبارة^(٣) بأمان من آل سعود^(٤) ويجب أن نشهد إلى أن أطاع البوسعيد في البحرين قديمة ، ويدعون ادعاهم بخضوع البحرين لمسقط سنة ١١٣٠ هـ — ١٧١٨ م في عهد الإمام سلطان بن سيف الثاني اليعربي^(٥) في سنة ١٢٢٣ هـ — ١٨٠٨ م بلغ آل خليفة خبر وفاة الشيخ محمد رهينتهم لدى حاكم مسقط وأصبحوا آمنين من الفتك به فطلبوا من سعود بن عبد العزيز حاكم الدرعية أنذاك مساعدتهم بالمال والرجال لاسترداد البحرين فوجدوها فرصة مناسبة لتوجيه ضربة إلى نفوذ عدوه حاكم مسقط بالإضافة إلى بسط نفوذه على البحرين وبشر مبادئ الدعوة السلفية في ربوعها ولذا سارع بإرسال جيش تحت قيادة إبراهيم بن عفيصان لمساعدة آل خليفة في تخليص البحرين من صاحب مسقط^(٦) . ونجحت قوات إبراهيم ابن عفيصان في استردادها سنة ١٢٢٤ هـ — ١٨٠٨ م . ولكن هذا القائد

(١) يوسف القسبي ، قضية البحرين بين الماضي والحاضر ، ص ٩٥ - ٩٦ .

(٢) لمع الشباب ، ص ٨٤ .

(٣) أحمد أبو حاكم ، تاريخ الكويت ج ١ ، ص ٦٧ .

Bombay Government, Selection, vol. XXV, p. 141.

(٤)

السعودى لم يسلم زمام أمورها إلى آل خليفة بل أعلن ضمها لسلطان آل سعود .
وعندما حاول آل خليفة إجلاء القوات السعودية من البحرين ردت هذه
القوات على محاولتهم بمهاجمة الزبارة نفسها وسوق آل خليفة كرهاً إلى الدرعية
ليفضل سعود نفسه في أمرهم^(١) فأمر سعود باعتقال رؤساء آل خليفة في الدرعية
وعين فهد بن سليمان بن عفيصان قائداً للعمالة السعودية في البحرين وإبراهيم بن
عفيصان أميراً لها من قبل الدولة السعودية وبذل هذا التصرف الذى قامت به
سلطات الدرعية لإزاء آل خليفة والبحرين أن نية آل سعود كانت مبيتة لاحتلال
البحرين وأن أطماعهم كانت تنوؤ إليها ، قبل طلب آل خليفة لمساعدتهم .

ولكن أبناء آل خليفة لم يستسلموا للقوة السعودية فطلبوا المساعدة من
سعيد حاكم مسقط نفسه ومن الفرس وأقاربهم من العتوب وكونوا جيشاً
كبيراً هاجموا به البحرين وطرّدوا إبراهيم بن عفيصان أمير البحرين من قبل
آل سعود ومعه رجاله الذين نزلوا عند رحمة بن جابر الجلاهمة^(*) في مكان
يقال له الخوير شرقى الزبارة . وتمسك آل خليفة من اعتقال فهد بن عفيصان
أمير الجيش السعودى في البحرين ومعه ستة عشر رجلاً واتخذهم كرهينة
لرجالهم المعتقلين في الدرعية^(٢) .

حاول إبراهيم بن عفيصان بمساعدة رحمة بن جابر الجلاهمة استرداد
البحرين من آل خليفة ولكنه فشل في ذلك وحلت الهزيمة بقواته في واقعة

(١) عثمان بن بشر ، المرجع السابق ، ص ١٤٧ .

(*) ينتمى رحمة بن جابر الجلاهمة ، إلى العتوب ، وكان نافعاً على آل خليفة وآل
صباح لاتعداد كل منها يحكم منطقة من مناطق الخليج ، دون أمرته ولذا فإنه كان يقدم
المونة للسعوديين وحكام مسقط ضد آل خليفة كعمل انطفاى على ما أصاب أسرته .

انظر مقال رحمة بن جابر الجلاهمة لجمال زكريا بحولية كلية آداب عين شمس
سنة ١٩٦٤ .

(٢) نفس المرجع ، ص ١٤٧ .

حكيمية سنة ١٢٢٥ هـ - ١٨١٠ م فاضطر الأمير سعود إلى إطلاق سراح زعمائهم المعتقلين في الدرعية وسمح لهم بالعودة إلى البحرين^(١) وعجز النفوذ السعودي في فرض سيطرته على البحرين بعد ذلك وخلص حكمها لآل خليفة . ولم يعاود السعوديون محاولاتهم في غزو البحرين لانشغالهم بالحروب ضد قوات محمد علي في الحجاز .

آل سعود والكوييت (*) :

تقع الكويت شمالي الأحساء وكانت قبل أن يستقل آل صباح بحكمها تسمى كوت بني عريعر إذ كانت جزءاً من أملاك بني خالد حكام الأحساء . ولما نزل العتب هذه المنطقة سنة ١١٢٨ هـ - ١٧١٦ م قبلوا عن رضا حماية بني خالد لهم ولكن عندما حل الضعف بحكام الأحساء أراد العتب تأمين مركزهم من قبل الدولة العثمانية فأرسلوا الشيخ صباح إلى الباشا العثماني في بغداد ليوضح له أنهم نزحوا في طلب العيش ولا يريدون ضرراً بأحد ويتمهدون بالآل بسببوا إزعاجاً للسلطات فنجح الشيخ صباح في سفارته لدى باشا بغداد ومنح لقب قائمقام الكويت في سنة ١١٣٠ هـ - ١٧١٨ م . وبرزت أسرة الصباح من بين العتب بوصفها الأسرة الحاكمة في الكويت منذ ذلك الوقت^(٢) .

(١) محمد بن خليفة الطائي ، النهضة البهائية في تاريخ الجزيرة العربية ، ص ١٣٧ - ١٤٠ ؛ أمين الريحاني ، ملوك العرب ج ٢ ص ٢٢٣ - ٢٣٤ .

(*) الكويت تصغير لكلمة كوت التي كانت تطلق في لغة جنوب العراق والبلدان المجاورة على البيت الذي يبنى على هيئة قلعة شريطة أن يقع هذا البيت بالقرب من الماء . ثم أصبح الاسم يطلق على القرية التي تبنى في مثل هذا الموقع .
انظر مجلة المشرق البيروتية العدد العاشر سنة ١٩٠٤ ص ٤٤٩ - ٤٥٨ مقال « في تسمية الكويت » للآب أنستاس ماري الكرملي .
انظر أيضاً : سيد نوفل ، الأوضاع السياسية ، ج ١ ، ص ١٦١ - ١٦٢ .

(٢) د . جان ركريا قاسم : رحلة من حابر الجلامية حولية كلية آداب عين شمس

والواقع أن أمر الكويت خلع نهائياً لآل صباح بعد انقراط عقد الحلف الثلاثي الذي كان يربطهم وأقاربهم العقوب آل خليفة والجلامة سنة ١١٥٩ هـ - ١٧٥٩ م^(١). وقد كان هذا الحلف قائماً على أساس أن يقوم آل صباح بشئون الحكم ، وآل خليفة بشئون التجارة والمال والجلامة بشئون العمل في البحر على أن تقسم الأرباح بينهم بالتساوي^(٢).

وساعد احتلال الفرس للبصرة سنة ١١٩٣/١١٩٠ هـ - ١٧٧٩/١٧٧٦ م على ازدهار الكويت وعمرانها . إذ هاجر إليها كثير من أهل البصرة . كما تحولت إليها أيضاً السفن التي تنقل البضائع من الهند ومنها برأ إلى بغداد وحلب ودمشق وأزمير والآستانة . وغدت الكويت في هذه الفترة مركزاً هاماً للتجارة بدلا من البصرة^(٣). إذ أقام فيها ممثل شركة الهند الشرقية بعد نقل مركزه إليها^(٤).

ويبدو أن الدرعية أدركت أهمية الكويت باعتبارها ميناء تموين لتجد وغيرها فقاد إبراهيم بن عفيصان سنة ١٢٠٨ هـ - ١٧٩٣ م جماعة من أهل الخرج والعارض وسدير إلى الكويت . ورغم استيلائه على قسم كبير من الأسلحة والماشية إلا أنه لم يتمكن من إخضاعها لفؤاد آل سعود^(٥). وأوكل أمر غزوها بعد ذلك إلى مناع أبي رجلين الزعبي الذي قاد سرية إليها واستطاع هزيمة قوات الكويت ولكنه لم يتعقب فلولهم ورجع رجاله دون أن يحقق هدف الدرعية . وأراد أهل الكويت أن ينتقموا من آل سعود فهاجموا القبائل

(١) H.B.P. Dickson, Kuwait and her Neighbours, p. 26.

(٢) حسين خلف خزعل ، تاريخ الكويت ، ج ١ ص ٤١ ؛ جال ركريا ، الخليج العربي ، ص ١٨ .

(٣) عبد العزيز حسين ، المجتمع العربي في الكويت ، ص ٢٤ .

(٤) رعد عبد الله الرحمان ، مختصر تاريخ الكويت ، ص ٦٣ .

(٥) حسين خلف خزعل ، الرحمة السابق ، ص ٥٦ .

التجديّة المناخّة لحدودهم ولكن سريتهم التي كلفت بذلك لم تنجح في مهمتها فمادت دون أن تفعل شيئاً^(١) .

واضطّر أهل الكويت تحت ضغط التهديدات السعودية من ناحية والمتفق من ناحية أخرى إلى إحاطتها بسور منيع وتم لهم ذلك سنة ١٢١٣ هـ — ١٧٩٨^(٢) .

عاود سعود في سنة ١٢١٩ هـ — ١٨٠٤ غزوم الكويت وعسكر بمحيثه في قرية الجهرة ولكنه انسحب قبل أن يشتبك معه أهلها في القتال وكان هذا العمل آخر عهد الكويت بالتهديدات السعودية^(٣) . ولم يستطع آل سعود إخضاعها لسلطانهم . وحاول الانجليز أن يستفيدوا من تهديدات آل سعود للكويت فعرضوا في سنة ١٢٢٠ هـ — ١٨٠٥ م على آل صباح وضعها تحت حمايتهم كي يحميها شر هجمات جيوش الدرعية ولكن الأمير عبد الله الأول حاكمها إذ ذاك لم يوافق على العرض الانجليزي^(٤) . وبذلك حافظ على استقلال الكويت وحمايتها .

آل سعود ومهامه :

إقليم عمان يحتل قسماً كبيراً من جزيرة العرب الواقع بين الساحل المهادن وساحل عمان وبين ساحل جزيرة العرب الجنوبي في اتجاه جزيرة مصيرة . ويمكن تقسيم إقليم عمان إلى ثلاث مناطق رئيسية :

(١) سيف مرزوق الشملا ، من تاريخ الكويت ، ص ١٢٢ .

(٢) نفس المرجع ، ص ١٢٣ .

(٣) نفسه ، ص ١٢٤ .

(٤) عبد العزيز حسين ، المجتمع العربي بالكويت ، ص ٢٥ .

دولة الكويت ، الكتاب المنوى ، سنة ١٩٦٦ ، ص ١٢ .

أولاً : منطقة الظاهرة وتمتد من رأس الخيمة والصير إلى قبال جزيرة مصيرة على ساحل الجزيرة العربية الجنوبي ومن أهم مدن هذه المنطقة نزوى وبهلى وبلدان جملان .

وثانياً : الحجر عبارة عن جبل يمتد من الجنوب إلى الشمال وفيه بلدان كثيرة من مدن وقرى كمرستاق والجبل الأخضر وسمائل وأزكي والبلدان الواقعة بين الحجر والبحر تسمى الباطنة وأهم بلدان هذه المنطقة صحار وشناص ومضلعة ومسطط عاصمة أمة عمان .

ثالثاً : الصير أول حد هذه المنطقة من عمان خيران بنى ياس وآخره رؤوس الجبال من جهة الجنوب شرقاً^(١) .

ويحد إقليم عمان عموماً جنوباً ببحر عمان وشمالاً بالخليج العربي وشرقاً بخليج عمان وغرباً بصحراء الربع الخالي .

وقد أعطى هذا الموقع الجغرافي الممتاز لعمان مركزاً هاماً بالنسبة لطرق المواصلات والحركة التجارية بين الشرق والغرب .

وكانت القبائل التي تقطن عمان في ذلك الوقت هي : بنى ياس ؛ المناصير ؛ العوامر ؛ النعيم ؛ العجمان ؛ بنى كعب ؛ بنى كعب ؛ الدروع ؛ آل وهيب ؛ بنى مهير ؛ المطاريش^(٢) . وقد انقسم هؤلاء السكان حاضراً وباديهم إلى طائفتين كبيرتين :

١ - القبائل الهناوية وتنتمي إلى مذهب الإباضية .

٢ - القبائل الفغارية وينتمي معظمها إلى أهل السنة^(٣) .

(١) لم الشهاب ، ص ١٥١ - ١٥٢ .

(٢) من المرجع ، ص ١٦٧ - ١٦٨ .

(٣) British Admiralty, A Handbook of Arabia, vol. 1, p. 240.

تقطن قبائل بني ياس مقام مطلق بنزوها ورغم حصوله على كثير من الفنائم إلا أنه لم يستطع إخضاع هذه المنطقة المانية لنفوذ الدرعية^(١)، فأوكل آل سعود أمر غزو عمان للقائد إبراهيم بن عفيصان الذي قاد معظم الحملات العسكرية السعودية التي انجبت إلى سواحل الخليج العربي، فقاد هذا القائد السعودي جيشاً كبيراً وقام بنزو عمان الصير واستطاع إرهاب أهل هذه المنطقة حتى أرسلوا للدرعية يطلبون الأمان وتبعمهم في ذلك قبائل نعيم الذين كانوا يقطنون في البريمي ويذكر صاحب لمع الشهاب ذلك فيقول «وحين رأوا بني ياس قوة آل سعود أرسلوا رسلاً إلى الدرعية ليعاهدوا عنهم على تبعية هذا الدين، وأن يسوقوا الزكاة كل عام. فعاهدوا وأرسل معهم عبد العزيز عالماً يعلمهم أمور دينهم، فسمع نعيم، أهل البريمي بذلك فبعثوا إناساً منهم إلى عبد العزيز، يلتمسون البيعة والطاعة. فقبل منهم وأرسل معهم من يعلمهم أمر الدين، ثم إنه قال لهم، يا نعيم أقيم الجاهدون الموحدون^(٢)» وكانت قبائل بني ياس ونيعيم من القبائل النفازية السنية التي لم تجد في مبادئ الدعوة السلفية السنية شيئاً جديداً عليها بل ربما رأت في قوة آل سعود السنية ما يعينها في صراعها ضد القبائل المناوية الأباضية.

تقدم إبراهيم بن عفيصان بعد ذلك إلى واحة البريمي ١٢١٠ هـ / ١٧٩٥ م وأنشأ أثناء وجوده بهذه المنطقة قصر الصبارة في منتصف الطريق بين بلدة البريمي وحامسا^(٣) واتخذت منه القوات السعودية قاعدة لها.

وفي ١٢١٤ هـ / ١٨٠٠ م أرسلت سلطات الدرعية القائد سالم بن بلال الحرق إلى منطقة البريمي أميراً لها بدلا من ابن عفيصان فزحف هذا القائد بجيوشه إلى داخل عمان حتى بلغ المداخل الغربية لها. واستولى على كل واحة

(١) لمع الشهاب، ص ٧٨.

(٢) لمع الشهاب، ص ٧٩.

(٣) أمهت سعيد، الخليج العربي في تاريخه السياسي ونهضته الحديثة ص ٤٩.

البريمي التي ظلت المعقل الرئيسى لقوات السعودية^(١) التي استمرت تقوم بعمليات حربية متواصلة في عمان في السنوات التالية .

وقد كان للأعمال الحربية التي قام بها القائد سالم بن بلال الحرق تأثير كبير على كثير من القبائل العمانية فأعانت جميع قبائل نعيم والفلواهر وبنى قتب خضوعها لسلطان آل سعود وتسلم منها القائد سالم الزكاة وأرسالها للدرعية^(٢) . ثم حذا حذو هذه القبائل قبيلتي بنى بو على وبنى راسب اللتين أعلقتا قبولهما للحكم السعودي^(٣) .

أفاق ازدياد النفوذ السعودي في الساحل العماني والظاهرة كثيراً من الأطراف الأباضية في الداخل التي اعتبرت تعاليم الدعوة السلفية بدعة جديدة ورأت فيها انحرافاً عن الدين الحنيف ، مما أثار النزاع بين الفارقة والهنابية . واتهم الهنابية الفارقة بأنهم من النجديين^(٤) ؛ إذ أن معظمهم انضم إلى صفوف السعوديين .

واصل سالم الحرق عملياته العسكرية في عمان وتحرك من البريمي إلى سهل الباطنة وهاجم السويق وكاد يحتل الباطنة مما دعا السيد سلطان بن أحمد إلى عقد اجتماع لمشايخ عمان في قلعة بركا للشورة حول الموقف . ولكن الظروف في ذلك الوقت لم تمكن القائد السعودي من مواصلة انتصاراته؛ إذ أن اعتيال الأمير عبد العزيز بن محمد بن سعود في الدرعية أثناء عن عزمه^(٥) .

وكان السيد سلطان بن أحمد اضطر تحت ضغط العمليات الحربية السعودية

(١) شركة الزيت العربية ، عمان والساحل الجنوبي للخليج العربي ، ص ٢ .

(٢) حكومة المملكة العربية السعودية ، العرض ، ج ١ ، ص ١٤٤ .

(٣) شركة الزيت العربية الأمريكية ، المصدر السابق ، ص ٢٠ .

(٤) د . سيد نوفل ، الأوضاع السياسية لأمارات الخليج العربي ج ٢ ، ص ٥١ .

(٥) Bombay Government, Selections from the Records of Bombay, op. cit., p. 175.

التي اقتربت من مسقط نفسها إلى طلب الصلح من عبد العزيز بن محمد بن سعود قبل اغتياله وتم الصلح بينهما على إقامة هدنة لمدة ثلاث سنوات . وتعهد أن يدفع إتاوة سنوية قدرها خمسة آلاف ريال إلى سلطات الدرعية مقابل حماية أراضيهِ^(١) . ويذكر سعيد روت Said Ruete أن السيد سلطان ابن أحمد قد فعل ذلك لأنه خشى على مدنه وقراه من آثار المارك . هذا إلى جانب أن الهزيمة بالنسبة له كانت تعني ضرراً بالفا . أما بالنسبة لآل سعود في البويرمي فلا تعني أكثر من الارتداد إلى داخل الصحراء ثم العودة ثانية^(٢) .

إن ارتداد القائد سالم الحرق ووصول الأنباء باغتيال عبد العزيز بن محمد هيا الفرصة للسيد سلطان لمحاولة تجديد اتفاقاته السابقة (١٢١٣ هـ - ١٧٩٨ م ، ١٢١٥ هـ - ١٨٠٠ م) مع الانجليز لحماية أراضيهِ ضد الهجمات السعودية ولكن النتيجة وانه سنة ١٢١٩ هـ - ١٨٠٤ م دون أن يلقى المعونة البريطانية من حكومة بمباي^(٣) كما سنرى ذلك في فصل العلاقات الخارجية .

وتولى أمر الإمامة في مسقط بدر بن سيف من البوسعيد وكان أقوى أعضاء الأسرة إذ ذاك .

وكان بدر قد اعتنق مبادئ الدعوة السلفية ومال إلى النظام السعودي قبل أن يؤول إليه الأمر ولما أصبح الحكم بيده ، وكان الأمير سعود بن عبد العزيز قد بدأ عهده بتميز القوات السعودية في البرمي تمهيداً لغزو عمان . لذا سارع بدر بطلب الصلح مع الدرعية ويذكر صاحب لمع الشهاب أن بدر بن سيف أرسل رسلاً إلى سعود من طريق القطيف وأرسل معهم تحفاً وهدايا كثيرة وكتب له كتاباً : « إني أعاهدك على هذا الدين ومطيعاً له ، هذا كل ما تأمرني

Bombay Government, Selections from the Records of Bom- (١)
bay, op. cit., p. 174.

Said Ruete, Said Bin Sultan, p. 19.

(٢)

(٣) حكومة المملكة العربية السعودية ، المرس ، ج ١ ، ص ١١٧ .

به من الأواصر والجهاد أنفل لا محالة ^(١) . وتتفق هذه الرواية مع ما ذكره بادجر Badger من أن مدراً قد عقد اتفاقاً مع سموه تعهد بمقتضاه بدفع الزكاة وإقامة وكمل سعودي في مسقط يقول جميعها والسماح لقوة سعودية باحتلال مقاطعة بركا ^(٢) .

وكره أفراد أسرة البوسعيد خضوع بدر لنفوذ الدرعية ودار الصراع بين أفراد الأسرة إذ أن عمه قيس حين سمع باطاعته لسمود وأنه أدخل قضاء مجدى مسقط « وأجرى حكمهم على أهل عمان ، أخذته الفيرة وهم بمدافعة بدر » ^(٣) وأسفر الصراع بين أفراد أسرة البوسعيد عن مقتل بدر بن سيف سنة ١٢٢١ هـ - ١٨٠٦ م على يد سعيد بن سلطان الذى ولى الأمر بعده . ولا شك أن قتل بدر فى تلك الفترة التى لم يكن الحكم السعودى فيها قد استقر بصورة نهائية فى عمان كان أشد ضربة وجهت إلى مشروعات آل سموه التوسعية فى عمان .

اعتلى السيد سعيد بن سلطان سلطة مسقط فى هذه الفترة التى اشتدت فيها المازعات بين أفراد أسرة البوسعيد فاضطر إلى بذل جهود جبارة لتوطيد الأمن والاستقرار ولتدافيه حاول أن يخدع سلطات آل سموه فى الدرعية ؛ إذ أرسل إلى الأمير سموه كذاباً يذكر له فيه أنه يرى من قتل بدر بن سيف وأن الذى قتله هو محمد بن ناصر الجبرى ووعد فى رسالته بأنه سوف يستمر فى دفع الإتاوة المعتادة وأنه سيسمح بإعادة وضع القوات السعودية فى الباطنة .

وتذكر الوثائق السعودية أن إيرادات الجزء الأعلى من عمان « الظاهرة » ظلت تدفع إلى الحاكم السعودى فى البريمى حتى يناير سنة ١٢٢٣ هـ - ١٨٠٨ م

(١) لم العرب ، ص ٨٥ ، ٧٦ .

(٢) Badger, Salil Bin Rasik. History of the Imams and Seyyids of Oman, p. LXVI

(٣) لم الشباب ، ص ٨٦ .

ولم يحل دون الوصول إلى مناطق عمان السفلى سوى تذال سعيد بن سلطان وخضوعه^(١) كي يتمكن من تدبير أمر توجيه ضربة للنفوذ السعودي .

تمكن سعيد بن سلطان حاكم مسقط بمساعدة عمه قيس بن أحمد من إعداد جيش كبير في سنة ١٢٢٣ هـ - ١٨٠٨ م لمحاربة القوات السعودية وطردها من المناطق المانية . عندئذ تقدمت قوات مطلق المطيرى الذى ولى أمر الجيوش فى عمان للمرة الثانية سنة ١٢٢٢ هـ - ١٨٠٧ م ، ١٢٢٦ هـ - ١٨١١ م من قاعدته فى البريمى . تساعده قوات القواسم الذين كانوا قد أعلنوا خضوعهم لنفوذ آل سعود واعتناق المبادئ السلفية^(٢) منذ سنة ١٢١٤ هـ - ١٧٩٩ م . وسنتعرض لموضوع القواسم فى فصل العلاقات الخارجية .

ودارت بين الطرفين معركة فى « خور فكان » على ساحل خليج عمان أسفرت عن هزيمة قوات البوسعيد وقتل قيس نفسه وكثير من رجاله . وجمع صفر بن سلطان صاحب رأس الخيمة كثيراً من الغنائم أرسل خمسها الى بيت المال فى الدرعية ويذكر ابن بشر أنه بعد هذه المعركة « صار جميع عمان تحت ولاية سعود »^(٣) .

ويبدو أن هذا النصر الذى أحرزه مطلق المطيرى بمساعدة القواسم كان حافزاً له على التوغل فى الأراضى المانية وشجعه على ذلك انضمام محمد بن ناصر الجبرى اليه بقواته بعد أن كان واقفاً بجانب سعيد بن سلطان . واستطاعت هذه القوات السعودية أن تدخل مطرح وأن تهمل مدينة مسقط نفسها وتشعل النيران فى البيوت الواقعة خارج سورها . وأعدت كثير من بلدان الظاهرة الخضوع لآل سعود وكان من بين هذه البلدان بهلى ونزوى . ويذكر صاحب لمع الشهاب مدى القوة التى وصول إليها النفوذ السعودى فى الأراضى المانية

(١) حكومة المملكة العربية ، المصدر السابق ، ص ١٢٢ - ١٢٤ .

(٢) د . محمود طي الداود ، التطور السياسى الحديث لقصة عمان ، ص ٢٥ .

(٣) منهاج بن نهر ، المرجع السابق ، ص ١١٢ .

وخضوع سعيد بن سلطان حاكم مسقط للدولة السعودية فيقول « واستمرت حكومة سعود بذلك الأطراف مستقلة تزيد يوماً فيوماً حتى طاعت بعض بلاد الحاجر الواقع بين الباطنة والظاهرة مثل الحضري وغيرها .

ثم إن سعيداً أدى ذلك الزمان شيئاً من الدراهم طاعة لسعود ، قيل إنه دفع له كل سنة مائة ألف ريال » (١).

ولم يكن خضوع سعيد بن سلطان لتنفيذ السعودي ودفعه أتاوة سنوية معناه الاستسلام الكامل لتنفيذ الدرعية وإنما استمر بواصل جهوده الحربية وبذل مساعيه لدى الحكومة البريطانية في الهند كي تتمه بمساعدة حربية تكفل له القضاء على التنفيذ السعودي الذي امتد على معظم بلاده . وكانت حكومة الهند قد أزعتها العمليات البحرية التي يقوم بها القواسم والتي اتسع نطاقها بعد اعتناق هؤلاء مبادئ الدعوة السلفية وخضوعهم لآل سعود واعتبارهم الأعمال البحرية التي يقومون بها نوعاً من الجهاد الديني . لذا أرسلت حكومة الهند حملة حربية استطاعت أن تستولي على رأس الخيمة في نوفمبر سنة ١٢٢٤ هـ - ١٨٠٩ م وتحت إلهام سعيد بن سلطان على قائد الحملة اتجهت إلى خليج عمان وقامت ببعض الأعمال التجديدية في ميناء شناس على ساحل هذا الخليج وانسحبت بعد يوم واحد من وصولها إلى هذا البناء .

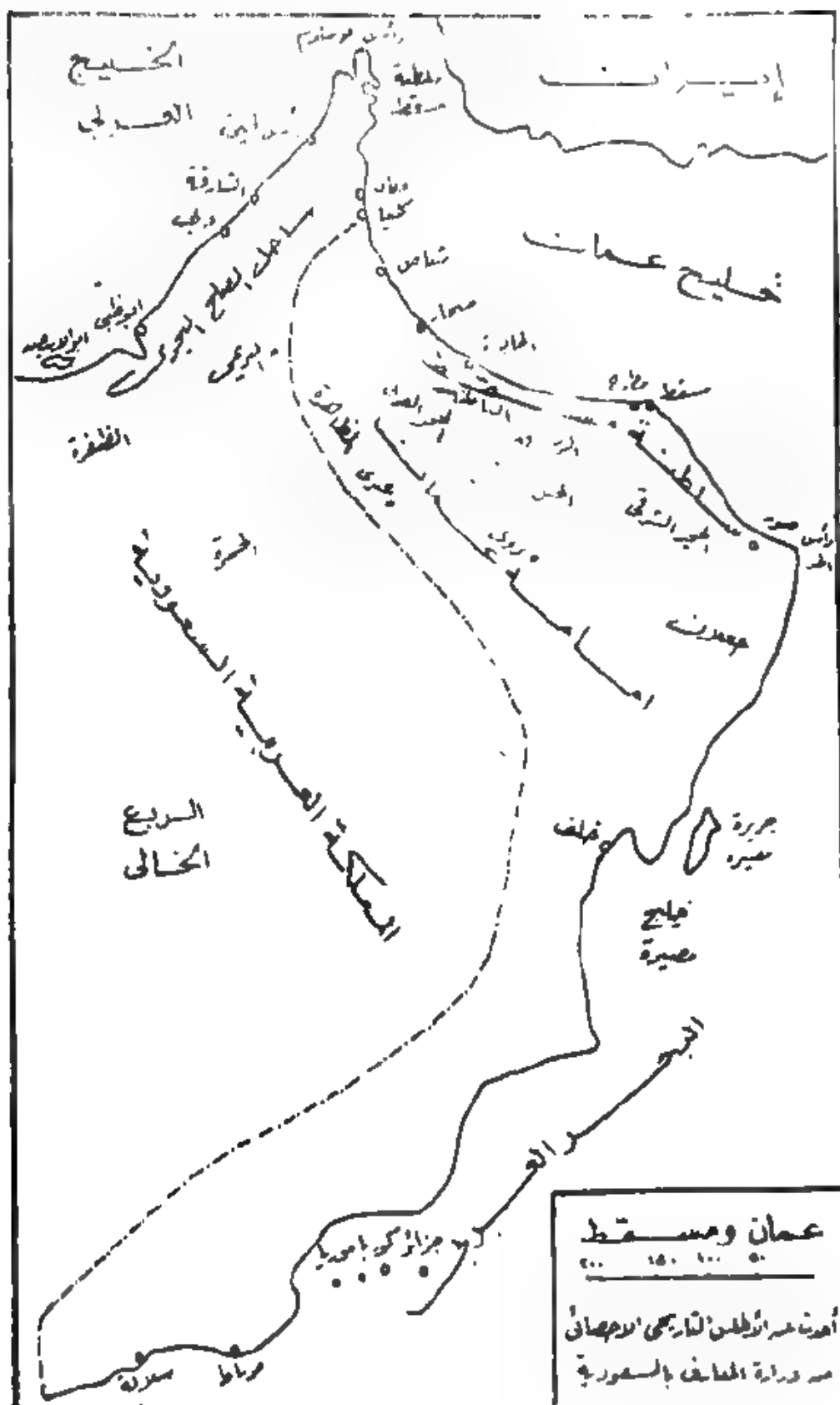
فيلج
الخليج

وعلى أثر هذه الحادثة أسرع مطلق الطيرى بقواته وأرسل هزيمة بقوات مسقط التي كانت بالقرب من شناس . وقام ببعض الأعمال العسكرية السريعة في سهل الباطنة ثم عاد إلى قاعدته في البريمي (٢) . وبذل هذا العمل على مبلغ قوة نفوذ الدرعية في أرض عمان .

واستمرت الأعمال العسكرية السعودية متواصلة في إقليم عمان دون

(١) لم الشهاب ، ص ٨٨ .

(٢) قمرى قلجى ، الخليج العربي ، ص ٤١٠ .



انقطاع في سنة ١٢٢٥ هـ - ١٨١١ م خرج أبناء سمود الثلاثة تركي وفامر وسعد إلى عمان وانصموا إلى قوات مطلق المطيري وتمكنوا بمساعدة قبائل الظواهر والجنبة وبني قتب والدروع من القيام ببعض العمليات الحربية التي مكفهم من الاستيلاء على مطرح البلد المعروف قرب الساحل وعلى خلفان وجمالان وسور وسعار وكثير من القرى والبلدان وحلبوا كثيراً من الأموال^(١).

ومما تجدر الإشارة إليه أن الأمير سمود بن عبد العزيز لم يكن راضياً عن حملة أبنائه إلى عمان بل إن غصبه اشتد عليهم عندما علم بذلك؛ إذ كان متنبهاً عن الدرعية لأداء فريضة الحج وقت خروجهم إلى عمان ولذا سارع فور وصوله إلى الدرعية بإرسال أربعين رجلاً إلى عمان وقال لهم « أفصدوا قصر البريمي المعروف في عمان وأخرجوا منه للرابطه الذين فيه وأسكوه ، ولا تدعوا أحداً من أبنائي ولا أحداً من جنودهم يدخله »^(٢). وكان أبناء سمود يزأرون إلى هذا القصر للاستراحة فيه بعد العمليات الحربية وأرسل إلى مطلق المطيري ومن معه من الرؤساء يأمرهم بالعودة إلى الدرعية . وأصدر أمراً بتعيين عبد العزيز بن غردقة صاحب الأحساء قائداً للجيوش السعودية في عمان^(٣).

وربما كان التفسير الصحيح لموقف الأمير سمود العدائي من غزو أبنائه في عمان رغم أنه وسع من دائرة النفوذ السعودي بإخضاع كثير من المدن والقرى العمانية لنفوذ الدرعية . إنه كان لا يريد أن يتوغل في عمان إلى أبعد مما وصلت إليه قواته حتى لا يجر عليه ذلك الاصطدام المباشر مع القوى الأجنبية وبخاصة الانجليز الذين كانت أطاعهم بدأت تتطلع إلى سواحل عمان .

J.B. Kelly, Eastern Arabia Frontiers, p. 56.

(١)

(٢) عثمان بن نصر ، المرجع السابق ، ص ١٥٣ .

J.B. Kelly, op. cit., p. 57.

(٣)

ونزول قواتهم بميناء شماس مائل أمام عينيه . بالإضافة إلى أنه في ذلك الوقت كانت أنباء الاستعدادات المصرية لحملة الحجاز قد بدأت ولا بد أن أنباء هذه الحملة قد وصلت إلى الأمير سعود عن طريق الحجاج المارّة وغيرهم . فأولى به أن يركز جهوده الحربية في الميدان الغربي مع تجميد الموقف في عمان .

وقد كان لأعمال أبناء سعود الحربية في عمان أثر سيء على نفوس كثير من السكان نظراً لما صاحب هذه الأعمال من القسوة ولذا فإنه على أثر انسحابهم تقصّ بنو ياسر عهدم للدرعية واجتاحت عمان موجة اضطراب لم تستطع قوات عبد العزيز بن غردقة القائد الجديد إحداها بل إن الهزيمة حلت بقواته وقتل عبد العزيز نفسه أثناء القتال . فاضطر الأمير سعود إلى إرسال مطلق المطيري مرة أخرى إلى عمان للاستفادة من خبرته في هذه البلاد واستطاع مطلق فعلاً إنزال الهزيمة بقوات سعيد بن سلطان واستولى على كثير من الفنائم وأكثر من عشرة مدافع وأرسل إلى الدرعية خمس هذه الفنائم مع عمال سعود . واستمر مطلق المطيري في عملياته الحربية في عمان لإخماد الاضطرابات القبلية التي ثارت ضد آل سعود ولكن هذا القائد المشهور قتل أثناء عملياته الحربية في جملان سنة ١٢٢٨ هـ — ١٨١٣ م^(١) . وفي تلك الأثناء كانت قوات محمد علي بقيادة ابنه طوسون تقوم بعملياتها الحربية في الحجاز ضد آل سعود . ولذا اضطرت القوات السعودية إلى التركز في البريمي واستمرت بها حتى انهيار الدولة وكان آخر أمير سعودي في المنطقة هو جال المطيري .

وعلى أي حال ! فإن جهود آل سعود أسفرت عن اعتناق القبائل المانية الآتية لمبادئ الدعوة السلفية وهي قبائل : القواسم . نعيم . آل علي .

الموامر . بنى قتب . بنى كعب . المهشم . بنى نوح . العنبة . بنى راسب . وكل
هذه القبائل سنية غافرة .

وكان لامتداد النفوذ السمودي إلى عمان آثار كبيرة؛ فقد أمدّها بكثير من
المكاسب المادية بالإضافة إلى أنه وسع من دائرة امتداد مبادئ الدعوة
السلفية ، وفتح أمامها باب الاتصال الخارجى وخاصة مع الإنجليز كما سنرى
ذلك فى الفصل الذى سنعمده للعلاقات الخارجية .

الفصل السادس

آل سعود والحجاز

- ١ - تمهيد .
- ٢ - الأشراف والحجاز .
- ٣ - علاقة الأشراف بنجد قبل قيام الدولة السعودية .
- ٤ - علاقة الأشراف بآل سعود .
- ٥ - المرحلة الأولى من الصراع بين الأشراف وآل سعود .
- ٦ - المرحلة الثانية من الصراع بين الأشراف وآل سعود .
- ٧ - تدهور موقف غالب .
- ٨ - الصالح مع الدرعية .
- ٩ - إنشقاق عثمان بن عبد الرحمن المضايقي .
- ١٠ - فتح مكة والمدينة .
- ١١ - عوامل نجاح آل سعود في ضم الحجاز .
- ١٢ - نتائج ضم الحجاز .

الفصل السادس

آل سعود والحجاز

نمود :

سمى آل سعود جادين — بعد أن استقر لهم الأمر في نجد — لضم إقليم الحجاز إلى حوزة دولتهم تدفعهم وتشجعهم إلى ذلك عوامل دينية وسياسية واقتصادية ولا بد لها من إلقاء نظرة سريعة على وضع الحجاز آنذاك لنرى إلى أى مدى شجع هذا الوضع أمراء الدرعية في اندفاعهم نحو الغرب .

فإقليم الحجاز يقع في الناحية الشمالية الغربية من شبه الجزيرة العربية وهو في جملته . مستطيل الشكل يمتد من معان شمالاً إلى نقطة بين الميث والقنفذة على الشاطئ الشرقى للبحر الأحمر جنوباً^(١) . وإذا كان يحده من الغرب البحر الأحمر إلا أن حدوده من جهة الشرق إذ ذاك — أى طوال فترة تاريخ الدولة السعودية الأولى — لم تكن حدوداً ثابتة شأن بقية أقاليم شبه الجزيرة العربية في ذلك الوقت بل كانت تمتد وتقلص تبعاً لقوة الأشراف والأتراك ومدى سيطرتهم على شئون البلاد . فقد كانت أحياناً تمتد حتى تشمل أجزاء كثيرة من نجد وأحياناً تقلص بحدود^(٢) .

ويطلق على السهل الساحلى منه اسم تهامة الحجاز ، وتوجد به أيضاً جبال السراة .

وتوجد بالحجاز أيضاً بعض الواحات الخصبة ولكنها متفرقة وتقع بين الأخدود الرئيسى في هذا الإقليم وأعلى حافة المنحدر الشرقى في اتجاه قلب الجزيرة^(٣) .

(١) عمر رضا كحالة — جغرافية شبه الجزيرة ، ص ١٠٠ .

(٢) نفس المرجع ، ص ١٠٠ .

(٣) نفس المرجع ، ص ١٠٨ - ١١٢ .

ورغم هذا فإن الحجاز لم يكن يعد منطقة زراعية حيث إن إحتاجه في ذلك الوقت وفي العمود السابقة لم يكن يفي بحاجة السكان ولهذا السبب كان الحجاز دائماً محل عطف ورعاية الحكام المسلمين^(١)، وكانت الزراعات القليلة الموجودة تشكل الحرفة الرئيسية للسكان المستقرين في المدن الذين كانوا يشكلون ثلث السكان بينما كان الثلثان الآخران عبارة عن قبائل متفرقة تعيش عيشة البداوة وكان سكان الساحل يعيشون من صيدهم وزوارقهم^(٢).

ولهذا نجد أن واردات الحجاز كانت تنحصر في بعض المواد الغذائية وما يحتاجه القاصدون للبلاد المقدسة. وكانت أم صادراته التمر والجلود والحناء والصمغ وغيرها. وتشير المصادر إلى أن البضائع كانت ترد إلى مكة من كل الجهات إذ أنها تعتبر أعظم مركز تجاري في قلب جزيرة العرب نظراً لموقعها الجغرافي ومكانتها الدينية التي حافظت عليها منذ فترة مبكرة^(٣).

ومما تجدر الإشارة إليه أن تجارة القمح كانت لها مكانة عظيمة في ذلك الوقت وكان يحتكرها بعض التجار ويذكر لنا الرحالة بركهارت الذي زار بلاد العرب في ذلك الوقت أن الشريف غالب أمير مكة كان يضارب في هذه التجارة وكانت تلي تجارة القمح في الأهمية تجارة الأرز الذي كان يجلب من مصر والهند وينقل من جدة إلى مكة والطائف والمدينة^(٤).

وكان سكان الحجاز آنذاك ينتمون إلى قبائل عربية معروفة أشهرها جبينة، وحرب، بنو سليم، بلي، الحجادلة، الجعافرة، هزيل، ثقيف، جبيلة، الناصرة، زهران وغامد، وإن وجدت قبائل أخرى غير معروفة النسب، وكانوا

(١) مصطفى مراد الدباغ، الجزيرة العربية موطن العرب وهدى الإسلام،

ج ١ ص ٦٦.

(٢) عمرو رضا كماله، المرجع السابق، ص ١١٧.

(٣) British Admiralty, op. cit., vol. 1, p. 178.

(٤) Burkhardt, Travels in Arabia, vol. 2, p. 63.

(٣)

(٤)

سمون أحلافاً^(١) . وكان بوحد بين أفراد القبيلة الواحدة البدو والحضر .

الأشراف والحجاز :

خضع الحجاز لسلطة الأشراف منذ القرن الرابع الهجرى ؛ فقد تولى أبو محمد جعفر الموسوى مؤسس المائلة الشريفة الأولى حكم إمارة مكة . ومنذ ذلك الوقت والأشراف يتمتعون باعتبار دينى لدى جميع السكان^(٢) . وانقضت على الشرافة فترات من الزمن كانت فيها كل شىء فى الحجاز ، كما أنها فى بعض الفترات أصابها الضعف ولم تكن شيئاً مذكوراً . وكان الشريف يختار لمنصب الإمارة من المدن كبار الأشراف فى الحجاز ويطلب إلى سلطان مصر أو السلطان العثمانى فيها بعد تثبيته فى منصبه^(٣) . ولذا كان يصبح القائم بهذا المنصب أحياناً ألموبة فى أبدى الملوك والسلطين أو الخلفاء الذين كانت لهم السيطرة السياسية على الحجاز .

وكانت أهم الأعمال المنوطة بشريف مكة تأمين قوافل الحج الوافدة من بقاع العالم الإسلامى ولذا كان شريف مكة دائماً يسعى إلى أن تكون علاقته بالقبائل العربية القاطنة على طول طرق القوافل طيبة . خاصة وأنه لم تكن لديه قوات عسكرية منظمة ، وإنما كان فى الغالب يعتمد على عصبيته الخاصة^(٤) .

واستطاع الشريف قتادة وقومه الذين كانوا يقيمون فى جهات ينبع ووادى الصفراء الاستيلاء على مكة ٥٥٩٧ - ١٢٠١ م وبهذا العمل مكن هذا الشريف لنفسه وعائلته فى الحجاز وأنشأوا إمارة ظلت قائمة بالأمر رغم ما أصابها فى بعض

(١) لم الشباب ، تحقيق أحمد أبو حاكم ، ص ١٦٣ - ١٦١ ؛ مؤاد حمزة ، المرجع السابق ، ص ١٣٠ - ٢٠٤ .

(٢) D.G. Hagarth, Arabia, p. 82

(٣) د محمد أبوس ، الشرق العربى والتاريخ الحديث والمعاصر ، ص ٣١ .

(٤) نفس المرجع ، ص ٣١ .

الفترة من ضعف ومصرع إلى حين تأسيس حكومة آل سعود الحالية . وعلى
أى حال فإن الشريف قتادة استطاع أن يخضع لسلطانه كافة الأراضي الحجازية
من خيبر شمالاً حتى القنفذة جنوباً^(١) .

على أن مركز الشرافة ازداد قوة وازدهاراً حينما تولى إمارة مكة الشريف
أبو نبي ٩٣٢ هـ - ١٥٢٥ م الذى وضع قانوناً عرف باسمه أعطى للأشراف
سلطة قوية على الحجاز^(٢) . ومنذ ذلك الوقت وحتى انهيار نظام الشرافة على
يدى آل سعود فى القرن العشرين تعاقب على شرافة مكة ثلاث عائلات من نسل
أبي نبي الأولى ذور ركات والثانية عائلة ذوى زيد والثالثة عائلة ذوى عون
واستقلت العائلة الأولى بالأمر وحدها ما يقرب من قرن من الزمان ثم نافستها
عائلة ذوى زيد حوالى ١٠٩٠ هـ - ١٦٧٩ م . وظل منصب إمارة مكة ينتقل
من زبدي إلى بركاتى حتى استقل به آل زيد دون آل بركات وظل الأمر
بأيديهم إلى فتح محمد على للحجاز^(٣) .

ويبدو أن منصب الشرافة كان يحلب كميراً من المكاسب المادية على
صاحبه مما أدى إلى الصراع المرير الذى دار بينهم وخاصة فى العصر العثماني ؛
إذ أن سلاطين آل عثمان احتفظوا بنظام الشرافة على وضعه الذى كان عليه أيام
سلطنة المماليك مع إنشاء صنيقية عثمانية فى جدة يتولاها أحد الحكام أو الأمراء
العثمانيين (كانت تسمى أحياناً صنيقية الحبش ثم ولاية الحبش^(٤)) ، وكان كل

(١) فؤاد حمزة ، قلب جزيرة العرب ص ٣٠٧ ؛ اطلس سبط الهجوم ج ٤ ،

ص ٢٨ - ٢١٤ .

(٢) حسين بن محمد نصيف ، ماضى الحجاز وحاضره ص ١٧ ، من المرجع ص ٢٨٩ -
٣٠٩ ؛ قانون أبي نبي مكون من ستة وثلاثين مادة ، جعلت الأمانة وراثية والأسرة
الهاشمية وحملت على الأشراف الاشتغال بأية مهنة أو صناعة . وجعلت من الأشراف طبقة
ممتازة لها حقوق ، يجب ألا يمارسها العامة ، بالإضافة إلى أنها حرمت على الرعية عدم
التناول على الأشراف أو معاوضة قروضهم ويذكر صاحب كتاب ماضى الحجاز وحاضره أن
هذا القانون توجد منه نسخ عند الأشراف . ولكنه لم يستطع الحصول على أى منها .

(٣) فؤاد حمزة ، المرجع السابق ، ص ٣٠٧ - ٣١١ .

(٤) د . محمد أنيس ، المرجع السابق ، ص ٧٢ .

فريق من الأشراف المتصارعين يستميل إليه مجموعة من القبائل ويتقاتل الفريقان ومن تأتي نتيجة القتال في صالحه يستولى على كرسي الإمارة ويكتب أنبأه إلى دار السلطنة يطالبون تعيينه . فكان السلطان يرسل فرمان التعيين ويكتفى من الشريف بإظهار الولاء واعتبار نفسه تابعاً للسلطان في صغير الأمور وجليلها وموظفاً عثمانياً يصدر بتعيينه فرمان سلطاني .

والحقيقة أن الصراع داخل الحجاز في العهد العثماني لم يكن قصراً على الأشراف فيما بينهم . وإنما كان له مظهر آخر بين الأشراف والولاة العثمانيين حول واردات جدة ونصيب الأشراف من هذه الواردات . ولذا كان الولاة الأتراك دائماً يعملون كل جهدهم لإزكاء روح الصراع بين الأشراف ليتمكنوا عن طريق التفرقة بينهم من السيطرة عليهم جميعاً . مما يحمل السلطان العثماني ينق في قدرة هؤلاء الولاة ومقدرتهم على التحكم في مقدرات البلاد وإبقائهم في منصب الولاية أكبر وقت ممكن^(١) . على أنه لم يعد يهم السلاطين العثمانيون منذ أن شغلوا بالفتن الداخلية والحروب الخارجية إلا دوام إرسال المحامل الثلاثة من العراق والشام ومصر وإرسال الصدقات السنوية إلى أهل الحرمين . وتركوا أمور الحكم في أيدي الأمراء المحليين من أشراف وأمراء^(٢) .

ولم يكن للعثمانيين في مكة حتى العهد العثماني الثاني موظفون من الأتراك يتولون شيئاً من أمور الحكم خلا ما كان من أمر القاضي والمحاسب . ورغم أن صنّيق جدة كان له حق الإشراف على شئون الحرمين إلا أنه ظل مقيماً بحكم منصبه في جدة ولم ينتقل إلى مكة إلا في العهد العثماني الثاني . وكان صنّيق جدة يستطيع أن يسيطر على مقدرات البلاد الحجازية كلها عندما يتولى أمر مكة شريف مسالم أو ضميم . ولكن الأشراف الأقوياء كانوا يتعاملون

(١) هيد القدوس الأضاري ، تاريخ مدينة جدة ، ص ٢٤٥ .

(٢) غزاد حرة ، المرجع السابق ، ص ٢١٧ .

سلطة هذا الصنحق ، كما يتعاملون في بعض الأحيان أوامر الخلافة العثمانية نفسها^(١) .

وعلى أى حال ، فإن دخل البلاد من مواسم الحج والكوس أصبح منذ ١٠٤٠ هـ - ١٦٣٠ م قسمة بين الأشراف والحكومة العثمانية نظير قيام الحكومة بشئون الحجاج وعمارة الحرمين^(٢) . ومنذ أن انتقل منصب الشرافة إلى أسرة آل زيد . بدأ أشراف هذه الأسرة العمل من أجل استقلال الشرافة التي بدت عليها مظاهر العنى عن طريق موارد الثروة الخارجية واهدايا التي أصبحت تصل من الهند مباشرة إلى الحجاز منذ انسحاب الأسطول العثماني من المياه الشرقية .

ويذكر هو حارث أن أشراف عائلة آل زيد كانوا قادرين على تكوين سياسة شعبية لهم بمناصرتهم الفقراء ضد الأغنياء^(٣) .

والواقع أن سلطة الإشراف على الحجاز ظلت قوية رغم الخلاف والصراع فيما بينهم حتى خضع الحجاز لآل سعود ولكن مما تجدر الإشارة إليه أن هذه العلاقات التي وجدت بين الأشراف كانت من بين العوامل القوية التي ساعدت آل سعود ومهدت لهم الطريق أثناء فتح الحجاز وإخضاعه لسلطانهم .

علاقة الإشراف بنجر قبل قيام الدولة السعودية :

يذكر لنا مؤرخو نجد أنه لما قوى أمر إشراف مكة بسطوا سلطانهم على كل ما كانوا يستطيعون الوصول إليه من الأراضي النجدية . وكان سلطانهم

(١) أحد السهامي ، تاريخ مكة ، ج ١ ، ص ٣١٩ .

(٢) نفسه ، ص ٣٢٠ .

يتمثل في جباية الأموال وأخذ الهدايا . من أمراء المناطق التي يخضعونها . ولا نعرف بالضبط متى بدأ نفوذ أشراف مكة يتغلغل في داخل الأراضي النجدية . وليس لدينا مصادر أصلية تحدد بداية هذه الصلة . ولكن من الثابت أن هذا النفوذ بلغ قوته في عهد الشريف أبي نعي الذي يعد من أعظم الأشراف الذين تولوا منصب إمارة مكة (١٥٣٢هـ / ١٥٢٥ م — ١٥٩٠هـ / ١٥٨٠ م) .

ويذكر عثمان بن بشر المؤرخ النجدي في سوابقه غزوات عديدة قام بها أشراف مكة على البلاد النجدية تدل على تدخلهم في أمور نجد منذ القرن العاشر الهجري حتى الثاني عشر . فيحدثنا أن الشريف حسن بن أبي نعي تمكن ١٥٨٦هـ — ١٥٧٨ م من الوصول إلى نجد وحاصر معكالم المكان المعروف في الرياض^(١) . وتمكن هذا الشريف ١٥٨٩هـ — ١٥٨١ م من الوصول إلى ناحية الشرق من نجد في جيش كثيف واستولى على مدن وحصون تعرف بالبديع والخرج والسدية والبيامة ومواضع أخرى^(٢) . واستمر هذا العمل الهجومي من جانب الأشراف على المدن والقرى النجدية طوال القرن الحادي عشر والنصف الأول من القرن الثاني عشر الهجريين واتخذ تدخل الأشراف في شئون نجد أحيانا مظهر الشدة والقوة فيذكر ابن بشر أن الشريف سرور بن زيد ظهر على نجد ١١٠٩هـ — ١٦٩٧ م ونزل روضة سدير ثم نزل قرى جلاجل وفعل بهذه البلدان ما فعل ثم ربط ماضي بن جاسر أمير الروضة ونزل الفاظ واتسمت هلياته في كل هذه البلدان النجدية بالقسوة والعنف^(٣) . وتجاوز تدخل الأشراف في شئون نجد منطقة البيامة إلى غيرها من المناطق النجدية ولم تكن سيرة الأشراف مع أهل نجد حسنة^(٤) .

وتشير المصادر إلى أنه منذ النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري

(١) عثمان بن بشر ، عنوان المجد ج ١ ، ص ٣٢ .

(٢) نفس المرجع ، ص ٢٤ ، انظر سمط النجوم ، ج ٤ ، ص ٣٦١ — ٣٧٠ .

(٣) نفس المرجع ، ص ١٢١ .

(٤) الدكتور منير العجلاني ، تاريخ البلاد العربية السعودية ، ج ١ ، ص ٣٠ .

بدأ تدخل لأشراف في أمور نجد بضمف وانقطعت غزواتهم أو كادت تنقطع لا تعفياً منهم كما تثبت الأحداث ولكن لانشغالهم بالمنازعات فيما بينهم على منصب الإمارة وانقسامهم إلى بيوت متصارعة بالإضافة إلى أنه في هذا الوقت بدأت قوة آل سعود تظهر على مسرح الأحداث في شبه الجزيرة العربية .

ومن الأهمية أن نؤكد هنا أنه منذ ظهور قوة آل سعود ومحاولة توحيدها لإقليم نجد بدأت علاقة الأشراف بنجد تتحول إلى عداء بينهم وبين أتباع الدعوة السلفية .

علاقة الأشراف بآل سعود :

اعتبر الأشراف أتباع الدعوة السلفية حصوماً للدين ولم يمنعهم الصراع فيما بينهم من اتخاذ تدابير ساسة في مكة نفسها ضد أتباع آل سعود فقد رفض الشريف مسعود بن سعيد الذي عاصر عهد الأمير محمد بن سعود أن يسمح لأهل نجد بأداء فريضة الحج ومنعهم من دخول مكة وطلب من الدرعية بعض علماء الدعوة لمناظرة علماء مكة وتمت فعلا المناظرة ولكنها لم تسفر عن وفاق بين الطرفين^(١) .

ولم يكن في استطاعة آل سعود حتى عهد الشريف أحمد بن سعيد مهاجمة الأشراف لأن الوضع في نجد لم يكن قد استتب لهم تماماً ، بالإضافة إلى أنهم كانوا يخشون عاقبة ما يجره عليهم اصطدامهم بالأشراف الذين استمروا في منعهم لأهل نجد من أداء فريضة الحج .

ونجددت المراسلة بين مكة والدرعية في عهد الشريف أحمد بن سعيد ١١٨٥ هـ - ١٢٧١ م الذي أرسل إلى الأمير عبد العزيز بن محمد بن سعود والشيخ محمد بن عبد الوهاب بطلب منهما إبفاء أحد علماء الدعوة السلفية ليوضح

(١) أحمد السباعي ، تاريخ مكة ، ج ١ ، ص ٢٠٢ .

له ولعلماء الحجاز حقيقة ما يدعوان إليه ، فأجاباه إلى مطلبه وأرسلا إليه الشيخ عبد العزيز الحصين مزوداً منهما برسالة وهدايا إلى الشريف أحمد بن سعيد رداً على رسالته إليهما وحاولا في رسالتهما شرح وجهة نظر الدرعية وإقناع الشريف بأن ما يدعوان إليه ليس جديداً وأن الشريف أحق الناس بالوقوف إلى جانبهما لأنهما يعملان على إحياء تعاليم الإسلام التي أتى بها جده عليه السلام .

وحرصت رسالة الدرعية على تلقيب آل سعود بأنهم « من جملة الخدام » أي خدام الشريف : وفعلوا وصل مبعوث آل سعود إلى مكة واجتمع بعلمائها وناظرهم ودار بين الطرفين جدال ونقاش حول حقيقة مبادئ الدعوة السلفية واحتكم الفريقان إلى كتب الحاشية ولكنهما لم يوصلا إلى إتفاق في الرأي أو إيجاد تفاهم بين الدرعية ومكة^(١) . والحقيقة أن هذا الصراع وإن اتخذ مظهراً دينياً إلا أنه كان يحمل في طياته تياراً سياسياً يحول دون قيام مثل هذا التفاهم فكلا الطرفين له أهدافه السياسية التي يسعى من ورائها لتأكيد هذه الحقوق السياسية والاحتفاظ بسيطرته على إقليمه ومحاولة مد نفوذه إلى ما وراء ذلك .

وإننا لنساءل لماذا بدأ الشريف أحمد بن سعيد بمراسلة الدرعية ١١٨٥ هـ - ١٧٧١ م محاولاً التفاهم معها رغم أن قوة آل سعود حتى ذلك الحين لم تكن قد وصلت إلى الدرجة التي تستطيع معها أن تهدد الحجاز أو غيره من مناطق الجزيرة العربية وحتى ذلك الوقت لم يكن آل سعود قد نجحوا في توحيد نجد ولم تكن أنظارهم قد اتجهت بعد إلى ما وراء حدود هذا الإقليم ؟

الواقع أن هذا العمل حدث من جانب الشريف أحمد بن سعيد نتيجة للصراع المرير الذي حدث في ذلك الوقت بين الأشراف أنفسهم . فأكاد أحمد

(١) حسين بن غنام ، تاريخ نجد (تحقيق ناصر الدين الأسد) ص ١٣١ - ١٣٣ .

ابن سعيد يقولى منصب الشرافة ١١٨٤ هـ - ١٧٧٠ م حتى شد أحد الأشراف من آل بركات وهو عبد الله بن الحسين رحاله إلى مصر وطلب العون من على بك الكبير ضد الشريف أحمد بن سعيد من آل زيد . فقام على بك الكبير بتجريد حملة عسكرية بقيادة محمد أبى الذهب لتمضيده عبد الله بن الحسين البركاتى وتسليمه منصب الشرافة^(١) . ونرى أن هذا العامل هو الذى دفع الشريف أحمد بن سعيد إلى التفاهم مع الدرعية ، التى غدت رغم قوتها المحدودة حتى ذلك الوقت أقوى القوى المحلية داخل شبه الجزيرة ، لعله يجد لديها التأييد العسكرى الذى يمكنه من صد الحملة المصرية التى تبغى إبعاده عن مركزه . ولكن قبل أن يصل مبعوث الدرعية إلى مكة كانت الحملة المصرية قد تمكنت فعلا من إقصاء أحمد بن سعيد عن إمارة مكة وتولية عبد الله بن الحسين البركاتى مكانه . ولكن أحمد بن سعيد اتصل ببعض العربان واستطاع أن يسترد مكة على إثر انسحاب أبى الذهب طائفاً إلى مصر^(٢) . ولهذا العامل جاءت نتائج سفارة الشيخ عبد العزيز الحصين غير محققة للتفاهم التام بين الجانبين ؛ إذ أن الشريف أحمد بن سعيد لم يجد بحاجة إلى مساعدة الدرعية . بعد أن استقر به المقام فى إمارة مكة للمرة الثانية منذ ٢٣ جمادى الثانية سنة ١١٨٤ هـ - ١٥ أكتوبر سنة ١٧٧٠ م ولم نعد بعد ذلك طوال فترة حكم الشريف أحمد بن سعيد على أية محاولة للتفاهم مع الدرعية . بل إن الشريف أحمد نفسه لم يسمح لأحد من أهل نجد بأداء فريضة الحج .

وعقب انتهاء فترة حكم الشريف أحمد بن سعيد أرسلت الدرعية إلى الشريف سرور بن مساعد الذى آل إليه الأمر ١١٨٦ هـ - ١٧٧٢ م تطلب إليه أن يسمح لأهل نجد بأداء فريضة الحج . فاشتراط نظير ذلك أن يأخذ منهم ضريبة فأبى عليه آل سعود ذلك ولم يتمكن أحد من أهل نجد فى

(١) أحمد بن زبى هلال ، خلاصة الكلام فى أمراء البلد الحرام ، ص ٣٠٣ .

(٢) المرجع نفسه ، ص ٣٠٥ .

عهد الشريف سرور من أداء الفريضة إلا خفية^(١).

واستمرت الملاقة بين آل سعود والأشراف بعد ذلك حوالى عشرين عاماً يسودها الركود وعدم التفاهم حتى تولى أمر الشرافة الشريف غالب بن مساعد ١٢٠٢ هـ - ١٧٨٧ م الذى لعب دوراً بارزاً فى العلاقات السعودية الحجازية . وفى عهده بدأت هذه الملاقات تتخذ طابعاً جديداً تطور إلى الصدام المباشر بين الطرفين وانتهى بتغلب كفة آل سعود وإحضارهم الحجاز لسلطانهم ، ويجب أن نؤكد أن هذا الدور بدأ فى الوقت الذى كان فيه آل سعود قد نجحوا فى توحيد نجد ووصلت تحركاتهم العسكرية إلى شاطئ الخليج العربى وغدت قوتهم مرهوبة الجواب . وكانت مبادئ الدعوة السلفية قد تسربت إلى الحجاز واعتنقها بعض الأعراب ولذا خشى الشريف غالب أن تصبح خطراً يهدد بلاده . خاصة وأن أخبار نجاح آل سعود فى عملياتهم الحربية ضد أهل الأحساء وبني خالد كانت تصل إلى الحجاز تباعاً بصورة تظهر مدى للقوة التى وصلت إليها الدرعية . ولذا قام الشريف غالب بدوره كما فعل أسلافه بإرسال كتاب إلى الأمير عبد العزيز بن محمد بن سعود والشيخ محمد ابن عبد الوهاب فى ١٢٠٤ هـ - ١٧٨٩ م يطلب منهما إرسال أحد علماء الدعوة ليوضح له حقيقتها فأرسل إليه عبد العزيز الحصين الذى سبق له أن قام بنفس المهمة أيام شرافة الشريف أحمد بن سعيد وأرسل معه الشيخ محمد بن عبد الوهاب كتاباً إلى الشريف غالب شرح فيه بإيجاز مبادئ دعوته وبين له أنه وأتباعه متبعون لمذهب الإمام أحمد بن حنبل وليسوا مبتدعين كما يتهمهم أعداؤهم^(٢).

وصل مبعوث الدرعية إلى مكة واجتمع بالشريف غالب عدة مرات

(١) أحد السامى ، تاريخ مكة ، ج ١ ، ص ٣٤٥ .

(٢) حسين بن هنام ، المرجع السابق ، ص ١٧٤ - ١٧٥ .

شرح له في أخطائها مبادئ الدعوة السلفية ثم طلب من الشريف أن يأتي له بعلماء مكة لينظرهم ويبين لهم حقيقة الدعوة . ولكن علماء مكة أبوا ذلك . وأوعزوا إلى الشريف غالب بأن آل سعود يعملون على إزالة نفوذ آبائهم وأجدادهم ، ويرغبون في الاستيلاء على خيرات البلاد التي تحت يديه وذلك بقولهم « هؤلاء الجماعة ليس عندهم بضاعة إلا إزالة نهج آبائكم وأجدادكم ورفع يدكم عما يصل إليكم من خيرات بلادكم »^(١) .

وانتهت سفارة الشيخ عبد العزيز الحصين في هذه المرة أيضاً دون أن تحقق الوفاق بين الطرفين . بل إن تحريض علماء مكة لغالب أزعج روح العلماء بين الأشراف وآل سعود . ومجل بالصدام المسلح بين الطرفين . ويذكر صاحب لمع الشهاب أن السبب المباشر للصدام يرجع إلى عاملين :

أولاً : غزو الأمير سعود لقوم من مطير خرجوا عن طاعة آل سعود والتعاؤوا إلى الشريف غالب .

ثانياً : رأى الشريف غالب أن نجداً كلها قد دانت لآل سعود بدواً وحضراً ورأى أنهم أدخلوا أيديهم في ملك بني خالد فخشى أن يدخل النقص عليه في ملكه . ولهذا بدأ بتهيئة الحرب وأسبابها واستمال إليه بعضاً من بداهة نجد كطير وعتيبة والبقوم أهل تربة وسبيع وغيرهم من القبائل وكثيراً من قحطان وبعض الدواسر الذين أعلنوا عصيانهم للدرعية^(٢) .

ولم تكن أنظار الدرعية حتى ذلك الوقت قد انجذبت صوب الغرب . وإنما كان اتجاه الشرق هو المسيطر على تحركاتها لأسباب سبق ذكرها . بالإضافة إلى أن آل سعود كانوا ينجشون الصدام المباشر مع الأشراف خشية أن

(١) حسين بن عامر ، تاريخ نجد ، ص ١٧٥ .

(٢) مؤلف مجهول ، لمع الشهاب (محقق دكتور أحمد مصطفى أبو حاكم) ،

يشير عليهم ذلك العمل الرأى العام الإسلامى فى تلك المرحلة من مراحل نمو دولتهم . وهذا واضح فى إجاباتهم دائماً لمطالب الأشراف وإرسال الرسل إليهم ومحاولة إقناعهم بصحة مبادئ الدعوة . أما وأن الأشراف هم الذين فرضوا عليهم الصدام . فأصبح حتماً عليهم مواجهته . ونستطيع أن تؤكد أن الصدام المسلح بين آل سعود والأشراف قد مر بمرحلتين متميزتين :

المرحلة الأولى :

بدأت هذه المرحلة ١٢٠٥ هـ - ١٢٩٠ م وكان الأشراف يقومون فيها بدور الهجوم بينما اكتفى آل سعود بضد هجمات الأشراف وغاراتهم التى وصلت إلى مناطق نجدية كثيرة ، ومن الأهمية أن تؤكد أن الشريف غالب فى هذه المرحلة كان قادراً على تكوين جيوش كبيرة من بلدان وقرى الحجاز بالإضافة إلى بعض القبائل التى هاجرت من نجد وانضمت إلى جانب الأشراف مثل أعراب مطير . وقد استطاع الشريف غالب إرسال جيش كبير بقيادة أخيه عبد العزيز ١٢٠٥ هـ - ١٢٩٠ م لغزو نجد واستطاع هذا الجيش أن يصل إلى « قصر بسام » فى السر وهو بمثابة حصن سعودى فى هذه المنطقة . ولم يتمكن هذا الجيش الحجازى من الاستيلاء على الحصن السعودى رغم طول مدة حصاره التى استمرت أربعة شهور ، وقلة حامية الحصن التى ذكرت المصادر أنها لم تكن تزيد على عشرين رجلاً^(١) .

وربما أعطانا هذا صورة عن قوة المقاتل السعودى الذى كان يؤمن أنه يقاوم من أجل عقيدة .

ومما تحذر الإشارة إليه أن تقل القوات السعودية المحاربة فى هذا الوقت كان مركزاً فى مناطق شرق الجزيرة وخاصة فى الأحساء حيث كانت العمليات

(١) حسين بن هنام ، الرجم السابق ، ص ١٢٦ .

السعودية في مرحلتها الأخيرة ضد بني خالد ، الذين أصابهم الضعف إلى درجة كبيرة . ويذكر صاحب لمع الشهاب أن اتصالاً بين الشريف غالب وعبد المحسن ابن سرداح آل عبد الله قد تم في ذلك الوقت لإيجاد تناسق بين الجهتين في حربهما ضد آل سعود فيقول « ولما علم الشريف غالب بهذه الحال (أى حال بني خالد مع آل سعود) كتب لعبد المحسن يرغبه في حرب آل سعود وقد بذل له شيئاً من المال نقداً وأعطاه بيده خمسين عبداً من عبادة السند والأوغان (الأفغان) لأنه لا يمكنه توصيله إلى عبد المحسن بغير ذلك ، لإحاطة ملك آل سعود بجميع أرض بني خالد براً وبحراً ، وجعل معهم اثني * من خداه لأجل التوصيل . وقال استعن بهذا على حرب عبد العزيز واغزوه (اغزه) من تلك الأطراف التي تليكم . لئلا تقوى شوكته فيميل عليكم ميلاً واحدة . وهذا أنا أمشي عليه من جهة الحجاز ، فأجاب عبد المحسن لما قال « (١) .

وبنفرد صاحب لمع الشهاب بذكر هذا الاتصال بين الشريف غالب وعبد المحسن بن سرداح . ولم يذكره لنا أى مصدر آخر معاصر بل إن مؤرخي نجد في هذه الفترة ابن بشر وابن غنام لم يشيرا إلى حدوث مثل هذا الاتصال . ونحن لانستبعد حدوثه بين الطرفين المعادين لآل سعود لعلهما يجدان في توحيد قوتيهما الوسيلة للقضاء على هذه القوة التي أصبحت تمثل خطراً كبيراً على الكيانات الأخرى في أنحاء الجزيرة العربية خصوصاً وأن نفوذها أوشك أن يستتب على شاطئ الخليج . يؤيد مذهبنا إليه أنه في هذا الوقت الذي كانت جيوش الأشراف نجوس فيه الحدود النجدية وتهدها شهد إقليم الأحساء اضطرابات وعمليات حربية ضد نفوذ آل سعود وحصل إلى حد قتل دعائهم وحامياتهم في بعض مدن الأحساء .

والحقيقة أن قوة آل سعود أصبحت أكبر من قوة أعدائهم رغم أن

(*) مكذوب الأصل واطل به عدد اثنين .

(١) لمع الشهاب (تحقيق دكتور أحمد مصطفى أبو حاكم) ، ص ٩٧ .

الشريف غالب مار بنفسه على رأس جيش كبير لتعزيز قوة أخيه الشريف عبد العزيز ومحاولته استمالة جواهر وحويل من أهل وادي الدواسر إلى جانبه . إلا أننا نستطيع أن نؤكد أن عمليات الأشراف في العرب لم يقدر لها القيام بعمل حرى ناجح ضد الدرعية ، كما لم يقدر لقوة الأحساء أن تقوم صدها بأى عمل ناجح في الشرق . وبذلك فشلت كلتا القوتين المعاديتين الدرعية في القضاء على نفوذها ولم يقدر لهما توحيد جهودهما والقيام بعمل مشترك ناجح .

أدرك الشريف غالب عدم جدوى عملياته الحربية على أطراف البلاد النجدية وكان موسم الحج ١٢٠٥ هـ - ١٢٩٠ م قد قرب وخشى أن يقوم أحد أمراء الدولة العثمانية بالاستيلاء على مكة وإسناد إمارتها إلى أحد أبناء عمه من الأشراف لعدم رضا الدولة عليه ولذا فضل الانسحاب بقواته عائداً إلى مكة وإن ذكر صاحب لمع الشهاب أن هذه الأسباب ليست الحقيقة « لكن الحق الصحيح أنه عجز عن الحرب ، وكان في مدة عمره متأسفاً على ما وقع في صفر سنة من قلة التندبير »^(١) . ولقد كان انسحاب قوة الأشراف إلى مكة في تلك الآونة النهاية في مرحلة هجومهم على الأراضي النجدية والتزامهم منذ ذلك الوقت بخطة الدفاع ضد القوات السعودية التي أحرزت النصر في هذه المرحلة على قوات الأشراف في موضع يسمى « اللدام »^(٢) وكان لانسحاب القوات الحجازية أثر كبير في تدعيم مركز القوات السعودية حيث إنه أتاح الفرصة للأمير سعود بن عبد العزيز القائد العام لجيوش آل سعود للقيام بعمليات تاديبية ضد القبائل التي ساندت قوات الأشراف أثناء قيامهم بالهجوم على الأراضي النجدية مثل قبائل مطير وقحطان وشمر التي أنزل بها الهزيمة عند جبل سلى حول ماء « العدو » قرب بلدة حائل . كما تمكنت القوات

(١) مؤلف مجهول ، لمع الشهاب ، ص ٩٩ .

(٢) حسين غنام ، المرجع السابق ، ص ١٢٢ .

السعودية في أثناء عملياتها التأديبية من قتل مطلق الجرم رئيس البوادي الذي قام بعمليات كثيرة كانت تستهدف القضاء على قوة آل سعود^(١).

وبانتهاء هذه العمليات التأديبية التي قام بها الأمير سعود على الأعراب الذين عاضدوا الأشراف ضد قوات الدرعية انتهت المرحلة الأولى من الصدام بين الأشراف وآل سعود.

ونرى أن هناك عوامل كثيرة ساعدت على إنهاء هذه المرحلة بسرعة وغيرت موقف كل من الطرفين المتحاربين واتخذت قوات الدرعية طبقاً لها خطة الهجوم لا الدفاع. ومن بين هذه العوامل انضمام بعض القبائل الحجازية في تربة. ورنية وييشة إلى الدعوة السلفية وانشمال الشريف غالب بمحاربتهم منذ ١٢٠٦ هـ - ١٢٩١ م. بالإضافة إلى أن القوات السعودية كانت قد آمنت عملياتها الحربية في الأحساء وأخضعتها تماماً لسلطان الدرعية وبدأت تحركاتها تتجه إلى الغرب والشمال والجنوب. ومن العوامل التي أضمت من مركز الأشراف في تلك الآونة إعلان قبائل عسير القوبة وتهامة اعتناق مبادئ الدعوة السلفية والخضوع لنفوذ الدرعية ولذا أصبحت أملاك الأشراف في الحجاز مهددة من الداخل والخارج مما أجبرهم على تغيير خططهم الحربية والتزامهم موقف الدفاع ثم إنه بعد ذلك جعلت بداية نجد تغزو الحجاز فأطاعت عقبة الحجاز وحرب كذلك. وقد ضاق الحال على الشريف وكاتب أهل الطائف عبد العزيز فبايعوه وأنوا منه بقضاء يملونهم التوحيد^(٢).

ومما تجدر الإشارة إليه أن من العوامل التي أضمت كفة الأشراف في تلك المرحلة موقف الدولة العثمانية حيث إن صاحب الخلاصة ذكر ضمن أحداث ١٢٠٧ هـ - ١٢٩٢ م. أن الشريف غالب طلب من الدولة النجدة دون جدوى.

(١) لراجع قه، ص ١٧٨ - ١٧٩.

(٢) مؤلف مجهول، لمع القهاب، ص ١٠٠.

« أرسل مولانا الشريف (غالب) للدولة العلية مخبرهم بظهور أمر الوهابية وأرسل لذلك السيد محسنًا بن عبد الله الحموي والسيد حسينًا مفتي المالكية فلم تكثرت الدولة لهذا ولم تلتفت إليه »^(١).

ولا شك أن لهذا الموقف أثراً كبيراً في إضعاف جانب الأشراف . وحدث هذا من جانب الدولة العثمانية لأنها حتى ذلك الحين لم تكن تقدر خطورة قوة آل سعود ومدى القوة التي وصلوا إليها ، بالإضافة إلى انشغالها بمشاكلها الداخلية والمخارجية الأخرى ولذا لم تجد مراسلة الشريف غالب لأولى الأمر فيها آذاناً صاغية .

وبانتهاء هذه المرحلة من الصدام ١٢٠٨ هـ — ١٢٩٣ م صار لآل سعود كفة الرجحان على كفة الأشراف . ولم يمد أمام الدرعية من سبيل سوى تركيز هجماتها إلى جهة العرب وإخضاع الحجاز لسلطانها خاصة وأنها أصبحت تطل على مياه الخليج في الشرق وبدأت تنطلع أن يتم لها الإشراف على مياه البحر الأحمر في الغرب وإدخال الحرمين الشريفين في حوزة أملاكها وهذا ما سعت إليه جادة في المرحلة التالية .

المرحلة الثانية من الصدام بين الأشراف وآل سعود :

قاد الأمير سعود العمليات الحربية في هذه المرحلة وتمكن في ١٢٠٩ هـ — ١٢٩٤ م . من الوصول إلى قرب تربة وحاصر قرى وبلاد تلك الناحية واتسمت عملياته بالعنف مما اضطر أهالي بعض القرى إلى مصالحته وإعلان خضوعهم للدرعية فأناح ذلك الفرصة أمامه لإنزال العقاب بالقرى التي لم تصالحه^(٢).

(١) أحمد بن زيني دحلان ، خلاصة الكلام ، ص ٢٦٦ .

(٢) حسين بن همام ، المرجع السابق ، ص ١٨٩ — ١٩٠ .

ورغم نجاح عملياته إلا أنه لم يتوغل في الأراضي الحجازية إلى أكثر من هذا الحد . وربما لأنه رأى أن استعداداته الحربية غير كافية لمواصلة القتال ضد القبائل الحجازية وقوات الأشراف لذا فضل العودة إلى الدرعية ليقيم بالاستعداد لمرحلة أبعد خاصة وأن الطريق أمامه إلى داخل الأراضي الحجازية قد أصبح مفتوحاً وصار لقواته بمصر الخبرة بالتحصينات الموجودة داخل هذه الأراضي .

والواقع أن موقف الأشراف إزاء المهجرات السعودية كما أثبتت الأحداث لم يكن سليماً . فقد رد الشريف غالب على عمليات سعود بإعداد جيش بقيادة الشريف ناصر بن يحيى تمكن من الوصول إلى منطقة « ماء الجانية » بمالية نجد إلا أن القوات السعودية تمكنت من هزيمة هذا الجيش وأوقعت به كثيراً من الخسائر^(١) .

وعلى إثر هذه الأحداث قررت الدرعية أن تقوم قواتها بهجوم شامل على أطراف الأراضي الحجازية ، فأصدر الأمير عبد العزيز بن محمد بن سعود سنة ١٢١١ هـ - ١٧٩٦ م أمراً إلى القائد السعودي ربيع بن زيد أمير الدواسر ليقيم ببعض العمليات العسكرية في الأراضي الحجازية . وتمكن فعلاً هذا القائد السعودي من الإغارة على فريق من أعراب شهر وهزمهم ثم سار إلى بيشة ونزلت قواته على الشقيقة والجنيفة وتحت وطأة المهجرات السعودية اضطر أهل هذه المنطقة إلى إعلان خضوعهم لسلطان الدرعية .

وصدرت أوامر الدرعية بعد ذلك إلى ربيع بن زيد بمواصلة تحركاته صوب رنية . وتمكن فعلاً هذا القائد من القيام ببعض العمليات الحربية الناجحة في هذه المنطقة وبعد أن تم له إخضاعها عقد إمارتها لمحمد بن سعيد بن قطان^(٢) ممثلاً لنفوذ آل سعود في تلك الناحية .

(١) عثمان بن بشر ، المرجع السابق ، ص ١٠٤ .

(٢) حسين بن قنام ، المرجع السابق ، ص ١٩٩ .

كان لهذه الأعمال العسكرية الناجحة التي قام بها القائد السعودي تأثير كبير على السكان الذين أعلن معظمهم الخضوع لسلطان آل سعود، وإن أثبتت الأحداث بعد ذلك أن هذا العمل من جانب السكان لم يكن عن اقتناع وإنما كان من قبيل إعلان الملوب خضوعه لسلطان الغالب حتى تحين له الفرصة لاسترداد حريته التي يمتز بها وخاصة في مجتمع قبلي مثل مجتمع الحجاز.

ترهور موقف الشريف غالب :

على إثر هذه العمليات السعودية بدأ موقف الشريف غالب يضعف ومما زاد من حرج موقفه أن القبائل التي كانت تسانده في قتاله ضد الدرعية مثل مطير وقحطان وعتيبة وسبيع القبلة وغيرهم من البداهة أدركوا ألا جدوى من قتال جيوش آل سعود ولذا طالبوا الأمان من الأمير عبد العزيز بن محمد بن سعود وأعلنوا خضوعهم لنفوذ آل سعود^(١).

بالإضافة إلى أن الشريف غالب رغم مكاتباته العديدة للدولة العثمانية لم يتلق منها حتى هذا الوقت أية مساعدة . بل إنه في نفس الوقت كان يخشى أن يصدر السلطان العثماني فرماناً بعزله حيث إنه لم يكن مرغوباً فيه . وفي تلك الآونة قلت الميرة والتاع لدى الشريف غالب^(٢) . وازداد الوضع الاقتصادي في الحجاز سوءاً بسبب الحصار الذي كانت تفرضه الجيوش السعودية على كثير من الطرق الرئيسية الموصلة إلى كل من مكة والمدينة والطائف .

ولم يكن أمام الشريف غالب من سبيل إلا مقاتلة القبائل الحجازية التي أعلنت خضوعها للدرعية لعله يستطيع إرجاعها إلى حوزته مرة ثانية . خاصة بعد أن أرسل الشيخ أحمد التركي للدولة العلية في سنة ١٢١٢ هـ - ١٢٩٧ م

(١) مؤلف مجهول ، لم الشهاب ، ص ١٠٠ .

(٢) المرجع نفسه ، ص ٩٨ .

يطلب منها العون فلم تجبه ولم تسكث بما يحدث له^(١). ولذا استمر القتال بينه وبين القبائل الحجازية متواصلاً مما أتاح الفرصة أمام الجيوش السعودية أن تتوغل كثيراً داخل أراضي الحجاز.

وهددت الهجمات السعودية جهات مختلفة من إقليم الحجاز في وقت واحد فبينما كان ربيع بن زيد الدوسري يهاجم بيشة ويقاوم جيشاً شريفياً بقيادة الشريف فهد بن عبد الله كان القائد هادي بن قرملة يهاجم البقوم وينزل بهم كثيراً من الهزائم والخسائر^(٢).

وإزاء سوء الحالة الاقتصادية وفقدان كثير من الأعراب وخاصة القبائل التي تقطن حول مكة لموارد معاشهم نتيجة للعمليات السعودية اضطر هؤلاء الأعراب وخاصة قبائل العتيبان إلى إرسال حمود بن ربيعان مندوباً عنهم إلى الدرعية لبايعة الأمير عبد العزيز بن محمد بن سعود على اتباع نظام الحكم السعودي واعتناق مبادئ الدعوة السلفية. وعند وصول هذا المندوب إلى الدرعية وعرضه مطلب الأعراب على الأمير عبد العزيز رحب بذلك وأجابته إلى طلبه بعد أن تمهد بياضة عن قومه بدفع مقدار معين من المال عن كل بيت واتباع كافة نظم الدرعية^(٣).

وبدل هذا العمل من جانب بعض القبائل الحجازية وخاصة القبائل التي تقطن حول مكة على مدى يعمل النفوذ السعودي داخل الأراضي الحجازية، ويرسم لنا صورة واضحة للخطر الذي أصبح يحيق بنفوذ الأشراف.

واستمر تقدم القوات السعودية متواصلاً حتى تمكنت من إنزال هزيمة بقوات حجازية كان يقودها الشريف غالب بنفسه عند قرية الحرمة. ونظراً

(١) أحمد بن زبي دخلان ، الملاحمة ، ص ٢٦٦ .

(٢) عثمان بن بشر ، المرجع السابق ، ص ١١١ .

(٣) المرجع نفسه ، ص ١١١ .

لكثرة ما فقده في هذه الموقعة من الأموال والرجال قرر الانسحاب إلى مكة .
في الوقت الذي تمكن فيه القائد السعودي ربيع بن زيد من الاستيلاء على
قرى بيشة بمضها بالصلح والبعض بالقوة . وصدرت أوامر الدرعية بتميين سالم
ابن محمد بن شكبان أميراً على بيشة من قبل آل سعود ^(١) .

ولم يتمكن الشريف غالب في ذلك الوقت من القيام بأي عمل عسكري
ضد آل سعود خاصة وأن الدولة العثمانية أرسلت إليه فرماناً بوجوب تحصين
الحرمين خوفاً من زحف الفرنسيين على بلاد الحجاز بعد أخذهم مصر فاضطر
لى القيام بعمل التعصينات اللازمة وإصلاح سور جدة ^(٢) . وأراد في نفس
الوقت أن يكون بينه وبين الدرعية صلح حتى يتضح له الموقف . وعلى ضوء
ما يتضح له بقرر مصير العلاقة بينه وبين الدرعية .

الصلح مع الدرعية :

طلب الشريف غالب من الأمير عبد العزيز بن محمد بن سعود عند صلح
بين الطرفين وأجابت الدرعية الشريف غالب إلى طلبه ونرى أن العوامل التي
دفعته إلى طلب الصلح في هذه الفترة هي :

أولاً : الضعف الشديد الذي حل بالجانب العسكري للشريف غالب خاصة
بعد هزيمة الخرمة التي فقد الشريف فيها جانباً كبيراً من قواته الحاربة . بالإضافة
إلى فقدته لمنطقة بيشة بعد أن استولى عليها القائد ربيع بن زيد وإخضاعها
لسلطان الدرعية .

ثانياً : خروج كثير من القبائل الحجازية التي كانت تقيم حول مكة
وانضمامها إلى جانب آل سعود الشريف غالب بشعر بحرج مركزه وتوجيه
تهديد مباشر لقوته من داخل أراضي الحجاز .

(١) عثمان بن مشر ، المرجع السابق ، ص ١١٧ .

(٢) أحمد بن زيني دحلان ، المرجع السابق ، ص ٢٦٧ .

ثالثاً : سوء الحالة الاقتصادية في الحجاز نتيجة للعمليات الحربية وخصوص
كثير من مناطق الحجاز للدرعية ودفع الضرائب لها بدلا من دفعها للأشراف
أفقد الشريف غالب كثيراً من موارده الاقتصادية بالإضافة إلى أن القوات
السعودية استولت على خزان الشريف في موقعة الخرمة حيث كان يصطحبها
معه ^(١) مما زاد من تدهور المركز الاقتصادي للشريف ولم يجد لديه ثلث الكافي
لقيام بعمليات حربية جديدة .

رابعاً : موقف الدولة العثمانية من الشريف غالب حتى ذلك الوقت وعدم
اهتمامها بما يحدث له كان عاملاً هاماً في دفع الشريف غالب إلى طلب الصلح
مع الدرعية التي وصلت قوتها العسكرية إلى درجة كبيرة لم يعد في مقدور
الشريف التصدي لها بقوته التي أصبحت محدودة . تلك في رأينا أهم العوامل
التي دفعت الشريف غالب إلى عقد صلح مع آل سعود .

ويذكر صاحب الخلاصة وهو مؤرخ حجازي أنه « في غاية جمادى الأولى
من سنة ثلاث عشرة ١٢١٣ هـ / ١٧٩٨ م انعقد الصلح بين مولانا الشريف
غالب وعبد العزيز بن محمد بن سعود بعد مكاتبات بينهما وجعلوا حدود الممالك
والقبائل التي تحت طاعة مولانا الشريف والتي تحت طاعتهم فكان ممن في
حدوده وطاعته القبائل التي حول مكة والمدينة والطائف وبنو سعد وناصرة
وبجيلة وغامد وزهران والحوار وبارق ومخائل وغير ذلك » ^(٢) ونستخلص من
هذه الرواية أن نفوذ الشريف غالب أصبح قاصراً على المناطق التي حول مكة
ومدينة والطائف وماعدها من المناطق الحجازية أصبح خاضعاً لسلطان الدرعية .

كما نستخلص منها أيضاً أن القبائل الكبرى مثل حرب وجهينة وقحطان

(١) عثمان بن مشر ، المرجع السابق ، ص ٩١٣ .

(٢) أحمد بن زكي ، حلاي ، المرجع السابق ، ص ٢٦٧ - ٢٦٨ .

أصبحت تدين بالولاء لآل سعود حيث إنها لم تذكر ضمن القبائل الخاضعة لنفوذ الأشراف .

ومما هو جدير بالذكر أن المصادر النجدية المعاصرة لم تهمل أية تفاصيل عن هذا الصلح فابن بشر عندما ذكره لم يزد على قوله « فلم يلبث بعدها (أى بعد معركة الخرمه) أن صالح عبد العزيز وأذن لهم في الحج »^(١)

تم الصلح بين الطرفين وكانت مدته ست سنوات وبالإضافة إلى نفوذ آل سعود قد امتد على معظم الأراضي الحجازية وأصبح معترفاً به من جانب الأشراف . فإن هناك كسباً آخر حققه هذا الصلح لآل سعود وهو أن الحجاج النجديين أصبح لهم حق دخول مكة لأداء فريضة الحج دون أن يعترض أحد طريقةهم بعد أن منعوا من أداء هذه الفريضة فترة طويلة ونودي في مكة بعد عقد الصلح بالأمان وعدم التعرض لآل سعود وأتباعهم باليد أو اللسان وقملاً دخل حجاج الدرعية مكة ١٢١٤ هـ / ١٧٩٩ م وكان من بينهم علي بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب . وظل الأمير سعود طوال مدة الصلح يصل إلى مكة على رأس قافلة الحج النجدي دون عائق . وظل الصلح بين الطرفين قائماً حتى عام ١٢١٧ هـ / ١٨٠٣ حينما طرأت على الموقف عوامل جعلته عديم الجدوى . ومن بين هذه العوامل انضمام بعض القبائل التي كانت تابعة للشرىف غالب إلى جانب الدرعية واعتناقها لمبادئ الدعوة السلفية بالإضافة إلى ازدياد النفوذ السعودى بصورة سريعة في تهامة وعسير وتوغل القوات السعودية في شمال اليمن وخاصة في الحلاف السليمانى الذى كان تحت سيطرة فرع آخر من الأشراف تحت سيادة إمام اليمن . ومنها أيضاً استمرار العمليات السعودية في منطقتى بيشة ورنية بقيادة ربيع بن زيد .

وانهم الشرىف غالب الدرعية بأنها تعمل على نقض الصلح وذلك بأنها

(١) هناك بشر ، المرجع السابق ، ص ١١٣ .

تراسل كثيراً من مشايخ القبائل التابعة له ومن بينهم شيخ قبيلة محابيل سعدى ابن شار وشيخ قبيلة بارق أحمد زاهر الدان أو عزرا إلى كثير من القبائل بالتخلي عن كفة الشريف غالب ورغبا إليهم الانضمام إلى الجانب السعودي ^(١) . كما اتهم الشريف غالب الدرعية أيضاً بأنها ترسل إلى القبائل من يقومون بإفسادها ويبت فيها روح الكراهية ضده ورأى في هذه الأعمال من جانب الدرعية نقضاً للصالح ^(٢) . ولذا أرسل إليها وفداً من لدنه ليطالعها على حقيقة الأمر كما يراه الشريف وكان على رأس هذا الوفد عثمان بن عبد الرحمن المضايقي .

وإس من شك في أن اتهامات الشريف غالب للدرعية كانت على جانب كبير من الصحة حيث إن الدرعية في ذلك الوقت كانت قد أولت اهتمامها بالجبهة الغربية من شبه الجزيرة ولا نستبعد أنها قامت بمراسلة القبائل التي كانت تابعة للشريف أو أنها اتخذت لها طابوراً خامساً من جانب بعض مشايخ القبائل ولا شك أن نجاح عملياتها في عسير وتهاية شجعها على القيام بمثل هذه الأعمال التي فيها إخلال بالصالح بينها وبين الشريف غالب .

وعلى أي حال فإن الأمير عبد العزيز رد على الوفد الحجازي بأنه سيعمل على إنهاء مثل هذه الأمور التي يزعجها الشريف . ولكن على إثر عودة الوفد إلى مكة ازداد الموقف بين الطرفين سوءاً وحدث تصدع في كفة الشريف غالب كان من أبرز الدوامل التي ساعدت على هزيمته الهزيمة النهائية وخضوع الحجاز كله لسلطان الدرعية وتصدع اتفاق عثمان بن عبد الرحمن المضايقي عن جانب الشريف . وانضمامه إلى جانب الدرعية .

اشفاق عثمان بن عبد الرحمن المضايقي :

لم يقتنع الشريف غالب برد الدرعية على اتهاماته لها خاصة وأنه رأى أن

(١) أحمد بن زبي دخلان ، خلاصة الكلام ، ص ٢٦٨ .

(٢) المرجع نفسه ، ص ٢٦٧ .

تتابع العصيان عليه من القبائل التي تقطن في جنوب مكة وجنوبها الشرق وازداد ، بصورة مقننة ولذا عاد الأمر بين الطرفين إلى ما كان عليه قبل الانفاق وبدأت الدرعية تركز جهودها الحربية لوضع حد لتصرفات الشريف غالب نحوها وفي أثناء ذلك أعلن عثمان بن عبد الرحمن المضايقي شيخ قبيلة العدوان حول الطائف^(١) ووزير الشريف غالب وصهره خروجه عن طاعة الشريف وانضمامه إلى جانب آل سعود . ونلزم معظم المصادر الأصلية الصمت إزاء هذا الموقف فلا تزيد على ذكر أن هذا الانشقاق حدث نتيجة لخلاف بين الشريف وصهره عثمان ، ولكن على أي شيء . كان الخلاف بينهما فلا تذكر شيئاً من ذلك . وبعضها يذكر أن عثمان أوجب بالنظام السعودي واقتنع بمبادئ الدعوة أثناء وجوده بالدرعية ، وقدأ من قبل الشريف غالب وطمع في أن يكون أميراً من قبل آل سعود على منطقته وبذلك يكفى نفسه شر الحروب والقتال ويذكر صاحب خلاصة الكلام أنه بمجرد وصول الوفد إلى الدرعية واستقباله استقبالاً حسناً كان « أول ما نطق به عثمان أن قال يا عبدالعزيز بشرني بالإمارة وأبشرك بمكة تملكها وأطلب منك أن تحل لي المجلس لأمر سائديها فأخلى معه وحده بكلام طاب له وأمره على الطائف وما حوله من العرمان ... وكان عثمان ذكر له أسماء شيوخ القبائل التي يريد التآمر عليها فكتب لهم كتباً يخبرهم فيها بأنه أقام عثمان للمضايقي أميراً عليهم وسلمها بيده . والجماعة الذين معه لا علم لهم بذلك كله »^(٢) ويفرد صاحب الخلاصة زبني دحلان بهذه الرواية ولم نجد تفصيلاً لها عند المؤرخ النجدى ابن بشر الذي ذكر انشقاق عثمان المضايقي عن الشريف غالب وانضمامه إلى جانب آل سعود بصورة مقتضبة ودون تعليق ففي أثناء تدوينه لأحداث ١٢١٧ هـ - ١٨٠٢ م قال « وفي هذه السنة ١٢١٧ هـ - ١٨٠٢ م ، انتفض الصالح بين غالب الشريف وبين عبدالعزيز بن محمد بن سعود وطارق الشريف وزيره عثمان بن عبد الرحمن المضايقي وخرج من مكة وترك

Burkhardt, J.L., op. cit., p. 326.

(١)

(٢) أحمد بن زبني دحلان ، السابق ، ص ٢٢١ .

الشریف ونابذه ووقد على عبد العزيز وبايعه على دين الله ورسوله والسمع والطاعة^(١) وهكذا يرى أن ابن بشر لم يذكر لنا ما هي الأسباب التي دعت عثمان إلى القيام بهذا العمل في وقت بدأت الدرعية تحرك جيوشها صوب الحجاز .

ولا نستعيد حدوث وفاق بين سلطات الدرعية وبين عثمان المضايقي خاصة وأن هذا العمل كان أحد أساليب الدرعية في محاربتها لأعدائها فقد سبق لها كما رأينا أن جربت هذا الأسلوب مع بني خالد وساعدها على النجاح إلى حد كبير . ولا بد أن عثمان المضايقي قدر حقيقة الموقف وأدرك أن جانب الأشراف هو الخامس لمركة المصير في النهاية فلا عليه أن يحصل لنفسه على بعض المكاسب وطمع في أن يتولى إمارة الحجاز تحت سيطرة الدرعية التي لا بد أنها شجعتة على القيام بمثل هذه العمل ومقتة بما أراد^(٢) .

وكان لانشقاق عثمان أثر كبير في إضعاف كفة الأشراف فعلى إثر إعلانه الانشقاق ونزوله قرية العبيلا المعروفة بين الطائف وتربة انضمت إليه كثير من قبائل الحجاز وأعلنت خروجها على الأشراف وأرسل عثمان إلى الدرعية يطلب منها أن تمد له بد العون ضد الشریف غالب^(٣) . وصدرت أوامر الدرعية إلى قوادها في بيشة ورنية وغيرها بالمسير لمساعدة عثمان . وتمكنت القوات السعودية من الاستيلاء على الطائف بعد هجوم صاعق عليها ١٢١٧ هـ — ١٨٠٢ م^(٤) . وفرار الشریف غالب منها بقواته صوب مكة . وأرسل عثمان المضايقي خمس غنائم الطائف إلى الدرعية التي صدر قرارها بتولية عثمان بن عبد الرحمن المضايقي إمارة الطائف والحجاز^(٥) .

(١) عثمان بن بشر ، المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٢٢ .

(٢) Jacqueline Pirenne, A la découverte de l'Arabe, p. 131.

(٣) عثمان بن بشر ، المرجع السابق ، ص ١٢٢ .

(٤) Brydges, H.J., vol. 2, p. 30.

(٥) عثمان بن بشر ، المرجع السابق ، ص ١٢٣ .

إن عوامل الانقسام الداخلية التي كانت تحدث في الجبهات التي يتصدى لها آل سعود وكانت من أبرز أسباب انتصارهم في النهاية لأنها كانت تحدث خلا وضعفاً في هذه الجبهات فاتحاد العناصر المنشقة مع أنباغ الدعوة السلفية في هذه الجبهات كان يمد الطريق أمام القوات السعودية ويساعدها في إحراز كثير من الانتصارات على أعدائها وهذا ما حدث في جهة الحجاز . فوجد العناصر السلفية والعناصر الساخطة على حكم الأشراف الذين أنهكهم الصراع فيما بينهم . واشتاق عثمان المضاني . كل هذه العوامل التي مهدت لتنفيذ السعودي أن يمتد حق الطائف التي تعتبر نقطة وثوب إلى مكة مركز الشرافة فتح مكة :

قرر آل سعود وضع حد للصراع القائم بينهم وبين الشريف غالب ولذا قاد الأمير سعود جيشاً كبيراً انضم إلى القوات السعودية التي قامت بعملية الاستيلاء على الطائف وزحفت هذه القوات السعودية إلى مكة بهدف الاستيلاء عليها وتحطيم قوة الشريف غالب الذي كانت مكاتباته في تلك الفترة ١٢١٨ هـ - ١٨٠٣ م تصل إلى استانبول وإلى مختلف الجهات تصف آل سعود بأهم كفار خارجون عن الدين^(١) ونجب محاربتهم والقضاء على بدعتهم بالإضافة إلى أنه حاول في هذا العام ١٢١٨ هـ - ١٨٠٣ م إغراء الحجاج بالحرب معه ضد القوات السعودية وهم الحجاج الشاميون والمصريون والمغاربة وإمام مسقط بالوقوف إلى جانبه ، ولكنهم في النهاية أثروا الرجوع إلى بلادهم سالين ولم يدخلوا القتال معه ضد القوات السعودية التي كانت تحاصر مكة . كما غادر مكة صنجق جدة ومن معه من الجنود الأتراك^(٢) . ولم يستطع الشريف غالب الصمود أمام القوات السعودية فانسحب إلى جدة وأخى السبيل أمام الأمير سعود ليدخل مكة ويعلن الأمان لأهلها . وأمر بتطبيق مبادئ الدعوة السلفية

All Bey, Travels of All Bey, vol. 2, p. 63.

(١)

(٢) أحمد السباعي ، تاريخ مكة ، ج ١ ، ص ٣٤٨ .

فهدمت القباب والمشاهد التي على القبور وأمر أيضاً بتدريس كتاب كشف الشبهات للشيخ محمد بن عبد الوهاب في المسجد في حلقة عامة يحضرها العلماء والأهالي^(١). وبعد أن تم إخضاع مكة للنظام السعودي. زحفت القوات السعودية إلى جدة لمحاصرة الشريف غالب والتضييق عليه ولكنها لم تنجح في ذلك الوقت في فتح جدة نظراً لمناعة أسوارها^(٢). وأمر سمود برفع الحصار عنها وبعد أن رتب حامية سعودية في مكة عاد إلى الدرعية تاركاً الأمر إلى الحكام المحليين المعيّنين من قبل الدرعية.

ومما تجدر الإشارة إليه أن الشريف غالب استغل فرصة رحيل القوات السعودية الأساسية عن مكة فأسرع بمهاجمتها واستردها ١٢١٨ هـ - ١٨٠٣ م بعد أن أمن الحامية السعودية الموجودة بها^(٣).

وصل نبأ استرداد الشريف غالب لمكة إلى الدرعية في الوقت الذي كان الأمر فيها قد أصبح بيد سمود على إثر اغتيال والده بيد أحد الأكراد ١٢١٨ هـ - ١٨٠٣ م ولذا كان أول ما فعله حاكم الدولة الجديد بالنسبة للصراع الدائر في الحجاز أن أصدر أمره ببناء قلعة عسكرية في وادي فاطمة بالقرب من مكة لتكون بمثابة برج مراقبة ترصد منه حركات الشريف غالب ووضع الخطط المضادة لها وتضييق الخناق على الشريف حتى يستسلم. وكان بناء القلاع العسكرية قد أثبت نجاحه مع آل سعود في أثناء حروبهم ضد المدن النجدية ومدن الأحساء. وقلاً تم بناء هذه القلعة العسكرية في وادي فاطمة ١٢٢٠ هـ - ١٨٠٥ م^(٤). وصدرت أوامر الدرعية إلى عبد الوهاب أبو قطرة أمير الملع وعسير ونواحي

(١) المرجع نفسه ، ص ٢٤٩ .

(٢) Burkhardt, Notes on Bedouins and Wahaby, p. 322.

(٣) أحمد السباعي ، المرجع السابق ، ص ٢٤٩ .

All Bey, vol. 2 p. 135.

(٤) صلاح الدين المختار ، تاريخ المملكة العربية السعودية ، ج ١ ، ص ٨٩ .

تهامة بأن يسير إلى جدة ليكون قائداً عاماً للجيش السعدي التي أعدت
لحرب الشريف غالب ، وتمكنت القوات السعدية من هزيمة قوات الشريف
غالب ووصلت قوات الدرعية التقدم صوب مكة ومحاصرتها وأصبحت الطرق
المؤدية إليها من جميع الجهات مسدودة مما كان له تأثير سيء على الحالة الاقتصادية
في مكة وعم الجوع واشتد الفناء ففضل معظم السكان الهروب والالتجاء إلى
الجيش السعدي حتى إن كثيراً من الأشراف دخل في طاعة آل سعود ولم يعد
يوجد في مكة القوة الكافية للدفاع عنها « حتى شوهه الصف الأول في المسجد
لا يكامل من المصلين في أوقات الصلاة »^(١) وأدرك الشريف أنه لم يعد في
إمكانه الوقوف أمام قوة الدرعية فأرسل يطلب الصلح وقبل أن يبت في إمارته
تاباً للدرعية متفذاً لتنظيمها وتم الصلح بين الطرفين^(٢) . وعلى أثره دخلت
القوات السعدية مكة وفتحت الطرق المؤدية إليها وراجت حالتها الاقتصادية .

ورغم أن الشريف غالب أصبح أميراً سعودياً إلا أن أموراً بدت منه
جعلت الدرعية تشك في نواياه وترتاب في إخلاصه ومن بين هذه الأمور :

أولاً : أبقى بعض الجنود من الترك والمغاربة وغيرهم من الخارج وأظهر أن
باشا الحاج عبد الله العظم هو الذي رتبهم بأمر الدولة العلية .

ثانياً : قيام الشريف غالب بتحصين جدة بالبناء وإحاطتها بحندق ومنعه
النجديين من دخولها . وبقائه بها معظم أيامه^(٣) .

أثارت هذه الأعمال تساؤل الدرعية . لماذا إبقاء جند الترك ؟ ولماذا تحصين
جدة وبقاء الشريف بها معظم الأيام وهي ميناء بحري ؟ مع أن مركز إمارته هي
مكة لا جدة ؟ لا بد أن في الأمر شيئاً يضره الشريف غالب . ومن الأهمية أن

(١) أحمد السباعي ، تاريخ مكة ، ص ٣٥١ .

(٢) المرجع نفسه ، ص ٣٥١ .

(٣) عثمان بن بصر ، عنوان المجد ، ج ١ ، ص ١٣٤ .

نؤكد أن استيلاء القوات السعودية ١٢٢٠هـ - ١٨٠٥م^(١) على المدينة المنورة وإقامتها لمبادئ الدعوة السلفية واستيلائها على ما في الحجرة النبوية من مجوهرات . جعل مركز الشريف غالب أمام الدولة العثمانية حرجاً . وأرادت الدرعية أن تصعه أمام الأمر الواقع فصدرت أوامرها ١٢٢١هـ - ١٨٠٦م بمنع محامل الحاج التي تأتي من جهة الشام وإستانبول ومصر والعراق . ورجع عبد الله باشا المظلم بالحمل بمد أن وصل إلى حدود المدينة المنورة^(٢) . وحج الأمير سعود في نفس العام وأمر بإخراج من كان في مكة من الجنود الأتراك وكان في هذا العمل محمد من جانب آل سعود للدولة العثمانية التي كانت لها السيادة على الحرمين . وسار سعود إلى المدينة المنورة وطرد منها من يخشى منهم على نفوذ الدرعية ورتب فيها حامية سعودية . وقام بطرد القاضيين التركيين من مكة والمدينة وأعلن إنكار وجود أية سلطة روحية للخليفة العثماني على الحرمين^(٣) .

وبذلك تم الأمر لآل سعود في جميع أنحاء الحجاز وأصبحت الحاميات السعودية توجد في كل مدن هذا الإقليم ودخل الحرمان في حوزة أملاك الدولة العربية الجديدة . ورغم أن الشريف غالب قبل أن يكون أميراً سعودياً إلا أنه لم ينقطع عن دس الدسائس ضد آل سعود^(٤) . واتهمه عبد الله بن سعود فيما بعد بأنه استمر يرسل الدولة العثمانية ويُرَوِّر لها في رسائله إمضاءات الأمير سعود برسائل يوجهها إلى السلطان باسم سعود يستثيره فيها^(٥) واستمر على حاله هذه

(١) Gerald de Gaury, Arabia Phenix, p. 95.
Ali Bey, vol. 2, p. 159.

(١)

(٢) عثمان بن مشر ، المرجع السابق ، ص ١٣٧ .

Lady Anne Blunt, A Pilgrimage to Najd, V., p. 252.

(٣)

(٤) أمين الريحاني ، تاريخ نجد الحديث ، ص ٧٢ .

(٥) دار الوثائق القومية ، من عند الله سعود إلى محمد علي ، مطبعة رقم ٢٢/٤

بمحرر صورة عربية أصلية بدون تاريخ .

حتى وصول القوات المصرية التي بوصولها يبدأ دور جديد في تاريخ الحجاز والدولة السعودية .

وليس من شك في أن هناك عوامل كثيرة ساعدت آل سعود في عملية ضم الحجاز إلى أملاك دولتهم ، لا بد من مناقشتها حتى تتضح لنا الصورة كاملة .

أولاً : كراهية كثير من القبائل الحجازية لحكم الأشراف الذين كان الصراع فيما بينهم سبباً في إيجاد روح المداة بين كثير من القبائل ، وإرهاق السكان بما ليس في طاقاتهم ، بالإضافة إلى ما عرف عن الشريف غالب الذي حدث الغزو السعودي للحجاز في عهده من الشح وعدم إشراف قبائل الحجاز فيما يحصله من الأرباح الوفيرة التي تحققها له مواسم الحج . كل هذه الأسباب حدثت بمعظم القبائل الحجازية بالانضمام إلى جانب آل سعود لعلها تجد فيهم وفي حكمهم حبراً من الأشراف وحكمهم وكان هذا من أهم العوامل التي ساعدت آل سعود في ضمهم للحجاز .

ثانياً : انتشار مبادئ الدعوة السلفية بين كثير من سكان الحجاز حيث أن بعض العناصر أقبلت على اعتناق مبادئ التوحيد قبل أن يصل نفوذ آل سعود إليها ، ومهدت هذه العناصر الطريق أمام سلطان الدرعية حيث أنها أصبحت على وفاق مع آل سعود من الناحية الدينية وعند ما أتت هذه العناصر فرصة الاتصال بآل سعود فإنها سرعان ما أعلنت ولائها التام لسيطرة الدرعية .

ثالثاً : ازدياد النفوذ السعودي في عسير وتهامة وشمال اليمن كان أحد العوامل التي شجعت آل سعود على استمرار عملياتهم الحربية في الحجاز حتى تم لهم إخضاعه خاصة وأن قبائل عسير القوية أصبحت تعاضد الحركات السعودية بل وأصبح لرئيسها في الأدوار النهائية من عملية فتح الحجاز أمر قيادة الجيوش السعودية في عمليات الحجاز . بالإضافة إلى أن الحجاز أصبح في وضع المحاصر من

أن أصبحت هدير ونهامة وشمال اليمن تخضع لنفوذ الدرعية فقد أصبح النفوذ السعودي يضرب حصاراً على الحجاز من الجنوب والشرق والشمال وكان هذا من أبرز العوامل التي عجّلت بخضوع الحجاز لسلطان الدرعية .

رابعاً : موقف الدولة العثمانية الساجي من العمليات السعودية في الحجاز فهي لم تمد يد المساعدة للشريف غالب واعتمدت على ولايتها في بغداد والشام للقيام بعملية محاربة الدرعية وهدم كيائها ولم يقدر لهؤلاء الولاة النجاح في هذه المهمة التي كلّفوا بها كما سنرى في حينه .

ولم تكن ظروف الدولة نفسها تسمح لها في ذلك الوقت بتجريد جيوشها لمحاربة السعودية فقد كانت مشغولة بمصيان الانكشارية في بلغراد وثورات الصربيين في بلاد الصرب والغزو الفرنسي لمصر واعتداءات روسيا على البلاد المتاخمة وغزو الإنجليز للدردنيل^(١) ثم مصر سنة ١٢٢٢هـ - ١٨٠٧ م كل هذه المشاكل التي كانت تعيشها الدولة العثمانية جعلتها تصم آذانها عن نداءات الشريف غالب ، مما أتاح الفرصة أمام القوات السعودية أن تنجح في النهاية في ضم الحجاز لسلطانها .

خامساً : ومن الأهمية أن نؤكد أن السياسة التي اتبعها الشريف غالب نفسه في محاربة آل سعود كانت أحد الأسباب التي ساعدتهم في نجاحهم على إخضاع الحجاز لنفوذهم فهو يحاربهم نارة ويهادنهم نارة أخرى مما كان يتيح لهم فرصة إعداد قوتهم إعداداً أكثر قوة وقدرة بالإضافة إلى أن سياسته إزاء القبائل كانت سبباً في تنفير معظم هذه القبائل منه فأعلنت خروجها على طاعته وانضمت إلى جانب الدرعية حتى إن وزيره وقائده قام بمثل هذا العمل كما رأينا سابقاً وليس من شك في أن ذلك أضعف من جانب الشريف غالب في الوقت الذي وصلت فيه قوة آل سعود إلى درجة كبيرة وأصبحت قوتهم القوة الوحيدة

(١) أحمد السباعي ، تاريخ مكة ، ص ٣٥٠ .

القادرة على التحرك على أرض الجزيرة العربية في ذلك الوقت . تلك في رأينا أهم العوامل التي مكنت آل سعود من النجاح في ضم الحجاز إلى أملاك دولتهم ، ولقد ترتب على نجاح آل سعود في إخضاع الحجاز لسلطانهم وإشراف دولتهم على إدارة الحرمين الشريفين نتائج خطيرة كانت ذات أهمية كبيرة في تاريخ دولتهم بل وفي التاريخ العربي الحديث ومن أهم هذه النتائج :

أولاً : انقطاع وصول قوافل الحج من مصر والشام والعراق وإستانبول لأن السعوديين كانوا يرون فيما يصحب هذه القوافل من المظاهر ما يخالف قواعد الدين ولا يتفق مع مبادئ الدعوة السلفية بالإضافة إلى أن هذه القوافل كان يصحبها قوة عسكرية خشي منها آل سعود ولذلك لم يسمح السعوديون لهذه القوافل بأن تصل إلى الأماكن المقدسة . مما كلف أهل الحجاز كثيراً من الخسائر المادية علاوة على انقطاع المساعدات التي كانت تصل إليهم من الأوقاف في الولايات العثمانية^(١) . وليس من شك في أنه كان لهذا التصرف الذي قام به السعوديون بإزاء قوافل الحج الإسلامية أثر سيء في العالم الإسلامي الذي أزعجه استيلاء السعوديين على الحرمين الشريفين .

ثانياً : ترتب على استيلاء السعوديين على الحجاز وخضوع الحرمين لسلطان الدرعية أن شمرت الدولة العثمانية بخطورة حركة آل سعود . ورأت في خروج الحرمين الشريفين عن دائرة نفوذها صفة قوية موجبة لها حيث أن ذلك يفقدها الزمامة التي تتمتع بها على العالم الإسلامي بحكم إشرافها على هذين الحرمين اللذين حرص خلفاؤها على تلقيب أنفسهم بلقب خادم الحرمين الشريفين^(٢) . ولذا بدأت تهتم اهتماماً جدياً بأمر القضاء على نفوذ آل سعود

(١) دكتور صلاح الضاد ، دعوة حركات الإصلاح السلي ، المجلد التاريخي ج ٧ ص ٩٨ .

R. Bayly Winder, Saudi Arabia, in 19 Century, p. 7. (٢)

وإرجاع الأماكن المقدسة إلى حوزتها وإن لم تحدد جيوشها المباشرة لهذا العمل وإنما اعتمدت في ذلك على ولائها في العراق والشام وأخيراً مصر.

ثالثاً . توتب أيضاً على خضوع الحجاز لسلطان الدرعية أن أصبحت أملاً كما تمتد من الخليج العربي شرقاً إلى البحر الأحمر غرباً ، وزادت بالتالي وارداتها الاقتصادية مما جعلها تنطلق إلى ما وراء حدود شبه الجزيرة العربية أي إلى العراق والشام كما سنرى ، وقد قدر دخل آل سعود من الحجاز بمائتي ألف ريال سنوياً .

وليس من شك في أن هذا المبلغ يعتبر بمقياس العصر مباهماً ضخماً ، وعلى كل فإن مجاح آل سعود في ضم الحجاز لنفوذهم كان له أثر اقتصادي كبير بالإضافة إلى آثاره الدينية والسياسية . ولا يمكن بحسب أن نذكر أن الحجاز في النهاية كان هو العنصر الأول التي تخطمت عليها قوة الدرعية . بل إننا لا نقالي في شيء إذا ذكرنا أن نجاح آل سعود في ضم الحجاز إلى أملاكهم وإثرائهم على إدارة الحرمين وإن كان ذلك لفترة قصيرة إلا أنه كان المسار الأول الذي دق في نعش الدولة السعودية الأولى وقادها إلى سبيل انهيارها فقد به إلى خطورتها وأوحى بأهمية القضاء عليها سريعاً كما سنرى ذلك في حينه .

الفصل السابع

آل سعود واليمن

- ١ — تمهيد
- ٢ — آل سعود والخلاف السلطاني
- ٣ — الشريف حمود وآل سعود
- ٤ — الشريف حمود يضم أجزاء من اليمن باسم آل سعود
- ٥ — الشريف حمود يسمى للانفصال عن إمارة عبد الوهاب
- ٦ — الشريف حمود يعلن انشقاقه عن الدرعية
- ٧ — القوات السعودية تحارب حمود
- ٨ — نتائج التدخل السعودي في اليمن

فصل السابع

آل سعود واليمن

محمّد :

إن دراسة العلاقة بين آل سعود واليمن ، توجب منذ البداية أن نضع في الاعتبار عدة عوامل دفعت آل سعود وشجعهم على التدخل في شئون اليمن ، والعمل على ضمه إلى أملاك دولهم ، في أثناء توسعهم داخل أراضي شبه الجزيرة العربية ومن بين هذه العوامل :

أولاً : ازدياد قوة آل سعود بصورة سريعة ومتلاحقة فقد نجحوا في ضم معظم مناطق شرقي الجزيرة ، وقضوا على معظم الكيانات السياسية الصغيرة التي كانت توجد بهذه المناطق ، وأضعفوا البقية الباقية منها ودخلوا معها في صراع مرير حتى أصبحوا القوة الأولى في الجزيرة ، وأما عن الجبهة الغربية من جزيرة العرب فإنه في الوقت الذي بدأت قواتهم تدخل فيه حدود اليمن ، كانوا قد نجحوا أو كادوا في إخضاع الحجاز كلية إلى سيطرتهم المباشرة ، ولكن من المؤكد أن قوتهم أصبحت تطل على البحر الأحمر وأصبح الحرمان الشريفان تحت سيطرتهم ، وترتب على هذا أن غدت الدولة السعودية الأولى تشكل أعظم قوة سياسية وحربية على أرض جزيرة العرب ، فأغرى ذلك الدجّاح آل سعود في العمل على ضم اليمن إلى حوزة أملاكهم ، حتى يمدوا إلى الجزيرة العربية وحدتها الأولى . ومما شجعهم على التفكير في ذلك العمل ما كان لليمن من أهمية اقتصادية كبيرة في ذلك الوقت نظراً لما كانت تعمر به موانئه من أنواع التجارات التي يأتي بها إليه التجار الهنود وغيرهم^(١) .

ثانياً : أدرك آل سعود وضع اليمن السياسى فى ذلك الوقت وما حل بأئمة صنعاء الزيدىين من ضعف نتيجة للصراع والتنافس بين مشايخ القبائل والأئمة من جهة ، وبين القبائل اليمنية فيما بينهما من جهة أخرى . وأدى ذلك بدوره إلى استمرار الحروب المحلية فترة طويلة أضعفت فى النهاية نفوذ أئمة صنعاء^(١) الذين استقلوا باليمن منذ ١١٠٥٤ هـ — ١٦٤٤ م عن الدولة العثمانية^(٢) .

ومما تجدر الإشارة إليه أن المذهب الزيدى ، منذ دخوله اليمن فى القرن الثالث الهجرى العاشر الميلادى ١٢٨٨ هـ — ٩٠٠ م على يد يحيى بن الحسين بن القاسم الرسمى الذى سعى بالهادى^(٣) . وقد ساعد هذا المذهب على خلق وحدة عقائدية مترابطة . إلا أن المبادئ الزيدية نفسها كانت تسمح بوجود ثغرة فى البناء السياسى للإمامة ، وصارت موضع تأويلات وتفسيرات كثيرة لخدمة أغراض شخصية^(٤) أدت فى بعض الأحيان إلى تعدد الإمامات وانقسام الدولة نفسها ، بالإضافة إلى الكراهية الشديدة التى أوجدتها بين سكان تهامة الشوافع وبين أتباع المذهب الزيدى سكان المرتفعات^(٥) .

هذه التناقضات التى وجدت فى داخل اليمن ، بجانب تشكيله القبلى ، أدت إلى ضعف قواه فى الوقت الذى أخذت فيه تشكيلات الدرعية السياسية والحربية تأخذ سبيلها إلى القوة والازدهار .

وشجع ضعف أئمة صنعاء وعدم سيطرتهم سيطرة تامة على مقدرات البلاد إلى استقلال كثير من مناطق اليمن وانفراد شيوخ القبائل والأمراء المحليين

(١) دكتور السيد مصطفى سالم ، تكوين اليمن ، ص ٢٠ .

(٢) د . أحمد فخرى ، اليمن ماضيها وحاضرها ، ص ١٥٤ — ١٥٥ .

(٣) عمارة اليمن ، تاريخ اليمن ، ص ١٣٥ — ١٣٦ .

R H Kiernan, L'exploration de l'Arabie, pp. 76-77

(٤) دكتور السيد مصطفى سالم ، تكوين اليمن الحديث ، ص ١٩ .

H. St. Philby, Saudi Arabia, p. 107.

(٥)

بالسلطة دون إمام صنعاء ، واستمرت هذه الظاهرة طوال القرن الثامن عشر ،
أى صاحبت فترة قيام الدولة السودية ونوسعها . فقد أعلن شريف أبو عريش
(جازان حالياً) استقلاله بتهامة اليمن : بعد أن كانت أسرته تحكم الخلاف
السلطاني تحت إشراف الأئمة الزيديين منذ ١١٠٢ هـ - ١٦٩٠ م^(١) . كما أن
حاكم لحج أعلن استقلاله سنة ١١٤٥ هـ - ١٧٣٢ م^(٢) ، واستولى على عدن
وضمها إليه ، وتكررت هذه الظاهرة في كثير من المناطق اليمنية الأخرى .

وستطعم أن تؤكد أن نفوذ أئمة صنعاء قد وصل إلى درجة كبيرة من
الضعف في الربع الأخير من القرن الثامن عشر أى منذ أن ولى أمر الإمامة
النصور على بن المباس ١٢٢٤ هـ - ١٨٠٩ م^(٣) . فقد ذكر المصادر أن عصره كان
عصر تطلب أمراء النواحي والأطراف^(٤) . وبضعفت الشيخ عبد الواسع بن
يحيى المؤرخ اليمني عنه من سياسته فيقول : « سلك سلك الملوك وجعل له
ثلاثة وزراء وولاهم جميع الأمور ، ولم يشغل بشيء من أمور مملكته إلا
بالمساير والإصلاحات في صنعاء وحولها من المحلات المشهورة وكان من دأبه
الاحتجاب والميل إلى مجالسة النساء من الحراير الإماء . وكان من دأبه الكرم
والصباغة والتفقد للأرامل وذوى الحاجات واستمرت إمارته في سعادة وإقبال
إلى ١٢١٦ هـ - ١٨٠١ م ثم تلاشت عليه الأمور بخروج النهايم وثمورها إلى
الخوارج (السوديين) . ومن نجد قامت الفتنة وعظمت الحنة بقيام عبد العزيز
وولده سعود . . . فخرجوا على تهامة وغلبوا الأشراف وكثر منهم النهب والقتل
وقطع الطرق ، وحوصرت صنعاء ١٢٢٣ هـ - ١٨٠٨ م محاصرة شديدة وكاد

(١) محمد بن أحمد عيسى ، من تاريخ الخلاف ، ج ١ ، ص ٤٠١ .

(٢) Hagarth, Arabia, p. 90.

(٣) عبد الواسع بن يحيى ، تاريخ اليمن ، ص ٦٠ .

(٤) محمد بن يحيى الحسني ، بل الوطر من راحم رجال اليمن في القرن الثالث عشر ،

ج ١ ، ص ١٤١ .

١٠ - الدولة السودية الأولى

أن يملك أهل صنعاء^(١).

وهكذا نجد أنه في الوقت الذي بدأ آل سعود يتدخلون فيه في شئون اليمن كان نفوذ الإمام اليمن قد تقلص كثيراً وأصبح قاصراً على منطقة صنعاء وما حولها ولم يعد الإمام يهتم إلا بهذه المناطق. وترك بقية بلاده لسيطرة الأمراء المحليين وشيوخ القبائل. وأصبح الوضع السياسي في اليمن مفككاً بصورة شجعت آل سعود على التدخل في شئون اليمن^(٢). أملاً في إضافة مكاسب سياسية واقتصادية جديدة إلى ما حصلت عليه من قبل. ويجب ألا ننفل أن السياسة البريطانية آنذاك كانت تسمى إلى بسط سيطرتها على موانئ البحر الأحمر لتأمين مواصلاتها وتجارتها مع الشرق في ذلك الوقت واتخذت من الحملة الفرنسية على مصر وسوريا ذريعة لذلك، فأسرعت باحتلال جزيرة يريم عند باب المندب جنوب البحر الأحمر ولصموبة التموين في هذه الجزيرة وطبيعتها الصخرية، نقلت الحامية البريطانية مركز تموينها إلى ثغر عدن بالاتفاق مع سلطان لحج الذي وقع مع المبعوث البريطاني السير بوبهام اتفاقية حول هذا الموضوع، مما حدا بأحد اللوردات ويدعى فانسيا بالقول بأن عدن ستكون جبل طارق الشرق^(٣) ولا شك أنه كان لسيطرة الإنجليز على مدخل البحر الأحمر ومحاولاتهم احتلال ثغور اليمن تأثير كبير على وضع اليمن الاقتصادي السياسي آنذاك.

ثالثاً : من بين العوامل التي شجعت آل سعود على التدخل في اليمن إدراكهم وجود تماطف بين بعض علماء اليمن وبين المبادئ التي دعا إليها الشيخ محمد بن عبد الوهاب. وصل إلى حد الإعجاب والإيمان بهذه المبادئ منذ فترة

(١) عبد الواسع بن يحيى ، تاريخ اليمن ، ص ٦٠ .

(٢) Playfair, R.L., A History of Arabia, pp. 127-128.

(٣) دكتور محمد أحمد أبيس ؛ دكتور السيد رحب حراز ، الشرق العربي في التاريخ

الحديث والمعاصر ، ص ١٠٢ .

مبكرة من تاريخ الدعوة . ولم يقف هذا التعاطف عند حد الإعجاب بمبادئ الدعوة ، وإنما تعداه إلى الإشادة بجهود آل سعود الحربية في سبيل نشر هذه المبادئ . وأعلن هؤلاء العلماء تأييدهم لكل جهود الدرعية في هذا الميدان .

وكان أول من أبدى هذا التعاطف أحد علماء صنعاء نفسها الشيخ محمد ابن اسماعيل الصنعائي فقد أرسل إلى الشيخ محمد بن عبد الوهاب قصيدة طويلة أظهر فيها إعجابه وأثنى على الشيخ لقيامه بالدعوة إلى التوحيد وإقامة شرائع الإسلام فقال :

سلامي على نجد ومن حل في نجد	وإن كان تسليمي على البعد لا يجدي
سرت من أسير ينشد للريح إن سرت	ألا يا صبا نجد متى هجت من نجد
قفي واسألني من عالم حل سوحها	به يهتدي من ضل عن منهج الرشيد
وقد جاءت الأخبار عنه بأنه	يعيد لنا الشرع الشريف بما يبيد
لقد سرني ما جاءني من طريقه	وكنت أرى هذى الطريقة لي وحدي
خيريه أهل الرفض بالنصب فربة	ويرميه أهل القصب بالرفض والجحد
وليس له ذنب سوى أنه أتى	بتحكيم قول الله في الحل والعقد ^(١)

وكان لوفاة الشيخ محمد بن عبد الوهاب أثر عميق في نفوس هؤلاء العلماء حتى أن العلامة محمد بن علي الشوكاني الزبيدي رثاه بقصيدة طويلة وبعد أن عزى آله . أشاد في نفس القصيدة بآل سعود وجهودهم في سبيل نشر الدعوة فقال :

مصاب ذابت حشاشة مهجتي	وعن حملة قد كل متنى وكاهلي
فقد مات طود العلم قطب رحي الملا	ومركز ادوار الفحول الأفاضل
أفق يا معيب الشيخ ماذا تعيبه	لقد عبت حقاً وارتملت بباطل

(١) محمد حامد الفقي ، أثر الدعوة الوهابية ، ص ٧٣ - ٧٤ .

أفيقوا أفيقوا إنه ليس داعياً إلى دين أباء له وقبائل
دعا لكتاب الله والسنة التي أتانا بها طه النبي خير قائل.

وبعد أن عزى آل الشيخ في مصابهم قال في آل سعود :

وأضافها للمقرنين كلهم هداة الوري من محتدى فرع وائل
م الناس أهل البأس يعرف فضلهم جميع بني الدنيا فما للمجادل
قد جاهدوا في الله حق جهاده إلى أن أقاموا بالظلي كل مائل
لقد نصرنا دين الإله وحزبه كادافعوا داعي الهوى بالقنابل^(١)

ووجود هذا التعاطف بين علماء اليمن والدعوة السلفية وآل سعود في
وقت لم يكن فيه نفوذ الدرعية قد وصل بعد إلى حدود اليمن ، ولم يكن الأمر
قد استقام لها في نجد نفسها يؤكد حقيقتين هامتين : أولاً ، أن بعض علماء
اليمن ومن بينهم علماء صنعاء نفسها أصبحوا في شبه ثورة على الأحوال السائدة
في بلادهم ، ولم تعد نفوسهم راضية عن نظام الإمامة والجلود الذي أصبحت
يعيش فيه ، ولذا كانت تنهوا إلى الإصلاح الذي يشد من أزرم في معارضتهم.
تلامذة حتى ولو آتى هذا الإصلاح من خارج حدود اليمن .

أما الحقيقة الثانية، فهي تأكيد ما وصلنا إليه سابقاً من أن انتشار مبادئ
الدعوة السلفية كان دائماً سابقاً لانتشار نفوذ آل سعود السياسي بل إن سبق
الدعوة إلى كثير من المناطق كان من العوامل التي دفعت آل سعود إلى هذه
المناطق وشجعهم على غزوها ومهدت لهم السبل إليها .

وبالإضافة إلى هذه العوامل يجب ألا ننقل أن الدرعية كانت تريد أن
تخطم قوة قبائل نجران اليمنية التي قامت ضدها بدور عدائي طوال فترة توحيدها
لإقليم نجد وحمل أفراد هذه القبائل كجنود مرتزقة ضدها . وأصاب عبياتهم

(١) محمد حامد الفني ، المرجع السابق ، ص ٢٨ .

العجاج في بعض الأحيان ولم يكن من السهل على آل سعود أن ينسوا الهزيمة التي أنزلها حسن بن هبة الله المكرمي بقواتهم في عهد الأمير محمد بن سعود^(١) ١١٧٨ هـ - ١٧٦٥ م وكاد أن يحطم الدرعية ويقضي على قوتها آنذاك لولا السياسة الحكيمة التي اتبناها الأمير محمد بن سعود والشيخ محمد بن عبد الوهاب في ذلك الوقت ، واستطاعا عن طريقها صد هذا الخطر وإبعاده عن منطقتهم^(٢) . ولم تكن هذه المحاولة نهاية المطاف في أعمال قبائل نجران العدائية . ضد آل سعود وإنما أمد هؤلاء يد العون لكثير من مدن نجد التي كانت تعارض نفوذ الدرعية . ووصل الأمر بحسن بن هبة الله المكرمي زعيم قبائل نجران في بعض الأحيان أن عقد اتفاقاً مع سعدون بن عريمر صاحب الأحساء ضد الدرعية بهدف تحطيمها وإن نجح آل سعود في القضاء على هذا الاتفاق كما سبق أن أوضحنا ذلك ولم يتمكنوا قوات الحلف من الاجتماع خضرم وباء الاتفاق بالمثل .

ولقد كانت هجمات قبائل نجران تهديداً مباشراً للدرعية في مراحل نمو نفوذها الأولى . حتى إن الأمير محمد بن سعود توفي ١١٧٩ هـ - ١٧٦٥ م وهو يخشى جانب قبائل نجران وخاصة قبائل يام للشهورة بوحشيتها وشدة ضراوتها على دولته الوليدة .

واستمرت عمليات هذه القبائل العدائية ضد نفوذ الدرعية حتى نهاية القرن الثامن عشر . ولابد أن الدرعية حينما وصلت قوتها إلى الدرجة التي أصبحت عليها في مطلع القرن التاسع عشر . فكرت في تحطيم قوة قبائل نجران وكان هذا التفكير من بين العوامل التي دفعتها إلى توجيه قوتها حبوب اليمن .

(١) حسين بن همام ، تاريخ نجد ، ص ١٢٠ - ١٢١ .

(٢) المرجع نفسه ، ص ١٢١ .

وإذا كنا بصدد دراسة علاقة آل سعود باليمن بشيء من الدقة والعمق فيجب علينا أن نعرض أولاً بإيجاز لامداد نفوذهم إلى عسير وتهامة حيث أنه من هذه المنطقة بدأ انطلاق النفوذ السعودي إلى شمال اليمن وبالتالي هدد كثيراً من مناطقه .

ويجب أن نشير إلى أننا لم نجد في المصادر المعاصرة تحديداً معيناً للعاريخ إمتداد النفوذ السعودي إلى منطقة عسير . إلا أن هناك دلائل تشير إلى نسبه لهذه المنطقة منذ نهاية القرن الثامن عشر عن طريق انتشار المبادئ السلفية بين بعض قبائل هذه المنطقة . فقد كان النفوذ السعودي في تلك الآونة قد وصل إلى مناطق بيشة ورنية والدوامر في جنوب الحجاز وهي المناطق التي تتاخم منطقة عسير .

وبعد أن انتشرت مبادئ الدعوة بين بعض قبائل عسير وأصبحت تؤيد عمليات آل سعود . وصل وفد من عسير إلى الدرعية وطلب من الأمير سعود أن يرسل معه بعض علماء الدعوة لتعليم أهل عسير أمور الدين أصولاً وفروعاً^(١) . ورحبت سلطات الدرعية بطلب وفد قبائل عسير ورأت فيه كسباً جديداً لها . واختارت بعض علمائها للذهاب مع وفد عسير إلى دياره .

وترتب على وصول علماء الدرعية إلى عسير حدوث انشقاق بين قبائل المنطقة فإن بعض القبائل كانت تعارض انتشار المبادئ السلفية ونفوذ آل سعود في مناطقها ويذكر صاحب لمع الشهاب أن « قبائل عسير تقانات والظفر يقع من جانب القوم الذين تابعوا سعود . فازدادوا اعتقاداً كلما رأوا النصر ، حتى إن البقية من عسير دخلوا في الطاعة لسعود بغير حرب منه »^(٢) .

(١) لمع الشهاب ، (تحقيق أبو حاكمة) ، ص ١٣٤ .

(٢) نفسه ، ص ١٣٤ .

وليس من شك في أن دخول قبائل عسير القوية في طاعة آل سعود شد من أزر الدرعية فإن قوة هذه القبائل لعبت دوراً هاماً في نجاح العمليات العسكرية السعودية في الحجاز وبالتالي شجعتهم على توجيه عملياتهم ضد مناطق اليمن الشمالية . وخاصة المخلاف السليمانى . وكانت مبادئ الدعوة السلفية قد تسربت إلى بعض مناطق المخلاف وأصبح لها دعاء فيها . وهكذا أصبحت الظروف مهيأة أمام آل سعود للتدخل في اليمن . وكانت منطقة المخلاف السليمانى هى المنطقة الأولى التى وصلت إليها السرايا السعودية .

آل سعود والمخوف السليمانى :

وكلمة المخلاف تقابل المقاطعة . ووصفها بالسليمانى ترجع إلى نسبتها إلى سايان بن طريف أحد ولاة المنطقة في القرن الرابع الهجرى . وهذه المنطقة لها شهرة زراعية حتى إن الخبراء الزراعيين في الوقت الحاضر أطلقوا عليها « سلة خبز المملكة السعودية » هذا بالإضافة إلى غناها بالثروة الحيوانية ^(١) .

وقد وصلت مبادئ الدعوة السلفية إلى قبائل بنى شعبة في المخلاف السليمانى عن طريق قبائل عسير ، وتقيت نجاحاً كبيراً بين هذه القبائل ، وكان لنجاحها أثر كبير على حياة السكان وبهرت مبادئ الدعوة الشيخ أحمد بن حسين الفلقى من أهل صيبا . فذهب إلى الدرعية نفسها ليتلقى مبادئ الدعوة ويتصل بآل سعود مباشرة . وفي الدرعية لقي ترحيباً من قبل الأمير عبد العزيز ابن محمد بن سعود . وطلب من الأمير أن يندبه من قبل الدرعية لنشر مبادئ الدعوة في المخلاف . فأجابه الأمير عبد العزيز إلى طلبه وزوده بكتاب منه موجه إلى أهل المخلاف محتوياً على إيضاح لمبادئ الدعوة وأهدافها واتخذ الفلقى من هذا الكتاب وثيقة يعرضها على القبائل عند وصوله أرض المخلاف . أصبح

(١) محمد بن أحمد عيسى ، المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٣٠ — ٤٦ .

الفلقى مندوباً سعودياً واستقر به المقام في وادي يثش عند قبائل الجعافرة^(١).

ومما تجدر الإشارة إليه أن الفلقى جلب معه من الدرعية مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأخذ يقوم بتدريسها بين أتباعه وقام بمهمة الوعظ والإرشاد في المنطقة حتى سرت مبادئ الدعوة بين كثير من القبائل المجاورة وانتشرت في كثير من قرى المنطقة^(٢).

ترتب على جهود الفلقى أن كثيراً من القرى التي كانت تابعة لأمير صبيا اعتنقت مبادئ الدعوة ورأى سكانها أنه يجب عليهم التحلل من سلطة أمير صبيا لأنهم رأوا أنه لا يحق لمن لم يعتقد مبادئ الدعوة أن يكون له عليهم سلطاناً. وتذكر المصادر أن أهل مدينة صبيا بدأوا يتصلون بالفلقى ويعربون له عن رغبتهم في الدخول في سلك الدعوة^(٣).

وليس من شك في أن هذا التصرف من قبل سكان صبيا كان له خطورته على أمراء الخلاف الحليين، كما يفسر حقيقة أخرى لها أهميتها وهي أن النجاح السريع الذي لقيته الدعوة بين سكان المنطقة حاضرم وباديههم ساعد عليه كراهية هؤلاء السكان لأمرائهم، نتيجة لإرهابهم بالضرائب وللنزاع المستمر بين حكام الخلاف على السلطة. وترتب على ازدياد انتشار الدعوة، أن أصبح السكان يرغبون في الخضوع إلى الدرعية قبل وصول قواتها إليهم.

ذاع أمر الدعوة حتى وصل إلى قبائل شهران في جنوب الخلاف ورغب هرار بن شار الشعبي من قبيلة بني شعبة في اعتناق مبادئها. فأتصل بأمير يشه السعودي وعاهده على القيام بنشر هذه المبادئ في قبائل بني شعبة^(٤). وهذا

(١) محمد بن أحمد عيسى العقيل، من تاريخ الخلاف السلياني، ص ٤٨٣ - ٤٨٤.

(٢) نفسه، ص ٤٨٤.

(٣) نفسه، ص ٤٨٤.

(٤) المرجع نفسه، ص ٤٨٤.

يؤيد ما ذكرناه سابقاً من أن انتشار النفوذ السعودي في ييشه كان له أثر كبير على إمتداد هذا النفوذ إلى مناطق اليمن .

أصبح عرار بن شار أحد دعاة الدرعية في قبائل بني شعبة اليمنية ، ولم تكن المهمة التي تكفل عرار القيام بها سهلة أو هينة ، فقد وجد معارضة شديدة من بعض القبائل فاتصل بالدرعية وأوضح لها حقيقة الموقف الذي يواجهه . فأصدرت سلطات الدرعية أوامرها إلى القائد حزام بن عامر المعجماني بالتحرك إلى الجنوب على رأس سرية سعودية للوقوف بجانب عرار^(١) .

وكانت سرية حزام أول قوة سعودية حقيقية تدخل حدود اليمن .

ووصل حزام إلى درب بني شعبة والتقى بعرار ، ونسق القائدان العمل فيما بينهما وتمكنت القوة السعودية من إرغام المعارضين على الدخول في طاعة آل سعود والخضوع لسلطان الدرعية وبذلك استقر الأمر لعرار بن شار كأمير سعودي في المنطقة الممتدة من بلاد موسى وأهل قناويني زيد وغيرهم من هل سافلة الحجاز إلى الشقيق وعتود في اليمن^(٢) .

وتمكن القائد حزام بالاتفاق مع الفلقي من توجيه ضربة قوية للخبث لأنها كانت تمثل مركز مقاومة لنفوذ آل سعود في المنطقة . وأزجحت عمليات حزام الحربية سكان القرى والبوادي التابعين للأمير منصور بن ناصر صاحب حصن صيبا وطلبوا منه أن يصلح حزام الذي هددهم في معاشهم . وفي تلك الأثناء وصل الفلقي إلى الأمير منصور يحمل إليه إنذاراً من حزام يطلب إليه الخضوع للدرعية وإلا أصبحت دياره ديار حرب وجهاد ، طبقاً لتعاليم الدعوة السلفية^(٣) .

(١) المرجع نفسه ، ص ١٨٦ .

(٢) القليل ، المرجع السابق ، ص ١٨٦ .

(٣) المرجع نفسه ، ص ١٨٧ .

وهكذا نرى أن مركز أمير صيبيا أصبح حرجاً للغاية . فأهل منطقته في شبه ثورة عليه وفي نفس الوقت أصبح واقعاً تحت تهديد القوات السعودية المباشرة . لذا قرر عرض الأمر على الأمير العام للخلاف في أبي عريش . وبعد مباحثات تقرر إرسال وفد يمثل جهات الخلاف الثلاث (أبو عريش ، ضمد ، صيبيا) ليلقى حزام في معسكره في الحجرين وبفاوضه في الأمر ووصل الوفد إلى معسكر القائد السعودي وتمكن من الاتفاق معه على أساس دخول الخلاف في طاعة آل سعود وقيام أمرائه باتباع كافة نظم الدرعية الدينية والمالية والإدارية ، فقام القائد السعودي بتوزيع السلطة في الخلاف على الوجه التالي :

أولاً : الأمير يحيى بن محمد العبداني أميراً على منطقة أبي عريش مع قيامه بأمور الدعوة فيها .

ثانياً : الأمير مذكور يقوم بالإمارة والدعوة في منطقة صيبيا عدا منطقة ييش والجافرة التي داهيتها الفلتي .

ثالثاً : يقوم شيخ الإسلام أحمد بن عبد الله الضمدي بالإشراف العام على الشؤون الدينية في جميع مناطق الخلاف ^(١) .

وهؤلاء جميعاً من الأمراء المحليين الذين أعلنوا ولائهم للدعوة ولآل سعود قام حزام بعد توزيعه الاختصاصات في الخلاف على النحو السابق بإنهاء عملياته العسكرية عائداً إلى الدرعية ليضع أمام أمرائها صورة كاملة للوقف كادرسه . والواقع أن الأمور لم تستقر في الخلاف تماماً للدرعية ، كما لم تستقر بين أمراء الخلاف أنفسهم . فليس من السهل على المجتمع القبلي أن يسلم قياده بسهولة ويخضع لنظم مشتركة دون إيجاد التمهيد الكافي لهذا الأمر .

(١) المرجع نفسه ، ص ١٨٨ .

وعلى أى حال فإنه نتيجة للصراع بين أشراف المخلاف انتهى الأمر بتنازل الأمير على بن حيدر عن إمارة المخلاف العامة لعمه الشريف حمود بن محمد الذى لقب بأبى مسار . ورجع الأمر إلى إمام صنعاء لتتم له شكلية الحكم كما هو متبع فوردت الموافقة من الإمام على إقرار الوضع الجديد فى المخلاف^(١) . وهذا التصرف من أمراء المخلاف يضمننا أمام تسأل ، لماذا طلب موافقة إمام صنعاء إذا كان أمراء المخلاف قد أعلنوا خضوعهم للدرعية ؟ إن التفسير المنطوق لهذا التصرف أن أمراء المخلاف لم يكونوا على صدق فى ولائهم لنفوذ آل سعود وتستطيع أن نصف ما حدث بينهم وبين القائد السعودى حزام بن عامر بأنه إتفاق هدنة بين طرفين متحاربين . ولا نستبعد أن وقد المخلاف قبل الاتفاق مع حزام وأقره على شروطه كسباً للوقت والاستعداد لجولة تالية تستطيع فيها قبائل المخلاف مواجهة قوات آل سعود .

ومما يجدر الإشارة إليه أن العمليات السعودية فى المخلاف التى قام بها حزام لم تحرك ساكن أمام صنعاء . ولم يقدم لأمرائه مساعدته ضد قوات الدرعية . وربما كان مرجع ذلك إلى أن :

أولاً : كان إمام اليمن يعتبر المخلاف مستقلاً عن سلطته ، حيث أن الأمر كله فى المخلاف أم بح بيد أشراف أبى عريش ، ولا شئ يعود من موارده إلى إمام اليمن ، بالإضافة إلى أن شريف أبى عريش كثيراً ما سبب الاضطراب والقلق لإمام صنعاء ، الذى لم يجد حرجاً عليه فى ترك أمراء المخلاف يواجهون ضربات السعودية منفردين .

ثانياً : لم يكن لدى إمام اليمن قوة محاربة ليدفع بها لمواجهة قوات آل سعود فى المخلاف . ودرجة الضعف التى وصل إليها إمام صنعاء لم تمكنه من السيطرة

(١) القبلى ، المرجع السابق ، ص ١٨٩ .

على القبائل اليمنية وتكوين جيش من أفرادها يكون قادراً على ردع حركات القوات السعودية في المخلاف .

وعلى أى حال فإنه بوصول الشريف حمود إلى السلطة في المخلاف تغير الوضع وأصبح على الدرعية أن تعد نفسها لمواجهة عهد جديد هناك .

الشريف حمود وآل سعود :

بوصول الشريف حمود بن محمد الملقب بأبي سمار والذي يعد من أقوى الشخصيات التي حكمت المخلاف وأبرعها وهو من نسل الشريف أحمد ابن أبي ندى إلى منصب شرافة أبي عريش ، أصبح النفوذ السياسى في المخلاف موزعاً على النحو التالى :

أولاً : من وادى ضد وجنوباً تحت سلطة الشريف حمود .

ثانياً : وادى صبيا تحت سلطة الأمير منصور بن ناصر .

ثالثاً : من صبيا شمالاً وغرباً إلى ييش تحت سلطة أحمد بن حسين الفلقى حامل الدرعية عدا قرية الملحا التي لم تخضع لنفوذ آل سعود وكانت مركزاً من مراكز المقاومة .

رابعاً : من ييش شمالاً إلى رجال ألمع تحت سلطة عرار بن شار المثل لنفوذ آل سعود في المنطقة وأحد دعاة الدعوة السلفية^(١) .

ومما تجدر الإشارة إليه أن الشريف حمود ابتداءً بعهدة بمعارضة امتداد النفوذ السعودى إلى أرض المخلاف وقام بتقديم المساعدة إلى قرية الملحا في صراعها ضد الفلقى . وفلا تمكنت قوته من هزيمة الفلقى وبذلك أصبح الشريف حمود حطراً على نفوذ الدرعية في المنطقة .

(١) الفقى ، المرحم السابق ، ص ٤٩٠ .

أدرك عرار بن شار هذا الخطر فأمر ع لائحة الفلقي ضد قوات أبي عريش
وتدخل في النزاع بين الطرفين أمير صبيا الذي نجح في عقد هدنة بينهما تنص
بعودة كل فريق إلى دياره ^(١).

وعلى إثر عقد الهدنة جدت على الموقف ظروف غيرت من صورته من
بينها نجاح عرار في إحضار منطقة السلامة السفلى لفنود الدرعية . وإعلان أمير
صبيا وهو الأمير منصور بن ناصر ابن أخى الشريف حمود قبوله لمبادئ الدعوة
والنظام السعودى وتمهده بالقيام على شر مبادئ الدعوة فى المناطق المجاورة .
وبذلك أصبحت جميع منطقة صبيا تابعة سياسياً واقتصادياً ودينياً لفنود الدرعية .

أزجحت هذه الأحداث شريف أبي عريش . فقرر القيام بعملية انتقام
واسعة ضد أتباع آل سعود فى المنطقة وأبدأ عملياته بمحاربة كل من عرار
والفلقى . وتمكن من هزيمة عرار ١٢١٦ هـ / ١٨٠١ م . ولكن لم تنجح فى
محاولة إقناع ابن أخيه الأمير منصور بالمدول من تبعية الدرعية ^(٢).

وأصبح الموقف خطيراً فى الخلاف وأدرك آل سعود هذه الخطورة
فصدرت الأوامر إلى القائدين السعوديين حزام بن طامر وزيران القحطاني
بالتحرك بقواتهما صوب الخلاف والموقف بجانب أتباع آل سعود فى المنطقة .
وصل القائدان إلى الخلاف ، واجتمعا مع كل من عرار والفاق والأمير منصور ،
على هيئة مجلس عسكري لفسيق خطة الهجوم على منطقة الشريف حمود .
واستقر رأى الجميع على مهاجمة ضمد حيث للنشاط الروحى والعلى للزيدية فى
ذلك الوقت ^(٣).

(١) انقيل ، المرجع السابق ، ص ٤٠٠ .

(٢) المرجع نفسه ، ص ٤٩٠ .

(٣) المرجع نفسه ، ص ٤٩٢ .

أدرك الشريف حمود ضخامة القوة السعودية التي كان عليه أن يواجهها ولذا أسرع يطلب من إمام صنعاء النخبة التي تعينه على مواجهة الموقف ، ولكنه كما تذكر المصادر لم يظفر منه بشيء سوى المواعيد . ويذكر صاحب لمع الشهاب أن الدرعية كانت وراء تقاعس إمام صنعاء في ذلك الوقت « كان يومئذ من جملة تدابير سعود أنه كاتب للنصور * إمام صنعاء ، وأخذ يرغبه في حرب الشريف حمود ، وبوعده بالنصرة له . وكان إمام صنعاء يحب ذلك إلا أنه خائف أن يتحرك بحرب الشريف حمود ، فيميل سعود بمسكركه على أرض اليمن ، لكن لما كتب له سعود بذلك وحلف له أنه لا يتعرض ملكه بسوء ، ثم إمام صنعاء على حرب الشريف حمود لأن الملك الذي بيده كله من تهامة اليمن ، وهو يتبع إمام صنعاء ، وإنما ملك الشرفا تهامة الحجاز » (١) .

وبحسب لا نستبعد حدوث اتصال بين إمام صنعاء والأمير سعود كما ذكر صاحب لمع الشهاب ، لأن مثل هذه الاتصالات ومحاولة إيجاد خلل في الجبهات التي كان يتعرض لها آل سعود ، كانت جزءاً من سياستهم حيال أعدائهم والواقع أنهم نجحوا في هذه السياسة إلى حد كبير . كما حدث في الأحساء والحجاز وحمان قبل اليمن . وقول صاحب لمع الشهاب يؤكد فوق ذلك وجود خلفية سياسية وراء تقاعس إمام اليمن عن مد يد المساعدة لشريف أبي عريش أوجدها الصراع على مناطق النفوذ .

وعلى أي حال فإن القوات السعودية شددت هجماتها ضد الشريف حمود . وفي نفس الوقت أصدرت الدرعية أوامرها إلى عبد الوهاب أبو نقطة وغيره من الأمراء السعوديين المجاورين للخلاف ، بالتحرك إلى منطقة الشريف حمود ، ومعاونة القوات السعودية في عملياتها الحربية هناك . وعين عبد الوهاب أبو نقطة قائداً عاماً على جميع القوات السعودية التي في الخلاف (٢) . وتمكنت

(١) حكم الإمام المنصور اليمن من ١٧٧٥ - ١٨٠٩ . محمد بن عبد الصمان ،

أصحاب المهندسين يذكر لأئمة المجددين ، صنعاء ١٣٤٣ ، ص ٢٩ ، ٨٠ .

(٢) لمع الشهاب ، ص ١٣٩ .

(٣) عثمان بن بشر ، عنوان المجدد ، ص ١٣٦ .

قوات آل سعود من القيام بعمليات حربية ناجحة ضد الشريف حمود . وأضعفت قوته . وأدرك حمود أنه لم يعد في مقدرة قواته مواجعة قوات الدرعية وأتباعها من أهل الخلاف ، كما أدرك أنه باستمراره في الأسلوب العدائي ضد آل سعود سيفقد إن أجلاً أو عاجلاً كل ماله من نفوذ . ورأى أن من الخير له أن يعلن ارتباطه بأمير الدرعية بدلاً من ارتباطه بإمام اليمن الضعيف . ولذا أعلن قرار دخوله في طاعة آل سعود كما أعلن التزامه بكافة نظم الدرعية^(١) .

بعد إعلان الشريف حمود قراره ، قام عبد الوهاب أبو نقطة بوصفه ممثلاً للدرعية في المنطقة بقتل إماراة الخلاف لحود كعامل سمودي ، انتظاراً لصدور أوامر الأمير سعود حاكم الدولة بالموافقة على ذلك .

وبنجاح القوات السعودية في إخضاع منطقة أبي عريش لنفوذ الدرعية أصبحت جميع مناطق الخلاف السلطاني تابعة لسلطان آل سعود . وأصبحت ملتزمة باتباع نظامهم بدفع ما تفرضه عليها الدرعية من ضرائب وعشور حسب نظامها المالي ، بالإضافة إلى المشاركة في العمليات السعودية الحربية حسب نظام الدولة السعودية آنذاك كما سبى ذلك في حينه . وهكذا بات الخلاف السلطاني نقطة للوثوب إلى مناطق اليمن الأخرى ، خاصة بعد أن صدرت أوامر الدرعية بالموافقة على تقليد الشريف حمود شئون الخلاف ، على أن يكون مرتبطاً في إدارته بالأمير عبد الوهاب بن عامر أمير عسير ونهامة وألمع .

الشريف حمود يضم أجزاء من اليمن باسم آل سعود :

كان الشريف حمود طموحاً . ولذا أراد أن بسط تطلعه الدرعية إلى بقية أجزاء اليمن ليوسع من دائرة نفوذه ، خاصة وأن موقف إمام اليمن معه أثناء صعوده واجهات قوات الدرعية ليس بعيداً ، وكانت هذه العوامل جميعها

(١) Harold Ingrams, The Yemen Imams and Revolutions, p. 50

معتلة في نفس الشريف حمود تدفعه إلى استقلال خصومه لسلطة آل سعود في التقدم نحو المناطق اليمنية الأخرى ، ووجدت رغبته هذه تشجيعاً من آل سعود ولذا تقدم بقواته صوب الجنوب متوغلاً في الأراضي اليمنية التي كانت تابعة لإمام صنعاء . وتمكن الشريف حمود أثناء زحفه في مناطق الإمام من أن يجذب إلى جانبه قبائل بني حسن وعيسى وقبائل بني مور^(١) . وليس من شك في أن انضمام هذه القبائل شجعه على مواصلة عملياته . كما يدل في نفس الوقت على أن بعض قبائل اليمن كانت لا تمنع في امتداد النفوذ السعودي على مناطق حماها . ولم تسكن تقيم معياراً لخضوعها لإمام صنعاء . وتمكن الشريف حمود من الاستيلاء على اللحمة^(٢) . وغنمت قواته الكثير من الأموال . كما فرض على تجارها ضرائب باهظة بحجة إرسالها إلى الدرعية^(٣) . واستمرت قوات حمود في عملياتها وتمكنت من إخضاع بيت الفقيه ١٢١٨ هـ - ١٨٠٣ م . ثم نجحت في ضم زبيد^(٤) . وهكذا نجد أن عمليات أمير أبي هريش باسم آل سعود وصلت إلى هذا الحد من بلدان اليمن . وكان حمود حريصاً على أن تكون الدرعية راضية عن عملياته في الأراضي اليمنية لتتخذ هذه العمليات صفة الجهاد ، وليؤكد لها ولاه ، كان يقوم بإرسال خمس الفنائم التي تسفل عليها قواته ، وبوافيها بالزكاة المقررة على المناطق التي أخضعها^(٥) .

وليس من شك في أن نجاح عمليات الشريف حمود يدل بصورة أكيدة على مدى الضعف الذي أصبح عليه إمام صنعاء الذي تذكر عنه المصادر أنه لم يخرج عن صنعاء لغزو^(٦) . كما يؤكد ما ذكرناه سابقاً من أن التفكك السياسي

(١) العقيل ، المرجع السابق ، ص ٤٩٦ .

(٢) عبد الله عبد الكريم الجفراي ، المقطع من تاريخ اليمن ، ص ١٩١ .

(٣) العقيل ، المرجع السابق ، ص ٤٩٧ .

(٤) عبد الله عبد الكريم الجفراي ، المرجع السابق ، ص ١٩١ .

(٥) عثمان بن بقر ، المرجع السابق ، ص ١٤٤ .

(٦) القاضي حسين بن أحمد ، بلوغ المرام في شرح مسك الختام ، ص ٧٠ .

كان أم سمات اليمين آنذاك . لذا لم تستطع مناطقه المفككة الصمود أمام القوات التي كانت تداهمها . ولا بد أن الشريف حمود كان يعلم ذلك سلفاً ، يؤكد ذلك أنه قام بقيادة السرايا السعودية التي توغلت في هذه المناطق بنفسه . ولكننا من جانب آخر نستطيع أن نؤكد أنه كان يهدف من وراء ذلك إلى مطامع شخصية أيدتها الأحداث فيما بعد . منها :

أولاً : توسيع دائرة نفوذه سياسياً مع إظهار خضوعه للدرعية حتى يحين الوقت المناسب لإعلان الإستقلال عنها .

ثانياً : كان يدرك ضخامة الكسب الاقتصادي الذي يعود عليه من وراء قيامه بمثل هذا العمل . وبالتالي يتوفر لديه المال الكافي لتوطيد سلطته وتقوية جبهته حتى يتمكن من الصمود أطول مدة عند إعلانه الانفصال عن الدرعية .

ورغم ما وصل إليه الشريف حمود من القوة والنفوذ كعامل سعودي إلا أنه كان لا يزال من الفاحية الإدارية تابعاً للأمير عبد الوهاب أبو نقطة أمير عسير وتهامة والمع وكانت هذه التبعية مصدر ضيق له .

الشريف حمود يسعى للانفصال عن إمارة أبي نقطة :

كان الشريف حمود يرى في إرتباطه إدارياً بعبد الوهاب أبو نقطة . إهداراً لمكانته بين أهل منطقته ، وإن كان في حقيقة الأمر كما تدل الأحداث أنه كان يشعر بأن هذه التبعية تقف حجر عثرة أمام طموحه وأهدافه السياسية التي بدأ يعد لها . لذا بدأ يسعى في العمل على انفصاله إدارياً عن أمير عسير فاجتمع بابن أخيه الأمير منصور بن ناصر أمير صيبا وتشاورا في ذلك الأمر . واستقر رأيهما في النهاية أن السبيل إلى ذلك هو الاتصال المباشر بالدرعية ، وإيقافها على حقيقة رغبة الشريف في أمر فصل إدارة الخلاف عن عبد الوهاب

وربطه مباشرة بإدارة الدرعية^(١) .

وتقرر لهذا الغرض إرسال وفد إلى عاصمة الدولة كون من الحسين بن خالد وأحمد بن حيدر ، والأمير منصور نفسه . وقصد الدرعية مزوداً بكثير من الهدايا^(٢) . واستقبل وفد الخلفاء في الدرعية استقبالا حسناً . وبدأ اتصاله فور وصوله مع الأمير سعود وأثناء الشيوخ محمد بن عبد الوهاب حسين وعبد الله وعلى . ونجح الوفد في مهمته وحصل على موافقة الدرعية على أن يستقر الوضع في الخلاف على النحو التالي :

١ - فصل إمارة الخلاف عن عبد الوهاب وربطها بالدرعية مباشرة .

٢ - فصل إمارة حبيبا عن عبد الوهاب وربطها إدارياً بالدرعية ، ماعدا أمر الجهاد فترتبط فيه بعبد الوهاب^(٣) .

ومن الهم أن تؤكد أن نجاح وفد الخلاف في مهمته ترتب عليه ازدياد الصراع والناقصة بين عبد الوهاب وشريف أبي عريش ، وبدأ الصراع انخاف بينهما يتحول إلى مؤامرات ودسائس . وبدأ كل منهما يعمل على أن يجذب إليه الأنصار ويحشد القوى استعداداً للوقت المناسب .

وبدأ الشريف حمود يقوم بمحاولات أخرى من شأنها إضعاف جانب عبد الوهاب فقد سعى في إيجاد الفرقة بينه وبين عرار بن شار الذي كان تابعا له^(٤) وحثه على طلب الانفصال عن إمارة عبد الوهاب ونجح فعلا في إثارة الموقف بينهما حتى اضطر الأمير عبد الوهاب إلى تجريد جيوشه على عرار الذي حاث به المزيمة وانسحب قاصداً حليفه حمود .

(١) الطيلي ، المرجع السابق ، ص ٤٩٩ .

(٢) المرجع نفسه ، ص ٤٩٩ .

(٣) المرجع نفسه ، ص ٥٠٠ .

(٤) الطيلي ، المرجع السابق ، ص ٥٠٩ .

وفي الوقت الذي كان فيه الشريف حمود يسمى إلى إضمار كفة عبد الوهاب كان يقود قواته ضد بعض المفاصل اليمنية بنفها إلى سلطانه باسم آل سعود وتمكن ١٢١٩ هـ - ١٨٠٤ م من الاستيلاء على قلعة الزيدية من صالح بن يحيى أمير الحديدة^(١) الذي وجد بدوره أن من الخير له الخضوع إلى نفوذ آل سعود . وشجعه على ذلك شعوره استخط إمام اليمن عليه وعزمه على مصادرة أمواله . وإن قيل إن الشريف غالب قد كاتب الشيخ صالح ورغب له أمر الانضمام إلى آل سعود ، واتباع مبادئ الدعوة السلفية^(٢) .

في تلك الأثناء عزم عبد الوهاب أبو نقطة عامل الدرعية على عسير على غزو إمارة الشريف حمود . وبدأ بتجهيز السفن من الشقيق لفزو اللحية ، ولكن الأمور لم تسر وفق هوى أمير عسير . فقد أقبل وفد من الدرعية يحمل أوامر إلى كل من عبد الوهاب والشريف حمود والأمير منصور بالتمول لدى الأمير سعود ليفصل في الأمر بينهم

إمتثل عبد الوهاب لرغبة الدرعية وسرح جنده ، وقصد الأمير سعود ، وفعل مثله أمير صيبا . أما الشريف حمود فقد أظهر للوفد خوفه من انتهاز إمام اليمن لفرصة غيابه وقيامه بالعمل على استرجاع البلاد الجنوبية التي استولى عليها باسم آل سعود ونشر فيها نفوذهم ، وأظهر استمداده ببعث ابنه أحمد مع عرار نيابة عنه . وقبل وفد الدرعية عذر الشريف واصطحب مندوبيه عائداً إلى الدرعية . وأيد الأمير عبد الوهاب دعواه ضد كل من حمود ومنصور بإيراد وثائق خطية صدرت منهما إلى عرار لتحريضه ضده^(٣) . ولكن رغم ذلك ، أصدر الأمير سعود حكمه بالإبقاء على عرار في الدرعية ، وإقرار الوضع

(١) العقيل ، المرجع السابق ، ص ٥٥٠ .

(٢) المرجع نفسه ، ص ٥٥٨ .

(٣) المرجع نفسه ، ص ٥٥٥ .

في المخلاف على النحو الذي سبق له أن أقره ، على أن يقوم الشريف حمود بتنفيذ الشروط التالية :

أولاً : ألا يقوم باستخدام رجال همدان إلا بعد دخولهم في الدعوة .

ثانياً : أن لا يصلح عمال إمام صنعاء ، ولا يمتد لهم هدنة وأن يعتبرهم في حالة حرب .

ثالثاً : أن يقرر لأمير حبيبا مبلغاً من خراج المحبة^(١) .

والواقع أن إصرار الدرعية على استقلال الشريف حمود إدارياً عن عبد الوهاب لم يحسم الموقف بينهما ، رغم ثقة آل سعود العامة في الأمير عبد الوهاب وإخلاصه لهم . ورغم أن الدرعية قد أوكلت إليه القيادة العامة لمعظم جيوشها التي حاربت في الحجاز واليمن ، إلا أنها على ما يبدو من تصرفها في هذا الأمر أنها لم ترد أن تركز في يده سلطة إدارية قوية . واصل هذا سياسة من الدولة خشية أن تغريه الإدارة الواسعة والسلطة فيتطلع إلى انفصاله عنها أو يخرج عن طاعتها .

والتساؤل الذي أماننا الآن هو : ما هي أسباب الصراع بين الشريف حمود والأمير عبد الوهاب وكلاهما أمير نصبه السعوديين على منطقته ؟ وهل حب الإدارة هو العامل الأول في الصراع ؟

الواقع أن المصادر نلتزم الصمت إزاء أسباب هذا الصراع ، وإن ذكرت شيئاً فإنه لا يقنع الباحث . ولكننا نستطيع أن نؤكد أن الإجابة على هذا التساؤل لها شقان هما :

أولاً — أن وراء هذا الصراع عامل سياسي .

(١) القليل ، المرحم السابق ، ص ٥٠٥ .

ثانياً - عامل اقتصادى .

فالشريف حمود الذى تولى حكم الخلاف مستقلاً ، لم يكن من السهل عليه أن يسلم بتبعيته لإدارة صارمة كإدارة عبد الوهاب أبو نقطة ، وينتقد استقلاله السياسى حقاً إنه تابع للدرعية ولكنه فى نفس الوقت لا يريد أن يشمر بتبعيته للأمير آخر . وفى نفس الوقت كان الأمير عبد الوهاب يمد بصره على أن تخضع له مناطق اليمن إدارياً ؛ لأن ذلك يعطيه نفوذاً سياسياً أوسع ويوطد مركزه ومكانته لدى الدرعية . وهكذا نجد أن الصراع السياسى كان عاملاً هاماً من عوامل الاحتكاك بين الأميرين . أما الخلفية الاقتصادية لهذا الصراع فإنها أكثر وضوحاً حيث إن المناطق التى كانت تخضع للأمير عبد الوهاب فى عسير وتهامة وألم لم تكن ذات إقتصاد قوى فى ذلك الوقت ، بل إن جزءاً كبيراً من اقتصادها كما تذكر المصادر كان يعتمد فى المرتبة الأولى على التجارات المختلفة مع مناطق اليمن^(١) . وكان عبد الوهاب يطمح فى أن تخضع لإدارته هذه المناطق اليمنية مباشرة ، وهذا يساعد على إنعاش الحالة الاقتصادية بين قبائله ويزيد من مواردها خاصة وأن موانئ اليمن آنذاك كانت عامرة بأنواع التجارة^(٢) . وإذا عرفنا أن للموارد المالية للأمراء السعوديين وأجباعهم وجندهم فى ذلك الوقت كانت تتوقف على ما يربحونه من غنائم وزكاة مع إرسال الخمس إلى الدرعية لأدركنا أن العامل الاقتصادى كان عاملاً قوياً فى إيجاد هذا الصراع ولا نستطيع أن ننفل أن الدرعية بتأكيد موقعها باستقلال كل من الأميرين عن الآخر قد أكدت هذا الصراع بينهما ، مما ألهم الشريف حمود فأخذ يعمل على تقوية جبهته وبسط نفوذه على بعض مناطق اليمن باسمها وأخذ بعد المدة لإعلان استقلاله عن نفوذ آل سعود كلية .

H. St. Philby, Saudi Arabia, p. 107.

(١)

Burkhardt, Travels in Arabia, vol. 1, pp. 312-320.
Playfair, R.L., op. cit., p. 128.

(٢)

ومن يجب أن المصادر لا تشير بأي جهد لإمام صنعاء إزاء هذا الصراع أو إزاء التحركات العسكرية التي كانت تحدث داخل أراضي إمامته حتى ذلك الوقت الذي تم فيه للشريف حمود السيطرة على كثير من المناطق التي كانت تابعة للإمام .

الشريف حمود يعلن إنشقاقه عن الدرعية :

وصلت عمليات شريف أبي عريش إلى ثغر اليمن الحديدة وتمكن من الاستيلاء عليها بعد أن قطع عنها الإمدادات ونجح في إثارة قبائل يام ضد أميرها صالح بن يحيى وأعلن أنه استولى عليهم باسم آل سعود وقام بتنفيذ مبادئ الدعوة السلفية فيها^(١) . وتمكن من إخضاع زبيد لسلطانه إخضاعاً تاماً . وبذلك وصلت حدود إمارته من زبيد جنوباً إلى الدرب شمالاً^(٢) . وأغراه ذلك بالانفصال عن الدرعية ومنذ ١٢٢٣ هـ - ١٨٠٨ م بدأ يفصح عن مقاصده في أمر الاستقلال بتهمته عن نفوذ آل سعود . وصرح لرسول الدرعية بما يفهم منه الخلاف . وأصبح بضيق بوجود ممثلين لآل سعود يشرفون على الشؤون المالية كالزكاة والغنائم في إمارته ، ويحدون من تصرفه في موارد البلاد التي خضعت له . خاصة الحديدة وبيت الفقيه وزبيد وهي من أغنى مناطق اليمن وبذكر صاحب لمع الشهاب أن الأمير سمود أرسل إلى الشريف حمود يقول له وأريد أن أرسل رسلاً مني إليك اتجعلهم ضباطاً على الحديدة وبيت الفقيه وزبيد حيث أني لا أؤمن أهلها بما يقولون به من الزكاة ، وإني قد بلغني أنهم يأخذون العشر على أموال التجار ، لا بأس ، هؤلاء التجار ، فيما يبلغنا أنهم يترددون من أطراف بلاد المشركين من الهند ونحوها ، فيجل أخذ العشر منهم ولكن العشر لإمام المسلمين يجعله بيت مال . فالحاصل أن قلبي قد داخله شك من أهل

(١) عن ابن بشر ، المرجع السابق ، ص ١٣٦ .

(٢) العقيلي ، المرجع السابق ، ص ٥١٤ .

هذه البلادين ، فهذه جماعة منا نصل إليك ، فلتعشى كل أربعة من أولئك إلى إحدى البلادين الثلاثة ، ولما عرف الشريف حمود أن مراد سعود هو التسليط التام في هذا الملك والإطلاع على حقيقة الحال منه ، أصر ذلك في نفسه إذ لا يمكنه حينئذ المخالفة ^(١) .

ونستطيع أن نقبين من هذه الرواية أمرين :

أولاً : أن الدرعية بدأت تشك في نيات تصرفات الشريف حمود ، وأخذ يداخلها الريب في مقدار الشعور التي يرسلها لها ، ولذا أرادت أن تضع عليه رقابة شديدة من لديها دون أن تصرح له بحقيقة الأمر ولما صرحت له بأن شكها منصب على أهل البلاد أنفسهم لا عليه ، حتى لا تثير مخاوفه .

ثانياً : إدراك الشريف حمود لهدف الدرعية ، وشعوره بأن هذه الرقابة التي تفرضها عليه سوف تحد من سلطته . وهذا الشعور قوى من إحساسه بضرورة الاستعداد لمواجهة مع قوات الدرعية إن آجلاً أو عاجلاً .

وأصبح جو الخلاف والتوتر يغلب على العلاقة بين الشريف حمود والدرعية وأراد الأمير سعود أن يختبر مدى ولاء حمود للدولة فأصدر أمره إليه بأن يعد جيشاً ويهاجم صنعاء ويعمل على إخضاعها للدولة ويقضى على سلطة الإمام الزيدى فيها فتعاس حمود ولم ينفذ أمر سعود دون أن يذكر سبباً لتعاسه . فأيقن الأمير سعود أن الشريف في حالة عصيان ^(٢) . وأنه لم يكن صادقاً في ولائه للحكم السعودي فأصدر أوامره إلى جميع أمراء الدولة في الحجاز واليمن بالإستعداد لحرب الشريف حمود على أن تكون القيادة العامة في يد الأمير عبد الوهاب أمير عسير . وأرسل قوة من فرسان الدرعية لتشارك في حرب حمود ^(٣) .

(١) لم الشهاب ، ص ١٣٧ .

(٢) H. St. Philby, Saudi Arabia, p. 113.

(٣) عثمان بن بشر ، المرجع السابق ، ص ١٤٤ - ١٤٤ .

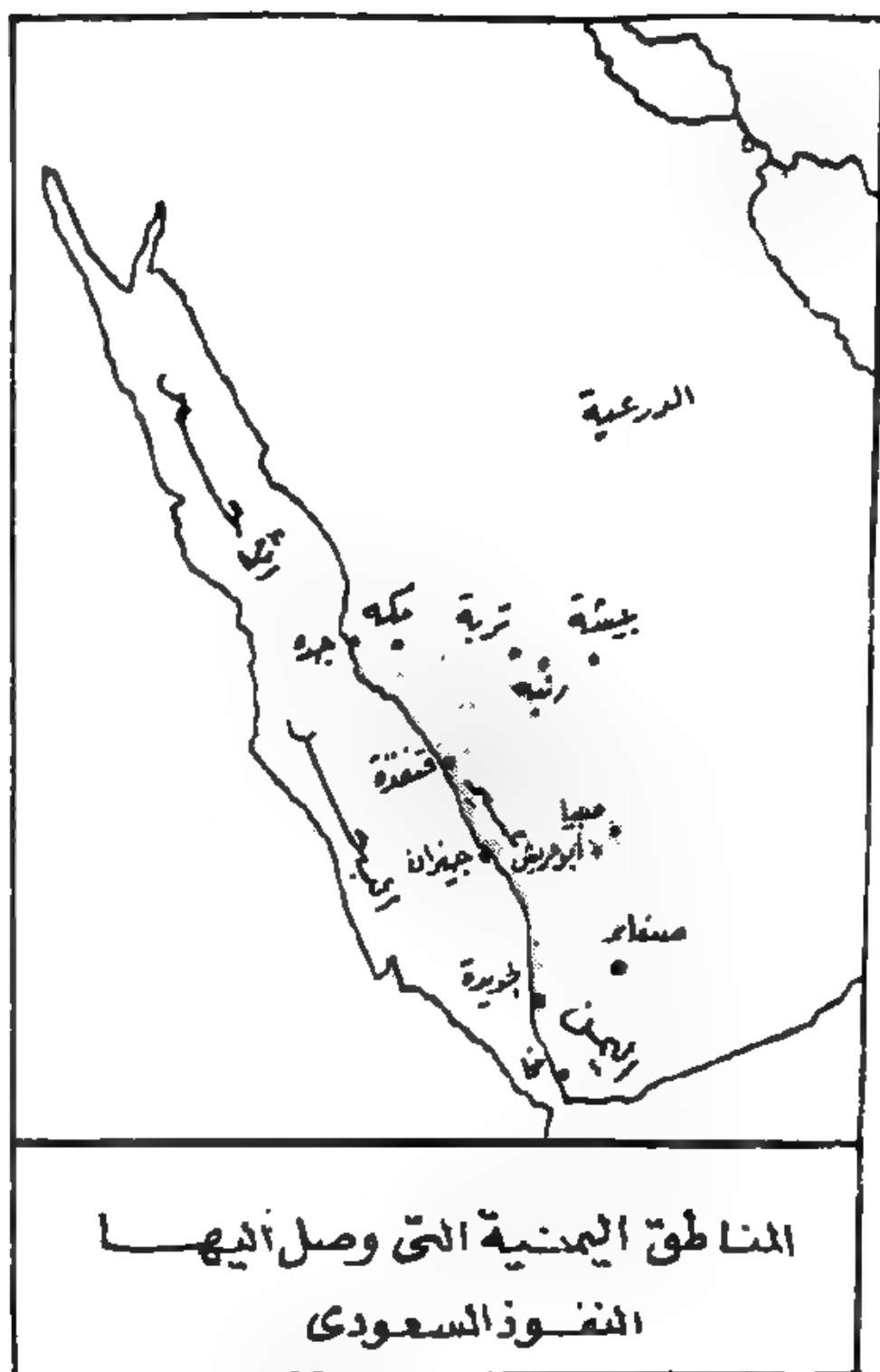
القوات السعودية لمحارب حمود :

رحب الأمير عبد الوهاب بهذه الفرصة التي أتاحها له الدرعية نفسها ، وقاد جهود الحجاز ودخل حدود الأراضي اليمنية بهدف القضاء على حمود . وكان الأخير عندما وصلته الأنباء عن استعداد آل سعود لحربه جمع جيشاً كبيراً من رجال الهضبة اليمنية ونجران وبام وقبائل حاشد وباقل (يسميها بن بشر بكيل) وحمدان ، ورتب حاميات في جميع الحصون الموجودة في منطقته ، وسار بنفسه على رأس قوة لمقاومة قوات آل سعود . والتقى مع قوات الأمير عبد الوهاب في وادي ييش ، وركزت قوة الشريف هجماتها على فرقة عبد الوهاب بالذات ، ونجحت في إنزال خسائر كبيرة بهذه الفرقة . زاد من فداحتها أن الأمير عبد الوهاب نفسه قتل في هذه المعركة ورغم انتصار الشريف على فرقة عبد الوهاب إلا أن قواته لم تستطع الصمود أمام القوات السعودية الرئيسية ؛ فأسرع حمود بالانسحاب لئلا يمحضه في أبي عريش ، فأناح الفرصة أمام قوات آل سعود للاستيلاء على حصن صيبا ، كما استولت على كثير من الفنائم من قرى هذه المنطقة .

وكان يرافق القوات السعودية البرية قوة بحرية تدير بمعاونة القوات البرية . وقامت هذه القوة البحرية بحمل ما حوته جوارك جيزان من بضائع وأمتعة وخاصة القهوة (البن) عندما نجحت القوات البرية في الاستيلاء عليها واستخلاصها من رجال حمود^(١) .

ورغم أن الشريف حمود خسر جميع المعارك التي خاضها ضد القوات السعودية إلا أنه لم يستسلم برغم قسوة الهزيمة التي أنزلها عثمان للصايف بقواته ١٢٢٥ هـ - ١٨١٠ م ولم تنه قوته وإصراره على الاستمرار في القتال ضد

(١) حمد بن بشر ، المرجع السابق ، ص ١٤٥ .



قوات آل سعود^(١) . وأصبح الوضع في نهاية في ذلك الوقت على النحو التالي :
أولاً : من صيبيا وشمالاً تحت السلطة السعودية المباشرة .
ثانياً : من أبي عريش وجنوباً إلى زبيد تحت سلطة الشريف حمود وكانت
القوات السعودية مستمرة في عملياتها العسكرية ضد هذه المنطقة .
ثالثاً : القسم الأعلى من تهامة اليمن تحت سلطة إمام صنعاء . وأصبح
مهدداً بالعمليات السعودية^(٢) .

وفي تلك الأثناء قررت الدرعية تركيز معظم قواتها في القتال الدائر ضد
حمود ، وأصدر الأمير سعود أمراً بتعيين طامي بن شعيب أميراً على تهامة
وعسير وألح خلفاً لابن عمه عبد الوهاب ، على أن يتولى طامي بنفسه قيادة
القوات السعودية التي تحارب ضد حمود ، ويعمل كل ما في جهده لتعطيل قوة
شريف أبي عريش . امتثل طامي لأمر سعود ، وقام ببعض العمليات الحربية
الساجدة التي مكنته من الاستيلاء على اللحية . وغنم ما بها من أموال وأمتعة^(٣) .
وتوالى العمليات التي كان يقودها طامي حتى تمكن من الاستيلاء على الحديدة
وهي أقصى نقطة إلى الجنوب وصل إليها النفوذ السعودي^(٤) . وبعد ذلك
أدرك حمود حرج مركزه الحربي وشعر أنه لا يستقر له أمر والعارات السعودية
متواصلة ضده . وبما زاد من هذا الحرج أن عمليات آل سعود ضد قبائل نجران
وبدر قد كُلت بالنجاح لذا أسرع حمود يستنجد بأمير صعدة أن يتوسط له لدى
سلطات الدرعية كي تغفر عنه على أساس تنازله عن صيبيا وبيش وقيامه بدفع
خارج سفوى للدرعية عن جميع ما يملكه من أبي عريش إلى زبيد^(٥) .

(١) حنان من بشر ، المرجع السابق ، ص ١٤٩ .

(٢) العقيل ، المرجع السابق ، ص ٥١٦ — ٥١٧ .

(٣) حنان بن بشر ، المرجع السابق ، ص ١٤٩ .

(٤) حنان بن بشر ، المرجع السابق ، ص ١٥٠ .

(٥) العقيل ، المرجع السابق ، ص ٥١٧ .

وقبلت الدرعية مطالب الشريف حمود . وتم الاتفاق بين الطرفين ، واستقرت الأمور في وضعها الطبيعي لآل سعود في المنطقة الممتدة من الحديدة جنوباً إلى أقصى الشمال اليمني .

وإننا لنفسأل عن موقف إمام اليمن من النفوذ السعودي الذي استقر في هذه الأجزاء اليمنية ؟

والجواب على هذا السؤال ليس بسيطاً أو سهلاً لعدم توفر المادة الكافية للإجابة عليه . ولكن ليس من شك في أن وصول النفوذ السعودي إلى الحديدة وتهديده المباشر لصنماء جعل الإمام يبذل الجهد الذي أصبح في طاقته نظراً للظروف المحيطة به آنذاك ، أو التي أحاط نفسه بها ، لمواجهة هذا الخطر ؛ فقام بإعداد قوة على قدر الإمكانيات التي توافرت لديه وحاول محاربة القوات السعودية التي بقيت في الحديدة كحامية لها وإن كانت صغيرة العدد وتمكن من إسترادها من يد القوة السعودية^(١) .

ويجب ألا ننفل أن وصول النفوذ السعودي إلى الحديدة يوضح مدى الضعف الذي وصل إليه أئمة صنماء في ذلك الوقت ، حتى إن القوات السعودية بدأت تهدد صنماء نفسها ، كما سبق أن ذكرنا .

والواقع أن التدخل السعودي في أراضي اليمن استمر حتى بدأت الدولة السعودية تدخل في دور إهيارها ، واضطر إمام اليمن أن يطلب النجدة من السلطان العثماني ومن والي مصر محمد علي باشا . فردا عليه ووعداه بالمساعدة . وفعلاتم في النهاية استخلاص تهامة اليمن من نفوذ آل سعود على يد قوات حمود على سنة ١٢٣٤ هـ - ١٨١٩ م^(٢) . كما سنرى في فصل إهيار الدولة .

(١) مهدي بن بشر ، المرجع السابق ، ص ١٣٦ .

G. Stitt, A Prince of Arabia, p. 20.

(٢)

نتائج التدخل السعودي في اليمن :

كان للتدخل السعودي في اليمن نتائج ذات أهمية كبيرة منها :

أولاً : ذبوع مبادئ الدعوة السلفية في معظم الأرجاء اليمنية^(١) . فقد حرصت الدرعية طوال فترة إمتداد نفوذها في أرض اليمن على إرسال الدعاة والقضاة وشر كتب الدعوة بين قبائل اليمن ، وأصبح لها دعاة من بين أهل البلاد أنفسهم وأمامنا النماذج حسين الفاي وعمرار بن شار وغيرهم وإن لم بقدر لنفوذ السعودي السياسي أن يتمكن من نفوس أهل اليمن ، فإن مبادئ الدعوة تمسكت من نفوس بعض اليمنيين . ولم يقض عليهما بالقضاء على نفوذ آل سعود السياسي سنة ١٢٣٤ هـ - ١٨١٩ م وظلت آثار الدعوة باقية بعد زوال نفوذ الدرعية وخاصة بين قبائل عسير وتهامة وألع .

ثانياً : إزدياد الدخل السعودي .

لا شك في أن خضوع أجزاء من اليمن لنفوذ آل سعود كان له آثار اقتصادية كبيرة فإ أصبح يصل إلى خزانة الدولة من هذه الأجزاء من زكاة وغنائم كان له أثر كبير في إزدياد دخلها . وكان دخل الدولة من أراضي اليمن حسب رواية المصادر المعاصرة يقدر بثلاثمائة ألف ريال سنوياً^(٢) . وبذكر ابن بشر أن « الذي يأخذ سعود على بندر اللعية المعروف في اليمن مائة وخمسون ألف ريال وهو لا يأخذ إلا ربع العشر ، ومن بندر الحديدة نحو ذلك »^(٣) . وهكذا نرى ضخامة ما كانت تدفعه المدن اليمنية من عشور لخزانة

Hugh Scott, In the High Yemen, pp. 13-17.

(١)

(٢) لم الفهاب ، ص ١٧٠ .

(٣) عثمان بن بشر ، المرجع السابق ، ص ١٧٣ .

الدولة ، ولا شك أن ذلك ساعدها على القيام بأعبائها والاستمرار في عملها الحربية .

وبالإضافة إلى هذه النتائج الاقتصادية والسياسية والدينية فإن اتساع حدود الدولة السعودية إلى هذا الحد وبسطها لسيطرتها على جزء كبير من الساحل الشرقى للبحر الأحمر أزعج إمام اليمن وهزم من مكائنه لدى القبائل . كما أزعج السلطات العثمانية . ومجمل في النهاية بدخول الدولة الفتية في دور إسمياري وهي في أوج ازدهارها .

الفصل السابع

تطلع آل سعود إلى العراق والشام

(١) آل سعود والعراق .

١ — تمهيد .

٢ — آل سعود والعشائر في جنوب العراق .

٣ — حملة ثويني .

٤ — حملة علي باشا .

٥ — مذبحة كربلاء .

٦ — آل سعود والعراق بعد مذبحة كربلاء .

(ب) ١ — تطلع آل سعود إلى الشام

٢ — موقف ولاية الشام .

٣ — منع آل سعود لمهاجر الحج .

٤ — سوء أحوال بلاد الشام الداخلية .

٥ — الغزو السعودي لبلاد الشام .

٦ — فشل ولاية الشام في صد آل سعود وحماية حدود بلادهم .

٧ — عزل يوسف كنج وإسناد ولاية دمشق لسيان باشا .

الفصل الثامن

تطلع آل سعود إلى العراق والشام

(١) آل سعود والعراق :

تمهيد :

بدأ تطلع آل سعود إلى العراق منذ أواخر القرن الثامن عشر ، لأن كثيراً من القبائل النجدية والأحسانية هربت من وجه القوات السعودية أثناء عملياتها الحربية في نجد والأحساء ، ولجأت إلى أطراف العراق وخاصة إلى المناطق الواقعة على الفرات ، ووجدت هذه القبائل العون من عشائر المنتفق والظفير وغيرها من العشائر العراقية التي تعيش في هذه المناطق .

ولم يقف الأمر بالعشائر العراقية عند حد حماية القبائل النجدية الهاربة فقط وإنما تعدى ذلك إلى مهاجمة الأراضي النجدية نفسها . فقد قاد ثويني بن عبد الله زعيم المنتفق ١٢٠١ هـ / ١٧٨٦ م قبائل وأهل الحجرة وأهل الزبير وبوادي شمر وغالب وطى ، وشن هجوماً على القرى الشمالية في نجد ووصل إلى منطقة القصيم واستولى على بلدة التنومة عموة « وقتل جميع أهلها إلا الشريد »^(١) وحاصر بريدة وكاد ينجح في الاستيلاء عليها ، لكن الظروف في بلاده اضطرتة إلى الرجوع إليها ورفع الحصار عن بريدة دون أن يحقق هدفه في الاستيلاء عليها . وبما أزعج تطلع آل سعود إلى العراق اختلاف المذهب . ففي العراق يكثر أهل الشيعة وتوجد به المزارات المقدسة عندهم ، وكان أتباع الدعوة يرون في المشاهد والمزارات « إحياء وتجييداً للوثنية »^(٢) . ولذا سارع الأمير عبد العزيز

(١) همان بن بشر ، عنوان المجد في تاريخ نجد ، ج ١ ، ص ٨١ .

H. E. Philby, Saudi Arabia, p. 93.

(٢)

ابن محمد بن سعود بإرسال رسالة إلى سليمان باشا الكبير وإلى بغداد مصحوة بنسخة من كتاب الشيخ محمد بن عبد الوهاب « كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد » وطلب منه أن يجمع علماء بغداد للنظر في كتاب الشيخ والإيمان بما جاء فيه ، وقام سليمان باشا بإسناد دراسة الكتاب إلى بعض علماء بغداد ، وكلف عبد الله أفندي الراوى خطيب مسجده إعداد الرد على دعوة الأمير للسعودى بعد الفراغ من دراسة الكتاب ، وأنكر علماء بغداد دعوة الشيخ وتعاليمه . وجاء في رد الراوى على دعوة الدرعية : « فبعد أن طالعناه وفهمنا لغواه وجدناه كتاباً جامعاً لشقات من السائل مشتملاً على عدة رسائل ، لكنه قد جمع فيه بين غث وسمين وقوى ووهين ووجدنا أحواله أحوال من عرف من للشرعة شطراً ولم يعم فيها نظراً ولا قرأ على أحد ممن يهتدي إلى النهج القويم ويده وبوقفه على العلوم النافعة التي هي الصراط المستقيم »^(١) .

وحدد رد بغداد هذا موقفها الرسمى من الدعوة السلفية وأنبأها وكان هؤلاء يعتبرون ديار كل من لم يعتنق مبادئ الدعوة ديار حرب خاصة وأنهم يرون في المبادئ الشيعية خروجاً على تعاليم الإسلام . فتطلع آل سعود إلى العراق لتحقيق أهدافهم السياسية والدينية وبالإضافة إلى رغبتهم فى إستيلائهم على كثير من الثروات التى توجد فى العراق وخاصة فى مزارات الشيعة ، وما تجدر الإشارة إليه أن العراق آنذاك كان أكثر رخاء من غيره من الأقطار المجاورة حتى إن « بردجز » ذكر أن العراق فى ذلك الوقت كان أكثر رخاء من بعض الممالك الأوربية وأبدى دهشته مما ذكره « بوركهارت » عن سوء أحوال العراق الاقتصادية^(٢) .

(١) سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ، كتاب التوحيد من توحيد المخلاق فى جواب أهل العراق ، ص ١٥ ، ١٦ .

(٢) H.J. Brydges, A Brief History of the Wahaby, p. 19.
J.L. Burkhardt, Notes on the Bedouins and Wahabys, p. 323.

ولا مداعمة من إلقاء نظرة سريعة على الوضع الداخلي في العراق آنذاك لتري إلى أى مدى كانت ظروف العراق الداخلية مشحونة لآل سعود للقيام بمصلياتهم العسكرية داخل الأراضي العراقية .

فقد كان العراق مقسما إلى عدة إيالات أو باشوات : إيالة بغداد ونشرف على العراق الأوسط ، ونختم أحصب المناطق وأشهرها . وكانت أقوى باشوات العراق . وإيالة الموصل ، وإيالة البصرة ، بالإضافة إلى إقرار زعماء العشائر في الشمال والوسط والجنوب كحكام على عشائرهم . وقد كان لباشا بغداد التفوق على غيره من باشوات العراق ، كما كان له حق عزل ونصب باشوات كردستان باعتراف السلطان^(١) .

كان حكم بغداد في فترة بحثنا بيد باشوات الماليك تحت السيادة العثمانية وفي الفترة التي بدأ آل سعود يتطلعون فيها إلى العراق ، كان أمر بغداد بيد سليمان باشا الكبير (١١٩٣ هـ / ١٧٧٩ م إلى ١٢١٥ هـ / ١٨٠١ م) الذي أسندت إليه الولاية على إثر الصعف والاضطراب الذي ساد العراق في عهد سلفه حسن باشا ، وبدأ سليمان باشا بهذه بالقضاء على المتمردين ، وإخماد الفتن التي كانت تسود العراق ، وسمى في تأمين مصالح الناس^(٢) .

ولكن مما تجدر الإشارة إليه أن سليمان باشا قد واجه ثورات مستمرة من جانب العشائر العربية والكردية على السواء بدافع رغبتهم في التخلص من السيطرة العثمانية المباشرة أو بتشجيع من الحكومة الإيرانية لبعض العشائر ، وعمت هذه الثورات العشائرية أجزاء العراق وكانت مصدر إزعاج لوالى بغداد^(٣) .

(١) د أحمد عزت عبد الكريم وآخرون ، تاريخ العالم العربي الحديث ، ص ٢٦ ؛ د. عبد العزيز نوار ، داود باشا ص ١٢ - ١٤ .

(٢) الشيخ رسول الكركوكلي ، دوحه الورداء ، ترجمه موسى كاظم ، ص ١٧٧ .

(٣) S.H. Longrigg, Four centuries of Modern Iraq. pp. 200 212 (٣)

الواقع أن تحركات سليمان باشا ضد القبائل والمشار الثائرة لم تسكد تنقطع ولم تحمل سنة من سنوات حكمه إلا وخرج فيها لقتال المشار . ورغم قوة شخصية سليمان باشا وسياسته الحكيمة في كسب ود المشار بالإضافة إلى تجاربه الطويلة التي مكنته من الانتصار على كل ثائر ، إلا أنه ليس من شك في أن كثرة هذه الاضطرابات استحوذت على معظم جهوده ، بالإضافة إلى إستنزافها لكثير من موارده^(١).

وينبغي أن نذكر أن النفوذ البريطاني في تلك الفترة إزداد في العراق بشكل ملحوظ ولم يعد قاصراً على حماية السفن الانجليزية من هجمات القوى العنصرية العربية على جانبي نهر دجلة ، بل تطور إلى استخدام قوتهم البحرية ضد تلك القوى ، وضد حكام العراق إذا ما اتخذوا موقفاً معادياً للأطباع البريطانية^(٢) . وبذلك استطاع الإنجليز أن يزدوا من نفوذهم في العراق حتى قبل أن سليمان باشا الكبير تولى منصب الولاية بفضل التأييد البريطاني له ، وأصبحت العلاقة بينه وبين المستر لانتوش Latuch الوكيل الانجليزي ودبة وأكثر من الودية^(٣) . وتمكن الإنجليز عن هذا الطريق من ممارسة امتيازات جديدة في العراق ، ظهرت بشكل سافر في أعقاب نزول الحملة الفرنسية على السواحل المصرية سنة ١٢١٣هـ - ١٧٩٨م ، وتردد الأنباء بأن الحملة لن تكون قاصرة على مصر وإنما ستسعى في الوصول إلى الهند ، ولذا أسرع الإنجليز بإرسال سفن مسلحة لتربط تحت نوافذ المقيمة البريطانية في بغداد ، وأصبح لكلمة الوكيل السياسي البريطاني في بغداد وزنها^(٤) .

وهكذا نجد أنه في الوقت الذي كان العراق يمر فيه بأعنف المشاكل

(١) أحمد علي الصوفي تاريخ المماليك في العراق ، ص ٧٦ ، ٧٧ .

(٢) د. عبدالعزیز نوار : المصالح البريطانية في أنهار العراق ١٦٠٠ - ١٩١٤ ، ص ٢٨ .

(٣) S.H. Longrigg, op. cit., pp. 197-198.

(٤) د. عبدالعزیز نوار ، المرجع السابق ، ص ٣٠ .

الداخلية وبخاصة مشكلة العشائر ، كان النفوذ الإنجليزي يدعم أركان سياسية فيه .

نالك صورة موجزة عن الوضع الداخلي في العراق في الفترة التي بدأت قوات آل سعود فيها تدق حدوده وتضطرم بالعشائر العربية هناك بقصد تحقيق أهدافها .

وليس من شك في أن هذا الوضع شجّعها على مواصلة عملياتها المتكررة ضد الأراضي العراقية ، كما ستراه مفصلاً فيما يلي :

آل سعود والعشائر في جنوب العراق :

قامت العشائر العراقية وعلى رأسها الخزاعل الشيعة^(١) والمنفق والضمير بدور فعال في مساندة بني خالد والمدن النجدية التي طبعت مساعدة هذه العشائر ضد العمليات السعودية ، وتأكد لدى الأمير عبد العزيز بن محمد بن سعود أن هذه العشائر تقف وراء كثير من الاضطرابات التي تنشب بين حين وآخر في الأحساء وفي بعض المدن النجدية^(٢).

وأدرك أنه لا بد من القيام ببعض الأعمال التأديبية ضدها وبخاصة عشائر المنفق التي كانت تقوم بالدور الأول في مساندة الثائرين ضد آل سعود وعشائر المنفق عبارة عن تحالف بين ثلاث عشائر كبيرة هي : بنو مالك وبنو سعد والأحود . ثم الاتفاق فيما بينها بعد صراع مرير على حقن الدماء وتوحيد رياستها في أسرة آل شبيب الشريفة الأصل ، ثم قدرت بعض العشائر الأخرى قبة هذا الاتحاد فدخلت تحت لوائه وبذا أصبحت عشائر المنفق تضم العدنانية والنقطانية على قدم المساواة ، وكانت هذه العشائر تقطن جنوب العراق ،

(١) د. عبد العزيز نوار ، دود باشا ، ص ٢٩ .

(٢) عثمان بن بشر ، المرجع السابق ، ص ٧٥ .

وكانت دائماً تطمع في البصرة وفي السيطرة على المنطقة الواقعة بينها وبين السماوة وكما كانت تمردات المنتفق مصدر قلق للحكومة بغداد^(١) فإن المنتفق أيضاً كانت مصدر إزعاج لآل سعود لمساعدتها لأعدائهم ، ولذا فإن الأمير سعود قاد سنة ١٢٠٣ هـ — ١٢٨٨ م جيشاً وفاجأ المنتفق في الموضع المعروف بالروصتين بين الطلاع وسفوان^(٢) ، وكانت هذه هي المرة الأولى التي تدخل فيها القوات السعودية الحدود العراقية . ولم يستطع الأمير سعود في هذه المرة أن يحقق هدفه في وضع حد لأعمال المنتفق العدائية .

ظلت هشائر المنتفق في أعمالها العدائية لآل سعود واستقبال كل هارب من وجهه نمودم ، ففي العام التالي لغزو سعود لهم سنة ١٢٠٤ هـ — ١٢٨٩ م لجأ إليهم عبد المحسن بن سرداج وأتباعه من آل خالد وأهل الأحساء^(٣) . وتكرر هذا العمل أيضاً حينما لجأ إليهم ابنه برك بن عبد المحسن سنة ١٢٠٧ هـ . ١٢٩٢ م .

أدرك آل سعود أنه لا بد من القيام بعمل جاد ضد العشائر العراقية وتحطيم قوتها ، واتباع أسلوب الهجوم المستمر عليها ولذا توالت الغزوات السعودية ضد هذه العشائر ، فعاد الأمير سعود في سنة ١٢٠٩ هـ — ١٢٩٤ م غزواً ضد بني ظافر على الحدود العراقية في مقاطعة الحجر ، وغنم منهم كثيراً من الأموال^(٤) .

ومما لا ريب فيه أن آل سعود نجحوا في نقل ميدان الهجوم إلى الأراضي الخفوية من العراق نفسه ، وشجعهم على ذلك استقرار الوضع لهم في الأحساء

(١) عبد العزيز نوار ، داود باشا ، ص ٥٣ — ٩٥ ؛ الغزوى ، عشائر العراق ج ٤ ، ص ١٦ — ٤ .

(٢) المرجع نفسه ، ص ٨٥ .

(٣) المرجع نفسه ، ص ٨٥ .

(٤)

كلية سنة ١٢١٠ هـ - ١٧٩٥ م^(١) ، وتمكنت القوات السعودية من القيام بعمليات تهديدية ضد العشائر العراقية ووصلت عملياتها إلى ضواحي البصرة . وفي تلك الأثناء كان الضغط السعودي على الحجاز قد وصل ذروته ، وكانت مكاتبات الشريف غالب للدولة العثمانية متواصلة يحثها على مد يد العون له ولكن ظروف الدولة الداخلية والخارجية آنذاك لم تكن تساعد على تجريد جيش عثماني للقضاء على الحركة السعودية^(٢) .

أرسل السلطان العثماني إلى سليمان باشا والي بغداد بأمره بالزحف على الدرعية والقضاء عليها ، ولكن سليمان باشا كان يقدر الصعوبات التي تواجه قواته إذا خاضت حرباً صعرابية ضد قوات آل سعود السريعة الحركة ، والتي أنقفت الاسحاب والمناورة^(٣) ، بالإضافة إلى خشيته من ثورات العشائر ومحاصرة العشائر الكردية في الشمال . وفي تلك الأثناء وصلت إلى والي بغداد رسائل كثيرة من أهل الأحساء وعشائر المنتفق تطالبه بإطلاق صراح تويني ابن عبد الله * أمير المنتفق السابق وإسناد أمر قتال آل سعود إليه .

رأى سليمان باشا أن من الخطير له أن يرمى آل سعود بعرب العراق الذين

(١) و (٢) د أحمد أبو حاكمه ، تاريخ الكويت ، ج ١ ، القسم الأول ، ص ٢٥٦ .

(٣) عبد العزيز نوار ، داود ، ص ٨٣ .

(*) تويني بن عبد الله من آل شبيب ، آلت إليه زعامة المنتفق ، وكانت العلاقة بينه وبين آل سعود طيبة إلا أن تويني أقام معسكره في النزاع لدى كان قائماً بين آل سعود وبين حاد (١٧٨٦ م ، ١٢٠٠ هـ) ثم هاجم قرية القصيم الحدية ولم يتمكن من الاستيلاء على القصيم لأن الأحداث في البصرة اضطرتته إلى الرجوع مسرعاً وحاول الاستقلال بالبصرة فخرج إليه سليمان باشا وهزمه . ففر تويني إلى بني كعب ، ومن هناك لجأ إلى الدرعية (١٧٨٩ م ، ١٢٠٣ هـ) . وعاد له عبد العزيز بن محمد بن سعود حاملاً حصة وظل طوال مدة إقامته في الدرعية يرسل إلى سليمان باشا يطلب منه أن يفرغه ، ففعل عنه باشا سداد بشرط إقامته في سداد نفسها فوافق وعاد إلى بغداد ، وظل بها حتى كلفه سليمان بحرب آل سعود (١٧٩٦ م ، ١٢١١ هـ) وأسند إليه إمارة المنتفق مرة ثانية . انظر ابن خنم ، تاريخ نجد ، ص ١٦١ - ١٦٢ وابن بشر ، ص ١٠٧ .

لم يقبلوا على مبادئ الدعوة السافية . وفي نفس الوقت رأى فيهم قوة أقدر على حرب الصعراء من قواته المملوكية .

أفرج سليمان باشا عن ثويني وأسند إليه إمارة المنتفق بدلا من حمود بن تامر ، وعقد له لواء حرب آل سعود ، وجد ثويني في جمع جيش كبير من المنتفق وأهل الزبير والبصرة ، والعناصر الساخطة من بني خالد^(١) . وكانت هذه الحملة أول صدام مباشر بين آل سعود وبين قوة مكلفة من قبل والي بغداد بحربهم .

حملة ثويني :

لم يتجه ثويني بحملته إلى الدرعية مباشرة وإنما اتجه بها إلى الأحساء ونرى أن ذلك يرجع إلى عوامل عديدة دفعت بثويني أن يتخذ لخطته هذا الاتجاه منها :

أولا : وجود زعيمين من زعماء بني خالد هما : براك بن عبد الحسن ومحمد ابن عريمير وأتباعهما بين قوات الحملة^(٢) لعل ذلك يسهل له أسر فتح الأحساء وإدارة الحرب منها ضد الدرعية .

ثانياً : اتخاذ طريق الخليج وسيلة لنقل بعض الجنود وبخاصة الجنود الأتراك في البصرة إلى القطيف التي قرر أن يتخذها القاعدة الرئيسية لعملية فتح الأحساء .

ثالثاً : قدر ثويني أنه من اليسير عليه أن يثير بعض العناصر الساخطة في الأحساء وبخاصة الشيعة ضد آل سعود وهذا يسهل له أمر النجاح في مهمته .

(١) عثمان بن بشر ، المرحوم السابق ، ص ١٠٧ .

H. St. Philby, op. cit., p. 83-84.

(٢)

رابعاً : ليس من شك في أن ثويني أدرك أهمية الأحساء ك مركز تموين لقواته إذا طار أمد الحرب بينه وبين آل سعود^(١) . أما إذا سار إلى الدرعية مباشرة فإنه لن يجد في المدن النجدية مركز تموين مثل الأحساء . خاصة وأنه على دراية سابقة بهذه المدن .

خامساً : كانت المبادئ السلفية في ذلك الوقت قد ركزت في نفوس معظم سكان المدن النجدية وأنه من العسير على ثويني أن يثير عناصر كثيرة ضد آل سعود ، الذين تدعمت سلاطتهم على كل المدن النجدية بشكل قوى بعكس مدن الأحساء الحديثة العهد بهذه المبادئ والتي توجد بها عناصر كثيرة ساخطة على الدعوة وآل سعود^(٢) .

ليس من شك في أن هذه العوامل ، دفعت بثويني بالاتجاه بحملته صوب الأحساء بدلا من الانجاء المباشر صوب الدرعية .

على أننا نستطيع أن نؤكد أن حملة ثويني هذه لم يقدر لها أن تلعب الدور الذي كان منوطاً بها ، وكانت عوامل فشلها تسير معها بين عناصرها المتباينة وخاصة بين صفوف رجال بني خالد الذين كانت تضمهم هذه الحملة ، فقد تأكد براك بن عبدالحسن من ميول ثويني إلى محمد بن عريعر ، والاتفاق معه على إسناد حكم الأحساء إليه بعد إسترجاعه من آل سعود . ولذا أضمر الفلج بثويني^(٣) . واتصل سرّاً بحسن بن مشاري القائد السعودي^(٤) . وكانت الدرعية قد سيرت قوات ضخمة صوب الأحساء . لملاقاة حملة ثويني وصدّها قبل أن تتمكن من تحقيق أهدافها .

(١) مؤلف مجهول ، أمّ الشهاب ، ص ١٢٨ .

(٢) لمّ الشهاب ، ص ١٢٨ .

(٣) رسول الكركوكلي ، المرحع السابق ، ص ٢٠٥ — ٢١٥ .

H. St. Philby, op. cit., p. 88.

(٤)

ومما تحسّر الإشارة إليه أن ثوبى لقي مصرعه على يد أحد عبيد بنى خالد^(١) قبل أن يتمكن من القيام بأى عمل ناجح ضد آل سعود . وقد كرر بعض المصادر أن قتل ثوبى كان بترتيب من برك بن عبد الحسن وأن القاتل كان من عربة^(٢) .

ما كاد بدأ مصرع ثوبى ينتشر بين الجنود حتى وقع الاضطراب فى صفوف القوات العراقية . واضطرت إلى التراجع والعودة إلى بلادها دون أن تحقق أى هدف من أهدافها ، وطاردت القوات السعودية فلول القوات العراقية حتى حدود الكويت ، واستولت على كثير من معداتها من المدافع والعتاد^(٣) ، وغنمت غنائم كثيرة فى أثناء مطاردتها لعشائر المنتهق بالذات^(٤) . وليس من شك فى أن القوات العراقية المهزومة تحققت من غدر راء بن عبد الحسن عندما رآته فى أثناء عودتها هاربة بقود جيشاً سعودياً كبيراً^(٥) .

نستطيع أن نؤكد أن حملة ثوبى رغم استعداداتها الضخمة ورغم أنها لقيت ، كما تذكر بعض المصادر العون من عتوب الكويت الذين كانوا يقاسون من خطر التهديدات السعودية المستمرة^(٦) ، إلا أن كل ذلك لم يحل دون فشلها وهزيمتها ، مما أدى إلى إستيلاء سليمان باشا . وأدرك أنه لا بد من إعداد قوة ضخمة تضم قوات نظامية إلى جانب قوات العشائر لمحاربة هذا العدو ومحاولة صد خطره الذى بدأ منذ فترة يهدد الأراضى العراقية نفسها ، وكلف باشا بغداد على باشا الكرخيا بإعداد هذه الحملة .

(١) عثمان بن بشر ، المرحم السابق ، ص ١٠٨ .

(٢) عباس الغزاوى ، تاريخ العراق بين احتلاين ، ج ٦ ، ص ١٢٤ ، رسول السكر كوكلى المرحم السابق ص ٢٠٥ .

(٣) رسول السكر كوكلى ، المرحم السابق ، ص ٢٠٥ .

(٤) H. St. Philby, op. cit., p. 88. (٤)

(٥) عباس الغزاوى ، المرحم السابق ، ص ٦٠ ، ص ١٢٤ .

(٦) د . أحمد مصطفى أبو حاكمه ، تاريخ الكويت ، ص ١٠ ، القسم الأول ص ٢٥٦ .

حملة على باشا :

واصل آل سعود هجومهم على العراق بعد فشل حملة ثويني ، فهاجم الأمير سعود بجيوشه سوق الشيوخ والساوة ووصل إلى قرية « أم العباس » وقتل كثيراً من أهلها ونهب أموالها وحرق الكثير من دورها ^(١) . وشن هجوماً على قبائل شمر والظفير وآل ببيع والزقاريط وغيرهم من العربان وتمكن من قتل مطلق الجربا رئيس بوادي شمر ^(٢) .

في تلك الأثناء كان الضمط السعدي قد بلغ ذروته على الحجاز ومات يهدد الحرمين ووصلت سليمان باشا أوامر مشددة من الباب العالي ، تأمره بإعداد حملة قوية والقضاء على الخطر السعدي الذي بات يهدد أملاك الدولة من الداخل ^(٣) . وكان سليمان باشا نفسه قد استاء من المصير الذي آتت إليه حملة ثويني ورأى هذا الخطر يقف على عتبة دياره ، ولذا أدرك ألا مندوحة من إعداد حملة قوية بقوى سها على قوة آل سعود ، وعهد بقيادتها إلى كخياه على باشا وكان مملوكاً كريماً ^(٤) ، والواقع أن قلة خبرة على باشا الحربية وضعف شخصيته كانا من بين العوامل التي أدت إلى فشل هذه الحملة في النهاية كما سنرى .

وقد بذل سليمان باشا وكخياه جهداً كبيراً في إعداد الحملة وتجهيزها بكل وسائل القتال ، وضمت عناصر مختلفة من المقاتلين منهم الجنود المدربون وقوة من العشائر الكردية والعشائر العربية ، وقبائل الخزاعل الشيعية ^(٥) وقد شاهد هارفورد جونز الوكيل الإنجليزى في بغداد الاستعدادات الضخمة في العاصمة

(١) عثمان بن شره المرجع السابق ، ص ١١٢ .

(٢) عباس المزاولى ، عشائر العراق ، ج ١ ، ص ١٣٩ .

(٣) د عبد الحميد البطريق ، ذكرى إبراهيم البطل النافع ، ص ٤ .

(٤) د. أحمد مصطفى أبو ساكنه ، تاريخ الكويت ، ج ١ ، ص ٢٥٩ .

(٥) عباس المزاولى ، العشائر ، ج ١ ، ص ١٤٥ ؛ عبد الحميد البطريق ، المرجع السابق ، ص ٤ .

لهذه الحملة لدى وصوله إليها في أوائل سبتمبر سنة ١٢١٣هـ - ١٧٩٨ م ، حيث كانت قوات الحملة تمسك خارج بغداد على الضفة الغربية من نهر دجلة ^(١) . وقد تضاعف عدد الحملة في أثناء تقدمها صوب الجنوب بإضمام أهل الزبير وسكان الحجرة والبصرة وعشائر المنتفق وبوادي شمر والظفير إليها .

ومما يسترعى الإقبال أن هذه الحملة اتجهت كسابقتها إلى الأحساء ولم تتجه إلى الدرعية مباشرة وليس من شك في أن ذلك يرجع إلى نفس الأسباب التي سبق ذكرها عند الحديث عن حملة تويني ، يؤيد هذا الرأي ما رواه صاحب لمع الشهاب في هذا الصدد فقد ذكر أنه « سار بوجهه نحو الأحساء لأن رأيه أن يقبض الأحساء أولاً من يد عبد المزيـز ، وهو ملك كثير الخير كالـبصرة في كثرة الطعام والأشجار والأنهار وفيه من الرزق (الأرز) شيء يكفي كل جزيرة العرب قاطبة ومن التمر كذلك . وكذا لم ييسط الملك لآل سعود حتى أخذوا الأحساء ، وهذا كل طائفة هلكت بالقحط من أطراف مملكة آل سعود يأمرهم بالذهاب إلى الأحساء فتزد حالهم في أقل الأيام . وليس ذلك إلا من بركة فيها ، وحاصل كثير ، وهو الذي دعا على باشا أن لا يقصد الدرعية أولاً بل يسير إلى الأحساء ، وكان أيضاً أهل الأحساء أعداء في الباطن مع آل سعود وهم دعايا الروم (الأتراك) سابقاً لذلك كاتبوا على باشا أوعدوه أنه (بوصوله) يخرجون كل من هو مود (ذو مودة) لآل سعود » ^(٢) .

وتذكر المصادر أن الحملة انقسمت عند البصرة إلى فريقين : فريق الفرسان وكان معه على باشا سار عن طريق البر قاصداً الأحساء وفريق المشاة والمدفعية ومعه المعدات والذخائر الثقيلة نقل عن طريق البحر على ظهر السفن

H.J. Brydges, op. cit., p. 19.

(١)

(٢) مؤلف مجهول ، لمع الشهاب ، ص ١٢٨ ، انظر أيضاً رسول كركوكلي ، دوحة الوزراء ص ٢٠٥ - ٢٠٦ .

J.L. Burkhardt, Notes on the Bedouins and Wahabys, p 322.

التي استأجرها عبد الله أغا متسلم البصرة من أبي شهر وكنسكون على الساحل الإيراني من الخليج^(١) إلى البحرين وموانئ الأحساء .

ومما هو جدير بالذكر أن عتوب الكويت بدورهم قد ساهموا في نقل معدات هذه الحملة فقد استأجر شيخ الكويت بعض السفن من عجير لهذا الغرض^(٢) وهذا يتضح بصورة أكيدة أن العتوب في البحرين والكويت كانوا منحازين إلى أعداء آل سعود ، فقد قدموا العون البحري لحملة علي باشا . وإن ذكرت سجلات حكومة بومباي أنهم كانوا ينفون المشاركة العسكرية الفعلية في هذه الحملة^(٣) ، ولكنهم اكتفوا في النهاية بتقديم العون البحري .

والواقع أن الحملة بقسميها البحري والبري واصلت سيرها حتى دخلت أراضي الأحساء ، وما كاد فريق الفرسان بقيادة علي باشا يقترب من مدينة الأحساء — بعد الثعالب والأهوال التي لاقاها في الطريق وأثناء اجتيازه للصحراء — حتى أرسل علي باشا إلى وجوه هذه المدينة بقصد استمالتهم وترغيبهم في الانضمام إلى جانبه ووجدت دعوته إستجابة وخاصة من السكان الشيعة^(٤) ، الذين كانت نفوسهم غير راضية عن حكم آل سعود ومبادئ الدعوة السلفية^(٥) .

ورغم شدة هجمات قوات علي كخيا ضد الحصون السعودية في المبرز والمنفوف إلا أن هذه الحصون صمدت لما بقوة ، وأثبت كل من القائدين السعوديين سليمان بن محمد بن ماجد الذي كان على رأس حامية حصن المبرز ، وإبراهيم بن سليمان بن عفيصان الذي كان على رأس حامية حصن المنفوف ،

(١) رؤف محمول ، لم الشهاب ، تحقيق أحمد أبو حاكم ، ص ١٢٧ .

(٢) ارحم نفسه ، ص ١٢٨ .

(٣) Bombay Government, Selections, vol. 24, p. 429. (٤)

(٤) رسول كركوكلي ، المرجع السابق ، ص ٢٠٦ .

(٥) عثمان بن بشر ، عنوان الجعد ، ج ١ ، ص ١١٨ .

أثبتنا هذان القائدان ، شدة مراسمتها ، وحالا دون إحراز أى نصر لقوات على باشا الذى طال حصاره لها . وكان لصوص هذين الحصنين السعوديين أثر سيء على نفوس جنود على باشا ، وأنباعه من أفراد العشائر^(١) . وزاد من شدة سوء هذه الحالة تناقص قوات الحملة يوماً بعد يوم ، وموت كثير من دواب النقل التى كانت لدى قوات الحملة^(٢) ، وازداد إلحاح الجنود على قوادهم فى المطالبة بالعودة إلى بلادهم ولم يكن أمام على باشا من سبيل بعد أن أدرك الأمل فى نجاح حملته سوى الأمر بالرحيل والعودة إلى بهداد ، دون إحراز أى نجاح ذى أهمية ضد آل سعود .

ونظراً لموت كثير من دواب النقل وهزال مابقى منها فإن أفراد الحملة قاموا بحرق كثير من الأمتعة والعتاد ، وبصورة خاصة المعدات الثقيلة منها ، وقاموا بدفن رصاص مدافعهم عند حويرات الأحساء ، خشية أن يستفيد العدو من هذه المتروكات لو تركت سليمة^(٣) . وسحب الحملة عند عودتها العناصر التى تعاونت معها من أهل الأحساء ، خوفاً من عقاب آل سعود لهم لخروجهم على سلطانهم^(٤) .

ومما بلغت النظر أن قوات آل سعود حتى ذلك الحين لم تكن قد وصلت إلى الأحساء لتعده حامياتها التى تعرضت لقصف مدفعية على باشا بشدة ، وفى الوقت الذى بدأت الحملة فيه سبيل عودتها وصل الأمير سعود بن عبد العزيز بمجيشه إلى الأحساء . وعلم بذلك فقرر أن ينير على ساقته وجد السير بمجيشه وأنها واستطاع أن يسبقها وينزل بقواته على « ماء تاج » وكان على كحيا قد

(١) رسول كركوكلى ، المرجع السابق ، ص ٢٠٧ .

(٢) عباس المزراوى ، تاريخ العراق بين احتلالين ، ج ٦ ، ص ١٢٩ .

(٣) عثمان بن بشر ، المرجع السابق ، ص ١١٨ - ١١٩ .

(٤) عثمان بن بشر ، المرجع السابق ، ص ١١٩ ؛ رسول كركوكلى ، المرجع

نزل على « ماء الشباك » قريباً منه^(١) ، وبدأت المناوشات بين الطرفين أدرك على باشا بعدها ، سوء حال حبشه الذي فقد كثيراً من زاده وعدته ، بالإضافة إلى حدوث الانقسام والشقاق بين قواده . وتذكر بعض المصادر أن هذا الانقسام كان بتدبير من القائد السعدي إبراهيم بن عفيصان الذي تمكن من تقديم رشايى لبعض هؤلاء القادة الذين جرت المكاتبات بينهم وبين الأمير عبد العزيز بن محمد بن سعود ، بعد أن تمكن ياغراهم بكثير من الهبات والأموال^(٢) .

وليس من شك في أن على باشا أدرك ألا جدوى من القتال مع قوات آل سعود ، ورأى أن الأمر أصبح أمر إقراض ما بقي من قواته من الهلاك الذي بات يشهدهم من كل ناحية . ولذا قبل المفاوضة مع الأمير سعود حول صلح يعقد بينهما ، وكانت شروط على باشا التي أراد أن يتم الصلح على أساسها ، هي :

أولاً : جلاء آل سعود من الأحساء ورحيلهم عنها .

ثانياً : إرجاع الأسلاب والفتنم التي أخذتها القوات السعودية من جيش ثويني .

ثالثاً : دفع جميع ما تكلفته حملته هذه .

رابعاً : عدم التعرض للحجاج الذين يأتون من العراق ويمرون بالأراضي التابعة لآل سعود ، مع تعهد آل سعود بالمحافظة على سلامة الطرق وأمنها^(٣) .

وكان الأمير سعود يدرك أنه في موقف المنتصر ، ورغم ذلك فإنه رد على

(١) عثمان بن بشر ، الرجم السابق ، ص ١١٩ .

(٢) أولاد سعود ، أم الشباب ، ص ١٣٠ .

(٣) عثمان بن سعد العمري ، مطالع السعود ، ص ٢٦ ؛ رسول كركوكلي ، الرحمة

السابق ، ص ٢٠٩ .

على باشا برسالة تحمل في ظاهرها قبول هذه الشروط ، وفي باطنها رفضها ونرى من الأهمية أن نذكر نص الرسالة التي تؤيد هذا الرأي قال سعود :

« جاءنا كتابكم وفهمنا معناه : وأما الحساء فهي قرية خارجة عن حكم الروم (العثمانيين) ولا تساوي التعب وما فيها شيء بوجب الشقاق ، وأما الأطواب (الأسلاب) فهي عند والدي في الدرعية إذا صدرت إليه أعرض الحال بين يديه ، والوزير سليمان باشا أيضاً يكعب له ، فإن صحت المصالحة وارتفع الشقاق من الطرفين فهي لكم وأنا الكفيل بها حتى أوصلها إلى البصرة . وأما مصاريكم فإن لم أملك من الأمر شيئاً والشورى في يد والدي ، وأما الأمانة (الأمين) فهي التي لا زلنا نقاتل الناس عليها حتى جعلنا الأرض كلها لله وجميع المسلمين مشتركين فيها وصار الذئب لا يقدر بضر الشاة في أحكامنا »^(١) . وقنع على باشا بهذا الرد الذي يتسم باللباقة والكياسة .

رجع على كحيا بما بقي من جيشه ودوابه دون أن يحقق الآمال التي عقدها على حمايته كل من السلطان العثماني ووالي بغداد ، ولم يستطع أن يوقف العمليات السعودية أو يحد منها . ولقد كانت هزيمة هذه الحملة عاملاً مشجعاً لآل سعود في استمرارهم في الإغارة على أطراف العراق وتحديدهم لوالي بغداد والسلطان العثماني ، بالإضافة إلى أنها كلفت خزينة سليمان باشا كل ما كان قد ادخره منذ سنة ١١٩٤ هـ - ١٢٨٠ م حتى وقت الحملة سنة ١٢١٣ هـ - ١٢٩٨ م^(٢) .

ونستطيع أن نوجز العوامل التي أدت إلى فشل هذه الحملة فيما يلي :

أولاً : كانت الحملة تضم عناصر متباينة بالإضافة إلى وجود الحزازات بين

(١) عثمان بن سنة ابصرى ، المرجع السابق ، ص ٢٦ ؛ رسول كركوكلى ، المرجع

الماضي ، ص ٩ .

(٢) رسول كركوكلى ، دوحه الوزراء ، ص ٢١٠ ؛ عباس المزراوى ، تاريخ العراق

ج ٦ ، ص ١٣٤ .

زعماء العشائر التي انضمت إليها^(١).

ثانياً : ضعف قدرة علي باشا الحربية وقلة خبرته بحروب الصحراء التي تتطلب المهارة والخفة وسرعة الحركة وبضيق هارفورد جوتز إلى ذلك سوء معاملته للأعراب الذين التحقوا به واعتماده عليهم في أكثر الأجزاء صعبة في عمله الحربي^(٢).

ثالثاً : استبسال دفاع الحاميات السعودية في المبرز والمقوف الذي تسبب في طول مدة الحصار وقندان الحملة لكثير من معداتها وأدخل اليأس في نفوس أفراد العشائر، وبالتالي أدى إلى الانقسام بين زعماء الحملة واختلافهم مع علي باشا في الوقت الذي وصلت فيه إمدادات الدرعية إلى حامياتها^(٣).

على كل ، فإن هذا الصلح الذي تم بين سعود وعلي كخيا لم يقدر له أن يكون طويلاً الأمد ؛ فقد حدث في سنة ١٢١٤ هـ — ١٧٩٩ م أن تصدت قبيلة الخزاعل الشيعة لبعض أتباع آل سعود بالقرب من النجف وقتلت منهم حوالي ثلاثمائة رجل^(٤) فاستغل أمير الدرعية هذا الحادث وأرسل يجمع لدى والي بغداد ويطلبه بدفع دية المقتولين وإلا تمض عهده . فكلف والي بغداد عبد العزيز بن عبد الله الشاوي بالمرور على الدرعية في أثناء عودته بعد أداء فريضة الحج ومباحثة كل من الأمير عبد العزيز بن محمد بن سعود وولده سعود حول هذا الموضوع ، ولم ينجح هذا البعوث في مهمته ، ورأى أن سلطات الدرعية تصر على أن يكون لها غربي الفرات من عانة إلى البصرة^(٥) . وقال له الأمير سعود « أما كفا

(١) مؤلف مجهول ، مع الشهاب ، ص ١٣٠ — ١٣١ .

(٢) H.J. Brydges, op. cit., vol. 2, pp. 27-28.

(٣) عثمان بن بشر ، المرجع السابق ، ص ١١٩ ؛ مع الشهاب ، ص ١٣٠ و ١٣١ .

(٤) رسول كركوكلي ، المرجع السابق ، ص ٢١٢ ؛ أحمد عبد الصبور ، السابق ،

ص ٦٧ .

(٥) د. عبد العزيز لوار ، داود باشا ، ص ٢٩ .

الوزير أننا ناركوه بحكم في بغداد والله عن قريب نرى جميع غرب الفرات لنا
وشرقيه له^(١). وعاد عبد العزيز الشاوي إلى العراق وقد اقتنع بالمبادئ
السلفية وصار داعية لها^(٢). وبات الصلح بين الطرفين منتقضاً وعادت القوات
السعودية تهاجم أطراف العراق.

مذبحة كربلاء:

لم يكن من السهل على آل سعود سيان قتل الخزاعل الشيعة لبعض رجالهم
ولعل هذا كان السبب الرئيسى في هجوم القوات السعودية في ٢٠ أبريل ١٨٠١ م -
١٢١١ هـ على المزارات الشيعية مباشرة للانتقام من الشيعة وهدم مزاراتهم التي
كان أتباع الدعوة السلفية يرون فيها نجسداً وإحياءاً للوثنية ؛ فقد قاد الأمير
سعود بنفسه جيشاً كبيراً ودخل حدود العراق وبعد مناوشات بينه وبين
عربان للفتنق والظفير ظهر فجأة أمام كربلاء مدينة الشيعة المقدسة ، وعندما
تمكنت القوات السعودية من دخول للمدينة أمر سعود بهدم ما بها من قباب
ومشاهد وهدم القبة الموضوعة على قبر الحسين وقتلت القوات السعودية غالب
أهل المدينة في الأسواق والبيوت دون تمييز بين كبير أو صغير^(٣) ، واستولت
على ما في مشهد الحسين من مجوهرات ومصاحف ثمينة كانت مهداة من الملوك
وشيعة الهند وإيران إلى ذلك للمشهد المقدس عندما^(٤) . خرجت القوات
السعودية بعد ذلك من المدينة بسرعة عائدة إلى الدرعية مباشرة^(٥) . ولم تستطع

(١) عثمان بن سعد البصرى ، المرجع السابق ، ص ٢٧ .

(٢) عباس المزاولى ، تاريخ العراق ، ج ٦ ، ص ١٦١ .

(٣) عثمان بن سعد ، معالم السعود ، ص ٦٨ .

Hogarth, Arabia, p. 102.

Rev. S.M. Zwemer, Arabia, p. 195.

(٤) عثمان بن بشر ، المرجع السابق ، ص ١٢٢ .

H.J. Brydges, op. cit., vol. 2, p. 27.

(٥)

السعودية قوات على باشا التي خرجت للملاقمة أن تلحق بها^(١) ، وبذلك استطاع آل سعود الانتقام من شيعة العراق على أعمالهم السابقة ضد القوات السعودية .

وتدل قسوة الأعمال التي قام بها الأمير سعود في كربلاء والتي لم يستطع المؤرخ النعدي ابن بشر أن ينكر أو يدافع عنها كمعادته إزاء العمليات السعودية^(٢) ، على أن المقصود بها أولاً وقبل كل شيء الإنتقام من الشيعة . ولكن قسوة هذه الأعمال كان لها أثرها السيء على شيعة آل سعود ؛ فقد زادت من كراهية الشعور الإسلامي العام ضدهم ، وجعلت الكثيرين يتخوفون من أعمالهم التي وصفت بالبربرية ، وكان دويها مربكاً لدى سلطات إيران والباب العالي على السواء^(٣) .

وترتب على غزو القوات السعودية لكربلاء عدة نتائج خطيرة منها :
أولاً : إنتشار الفرع والرعب في معظم قرى ومدن العراق وخاصة الشيعة منها مما جعل سلطات العراق تنشط في تسويرها خوفاً من غزو سعودي آخر ، وأرسل سليمان باشا بمض رجاله لنقل خزينة النجف الأشرف إلى خزينة موسى الكاظم^(٤) .

ثانياً : هوت هذه الأعمال السعودية بشيعة سليمان باشا وإلى بغداد لدى الماهلين الفارسي والعثماني على السواء ، وأظهرته بظهور المايز عن حماية الأماكن المقدسة التي تقع في نطاق ولايته ، وهدد شاه إيران بغزو العراق بقصد حماية الأماكن الشيعة المقدسة لدى الإيرانيين ، وطلب السماح لقواته بالمرور

(١) رسول الكركوكلي ، المرجع السابق ، ص ٢١٧ .

(٢) عثمان بن بشر ، المرجع السابق ، ص ١٢٢ .

(٣) عباس المزوي ، الخليج العراقي ، ج ٦ ، ص ١٦٢ .

Corancez. Histoire de Wahabla, p 26.

(٤) رسول كركوكلي ، ص ٢١٧ .

هبر أراضي العراق لقتال آل سعود . ولكن سليمان باشا رفض ذلك المطلب الإيراني بلباقة^(١) ، وبذكر ريدجز أن سليمان باشا كان يخشى شاه إيران أكثر من سلطان تركيا خوفاً من أن يجرد الشاه ضده حملة بحجة حماية الأماكن المقدسة^(٢) .

ولا ريب أن مذبحه كربلاء كانت صدمة عميقة لسليمان باشا الذي تمتع طوال فترة حكمه بانتصارات حافلة على الثورات الداخلية . ومات في نفس العام الذي حدث فيه هذه المذبحة ١٢١٦ هـ - ١٨٠١ م^(٣) . ولم يستطع رغم جهوده التي بذلها أن يضع حداً للخطر السمودي الذي بدأ يدام أطراف بلاده في الفترة الأخيرة من حكمه .

آل سعود والعراق بعد مذبحه كربلاء :

استمرت الهجمات السمودية على الأراضي العراقية ، وهددت كل المناطق الواقعة غربي السفرات ، ووصلت بعض قواتهم إلى شفاثا ، وكانت قوات المشائر تتصدى لها حيناً وتفر هاربة أحياناً ، وكان أمر ولاية بغداد بعد موت سليمان باشا قد أصبح بيد علي باشا الذي سبق أن جرب حظ مع آل سعود ، وفي عهده أصبح دعاة السرعة يشيرون الفتنة في داخل العراق نفسه في الوقت الذي كان الأمير سعود يمد في تنفيذ سياسته في السيطرة على كل ما يقع غربي الفرات^(٤) ، مما أدى في ذلك الوقت إلى ظهور فكرة قيام تناون فارسي - مملوكي لاقصاء على الحركة السمودية لدى كل من الإيرانيين والإنجليز^(٥) . إلا

Corances, op. cit., pp 25, 28-29. (١)

M.J. Brydges, op. cit., vol. 2, pp. 27-28 (٢)

(٣) رسول الكركوكلي ، الرح السافل ، ص ٢١٧ .

(٤) عثمان بن سند المصري ، مطالع السعود ، ص ٢٢ .

(٥) عبد الرزق نوار ، داود باشا ، ص ١٤ .

أن السلطان العثماني ألح على باشا والي بغداد الجديد في ضرورة استئصال اليهود في القضاء على هذا الخطر وتسلم هذا الباشا بالفعل فرماناً يقضى بتمينه قائداً عاماً (سر عسكري) لغزو الأراضي السمودية ، وتحطيم الدرعية . ولكن هذا الوالي الذي سبق له أن خبر الحرب مع السموديين في حملة الأحساء المشهورة أسرع بإرسال إيضاحات إلى الباب العالي عن الوضع الراهن آنذاك في بغداد والصعوبات التي تكثف مثل هذه الحملة التي يطلب منه الباب العالي القيام بها^(١) . فذكر في إيضاحاته :

أولاً : إن إرسال حملة عسكرية صغيرة إلى نجد للاستيلاء على الدرعية لا يجدي نفعا .

ثانياً : إن الوضع الحربي يتطلب تجريد جيش كبير كامل العدة متدرب على حرب الصحراء .

ثالثاً : إن إيصال الماء والأرزاق إلى بلاد تكثفها الصحارى الرملية ليس بالأمر الهين .

رابعاً : إن حكومة بغداد لا تستطيع أبداً أن تنهض بهذه التبعات الشاقة وحدها إلا إذا ساهمت حكومة الباب العالي معها .

خامساً : الجيش الذي يقضى تجريده لمحاربة السموديين سيكون عدده على الأقل تقديره خمسة عشر ألفاً (١٥٠٠٠) مقاتل من الجيوش النظامية عدا القبائل . ونقل هذا العدد الضخم لا يتم إلا بواسطة الإبل التي يلزم منها نحو ستين ألفاً (٦٠٠٠٠) وأن إعداد هذه العدة يلزم مدة لا تقل بأي حال من ستة أشهر .

سادساً : إن مقدار الصاريف يمكن تقديرها مبدئياً بثمانية عشر ألف

كبس .

(١) أحمد علي الصوفي ، المالك في العراق ، ص ٨١ .

(*) الكبس ٥٠٠ قرش .

وصرف هذا المبلغ الضخم ينوء به كاهل خزينة بغداد ولا تقوى عليه البتة^(١).

ولكن سلطات الدولة العثمانية التي كانت على ما يبدو — إلى ذلك الحين — تجهل مدى القوة التي أصبح عليها آل سعود ، لم تسترح لإيضاحات على باشا بل وأسخطها كتابه وحفزها في نفس الوقت على إصدار أمر نهائي إلى هذا الباشا بلزوم الامتثال لأوامر السلطان والهادرة افزرو نجد والاستيلاء على الدرعية^(٢) التي نجحت في إخضاع الحرمين لسلطانها وأزالت السيادة العثمانية من الحجاز .

لم يكن أمام علي باشا سوى الامتثال للأوامر التي صدرت إليه ، خشية أن يجر عليه تقاعسه غضب السلطان ، وكان هذا الباشا يؤمن في نفسه بفشل كل حملة تسير إلى نجد ، وبما يؤيد ذلك أنه لم يصل بحملته الجديدة إلا إلى حدود جبل شمر ، وأخذت قواته تتجول في تلك الربوع دون أن تجسر على دخول الأراضي النجدية ، وإنما استمرت في تجولها عابثة على قوة سعودية صغيرة وتشبك معاً لتظهر أمام الباب العالي بجدية عابثة ولكنها لم تنجح في ذلك ، ورجع علي باشا بقواته دون أن يقوم بأي عمل جدي ضد الدرعية^(٣).

وليس من شك في أن علي باشا بقيامه بهذه الحركات العسكرية المظهرية خيب أمل السلطان وأكد له أن العراق ليس هو القوة القادرة على قمع الحركة السعودية^(٤).

استمرت الهجمات السعودية بعد ذلك متواصلة على قرى ومدن العراق

(١) أحمد علي الصوفي : الممالك في العراق ، ص ٩٥ - ٩٦ .

(٢) أحمد علي الصوفي ، المرجع نفسه ، ص ٩٦ .

(٣) د. عبد العزيز نوار ، داود باشا ، ص ٤٥ .

(٤) المرجع نفسه ، ص ٤٥ .



عاماً بعد عام وكان أقصى هذه الهجمات بعد مذبحة كربلاء مدممة القوات
السعودية للزبير والبصرة وهدم جميع القباب والمشاهد التي في الزبير بالإضافة إلى
هدمها لقصر الدريهمية^(١). وعانت المناطق الواقعة غربى الفرات من التهديدات
السعودية كثيراً، مما اضطر العشائر النازلة في تلك المناطق أن تشد رحالها إلى
أرض الجزيرة العراقية حاملة معها عناصر الاضطراب^(٢). وأصبحت مصدر
إزعاج جديد لحكومة بغداد. وصار العراق خلال فترة حكم على باشا بين شتى
رحى. فآل سعود يحوثون بقواتهم خلال دياره وخاصة في المناطق الغربية من
الفرات. واقتربت عملياتهم من بغداد في بعض الأحيان، وأصبح لهم دعاة في
العراق نفسه مما أزعج سلطات بغداد هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى كان الخطر
الإيراني يهدد العراق من الشرق بالتحالف مع اليابانيين في الشمال^(٣). فإذا
أضفنا إلى ذلك اضطرابات العشائر العديدة لأدركنا أنه لم يعد في مقدور بغداد
أن تقوم بأى عمل حربى جدى ضد آل سعود حتى نهاية حكم على باشا سنة
١٢٢٢ هـ - ١٨٠٧ م.

ولم يكن سليمان باشا الصغير الذى آلت إليه ولاية بغداد وتوابعها أسعد
حظاً من سلفه. رغم اعتداله حتى قيل إنه وهابى الميول^(٤). إلا أن قوات آل
سعود داهمت في عهده كربلاء للمرة الثانية سنة ١٢٢٣ هـ - ١٨٠٨ م وإن لم
تتمكن من دخولها نظراً لإحكام تحصينها وتسويرها^(٥). وظلت القوات
السعودية تقوم بحملات سنوية ضد العراق وتمكنت في إحدى غزواتها من
عبور نهر الفرات إلى الشامية ووصلت إلى بلاد الزبير. وتعاضم الخطر
السعودى في عهد سليمان باشا حتى إن الرعب والهلع استوليا على أهل بغداد

(١) عباس المزوى، تاريخ العراق، ج ٦، ص ١٦٠.

(٢) د. عبد الزبير نوار، داود باشا، ص ٤٥.

(٣) أحمد طي العلوى، المرجع السابق، ص ١٠١ - ١٠٢.

(٤) د. عبد الزبير نوار، داود باشا، ص ٤٧.

(٥) عثمان بن بصر، المرجع السابق، ص ١٤٠.

نفسها وتسليح كل صاحب دكان أو متجر استمداداً لمجاهة هذا الخطر^(١) وتمكن عبد الله بن سعود فعلاً في إحدى الغزوات من الوصول إلى قرب بغداد وهددها مباشرة^(٢) واستمر الرعب يستولى على سكان العراق من الخطر الذي أصبح يهددهم في داخل بلادهم حتى سنة ١٢٢٦ هـ - ١٨١١ م^(٣) عندما نزلت القوات المصرية بنجع على ساحل البحر الأحمر وانشغلت القوات السعودية بالخطر الذي بدأ يهددها . ومنذ ذلك الحين انقطعت الغزوات السعودية عن الأراضي العراقية .

ورغم أن التحركات السعودية ضد العراق استمرت فترة طويلة بلغت حوالى ربع قرن (١٢٠٢ / ١٢٢٦ هـ - ١٧٨٨ / ١٨١١ م) إلا أن النفوذ السعودى لم يستطع أن يوطد أركانه في أى جزء من الأراضي العراقية ولم تستطع الدرعية أن تعين لها عمالاً في أى بلدة عراقية ، أو تقوم بحماية الضرائب في أى منها . وربما كان مرجع ذلك أن العمليات السعودية ضد قرى ومدن العراق كما سبق أن ذكرنا كانت تقسم بالسرعة ولم تستطع الاستقرار في إحدى هذه القرى أو المدن ، بالإضافة إلى أن معظم المناطق التي تعرضت للغزو السعودى كانت مناطق عشائرية ، ولا نستطيع أن نفرل الاختلاف المذهبى بين معظم هذه المناطق التي كان سكانها يعتقدون المذهب الشيعى وبين مبادئ الدعوة السلفية التي كان آل سعود يقاتلون من أجل نشرها .

ومما يسترعى الانتباه أيضاً أن مبادئ الدعوة لم تلق الرواج والانتشار السريع في العراق كما حدث في الأحساء والحجاز وعمان واليمن . واقتصر نجاح آل سعود طوال فترة غزوم العراق على ما تمكنت جيوشهم من سلبه من غنائم أثناء غزوم ، وإن جر عليهم هذا النجاح في بعض الأحيان نفعة الشعور الإسلامى وخاصة من أهل الشيعة .

(١) عباس الزاوى ، تاريخ العراق ، ج ٦ ، ص ١٦٢ .

(٢) المرجع نفسه ، ص ١٦٣ .

(٣) مهنا بن بشر ، المرجع السابق ، ص ١٢٣ .

آل سعود وبداية الشام :

بدأت أطماع آل سعود تنبج إلى بلاد الشام منذ أواخر القرن الثامن عشر لليلادي ، وعلى وجه الخصوص بعد نجاحهم في إخضاع إقليم الأحساء لسلطانهم . ويذكر المؤرخ اللجدي عثمان بن بشر أن الأمير عبد العزيز بن محمد بن سعود في ١٢٠٨ هـ - ١٧٩٣ م أمر بعض قواته بالاتجاه صوب دومة الجندل ومنازلة أهل هذه الناحية^(١) دون أن يذكر سبباً لذلك . وإن كنا نرجح أن الدافع الرئيس وراء مثل هذا العمل هو رغبة آل سعود في اختبار مدى إستعداد ولاية الشام لمواجهة قواته في المستقبل ، خاصة وأن فكرة التوسع قد بدأت تتضح في ذهن الأمير عبد العزيز . ويؤكد لنا صاحب عنوان المجد أن هذه القوة تمكنت من إخضاع ثلاثة بلدان لنفوذ آل سعود مباشرة ونجحت في إجبار باقي أهل الناحية في إعلان خضوعهم وطاعتهم للأمير الدرعية ومبادئ الدعوة السلفية^(٢) .

وبعد أربع سنوات من هذه الفزوة ١٢١٢ هـ - ١٧٩٧ م قاد حجيلان بن حمد أمير القصيم قوة سعودية أغار بها على وادي الشرارات بأرض الشام وسلب الكثير من أموالهم ومتاعهم^(٣) . ويبدو أن هذه الفزوات السعودية كان لها تأثير على بعض قبائل البدو التي كانت تتجول في بادية الشام أو بعض الواحات التي تتناثر في هذه البادية فأقبلت على اعتناق مبادئ الدعوة ، وتلزم المصادر المعاصرة الصمت عن ماهية الفزوات السعودية في هذه الفترة ولم تذكر شيئاً عن موقف والي دمشق منها . وإن كنا نستطيع أن نقدر مدى انتشار النفوذ السعودي

(١) عثمان بن بشر ، عنوان المجد ، ج ١ ، ص ١٠١ .

H. St. Philby, op. cit., p. 84.

(٢) عثمان بن بشر ، المرجع السابق ، ص ١١١ .

(٣) المرجع نفسه ، ص ١٠١ .

في بادية الشام من مقدار الزكاة التي أصبح يدفعها أهل بادية الشام الذين أذعنوا للنفوذ السعودي ومبادئ الدعوة . فيذكر صاحب عنوان المجد أنه في عهد الأمير عبد العزيز الذي توفي ١٢١٨ هـ — ١٨٠٣ م ظهر مع عمال من حلب الشام قاصدين الدرعية وهم ست نجائب محملات ربال زكوات بوادي أهل الشام^(١) .

ونستخلص من هذه الرواية أن كثيراً من بوادي الشام أصبح على طاعة آل سعود ونظامهم وأصبح ولاؤهم السياسي والديني للأمير الدرعية وليس لوالى دمشق والسلطان العثماني وأن هذا النفوذ امتد إلى حلب الشام . ولكننا نشك في مقدار هذه الزكاة ، ولم نستطع أن نقترب على مصدر آخر يؤكد رواية صاحب عنوان المجد ، ولكن الذي لا شك فيه أن بعض بوادي الشام أصبحت تدين بالولاء لآل سعود .

وفي مطلع القرن التاسع عشر كان النفوذ السعودي قد شمل الحجاز وأزال النفوذ العثماني من الحرمين ، وأدركت الدولة العثمانية أنه لم يعد في مقدور ولائها في بغداد تحطيم القوة السعودية بعد أن فشلوا في حماية حدود بلادهم من الفارات السعودية ولذا اتجهت إلى ولائها في الشام خاصة وأن آل سعود بدأوا يتعرضون لحامل الحج التي تأتي من الشام واستانبول ومصر ويمتدونها من أداء فريضة الحج^(٢) . ولما أن تنسأل هل كان في مقدور ولاية الشام تحقيق ما فشل فيه ولاية بغداد ؟

الواقع أن الوضع الداخلي في بلاد الشام لم يكن أسعد حالاً مما كان عليه الوضع في العراق ، فإذا كان العراق قد عانى متاعب كثيرة من مشكلات العشائر ، فإن ولايات الشام كانت تعاني — آنذاك — الكثير من فساد الحكم والانتزاع

(١) عثمان بن نصر ، المرجع السابق ، ص ١٢٦ .

(٢) المرجع نفسه ، ص ١٢٤ — ١٢٨ .

بين الجند الذين انقسموا في كل ولاية إلى فريقين . فخلب كانت تعاني من النزاع بين الانكشارية والقوات المحلية التي كانت من الأشراف . وفي دمشق كان النزاع مستمراً بين قوات القباي قول واليرالية أي الجند المحلية . وإيالة صيدا كانت تعاني الكثير من النزاع مع دروز جبل لبنان^(١) .

ورغم أن أسرة العظم استطاعت في بعض الفترات أن تعيد الاستقرار إلى ولاية دمشق إلا أن إقصاء هذه الأسرة في بعض الفترات عن الحكم كان سرعان ما يجر إلى هذه الولاية الفوضى والاضطراب^(٢) .

وتذكر المصادر أن بلاد الشام شهدت في نهاية القرن الثامن عشر الكثير من الاضطرابات ودخل الأهالي في نزاع مستمر مع الولاة واقسم المجتمع إلى طبقتين: الحكام والمحكومين^(٣) . ولعل هذا الوضع السيء هو الذي دفع ببعض قبائل بادية الشام إلى الانصواء بسهولة تحت الراية السعودية ، منذ نهاية القرن الثامن عشر ، ووجدت هذه القبائل في النظام السعودي القائم على مبادئ الشرع نظاماً أفضل مما كان عليه الوضع في ولايات الشام التي كانت تقع لها . ورات فيه خلاصاً لها من فساد الحكم الذي كانت تعاني منه البلاد .

بدأ تحدى آل سعود لوالى دمشق والسلطان العثماني سافراً عند ما منع الأمير سعود ، عبد الله باشا العظم أمير الحج من الوصول إلى الحرمين في ١٢٢١ هـ - ١٨٠٦ م ، ولم يستطع والى دمشق إزاء التحدى السعودي أن يقوم بأى عمل جدى من شأنه إشعار الأمير السعودي بأنه غير راض عن تصرفه هذا^(٤) .

(١) د. محمد أنيس ، الدولة العثمانية ، ص ١٥٣ .

(٢) د. محمد أنيس ، المرجع السابق ، ص ١٥٣ .

(٣) د. أحمد عزت عبد الكريم ، مقدمة حوادث دمشق ، ص ٢٤ ، ٢٥ .

(٤) انظر هيثم بشر ، عنوان للجد ، ج ١ ، ص ١٣٧ - ١٣٨ .

وإن قيل أن عبد الله باشا العظم أراد قتال آل سعود ، ولكن بعض الموظفين العثمانيين الذين كانوا بصحبته أشاروا عليه بعدم الدخول مع آل سعود في حرب ونصحوه بالرجوع إلى بلاد الشام بعد أن أعطوه ههداً بالكتابة إلى السلطان بذلك^(١) . ولكن السلطان سليم أصدر فرماناً بمنزل عبد الله العظم من منصبه بسبب تقاعسه عن مواجهة القوات السعودية ورجوعه بالحجاج بقاء على أمر سعود بن عبد العزيز الذي أظهر بعمله هذا أن أمور الحرمين أصبحت بيده هو وحده ، وليس بيد السلطان العثماني^(٢) .

ازداد النفوذ السعودي بعد ذلك في بلاد الشام وأصبح لم دعاه داخل بعض القرى والمدن هناك تسربوا عن طريق مرافقتهم لبعض حجاج الذين تمكنوا من أداء الفريضة برضا آل سعود ، الذين كانوا دائماً يحاولون إيجاد عناصر موالية لم داخل الجهات التي يترضون لغزوها^(٣) .

آلت ولاية دمشق بعد عبد الله باشا العظم إلى يوسف باشا كنج ورمح شدة أوامر السلطان التي أرسلت إلى والي الجديد وتكرارها بوجوب قيامه بمحاربة آل سعود إلا أنه لم يقم بأي عمل إيجابي ضد آل سعود ، وانصرف إلى جمع الأموال لنفسه^(٤) ، واكتفى في رده على أوامر السلطان بإرسال الخطط الحربية التي يراها كفيلة بتحقيق رغبة السلطان في القضاء على حركة آل سعود ، مقترحاً فيها تضافر جهود مصر وبنداد ممة لتحقيق تلك الرغبة ، وأخذ يطالب الدولة وبماطلها في نفس الوقت من أجل إرسال المهمات اللازمة للخدمة التي يزعم إعدادها لمحاربة آل سعود^(٥) . وفي الوقت الذي كان يوسف كنج يماطل

(١) ميخائيل الدمشقي ، تاريخ حوادث الشام ولبنان ١١٩٧ - ١٢٠٧ ، ص ١٧ .

(٢) E. St. Philby, op. cit., p. 108

(٣) ميخائيل الدمشقي ، المرجع السابق ، ص ١٧ .

(٤) ساحم المصري ، الدولة العثمانية والبلاد العربية ، ص ٦٥ .

(٥) الدار القومية للوثق التاريخية من يوسف كنج لل ١٤٤ طي ، صفحة ١ بمرور ،

ونيلة ٨ بتاريخ وولاية ٢١ بتاريخ ١٩ صفر ١٢٧٣ - ١٦ أبريل ١٨٠٨ .

فيه السلطان . قاد الأمير سعود حملة واتجه بها إلى بلاد الشام ، وتمكن من الوصول إلى ما وراء جبل الشيخ وكان هدفه مقاتلة القبائل السورية الضاربة في الجوف ، ولكن هذه القبائل علمت بالتحركات السعودية فنقلت مضاربها إلى مواقع جديدة في وادي الأردن . وتمكنت القوات السعودية من التنقل بسهولة في سهول حوران ودمرت المزروعات والممتلكات في الزيريب وبصرى ، وهرب الكثير من السكان من وجه القوات السعودية التي حاولت الهجوم على حصن (الزيريب) الذي له أهميته على طريق الحج بعد أن ضربت الحصار حوله إلا أنها لم تتمكن من تحقيق هدفها في اقتحامه ، فشكت الحصار عنه عائداً إلى بصرى . ووقفت منتصرة عند أبواب الشام وفلسطين^(١) . وكان سمرود ولاية الشام يدعوهم إلى الدخول في الطاعة وإعتناق مبادئ الدعوة ، وحاول أن يخذله أنصاراً من أولياء الأمر في بلاد الشام جرياً على طريقته في استمالة بعض العناصر الداخلية إليه ، إلا أنه لم ينجح في تجريب هذه الطريقة في بلاد الشام ، بسبب منعه للعامل ومعاملة رجاله للعباج^(٢) . بالإضافة إلى ما أزعج عن قسوة أعماله في كربلاء ومدن العراق الأخرى كل ذلك أضد عليه الأمر في استمالة بعض عناصر الجبهة الداخلية في بلاد الشام وسد الطريق أمام الكثير من دعائه الذين انتشروا في هذه البلاد .

انسحبت القوات السعودية بعد ذلك من بلاد الشام بحملة بالكثير من الفناء^(٣) ولم تتمكن القوات الشامية التي أعدها كل من يوسف كنج وسليمان باشا والى إيالة صيدا من مجابهة القوات السعودية^(٤) .

أدرك السلطان محمود الثاني أن يوسف كنج ليس الرجل الكفو الذي

(١) أمين الريحاني ، تاريخ نجد ، ص ٧٠ .

Rev. S.M. Zwemer, Op. cit. p. 195.

(٢) أمين الريحاني ، المرجع السابق ، ص ٧٠ ؛ ميخائيل الدمشقي ، المرجع السابق ،

ص ٢٣ .

(٣) عثمان بن يوسف ، المرجع السابق ، ص ١٤٨ — ١٤٩ .

H. St. Philby, Op. cit. p. 61

(٤) ساطع المصري ، المرجع السابق ، ص ٦٩ .

يرجى منه هذه التحركات السعودية ومخلفي الحرمين ، وأنه ليس خيراً من ولاية
بنداد بعد أن فشل كل منهما في حماية حدود ولايتهما^(١) ، ولذا أصدر فرماناً
بإزالة هذا الوالي الماثل مع مصادرة أمواله وإعدامه وتوجيه إيالة الشام إلى
سليمان باشا وطلب إليه السلطان الاتصال بمحمد علي والي مصر لفسيق جهودهما
ضد آل سعود والقضاء على حركتهم^(٢) . ولكن الأحداث دلت فيما بعد على
أن محمد علي وسليمان باشا لم يكونا على وفاق لأسباب ستعرضها في حينها .
ولذا اتجهت أنظار الدولة كلية لتحقيق هدفها إلى والي مصر الذي نجح فعلاً
فيما فشل فيه كل من ولاية العراق والشام . كما سنرى .

(١) . عبد الحميد الخطيب ، المرجع السابق ، ص ٥٥ .

(٢) . ساطع الحصري ، المرجع السابق ، ص ٦٥ .

الفصل التاسع

نظم الحكم والإدارة

- ١ - تمهيد .
- ٢ - الإمام (الحاكم) وسلطاته .
- ٣ - نظام ولاية العهد .
- ٤ - الأمراء السعوديون .
- ٥ - نظام الشورى .
- ٦ - حكام الأقاليم .
- ٧ - النظام القضائى وتنفيذ الأحكام .
- ٨ - النظام المالى .
 - (أ) موارد الدخل .
 - (ب) أوجه الصرف .
- ٩ - النظام الحربى .
- ١٠ - تقييم نظم الحكم والإدارة .

الفصل التاسع

نظم الحكم والإدارة

موسم :

استقر آل سعود في العربية منذ سنة ١٨٥٠ - ١٤٤٦ م^(١) ، وكان على الأمير السعودي الذي تزول إليه الإمارة أن يحكم طبقاً للعرف والتقاليد التي يفرضها النظام القبلي الذي كان سائداً آنذاك . وكان الأمير يستعين في إدارة شئون إمارته الصغيرة بأفراد أسرته الذين يكونون عصبة التي تشد من أزره ، إذا ما تطلب الأمر ذلك^(٢) .

وكان للأمير على السكان الذين يشتمون بمناه خراج يأخذه منهم بالاتفاق معهم وقت جمع الثمار ، كل عام ، وظلت الأمور تسير على هذا اللحوال، دون أن يطرأ عليها تغيير أو تطور طوال ثلاثة قرون ، والحق أن العربية لم تكن بدعاً في ذلك وإنما كانت تلك هي السمة البارزة في كل إمارات ومناطق الجزيرة العربية في ذلك الوقت .

إلا أن هذا النظام بدأ يهتز ويطرأ عليه التغيير والتطور منذ النصف الثاني من القرن الثامن عشر ، أي منذ أن تحالف الشيخ محمد بن عبد الوهاب والأمير محمد بن سعود على نشر دعوة التوحيد ، وتنفيذ أحكام الشرع التي نص عليها القرآن والسنة . واجتهادات السلف .

Burkhardt, Op. cit., p. 331.

(١)

(٢) يذكر بعض المصادر أن آل سعود لم يتخذوا العربية كمناصب لهم إلا في عهد ملوك ١١٠٠ - ١١٦٢ م ، ونحن لا نلتقي مع أصحاب هذا الرأي .
انظر : ملاح المختار ، ج ١ ، ص ٣٠ - ٣١ .

فقد بدأ الأمير محمد بن سعود يستشير الشيخ محمد بن عبد الوهاب في المسائل التي كان يمن له أن ينفذها ، واستبدل نظام الخراج القبلي الذي كان يفرسه على رعاياه بنظام الزكاة الإسلامي^(١) . وحل نظام الحكم الإسلامي محل النظام القائم على العرف والتقاليد . وأن صد بعض الناس عن إتباع هذا الحكم في أول الأمر فلائهم رأو فيه إفساداً لنظمهم التي كانوا يسرون عليها من قبل .

ومن الثابت أن الأمير محمد بن سعود ظل يجمع في يده كل شئون الإدارة ؛ لأن حدود إمارته لم تبعد كثيراً عن حدود الدرعية ، ولم يستطع خلال فترة حكمه أن يتجفع في توحيد نجد بل إن أخطاراً كثيرة كانت تهدد إمارته . ورغم ذلك فقد غدا الحاكم الوحيد بين أمراء نجد الذي يسير في إدارة شئون إمارته وفقاً لأحكام الشرع .

أما في الفترات التالية لمرحلة حكم الأمير محمد بن سعود من تاريخ الدولة فإن الحكومة السعودية أصبحت أكثر تقيداً بأحكام الإسلام نظراً لإتساع حدود الدولة وتعدد أمورها مما اضطر الأمير السعودي ، إلى إيجاد هيئات حكومية أسند لها بعض الاختصاصات التي كان يجمعها في يده من قبل .

وأصبح الأمير الحاكم يحمل لقب إمام ليمطى للدولة صفتها الإسلامية ؛ إذ أن هذا اللقب كان يطلق عادة على رؤساء الدول الإسلامية التي تحكم وفقاً لمبادئ الشريعة^(٢) .

والواقع أن الدولة السعودية عندما اتسعت أملاكها وأصبحت تطل على بحار في الشرق والغرب استطاعت أن تفرض نظامها على كل المناطق والقبائل التي خضعت لها إلا أن بعض العناصر وخاصة الأمراء التي إنهار نفوذها أمام

(١) حكومة المملكة العربية السعودية ، العرس ، ج ١ ، ص ١٠٥ .

(٢) حكومة المملكة العربية السعودية ، العرس ، ج ١ ، ص ١٠١ .

فتوسع السعوى لم تكن راضية عن هذا النظام ، وإنما قبلته مرغبة على أمل أن تجد سبيلا إلى الخلاص منه .

ونرى من اللازم ونحن بصدد دراسة هذه النظم أن نناقش اختصاصات حاكم الدولة التى كانت مخولة له فى شئونها .

مهام الحاكم وسلطاته :

سبق أن أوضحنا أن سلطات الحاكم فى الدولة السعودية فى بدء أمرها كانت لا تخرج عن كونها سلطات أمير قبلى ، ولكن فى الفترة التالية لحكم الأمير محمد بن سعود بعد أن نجح فى توحيد إقليم نجد واتسعت حدود أملاكهم ، وتطلعوا إلى ما وراء حدود هذا الإقليم لم يعد منذ ذلك الوقت فى مقدور الأمير الحاكم إدارة شئون الدولة كلها بمفرده ، ولذا لجأ إلى الاستعانة ببعض الممال الذين عينهم نيابة عنه فى حكم الأقاليم التى خضعت لنفوذ الدولة وخولهم سلطات واسعة فى حكم هذه الأقاليم بشرط ألا يحملوا عن نظام الدولة ، وأن يسبوا وفقا لما يصدره لهم من تعاليم وأوامر . بالإضافة إلى الاستعانة بالأمرأ من أفراد أسرته والشيخ محمد بن عبد الوهاب وأولاده من بعده . وكانت أم سلطات الإمام بعد أخذ البيعة له من جميع الأقاليم عن طريق أمرأ آل سعود المقيمين بها هى :

أولاً - الإشراف الإدارى العام على شئون الدولة :

فيقوم بإرسال الكتب إلى عماله فى الأقاليم بوضع لهم فيها سهل السب فى حكم رعائهم ويوصيهم بتقوى الله وبمحضهم على الجهاد ويحرمهم عن جميع المظترات من الزنى والغيبية والنيمة وقول الزور والربى^(١) . ويوضح لهم ذلك كله بأداة من

(١) عثمان بن بكر ، المرجع السابق ، ص ١٢٧ .

الكتب والسنة وأقوال السلف ، ولم نستطع أن نشر على صورة من هذه الكتب التي كان الحكام السعوديون يرسلونها إلى عمالهم ؛ لأن المصادر المعاصرة لم تحفظ لنا أباً منها رغم أن بعضها حرص على تسجيل رسائل الشيخ محمد بن عبد الوهاب^(١) ولا ندري ما السبب الذي جعلها لا تسجل كتب الأمراء السعوديين رغم أهميتها ، وإنما اكتفت هذه المصادر بالإشارة إلى ما كانت تحويه هذه الكتب .

وكان الإمام السعودي يقوم بنفسه بالاطلاع على كل الكتب التي تصل إليه من عماله ويملي على كاتبه الرد عليها ، وإذا استشكل عليه أمر ولم يستطع البت فيه برأى جازم ، كان يستشير فيه خواصه من رؤساء البوادي وأصحاب الرأي من أهل الدرعية وأبناء الشيخ وأهل العلم ، ثم يصدر أمره بعد ذلك في هذا الموضوع ، ويرد به على عماله^(٢) .

ثانياً - إشرافه على شؤون الأمن :

كان حاكم الدرعية كثيراً ما يقوم بنفسه بالإشراف على شؤون الأمن فينزل العقاب بالعابثين به ، ويتخذ معهم كل وسائل الشدة حتى لا تراودهم أنفسهم إلى العودة لمثل هذا العمل مرة ثانية ، وفي نفس الوقت يكونون عبرة وحظة لغيرهم . وتسرد لنا المصادر المعاصرة قصصاً تدل في مضمونها على استتباب الأمن في المناطق التي كانت تابعة للدولة ولم بعد أحد يجرؤ على العبث به^(٣) ؛ لأن جميع الرعايا أدركوا ما يحل بالعابثين من عقاب جسماني ومادي . وكان الإمام السعودي ينفذ الحق ولو في أهل بيته وعشيرته ولا يتعظم عظماء إذا ظلم

(١) عثمان بن عمر ، المرجع السابق ، ص ١٦٦ .

(٢) خصص حسين بن هنام الجزء الثاني من كتابه تاريخ نجد لرسائل الشيخ وبتأويله ونشره بعض آيات القرآن الكريم .

(٣) عثمان بن عمر ، المرجع السابق ، ص ١٢٥ ؛ لم الشهاب ص ٥٤ .

فيقمنه من الظالم وينفذ فيه الحق . حق قيل إن السكان صاروا يتركون إبلهم تذهب أي شاءت دون أن يتعرض لها أحد بسوء . وأن الشخص الواحد بمفرده يسافر بالأموال الكثيرة في أي وقت شاء وإلى أي جهة أراد دون أن يخشى أحداً إلا الله^(١) .

وليس من شك في أن انتشار الأمن في عهد الدولة السعودية الأولى حل هذه الصورة إنما يرجع إلى تطبيقها لأحكام الشرع كما سنرى عند دراستنا للنظام القضائي .

ثالثاً - الإشراف على الشؤون المالية والحرية :

فكان الحاكم السعودي يقوم بإرسال عماله القدين يوكل إليهم أمر جمع الزكاة بمختلف أنواعها ومحاسبهم عليها ويقدر لهم رواتبهم ثم يشرف على ضم الباقي إلى خزانة الدولة التي كانت تسمى بيت المال ، كما كانت تسمى في العصر الإسلامي الأول ، ويقوم بالإشراف على وجوه الصرف منها كما سنرى فيما بعد . بالإضافة إلى إشرافه على إعداد القوات اللازمة للفرز فهو الذي يكلف عمال الأقاليم ورؤساء البوادي بأن يمد كل منهم عدداً من الجند المزودين بالعدة والمتاد ويحدد لهم موعد التجمع في مكان معلوم في يوم معين ويقوم بمد ذلك بإفزال المقاب بكل من يتخلف عن الحضور أو يأتي بخلاف ما أمره به^(٢) .

رابعاً - الإشراف على شؤون التعليم والدراسة :

فكان أمير الدرعية يحضر بنفسه مجالس الدرس ويشارك في المناقشات العلمية ، ويعين المحصلات التي تكفي حاجة علماء الدرعية وغيرها من البلدان ، ويشرف بنفسه على شؤون طلبة العلم ويعدل على حل كل ما يعترضهم من

(١) عثمان بن مقر ، المرجع السابق ، ص ١٢٥ ، الجزء الثاني ، ص ١٢٤ .

(٢) عثمان بن مقر ، المرجع السابق ، ص ١٢٨ .

مشكلات ويخرج لهم من خزينة الدولة ما يكفي نفقات معيشتهم طوال مدة الدراسة^(١).

وكان حاكم الدرعية يحرص كل الحرص أن يحضر أبنائه وأبناء أسرته مجالس الدرس، ويتقنوا دروسهم مع بقية الطلاب. ويذكر صاحب عنوان الجهد أن الإمام سعود كان «محبباً إليه أهل العلم وطلبته ويعظمهم ويكرمهم ويميز عطاياهم ويلزم أهل البلدان بإكرامهم وتمثيلهم»^(٢).

خاصة — الاهتمام بالفقراء والمساكين من الرعايا ودراسة حالة كل منهم على حدة وتحديد نصاب كل منهم الذي يستحقه من بيت المال، وكان حاكم الدرعية منذ عهد عبد العزيز يقوم بإرسال ألف ريال أو أقل أو أكثر لكل ناحية أو بلدة كل حسب حالتها لتوزع بمعرفة عماله هناك على الفقراء وأئمة المساجد والمؤذنين وطلبة العلم ومعلمي القرآن^(٣).

بالإضافة إلى كل هذه الاختصاصات كان حاكم الدرعية كثيراً ما يقود الجيوش بنفسه ويخطط للمعارك التي يخوضها، وفي فترة تنفيه عن العاصمة كان يترك إدارة شئون الدولة إلى ولي العهد أو أحد أبنائه إذا كان ولي العهد متخيفاً عن الدرعية أيضاً أو مشغولاً بغزوة من الغزوات في جهة أخرى^(٤). وكان على النائب أن يقوم بجميع اختصاصات الحاكم دون التقصير في أى منها مع استشارته لأبناء الشيخ محمد بن عبد الوهاب، والعلماء وأصحاب الرأي ممن يكونون في الدرعية في ذلك الوقت.

نظام ولاية العهد :

كانت ولاية العهد في الدولة السعودية الأولى، تسير على نظام وراني

(١) عثمان بن مقر، المرجع السابق، ص ١٦٨ — ٢٦٩.

(٢) نفس المرجع، ص ١٧٤.

(٣) نفس المرجع، ص ١٧١.

(٤) نفس المرجع، ص ١٦٦.

لا نحمد عنه ، ويفهم من كلام كل من ابن غنام وابن بشر أن إمام الدولة السعودية الأولى كان يتخذ من أكبر أبنائه ولياً للعهد . ويعهد إليه بقيادة الجيوش ويمتد به القائد العام لقواته في وقت الفزو . ويستشير في كل الأمور ومن الثابت أن الإمام سعود الكبير أخذ له البيعة بولاية العهد في عهد أبيه سنة ١٢٠٢ هـ - ١٢٨٧ م فيذكر ابن بشر « أسر الشيخ محمد ... أهل بلدان نجد وغيرهم أن يبايعوا سعود بن عبد العزيز وأن يكون ولي العهد بعد أبيه وذلك بأمر عبد العزيز ... فبايعه جميعهم » ^(١) . وكذا تمت البيعة لعبد الله بن سعود آخر أئمة الدولة ^(٢) ، رغم وجود من هو أقدر منه لمنصب الحكم بين أفراد الأسرة السعودية ، إلا أن كفته رجحت كفة عمه عبد الله بن محمد بن سعود عندما نازعه حول منصب الإمامة .

الأمراء السعوديون :

شارك الأمراء السعوديون ، وهم أبناء الحاكم وإخوته وأبناء عموته من أفراد الأسرة السعودية ، إمامهم في الحكم بدرجة أو أخرى ، ولكن من المؤكد أن أحداً منهم لم يتول إدارة إقليم معين من أقاليم الدولة وإنما اقتضت مشاركتهم على قيادة الجيوش والفزوات وإبداء الرأي في المسائل التي يعرضها عليهم الإمام الحاكم .

ونرجح أن عدم تعيين الأمراء السعوديين كعمال على الأقاليم يرجع إلى أحد أمرين :

أولهما : خوف صاحب الدرعية أن يستبد أفراد أسرته بالسلطة ويسيطروا على الرعية ، أو يعملوا على الاستقلال عنه بهذه الأقاليم مما يؤدي توزيع قوة

(١) عثمان بن مقر ، المرجع السابق ، ص ٨٣ ، ١٩ ، ١٧٦ ؛ حسين بن غنام ، المرجع السابق ، ص ١٢٥ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ؛ حاطط وجه ، جزيرة العرب ، ص ٢١٨ .
(٢) صلاح المنار ، المملكة العربية السعودية ، ص ١٠ ، ٥٩ .

الدولة وبثير الحروب الأهلية بين أفراد الأسرة السعودية أو يكون استبدادهم سبباً في كراهية الناس لنفوذ آل سعود مما يترتب عليه إثارة الاضطرابات ضدّهم .

ثانيهما : ربما يكون الأئمة السعوديون قد رموا من وراء سياسة عدم تعيين أفراد أسرهم كعمال لهم ، إلى الاحتفاظ بهم في العاصمة بحاجتهم حتى يتمكنوا من إسناد قيادة الجيوش إليهم إذا دعت الأمور إلى ذلك بالإضافة إلى أن وجودهم في الدرعية يكون سنداً وقوة للامام . وبشد من أزره إذا دعت الحاجة .

ورغم أن أحداً من أفراد الأسرة السعودية في فترة بحثنا لم يتول منصب إدارة إقليم من الأقاليم ، إلا أنه من المؤكد أن كل الأمراء السعوديين قد قاموا بدور فعال منذ قيام الدولة وإلى حين انهيارها وشاركوا في تقوية نفوذها وتوسيع حدودها وبرزت من بين صفوفهم أسماء كثيرة قامت بأدوار كبيرة على رأسها محمد بن حسن بن مشاري بن سعود ، وعبد الرحمن بن محمد بن سعود ، وناصر بن مشاري ، وغيرهم من الأمراء الذين بذلوا كل جهدهم في معركة الدرعية للدفاع عنها أمام هجمات جيش إبراهيم باشا ، ولكنهم لم يستطيعوا ذلك إذ كانت القوة المهاجمة أكبر من طاقتهم .

نظام الشورى :

بعد تحالف الشيخ محمد بن عبد الوهاب والأمير محمد بن سعود ، كان الأمير بنشير الشيخ في كل الأمور ويستشير ابنه عبد العزيز الذي كان ساعده الأمين في إدارة شئون الدرعية ، وظل الأمر على ذلك طوال فترة حكم الأمير محمد بن سعود . ولكن في عهد عبد العزيز بن محمد اتسعت أملاك الدولة وتقدت شئونها وفوض الشيخ محمد بن عبد الوهاب كل أمور الدولة إلى عبد العزيز وانقطع هو للأمور الدينية ، إلا أن عبد العزيز لم يكن في مقدوره أن يبت في كل الأمور بمفرده ولذا كان دائماً يلجأ إلى استشارة الشيخ محمد بن

عبد الوهاب ولا ينفذ حكماً إلا بإذنه . بالإضافة إلى إستشارته للأمراء من أفراد أسرته والعلماء وأصحاب الرأي^(١) .

أما في عهد الإمام سعود وخلفه عبد الله فقد كانت الشورى تتمثل في المراحل التالية في الأمور التي لم يستطع الإمام الحاكم أن يقطع فيها برأى جازم .

أولاً : إستشارة رؤساء البوادي وأخذ رأيهم .

ثانياً : إستشارة أصحاب الرأي من أهل الدرعية بما فيهم الأمراء وأخذ رأيهم .

ثالثاً : إستشارة أبناء الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأهل العلم من أبناء الدرعية .

ثم يقرر الإمام الحكم في الأمر الذي كان موضوع الشورى ويصدر به قراراً^(٢) . أما في وقت الحروب فقد كان حكام الأقاليم الخاضعة للدولة يكونون مجلساً استشارياً غير رسمي لمساعدة الإمام في تصريف الأمور^(٣) . وكان الذين يشاركون في الشورى هم رؤساء العرب وأصحاب الكلمة فيهم وأهل العلم منهم . وهم خير من يمثل الرعية ، فليس من شك أن الرئيس الهدوي الذي هو شيخ قبيلته التي اختارته عن طواعية هو خير من يمثلها ، وهو في نفس الوقت يتمتع بمكانة كبيرة لدى أفراد القبيلة ولا يستطيع أحد أن يتناول على مكانته ، وبالإضافة إلى المكانة التي كان يتمتع بها علماء الدين في ذلك الوقت . فإن ذلك يوضح أن نظام الشورى في الدولة السعودية الأولى كان نظاماً ما سليماً إلى حد كبير .

(١) عثمان بن بشر ، المرجع السابق ، ص ١٢٥ .

(٢) نفس المرجع ، ص ١٦٦ .

مظام الأقاليم :

كان للدولة السعودية في عهدها الأول حاكم واحد هو الأمير محمد بن سعود وكانت كل أمورها في يده وإن إسمه ان بمشورة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وابنه عبد العزيز كما سبق أن أشرنا . وذلك لأن حدود الدولة لم تتجاوز حدود الدرعية كثيراً ، وكانت تعيش في صراع من أجل المصير مع الأمراء الحواريين وخاصة أمير الرياض دهم بن دواس .

أما في المراحل التالية لحكم الأمير محمد بن سعود من تاريخ الدولة ، فقد اتسعت حدودها وبسطت سلطانها على كثير من المناطق والأقاليم ، وامتدت حدودها من البحر الأحمر غرباً إلى الخليج العربي شرقاً ومن بادية الشام والعراق شمالاً إلى اليمن وعمان جنوباً ولذا لم يعد في مقدور الإمام السعدي أن يشرف بنفسه على كل هذه المناطق إشرافاً مباشراً ، فأنحذه عمالاً ينوبون عنه في حكم هذه الأقاليم ، ويقيمون فيها النظام ويشرفون على إدارتها وينفذون نظم الدولة وأحكامها ، وكان عابهم أن يقوموا باستشارة مشايخ العرب في هذه الأقاليم حتى لا يظهر أو يظهر الحكم المستبدين^(١) .

وكان الإمام السعدي يقوم باختيار هؤلاء الحكماء الذين ينوبون عنه من العناصر المخلصة لآل سعود والمؤمنة بمبادئ الدعوة السلفية إيماناً عميقاً حتى يطمئن إلى تنفيذ نظم الدولة على خير وجه^(٢) .

وكانت الدرعية تمتد يد العون لهؤلاء الحكماء إذا أبحرهم أمر من الأمور وبالإضافة إلى هذه الأعمال المنوطة بحكام الأقاليم فإنه كان عليهم إعداد الفرق العسكرية التي يكلفهم الإمام بإعدادها . ومساعدة جامعي الزكاة في تحصيلها على خير وجه ، وكان على الحاكم الذي يقوم بنزوة من النزوات أن يعزل خمس

(١) عثمان بن بدر ، المرح السابق ، ص ١٦٦ .

(٢) حكومة المملكة العربية ، المرح ، ج ١ ، ص ٤٥ .

ما يقفمه جيشه ويرسله إلى بيت المال في الدرعية^(١) .

وكان الإمام السعدي إذا رأى زبناً أو انحرفاً من أحد عماله ، بمنزله
وينزل المقاب به^(٢) .

وعلى كل ، فإن بيوتاً معينة أمدت آل سعود بمعظم هؤلاء الحكام مثل
بيت السديري^(٣) ، وبيت عفيصان اللذين قدما كثيراً من كبار الموظفين للدولة .

ولم يكن حاكم الإقليم يشرف على كل الأمور بمفرده وإنما كان هناك
بعض الموظفين إلى جانبه لكل منهم اختصاصه مثل :

١ - قاضي الشرع الذي يقوم بإصدار الفتاوى في الأحكام الشرعية ،
وبفصل في الخصومات التي تقع بين الناس ، وبشرف على تنفيذ أحكام الدين
في الإقليم .

٢ - عمال الزكاة الذين يقومون بجمع الزكاة والخراج من الرعايا طبقاً
لأحكام الشرع^(٤) .

وكثيراً ما كانت مدة شغل هؤلاء الموظفين لوظائفهم عاماً واحداً وربما
جددت لعام آخر أو أكثر ، وإن استمر بعضهم في وظائفهم لمدى الحياة كما يتضح
من الجدول التالي والذي أضعنا فيه اسم الإقليم والعمال الذين تولوا حكمه في
عهد كل من عبد العزيز وسعود وعبد الله ، أي إلى حين انهيار الدولة سنة
١٢٣٣ هـ - ١٨١٨ م .

وقد اعتمدنا في إعداد هذا على ما أورده لنا مؤرخو هذه الفترة .

(١) مؤلف مجهول ، لمع الشهاب ، ص ٥٠ .

(٢) نفس المرجع ، ص ٥٩ .

(٣) حكومة المملكة العربية السعودية ، المرض ، ج ١ ، ص ٤٥٩ .

(٤) عثمان بن بشر ، ص ١٢٩ ، ١٢٥ .

أسماء العمال (الحكام)

رقم سلسل	اسم الإقليم	عمال عبد العزيز	عمال سمود	عمال عبد الله
١	عسير ونهامه	عبد الوهاب أبو نقة	عبد الوهاب أبو نقة، ثم طامى بن عصب	خضعت للحكم للصري
٢	الحجاز	عثمان بن عبد الرحمن الضايقي	عثمان بن عبد الرحمن الضايقي	خضعت للحكم للصري
٣	عمان	مقر بن راشد رئيس رأس الخيمة	سلطان بن مقر بن راشد ثم ابن أخيه حسن بن رحمة	حسن بن رحمة
٤	الأحساء	سليمان بن محمد بن ماجد	إبراهيم بن سليمان ابن عفيصان	فهد بن سليمان بن عفيصان
٥	القطيف	أحمد بن غانم	أحمد بن غانم	إبراهيم بن غانم
٦	زبارة والبحرين	سليمان خليفة	سليمان بن خليفة	سليمان بن خليفة
٧	واي النواصر	ربيع بن زيد النوسري	ربيع بن زيد النوسري	قاعد بن ربيع بن زيد
٨	الخرج	إبراهيم بن سليمان بن عفيصان	عبد الله بن سليمان ابن عفيصان	عبد الله بن سليمان ابن عفيصان
٩	المحمل	ساري بن يحيى بن سويلم	ساري بن يحيى	ساري بن يحيى بن غيب
١٠	الوشم	عبد الله بن محمد بن غيب	محمد بن إبراهيم بن غيب المعروف بالجبع	محمد بن يحيى بن غيب
١١	الدير	عبد الله بن جلاجل	حمد بن سلم ثم عبد الكريم معقل	عبد الله بن محمد بن معقل ثم محمد بن إبراهيم أبا النسيم

تابع أسماء العمال (الحكام) •

رقم سلسلة	اسم الإقليم	عمال عبد العزيز	عمال سعود	عمال عبد الله
١٢	القصيم	حجيلان بن حمدى بريده	حجيلان بن حمد	حجيلان بن حمد
١٣	جبل ضر	محمد بن عبد الحسن ابن فايز بن على	محمد بن عبد الحسن ابن فايز	محمد بن عبد الحسن ابن على
١٤	الهجمة والشيخ	كائتا غالباً تابعتان لحاكم المدير	كائتا تابعتان لحاكم المدير	كائتا تابعتين لحاكم المدير
١٥	بيشه	سالم بن شكبان	سالم بن شكبان ثم ابيه فهاد	خضعت للحكم للمصرى
١٦	رينه	مسلط بن قطان	مسلط بن قطان	خضعت للحكم للمصرى
١٧	تره	حمد بن يحيى	حمد بن يحيى	خضعت للحكم للمصرى
١٨	أمير الجيوش في عمان	—	مطلق للطيرى	بنال للطيرى أخو مطلق
١٩	مكة	—	الشريف غالب بن مساعد	خضعت للحكم للمصرى
٢٠	اللدنية	—	حسن قلمى	خضعت للحكم للمصرى
٢١	يلنج	—	حابر بن جبارة الشريف	خضعت للحكم للمصرى

ملحوظة : كان كل إقليم يستولى عليه المصريون تزال عنه الإمارة السعودية حتى انهارت الدولة نفسها .

(*) اطراف ابن عمر ، عنوان المجد ، ج ١ ، ص ١٢٩ ، ١٣٥ ، ١٤٦ ، ١٤٩ ،
حسين بن قنم ، روضة الأفكار والأهوام ، لم الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب .

القضاء وتنفيذ الأوامر :

ذكرنا أن هناك قضاء كانوا يساعدون في حكم الدولة والآن نوضح طبيعة القضاء في الدولة السعودية الأولى .

كان القضاء في هذه الدولة يسير وفقاً لأحكام القرآن والسنة وإجتهادات السلف . ولذا كان يشترط فيمن يتولى منصب القضاء أن يكون من علماء الشرع الذين لهم خبرة طويلة بعلوم الشريعة . وكان عبد العزيز بن محمد بن سعود هو أول من أرسل قضاة إلى الأقاليم ، واختارهم من أقدر رجاله وأعدلهم . وعين لهم راتباً سنوياً من بيت المال ومنعهم من أخذ الرشاوى من الأطراف المتنازعة التي تعرض عليهم الشكاوى^(١) .

وكان هؤلاء القضاة يعملون بأحكام الشرع في المعاملات والعبادات لا يفرق في ذلك بين رفيع ووضيع أو أمير وفقير حتى بلغ من تأثير ذلك على الناس مبلغاً لا يحتاج معه إلى تنفيذ كثير من الحدود لا جتناب الناس لأسباب الحكم فيها^(٢) .

أما عقوبة الجرائم في الدولة السعودية الأولى كانت مبنية على الأحكام التي سنّها القرآن في هذا الميدان . فالسارق تقطع يده ، والقاتل إن ثبتت جريمة إرتكابه القتل يقتل أو يدفع دية القتل وقد قدرت بمائة ناقة وقدر الإمام سعود ثمن كل منها ثمانية جنيهات ، أى أصبحت دية القتل ثمانمائة جنيه إذا وافق أهله على أخذ الدية وإلا نفذ فيه الحكم^(٣) .

(١) مؤلف مجهول ، لم الشهاب ، ص ٥٥ .

(٢) محب الدين الخطيب ، الوهاية ، مجلة الزهراء ، مجلد ٣ ، صفر سنة ١٣٤٥ .

ص ٨٣ .

Burkhardt, Op. cit., p. 301.

(٣)

وفي القضايا الأخرى التي لا تستلزم جرميتها القتل كثيراً ما كان القضاء ينزلون العقاب بمرتكب الجريمة جسائياً ومادياً ليكون عبرة لغيره . ويمجوز لكل قاض أن يأخذ في أحكامه بأي مذهب ما دام ذلك أقرب في رأيه إلى الصواب وإن خالف ذلك مذهب أحد بن حبل مما أدى إلى تفاوت الأحكام في الحالات المتشابهة عند التطبيق السلي^(١) .

وعلى كل ، فإن الأحكام القضائية في الدولة السعودية الأولى كانت قليلة جداً نظراً لخوف الناس من العقاب ولأن التحركات العسكرية السعودية كانت كثيرة ومستمرة في كل الجهات لإقرار النظام وتوطيد الحكم السعودي .

ولم يكن حظ القضاء أسعد حالاً من غيره من النظم من حيث تسجيل الأحكام وحفظها ، فلم تدون الأحكام ولم تحفظ في سجلات خاصة ، وإن استطعنا أن نمر على أسماء القضاة الذين استعان بهم آل سعود منذ عهد عبد العزيز حتى انهيار الدولة ونذكر فيما يلي أقاليم الدولة والقضاة الذين عملوا بها . ولكن يجب أن نشير أولاً إلى أن دقة النظام القضائي في الدولة السعودية الأولى ساعدت على إقرار الأمن في البلاد وقضت على الملب الذي كان سائداً فيها من قبل ، وإن كنا نرى أنها في نفس الوقت أوجدت نوعاً من التذمر ضد آل سعود .

(١) د. صلاح الدين الخادم ، حركات الإصلاح الديني ، المجلد التاريخي المصرية

أسماء القضاة

رقم سلسل	اسم الإقليم	قضاة عبد العزيز	قضاة سعود	قضاة عبد الله
١	الدرعية	الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ثم حسين ابنه وعبد الله بن الشيخ عبد الرحمن بن خميس	عبد الله بن الشيخ ، علي بن حسين بن الشيخ ، عبد الرحمن بن حسين بن الشيخ ، سليمان بن عبد الله ، أحمد بن ناصر بن عثمان بن ميمر عبد الرحمن بن الحليس	عبد الله بن الشيخ علي بن حسن ، عبد الرحمن بن حسن ، سليمان بن عبد الله عبد الله بن القاضي أحمد الوهبي
٢	الأحساء	—	محمد بن سلطان الموسجي ثم عبد الرحمن بن ناصي	عبد الرحمن بن ناصي
٣	عمان	—	إبراهيم بن سيف	عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين
٤	القطيف	—	محمود الفارس	محمود الفارس
٥	الخرج	محمد بن سويلم	—	علي بن حمد بن راشد العربي
٦	الحوطة	صعيد بن حمي	—	رهيد النوسر
٧	مدير	حمد بن راشد العربي	علي بن مساعد	إبراهيم بن سيف
٨	منبج	محمد بن عثمان شبانة	عثمان بن عبد الجبار ابن شبانه	عثمان بن عبد الجبار ابن شبانه
٩	الوشم	عبد العزيز بن عبد الله بن الحسين	عبد العزيز بن عبد الله بن الحسين	عبد العزيز بن عبد الله بن الحسين
١٠	المحمل	—	عبد الرحمن أبا الحسين مع حرملا	حمد بن مفرن الموسجي
١١	القصيم	عبد العزيز بن سويلم	عبد العزيز بن سويلم	عبد العزيز بن سويلم

تابع أسماء القضاة

رقم مسلسل	اسم الإقليم	قضاة عبد المزين	قضاة سعود	قضاة عبد الله
١٢	جبل شمر	—	عبد الله بن سليمان ابن عبيد	عبد الله بن سليمان ابن عبيد
١٣	تهامة	—	أحمد الحفظي	خضعت للحكم المصري
١٤	البحر	—	حسن بن خالد الشريف	خضعت للحكم المصري
١٥	الطائف	—	عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين	خضعت للحكم المصري
١٦	حرعلا	—	عبد الرحمن أبا حسين	عبد الرحمن أبا حسين
١٧	المدية	—	أحمد الياس الاصطبولي ، أحمد ابن رشيد الحنبلي	خضعت للحكم المصري
١٨	مكة	—	سليمان بن عبد الله ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب	خضعت للحكم المصري

• الأقاليم التي لم يذكر أمامها اسم قاض إما لأنها لم تكن قد خضعت بعد
للدولة أو لأن قاضها كان يغير كل عام .

النظام المالي في الدولة السعودية الأولى :

أصبح للدولة السعودية نظام مالي منظم طبقاً للنظم الإسلامية ، وكما سبق أن أشرنا أنه كان للأمير محمد بن سعود قبل أن يتحالف مع الشيخ محمد بن عبد الوهاب خراج على أهل الدرعية يأخذه منهم وقت خرص الثمار . إلا أنه استبدل هذا النظام بنظام الزكاة الإسلامي . بعد تحالفه مع الشيخ ، والحقيقة أن موارد الدولة في عهد محمد بن سعود ظلت محدودة وضيقة ، لأن حدودها لم تتسع كثيراً ولأن فترة حكم هذا الأمير كانت فترة صراع مرير مع جيرانه . ولكن في عهد خلفائه اتسعت حدود الدولة وازدادت أملاكها وتصدت موارد لها . وكان إشرافها على الخليج مكسباً مادياً ضخماً جلب إليها كثيراً من الدخل ، بالإضافة إلى كونه مكسباً سياسياً ودينياً^(١) . وساعد أيضاً على ازدهار اقتصادها ضمها للعجاز وتهامة وحسير والنفود التي كانت تقع على ساحل البحر الأحمر .

وباتساع موارد الدولة اتسعت أوجه الصرف أيضاً ، وفيما يلي نقاش كلا من الموارد وأوجه الصرف .

(١) موارد الدخل :

أولاً - الزكاة :

الزكاة هي قوام التكافل الإجتماعي في الإسلام ؛ إذ أنها تؤخذ من الأغنياء لتصرف على الفقراء وهي أربعة أقسام^(٢) :

١ - زكاة الرزوع والثمار ومقدارها عشر (١٠ ٪) مما تنتجه الأرض

(١) Ahmed Abu Hakima, History of Eastern Arabia p. 143.

(٢) حكومة المملكة العربية السعودية ، المرس ، ٢٠ ، ص ٢٧٢ - ٢٧٤ .

أو الأشعار إن سقيت بنير آلة ونصف العشر (٢٠٥ ر) إن سقيت بآلة نظراً لما يتكلفه النوع الأخير من جهد وعناء ومصاريف من النوع السابق ، وهي محب في كل ما ينتج من غير نظر إلى كون المالك بالفاً عاقلاً مكلفاً أو غير مكلف .

٢ — زكاة النقدين وهي زكاة الذهب والفضة ومقدارها ربع المشر من رأس المال .

٣ — زكاة السائمة من البقر والغنم والإبل ، وزكاة الإبل يدفعها كل من يزيد ملكه منها على خمسة جمال فيدفع عن كل خمسة شاة أو ما يقابلها نقداً . أما الأغنام فلا يدفع زكاة عنها من قل نصابه منها عن أربعين شاة ويدفع على ما يزيد عن هذا العدد النصاب الذي تقرره الشريعة .

٤ — زكاة عروض التجارة وهي الأموال المستعملة في الأغراض التجارية ، أي الأموال السائلة التي تنتقل من يد إلى يد بقصد الاستغلال والحصول على أرباح من ورائها ومقدار زكاتها ربع العشر (٢٠٥ ٪ من الأصل والنماء معاً) . وكانت الدولة السعودية الأولى ، تقوم بحماية الزكاة بمختلف أنواعها من جميع الأقاليم والمناطق والقبائل التي خضعت لفوذها ، بطريقة منظمة ومرتبطة ، فقد كان الحاكم السعودي « يبعث إلى البوادي بضعاً وسبعين عاملة (أي مفرزة) كل عاملة سبعة رجال وهم أمير وكاتب وحافظ دفتر وقابض للدراهم التي تباع بها إبل الزكاة والغنم ، وثلاثة رجال خدام لمولاه الأربعة لأوامرهم وجمع الإبل والأغنام المقبوضة في الزكاة وغير ذلك ، وذلك من غير جمال نواحي البلدان من الحضر لحرص الثمار وعمل زكاة العروض والإثمار وغير ذلك » (١) . ونستخلص من ذلك أن كل نوع من أنواع الزكاة كان له عماله الذين يقومون بحمايته .

(١) عثمان بن بشر ، المرحوم السابق ، ص ١٢٣ .

وقد ذكر أحد كتاب سمود المخصوصيين أن سموداً أرسل عماله لجمع الزكاة من بوادي « يام » في نجران وبوادي الفز في مصر وقبضوا الزكاة من الجميع^(١) . ولكن إذا قبلنا القول بأن عمال سمود وصلوا إلى بوادي يام في نجران فذلك لأن القوات السمودية ، أصبحت في عهد سمود تتحرك في داخل الأراضي اليمنية وأصبح نفوذ آل سمود يشمل مناطق يمنية ، رغم أن قبائل يام بالذات كما سبق أن ذكرنا كانت مصدر إزعاج للقوات السمودية ونفوذ آل سمود ولكننا لا نستبعد خضوع بعض هذه القبائل لنفوذ الدرعية .

أما القول بأن عمال سمود وصلوا إلى بوادي الفز في مصر ففيه مبالغة ولا نستطيع قبوله لعدة أسباب منها أنه في عهد سمود الذي بدأ ١٢١٨ هـ — ١٨٠٣ م كانت الأنباء قد وصلت إلى مصر عن طريق الحجاج عن أعمال آل سمود في الحجاز وفي كربلاء بالعراق فنشرت الناس منهم .

بالإضافة إلى تعرضهم للمعاملة ومنعهم لها من دخول الأراضي المقدسة وبث الدولة العثمانية منذ ذلك العهد دعاياتها ضد آل سمود كل ذلك يجعلنا نستبعد حتى وجود الشعور بالولاء الديني بين قبائل الفز في مصر لآل سمود ، فضلاً عن أننا لا نعرف من هي قبائل الفز وأين يقطنون في مصر .

أضف إلى ذلك أن المصدر الوحيد الذي ذكر هذه الرواية ابن بشر المؤرخ النجدي . ولم نجد مصدراً آخر يؤيد قوله في هذا الشأن مما يجعلنا نشك في روايته هذه .

ومقارنة الأرقام التي ذكرها كل من ابن بشر وصاحب لمع الشهاب نجد أن دخل آل سمود من الزكاة كان أكثر من مليونين من الريالات^(٢) وهذا يتفق مع ما ذكره بوركهارت طيناً لتقدير بعض أهل مكة له بأن آل سمود

(١) عثمان بن بشر ، المرجع السابق ، ص ١٧٣ .

(٢) عثمان بن بشر ، المرجع نفسه ، ص ١٧٣ ، لمع الشهاب ، ص ١٧٠ .

قد بلغ آنذاك حوالى مليونين من الريالات (الدولارات كما ذكر) ^(١) وهذا ما يوضحه الجدول التالي الذى أعددناه طبقاً لتقدير صاحب (لمع الشهاب). وينبغى أن ننبه أولاً إلى أن هذه الأرقام ليست دقيقة لأنها لم تأخذ من سجلات وإنما إحتد صاحبها فى تدوينها على السماع فقط.

جدول الزكاة فى عهد سعود الكبير ^(٢) كما ورد فى (لمع الشهاب)

المنطقة	مقدار زكاتها بالريالات	ملاحظات
١ - بوادى نجد	٤٠٠.٠٠٠	
٢ - بوادى الحين ونهامة وعمان	٥٠٠.٠٠٠	
٣ - الأحساء	٤٠٠.٠٠٠	
٤ - القطيف	٢٠٠.٠٠٠	
٥ - البحرين	٤٠.٠٠٠	جميع هذه الأرقام قرية
٦ - الحجاز	٢٠٠.٠٠٠	من تقديرات ابن بطر
٧ - رأس الخيمة	١٢٠.٠٠٠	
٨ - عمان	١٥٠.٠٠٠	
٩ - محاصيل الأملاك فى نجد والأحساء ^(٣)	٣٠٠.٠٠٠	
الجملة	٢٠٣١٠.٠٠٠	

Burkharet, op. cit., p. 310.

(١)

(٢) هذا الدخل من الزكاة فقط ولا يشمل خمس الثنم وغيره من موارد الدخل التى سنذكرها .

(٣) ورد ذكر نجد وعمان مكرراً فى الجدول على أساس ذكر كل من الدول والمصر

كل على حدة .

ويذكر ابن بشر « وأما غير ذلك مما يجيء إلى الدرعية من الأموال من القطيف والبحرين وعمان واليمن وتهامة والحجاز وغير ذلك ، وزكاة ثمار نجد وعروضها وأثمانها لا يستطيع أحد حده ولا يباينه حصره ولا حده وما ينقل إليها من الأخماس والفتنم أضاف ذلك » (١) .

ثانياً - خمس الفتنم :

كان خمس الفتنم يكون المصدر الثاني لدخل الدولة ، فقد كانت جيوشها كثيرة الغزوات فكانت تعود من غزوة حتى تعد العدة لغزوة أخرى ، وأحياناً كثيرة كانت جيوش الدرعية تشن غاراتها في أكثر من جهة في وقت واحد تحت إمرة الأمراء السعوديين وأهوانهم المخلصين .

وكانت الجيوش السعودية تحوز كثيراً من الفتنم أثناء غزوها من سائمة وأموال ، فكان على قائد كل جيش أن يقوم بعزل خمس ماغنمه جيشه ويرسله إلى بيت المال في الدرعية ويقوم بتوزيع الأخماس الأربعة الباقية على أفراد الجيش الذين اشتركوا في المارك على أساس سهم للرجل من المشاة وسهمين للفراس ، سهم له وسهم لدايته (٢) .

وإذا قام أحد عمال الدولة في منطقة ما بغزوة على منطقة مجاورة أو إحدى القبائل المعادية وحصل في أثناء غزوه على غنائم مهما كانت قيمتها فعليه أيضاً أن يرسل خمس هذه الفتنم إلى بيت المال . ثم يوزع الباقي بين أفراد جيش بالطريقة السابقة (٣) .

(١) انظر ابن بشر ، ص ١٧٣ ، ملح الصحاب ، ص ١٧٠ .

(٢) عثمان بن بشر ، المرجع السابق ، ص ١٦٨ ، د . منير العجلاني ، تاريخ الدولة السعودية الأولى ، ص ١٧٠ .

(٣) عثمان بن بشر ، المرجع السابق ، ص ١٦٨ .

وهكذا يتضح لنا أن خمس العنّام كان مورداً أساسياً من موارد دخل الدولة السعودية الأولى . وقد كانت العنّام كثيرة كما يظهر من الملاحظات التي ذكرها كل من ابن عثام وابن بشر ، وإن كنا نرى في تقديرات هذين المؤرخين النجديين شيئاً من المبالغة إلى حد ما . وإن دلت في نفس الوقت على ضخامة هذا المورد بالنسبة لدخل الدولة .

ثالثاً — الأموال المصادرة :

كان نظام آل سعود يقضى بإزالة العقاب الجسدي على الخارجين على الأمن والعابثين به ، ومصادرة أموالهم وضماها إلى بيت المال ^(١) . ويذكر لنا كل من صاحب لمع الشهاب وابن بشر أمثلة عديدة لحالات صودرت فيها أموال العابثين بالأمن وضمت إلى بيت المال ونسرد على سبيل المثال القصة التالية التي يذكرها ابن بشر يقول « أني حاج من العجم ونزل قرب وادي سبيع فسرق من الحاج غرارة فيها من الخوائج ما يساوي عشرة قروش فكتب صاحب الفرارة لعبد العزيز يخبره بذلك فأرسل إلى رؤساء تلك القبيلة فلما حضروا عنده قال لهم إن لم تخبروني بالفرارة وإلا جعلت في أرجلكم الحديد وأدخلتكم السجن وأخذت نكالا من أموالكم فقالوا نفرمها بأضعاف ثمنها فقال : كلا حتى أعرف السارق — فقالوا ذرنا نصل إلى أهلنا ونسأل عنه ونخبرك — ولم يكن بد من إخباره فلما أخبروه به أرسل إلى ماله وكان سبعين ناقة فباعها وأدخل ثمنها بيت المال » ^(٢) .

تلك أهم الموارد الرئيسية التي كانت تشكل دخل بيت المال منذ عهد محمد بن سعود حتى إنبهار الدولة سنة ١٢٣٣ هـ - ١٨١٨ م مع ملاحظة نمو هذه الموارد وإزدهارها من فترة إلى أخرى تبعاً لعمور الدولة واتساع أملاكها وكثرة القبائل الخاضعة لها .

(١) . مؤلف مجهول ، لمع الشهاب ، ص ٥٩ .

(٢) . عثمان بن بشر ، المرحوم السابق ، ص ١٢٥ .

(ب) أوجه الصرف :

كانت الدولة تقوم بالإئفاق من بيت المال الذى تتكون حصيلته من الموارد السابقة على الأوجه التالية :

أولاً : الصرف على المساكين والفقراء الذين لهم حق فى الزكاة طبقاً لأحكام الشرع فكان الإمام السعوى يقوم بإعطاء كل منهم نصيبه الذى يكفل له الحياة^(١).

ثانياً : الصرف على أبناء السبيل وهم الذين ضلوا طريقهم أو حتمت عليهم ظروف سفرهم ذلك دون أن يكون معهم ما يكفى أودم ؛ فكان الإمام السعوى يقدم لهم من بيت المال ما ييسرهم على سفرهم ، و يقوم بضياقتهم مدة إقامتهم فى الدرعية ، وكان يرسل لعماله على الأقاليم مخصصات لمثل هذا العمل^(٢).

ثالثاً : الإئفاق على المنشآت الدينية كإقامة المساجد ومجالس الدرس وما يلزمها بالإضافة إلى الإئفاق على طلبة العلم الذين إغتربوا من أجله وأنوا إلى الدرعية^(٣).

رابعاً : الإئفاق على الذين تحمل بهم الكوارث فإذا مات رجل من أى ناحية كان أولاده يأتون إلى الدرعية ، فيخرج لهم الإمام عطاء وربما كتب لهم راتباً دائماً فى الديوان إذا كانت حالتهم تستدعى ذلك^(٤) . وهو ما يقابل الضمان الاجتماعى فى أيامنا .

خامساً : دفع أجور العمال الذين يقومون بحماية الزكاة من دافعيها ، ودفع

(١) عثمان بن بشر ، المرجع السابق ، ص ١٧١

(٢) المرجع نفسه ، ص ١٧١ ، لم الغمام ، ص ٥٢ .

(٣) عثمان بن بشر ، المرجع السابق ، ص ١٢٨ .

(٤) المرجع نفسه ، ص ١٢٧ .

رواتب القضاء وحكام الأقاليم وأهل العلم وطلبة ومعلمي القرآن والمؤذنين وأئمة المساجد وغيرهم من الموظفين الذين يقومون بأعباء تكلفتهم الدولة بها ، حيث إنهم تفرغوا لأقيام بهذه الأعمال وشغلهم عن الكفاح من أجل كسب قوتهم لحق على الدولة أن تدفع لهم رواتبهم من بيت المال حتى لا يلجأوا إلى أخذ الرشوى أو العاروق غير الشروعة^(١) .

سادساً : الاتفاق على الجند الموظفين الذين كانوا يقومون بدور الحاميات ؛ فكانت الدولة تدفع لهم رواتبهم من بيت المال نظراً لما يقومون به من خدمات عامة كحماية الأمن والمحافظة على أملاك الدولة والرعية^(٢) .

سابعاً : دفع محصنات الأمراء السعوديين باعتبار أن ما يقومون به من أعمال كقيادة الجيوش والتحرك لإقرار الأمن من الخدمات التي تستلزمها الدولة ، وهي في نفس الوقت تشغلهم عن إغناء ثرواتهم وتحصيل أرزاقهم ، ولذا خصص لهم الإمام محصنات تكفل لهم ولأسرهم الحياة الكريمة^(٣) .

تلك هي أهم أوجه الصرف الرئيسية التي كانت الدولة تقوم بالاتفاق عليها من بيت المال . بالإضافة إلى إرسال الصدقات لأهل النواحي والاتفاق على بيوت الضيافة في كل الأقاليم إذا بقي وفر بعد ذلك في بيت المال^(٤) .

ولم تكن الأموال التي تجبي من بعض أقاليم الدولة تكفي حاجتها في كل أوجه الصرف ؛ فكان الإمام السعودي يأمر بسد النقص من بيت المال^(٥) .

(١) عثمان بن بشر ، المرجع السابق ، ص ١٢٧ .

(٢) مؤلف مجهول ، لم الشهاب ، ص ٥٠ .

(٣) المرجع نفسه ، ص ٥٦ .

(٤) عثمان بن بشر ، المرجع السابق ، ص ١٢٩ .

(٥) إبراهيم نصيب ، المرجع السابق ، ص ٢١٢ .

أما عن العملة المتداولة ، فإن الدولة السعودية الأولى لم تكن لها عملة خاصة بها مسكوكة بإسمها ، وإنما في الأمور العادية في البيع والشراء بين أفراد القبيلة كانت المفاضة لا تزال تمثل مركزاً هاماً . وإذا استعملت العملة في البيع والشراء ؛ فكانت العملة المعترف بها عملة إمام اليمن النعاسية ، التي كانت كثيرة الاستعمال بين القبائل في المعاملات العامة ، بالإضافة إلى عملة أخرى كانت مستعملة وهي الريالات التي ذكرها ابن بشر وهي تنفي الريال (ماريا تريزا) . وهو عبارة عن قطعة نقدية من النفضة التي ضربت في النمسا في أواخر القرن الثاني عشر الهجري (الثامن عشر الميلادي) ، وهي عملة لا تزال تستعمل إلى اليوم على نطاق واسع في الجزيرة العربية وجنوبها وشرق إفريقيا^(١) ؛ إذ أن الريال السعودي لم يكن قد ظهر للوجود بعد .

أما العملة التركية فلم تكن مستعملة هناك حتى إن الجنود السعوديين كانوا عندما يقتلون جندياً تركيا أثناء الحروب مع جيوش محمد علي وبجيدون في جيبه بمص القروش التركية كانوا غالباً ما يرمونها لأنها غير مستعملة عندهم في المعاملات^(٢) .

وهكذا يتضح من العرض السابق كيف أن النظام المالي في الدولة السعودية الأولى كان يسير في يسر وسهولة ، تفضله الأوامر الشفوية . حتى إن الدولة لم تلجأ إلى تقييد موارد دخلها وصرفها في دوائر خاصة تحفظها وإن ذكر ابن بشر أن من بين أفراد المفرزة التي تقوم بجمع الزكاة ماسك دفتر ولم تذكر المصادر النعديّة المعاصرة أو غيرها من المصادر ما هي طبيعة هذا الدفتر الذي يقوم أحد أعضاء المفرزة بحمله ، وإن شئت أرجح أنه ربما كان يحوى أسماء القبائل التي تختص كل مفرزة بحماية الزكاة منها . وإن ذكرنا لنا ابن بشر

(١) حكومة المملكة العربية السعودية ، ج ٢ ، ص ٣٠٣ - ٣٠٤ .

Burkhardt, Op. cit., p. 304.

(٢)

وصاحب لمع الشهاب وابن غلام أرقاماً ؛ إلا أننا نرى أنها لم تصل إلى دقة الأرقام الرسمية المسجلة في دفاتر رسمية ، فقد كان كل من هؤلاء المؤرخين يعتمد في تسجيله لهذه الأرقام على السماع وليس على الإحصاءات الرسمية . ولهذا السبب أهملنا كثيراً ذكر الأرقام حيث إننا لم نتأكد من دقتها ، ولم نجد مصادر أخرى مطابقة لها حتى نتأكد من صحتها ، وإن أعددنا هذه الأرقام في شيء فني رسم الصورة العامة للنظام المالي للدولة .

التعليم :

لم يكن التعليم في الدولة السعودية الأولى تعليمًا عصريًا ، بالمعنى المفهوم لدينا في هذه الأيام ، أي لم يكن الطلاب يدرسون في مدارس نظامية ، لها برامج دراسية محددة يدرسها الطلاب في وقت معين ، وإنما كان التعليم تعليمًا دينيًا مقتصرًا على دراسة التفسير والحديث وكتب الفقه الحنبلي وأشهر الكتب التي كان الطلاب بمكفون على دراستها ويتذاكرها الإمام السعودي نفسه في محالٍ درسه هي : (١) تفسير الطبري . (٢) تفسير ابن كثير . (٣) صحيح البخاري . (٤) رياض الصالحين . وكتب الشيخ محمد بن عبد الوهاب وكتب أحمد بن تيمية . وكان الذين يقومون بالإشراف على شئون الدرس والتعليم في الدرعية أبناء الشيخ محمد بن عبد الوهاب بعد أبيهم ، وعبد الله بن حماد والقاضي عبد الرحمن بن خريس . أما في الأقاليم فكان القضاة يقومون بدور المعلمين^(١) . وكانت المساجد وبيوت المعلمين هي أماكن الدراسة ، وإذا ما أتم دارس دروسه وأتقنها وافتنع الشيخ به أجازته أي منحه إجازته التي بمقتضاها يحق له أن ينخرط في سلك المعلمين ويتصدى للافتاء وإبداء الرأي .

أما الإنفاق على شئون التعليم فكانت الدولة تكفله بل إن الإمام عبد العزيز كان يمنح المكافآت الشهادية للطلاب الذين يظهرون تقدمًا وتفوقًا^(٢)

(١) هذان بن بشر ، المرجع السابق ، ص ١٦٩ - ١٧٠ .

(٢) المرجع نفسه ، ص ١٦٧ .

وكان باب التعليم مفتوحاً أمام كل راغب في التزود بعلوم الشريعة والقرآن والحديث وهي الأصول التي تعتمد عليها الدعوة السلفية .

النظام الحربي :

لم يكن لمحمد بن سعود جيش منظم قبل تحالفه مع الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وإنما كان له حرس خاص لم يكن يشكل قوة عسكرية ملحوظة الحروب ، وإنما مهمته الدفاع عن الأمير وممتلكاته إذا دعت الأمور إلى ذلك .

أما ضد تحالف الشيخ والأمراء وإعلان مبدأ الجهاد لنشر مبادئ الدعوة السلفية فإن الأمير محمد بن سعود استعمل أتباع الدعوة كقوة حربية في حروبه مع الإمارات النجدية المجاورة وخاصة الرياض .

وفي عهد خلفاء الأمير محمد بن سعود إتبع آل سعود طريقة خاصة في التجنيد كانت تسمى بالنفير ، فعندما يريد الإمام القيام بغزو إحدى المناطق أو الإغارة على جهة من الجهات ، فإن النفير أى التجنيد كان يمر بالمراحل التالية :

أولاً : يرسل الإمام رجالاً (حواشي) من عنده إلى جميع القرى والمدن والمناطق والقبائل الخاضعة للدولة بأمر مشايخ وعمال هذه المناطق بأن يعد كل منهم العدد الذي كان الإمام يحدده لكل قرية أو قبيلة أو منطقة حسب حالتها وتمدادها ومعهم رواحلهم وزادهم الذي يكفيهم للمدة التي يحددها لهم^(١) .

ثانياً : كان الإمام يحدد للجميع ميماً معيناً في مكان معين ، وغالباً ما كان التجمع يكون عند ماء معروف للجميع كي يتسنى لهم الحصول على الماء والإقامة حوله حتى يخرج هو إليهم^(٢) .

ثالثاً : إذا أرسلت إحدى القبائل أو القرى مقدار المصاكر المفروضة ،

(١) لمع الوهاب ، ص ٥٦ ، ٥٧ . Burkhardt, Op. cit., p. 311 .

(٢) عثمان بن بشر ، المرجع السابق ، ص ١٢٨ .

وبها ضمت أو عبرت دائرة على الكر والفر ، أو كان زادها قليلا ، أو كانت رواحل بعض الجند هزيلة ، أو تأخر المساكر عن اليماد المضروب يوماً ، أو إحدى هذه الحالات كان الإمام يأمر برد هؤلاء المساكر إلى ناحيتهم وبعد الإتياء من الغزو « أول ما يبدأ بتأديب تلك القرية التي خالفت عهوده وبسكناها وبمنهمما وربما يقتل شيخها . فلماذا صار متى أرسل لكل قرية أو قبيلة يطلب المسكر المفروض عليها ، فلم يكن لها بد من إحضار العدد المعلوم من أقوى الرجال على أمره الرواحل مع الزاد الذي يكفيهم المدة المعلومه »^(١) . وبهذه الطريقة صار مجتمع لديه جيش كبير العدد يبلغ أحياناً عشرين ألفاً أو أكثر .

رابعاً : كان الإمام يحدد للقرى والقبائل المدة التي يستمر فيها الغزو « فتارة يمين المدة شهراً وتارة يمينها عشرين يوماً وتارة عشرة وتارة شهرين وهكذا حسب مقتضى الحال »^(٢) وذلك كي يحضر كل جندي الزاد والذخيرة التي تكفيه المدة المعلومه ، وكان غالباً ما ينهى غزوه قبل نهاية المدة لأنه إذا تأخر بعدها أصبحت كل نفقات الجيش هو المسئول عنها وعليه إعدادها وتقديمها للهند ، وهذا ما كان يتحاشاه ، حتى إنه في بعض الأحيان كان ينهى الغزو دون أن يتمه كي لا يتحمل نفقات الجند^(٣) .

خامساً : عندما يحين ميعاد الخروج للغزو وتكون الجموع قد اكتملت في المكان المتفق عليه ، كان الإمام يركب من الدرعية متجهاً إليها بعد أن يوكل أمر شئون الدولة لولى العهد أو أحد أبنائه ، وإذا كان هو الذى سيقوم بقيادة الجيش وكان خروجه من الدرعية غالباً ما يكون يوم الخميس أو يوم الاثنين^(٤) .

(١) عثمان بن سعيد الصيرى ، مطالب السوء ، ص ٢٢ .

(٢) المرجع نفسه ، ص ٢٢ .

(٣) المرجع نفسه ، ص ٢٢ .

(٤) عثمان بن بشر ، المرجع السابق ، ص ١٦٧ .

وبهذه الطريقة المعجبية في التجنيد كان حكام الدولة السعودية الأولى يعدون جيوشهم الكثيفة العدد . أما خطة الحرب وطريقة القتال عندهم فكانت تعتمد على الخطوات التالية :

أولاً : عندما يكون الجيش على بعد ثلاثة أيام من العدو كان القائد يقوم بإرسال عيونته للتجسس عليه ورصد حركاته ومعرفة قوته وإمكانياته^(١) .

ثانياً : كان الجيش ينزل في المنزل قبل غروب الشمس ويحل منه قبل شروقها ويقتل المهاجرة ولا يرسل حتى يصلي الجند صلاة الجمع : الظهر والمصرع^(٢) .

ثالثاً : عند الإقتراب من العدو يسرع الجيش في عدوه وينزل قريباً منه حتى يتمكن من القيام بمنصر المهاجرة ، ولا يوقد ناراً في الليلة التي يقترب فيها من العدو كي لا يعرف مواقعه^(٣) .

رابعاً : كان آل سعود يعملون دائماً إلى إحتلال المرتفعات وعيون المياه التي كانت لها أهمية كبرى في حروب الصحراء . وخاصة في أيامهم^(٤) .

خامساً : كان القائد السعودي يقوم قبل بدء القتال برعظ الجنود وحصمهم على الجهاد وزجرهم عن الظلم والمجب بالكثرة والزيادة في النفوس الذي هو سبب الفشل والانهزام^(٥) .

(١) عثمان بن بشر ، المرجع السابق ، ص ١٦٧ .

(٢) كان الجيش السعودي دائماً يلجأ إلى تغيير اتجاهه إيجاباً للعدو وتخريباً به فإذا كان يريد الذهاب إلى الجنوب ثم ينقلب بسرعة إلى عدوه وهكذا .

(٣) المرجع نفسه ، ص ١٦٧ .

(٤) المرجع نفسه ، ص ١٦٧ .

(٥) Aly Bey, Travels of Aly Bey, Vol. 2 p. 136. (١)

(٦) عثمان بن بشر ، المرجع السابق ، ص ١٦٧ .

سادساً : كان القائد يستطلع المواقع ويرتب الكائن في المواضع التي يحددها ، ثم يبدأ القتال بعد صلاة الصبح ويبدأ أفراد الجيش بالصياح بالتكبير ويضربون على المدد^(١).

سابعاً : لم تكن للجيش السعدي فنون عسكرية ولا نظم تدريبية ، وإنما كانت حروبهم تعتمد أساساً على الكثرة العددية والشجاعة أكثر من اعتمادها على الفنون القتالية^(٢) ، وهذا مما أدى بالجيوش السعدية إلى الهزيمة أمام القوات المصرية التي كانت طرقها الفنية في القتال أفضل مما كانت عليه القوات السعدية . أما انتصارات آل سعود على القبائل العربية والبلدان المجاورة فيرجع أساساً إلى التفوق العددي وإحادة القتال في الصحراء .

ثامناً : كان الجيش السعدي يقوم بعد أن يتحقق له النصر بجمع الغنائم وأسلاب القبائل التي هزمها ويمزج خيلها لبيت المال ، ثم تباع الأخماس الأربعة الباقية وتوزع على الجند للرجال سهم وللفارس سهمان لأسباب سبق ذكرها .

أما في حالة الهزيمة فكانت الخسائر تعتبر فردية لأن كل جندي هو المسئول عن أمتعته وهي لا تعدو الزاد والمليق ، بعكس العدو الذي يهاجمونه في دياره إذ لديه كل ثرواته . وعموماً يمكننا القول بأن خسائر آل سعود كانت دائماً أقل من الغنائم بكثير .

أما الأسلحة التي كان يستعملها آل سعود في القتال فهي البنادق التي تضرب بالفتيلة والأسلحة البيضاء أي السيوف والخناجر ، بالإضافة إلى استعمال الرماح والسهام^(٣) . ولم يستعمل آل سعود طوال حروبهم المدافع ، ربما لأنهم

(١) عثمان بن سند ، المرجع السابق ، ص ٣٣ .

(٢) إبراهيم نصيب الحيدري ، عنوان المحدث بيان أحوال بغداد والحيرة ص ٢١٣ .

Burkhardt Op. cit., p. 311.

(٣)

لم يتمكنوا من الحصول عليها لأن علاقاتهم الخارجية بالقوى العالمية في ذلك الوقت لم تكن على درجة كبيرة من الوضوح كما سنرى . وعندما استولى آل سعود على بعض المدافع أثناء القتال مع جيوش محمد علي لم يحصلوا استعمالها لعدم خبرتهم السابقة بها^(١) .

على أى حال فإنه لم يكن للدولة السعودية الأولى جيش نظامي ، كما رأينا وإنما كانت جيوشها وقعية تجتمع لفترات معينة تؤدي فيها الخدمة ثم يعود من كتب له الحياة من أفرادها إلى بلاده بعد إنتهاء مهمته .

وتذكر بعض المصادر أنه كان لدى آل سعود بعض الجند الثابتين للخدمة في الدرعية والأحساء وقطيف وحمان ، ومكة والمدينة إلا أن هؤلاء الجند في الواقع كانوا بمثابة حاميات سعودية ، تستبدل بنورها كل عام أو أقل أو أكثر^(٢) ، ولم يكن هؤلاء الجند أحسن حالا من سابقهم لا في السلاح ولا في طرق القتال .

وكان للأمرأاء حرس خاص ، فقد كان لكل أمير ما بين المائة والمائة والخمسين من الفرسان ، ومن الثابت أنه كان لعبد الله بن سعود في حياة أبيه أكثر من ثلاثمائة فارس تحت إمرته وفي خدمته^(٣) .

تقييم نظم الحكم والإدارة في الدولة السعودية الأولى :

من الرض السابق لنظم الحكم والإدارة في الدولة السعودية الأولى ، يتضح أن آل سعود لم يحاولوا أن يلبسوا نظمهم لباس العصر القدي وجدت فيه دولتهم . ولكن الجود في التطبيق وعدم إدراك روح العصر ، ومحاولة إرجاع الجميع إلى الوراء ثلاثة عشر قرناً دون الإلتفات إلى ما يحدث في العالم من تغيير ،

Burkhardt. Op. cit. p. 311.

(١) لم الهباب ، ص ٥٠ .

(٢) مؤيد عسكري الألويس ، تاريخ نجد ، ص ٩٦ .

(٣) حامد وجيه ، جزيرة العرب في القرن العشرين ، ص ٢١٩ .

كان سبباً من أسباب فشل هذه النظم . ولا نقصد بذلك أن الأسس التشريعية التي قامت عليها هذه النظم لم تكن سليمة ، وإنما نقصد أن القائمين على تنفيذها لم يلبسوها لباس المصر ليتقبلها المجتمع ، وهذا مثلاً ما فطنت إليه الدولة السعودية الثالثة فسنت النظم التشريعية المالية والحربية والقضائية التي تتماشى مع التعاليم الإسلامية وتلائم روح العصر .

وربما قيل إن هذه النظم نجحت في إقامة الأمن في جميع أرجاء البلاد التي أصبحت تابعة لآل سعود وأن الكل أصبح يعيش في أمن وطأينة دون الخوف على ماله ومتاعه . والحقيقة أن ذلك حدث بفعل عامل الشدة الذي كان متبعاً ، والخوف من العقاب الجسماني والمادي ، لا من قابلية ورضا ، وبما يؤيد هذا الرأي أن معظم القبائل والبلدان والنواحي التي كانت تابعة لآل سعود ما كادت تجد العوة التي تخلصها من هذه النظم ممثلة في قوات محمد علي حتى سارعت إلى الانقراض عنها وانضمام إلى جانب الجيوش المصرية .

ولربما قيل إن خروج الكثير من القبائل عن جانب آل سعود كان بسبب ما قدمه لها جواسيس محمد علي وقواده من الرشاوى والهدايا ، ولكننا نرى أن في هذا العمل نفسه ما يدل على عدم الإيمان القوي بالنظم السعودية لأنه لو وجد الإيمان لما حدث ذلك ، ولو حدث لكان على نطاق ضيق كما يحدث في كل الأمم والشعوب .

أما النظام المالي الذي إنبعثت الدولة فإنه إن كان قد ضمن لها موارد دخل ضخمة ملأت بيت المال وأدت إلى الإنعاش الاقتصادي ، إلا أن أسلوب المصادرات الذي كان يوقع على الأفراد والقبائل . كان أحد الأسباب التي ملأت النفوس بالثورة الخافتة ضد الدولة وسلطانها ، بالإضافة إلى عدم إصدار عملة خاصة بالدولة لتوحد بين أجزاء ممتلكاتها في المعاملات المالية ، والذي يشمر أفراد الشعب بسيادة الدولة وسلطانها . وإنا لنعجب كيف أن الأئمة السعوديين أغفلوا هذه الناحية مع أن أول ما يفعله مؤسس الدول وراغبو

الاستقلال هو سك حملة باسمهم ولدينا مثل معاصر للدولة السعودية الأولى في الوطن العربي هو على ملك الكبير في مصر الذي سعى إلى الاستقلال عن الدولة العثمانية .

أما النظام الحربي الذي سارت عليه الدولة فإن كان قد ضمن لها إعداد الجيوش الكثيفة إلا أنه كان نظاماً حروبياً بالياً لا يلائم روح العصر الحديث . قال سعود حتى بعد اتساع حدود دولتهم التي أصبحت تطل على كل من الخليج العربي والبحر الأحمر لم يحاولوا تكوين جيش نظامي مدرب على الأساليب العسكرية المصرية ، ولم يحاولوا تطوير أسلحتهم منذ قيام دولتهم حتى انهيارها رغم وقوفهم على الأسلحة التي استعملها الإنجليز في ضرب رأس الخيمة سنة ١٢٢٤ هـ - ١٨٠٩ م التي كانت تدين لهم بالولاء ، بالإضافة إلى معرفتهم قبل ذلك بأنواع الأسلحة التي كان يستعملها على باشا كنفيا في حملته على الأحساء سنة ١٢١٣ هـ - ١٧٩٨ م إلا أنهم لم يحاولوا الاستفادة من كل ذلك في تطوير أسلحتهم .

وظلوا متمسكين بنظامهم الحربي العتيق حتى في أثناء حروبهم للجيوش المصرية الجيدة التدريب والتنظيم بالنسبة لهم مما أدى إلى انهيار دولتهم أمام هذه القوة المنظمة عسكرياً وفنياً .

وينبغي أن نذكر أن شدة آل سعود في تطبيقهم لنظامهم كانت أحد العوامل التي فرت منها النفوس . ولم تساعد على خلق شعور وطني عام بين رعاياها أو إجماع ولاء للدولة ونظامها ، ومما يؤيد هذا الرأي أنه طوال فترة حكم آل سعود ونوحياتهم التي امتدت من ١١٥٨ هـ - ١٧٤٥ م : ١٢٣٣ هـ - ١٨١٨ م كنا نجد بعض القبائل ومن بينها قبائل نجدية كانت تنثور ضد آل سعود ونظامهم ، وتعلن عصيانها ، بدافع النزعة القبلية المتأصلة في نفوسها .

وإن ذكر أحد المؤرخين أن الدولة نجحت في خلق شعور وطني عدى

خامس^(١) إلا أنه يمكن الرد على ذلك بالإضافة إلى ما سبق ذكره ، بسرعة انفضاض القبائل والبلدان عن جانب آل سعود في أثناء حروبهم لجيوش محمد علي وانضمامهم إلى الجانب المصري . بل ومن التؤكد أن آل سعود لم ينفطوا إلى أهمية هذه الناحية الوطنية بدليل أن مصادرهم المعاصرة تخلو من أى إشارة لها ولو بصورة خامضة . ولا تنال في شيء إذ ذكرنا أن نظام الحكم والإدارة نفسه كان أحد العوامل التي ساعدت على انهيار الدولة بصورة سريعة .

(١) د . صلاح الطهاد ، التيارات السياسية ، ص ٦٠ .

الفصل العاشر

العلاقات الخارجية للدولة السعودية الأولى

- ١ — تمهيد .
- ٢ — التنافس الإنجليزي — القرنى فى الخليج .
- ٣ — القواسم والإنجليز .
- ٤ — العلاقات السعودية — الإنجليزية .
- ٥ — العلاقات السعودية — الفرنسية .
- ٦ — العلاقات السعودية — الإيرانية .

افضل لىكاشر

العلاقات الخارجية للدولة السعودية الأولى

مقيد :

درسنا في الفصول السابقة — علاقات الدولة السعودية الأولى بالوحدات السياسية الصغيرة التي كانت قائمة في الجزيرة العربية في عصرها . وتحديداً للدولة العثمانية بإزالة سيادتها عن الحرمين ، والإغارة على أطراف الولايات العربية التي كانت تابعة لها في العراق والشام .

ولذا سنقصر الدراسة في هذا الفصل على :

أولاً : العلاقات السعودية — الإنجليزية .

ثانياً : العلاقات السعودية — الفرنسية .

ثالثاً . العلاقات السعودية — الإيرانية .

ولا بد من الإشارة أولاً إلى أن علاقات الدولة السعودية الأولى بهذه القوى ارتبطت بامتداد نفوذها على أجزاء من الساحل الغربي للخليج العربي الذي كان يعد من أهم طرق المواصلات وأقصرها بين أوروبا والشرق في ذلك الوقت . بالإضافة إلى أن الظروف المالية التي كانت سائدة آنذاك دعت هذه القوى إلى اتباع سياسة معينة إزاء الدولة السعودية وعمرائها مع القوى المحلية في الجزيرة العربية كما سنرى .

فقد أدى غزو الجيوش السعودية لمان إلى انجاء حكام مسقط إلى الاستمانة بالقوى الأجنبية (الانجليز — والفرنسيين) التي بدأ التنافس واضعاً

بينها حول الحصول على مراكز اتصال لها على شواطئ الخليج لناصرتهم ضد هذا الخطر الذي بدأ يهدد بلادهم ، وحينما أعوزتهم الحاجة استعانوا بفارس . مستغلين الخلاف المذهبي بينها وبين السعوديين كما سنرى ويجب أن نشير أولاً إلى الصراع الإنجليزي — الفرنسي حول الخليج والذي كان عاملاً هاماً في تحديد علاقات الدولة السعودية بهذه القوى .

التنافس الإنجليزي — الفرنسي في الخليج العربي :

منذ نهاية القرن السابع عشر بدأ النفوذ الإنجليزي التجاري ينمو على حساب المولاهدين في الخليج ، وإن دخل النفوذ الفرنسي كمنافس له . إلا أنه لم يكن في قوته ووضوحه^(١) .

وفي الوقت الذي وصل فيه النفوذ السعودي إلى سواحل الخليج ، وهدد الأراضي العمانية . كان التنافس الإنجليزي — الفرنسي قد وصل إلى ذروته نتيجة لتجدد الحرب بين الطرفين منذ ١٢٠٨ هـ — ١٧٩٣ م في أعقاب قيام الثورة الفرنسية^(٢) .

ولكن رغم أن فرنسا لم تتخذ لها منذ حرب السبع سنوات ١١٧٠ — ١١٧٧ هـ — ١٧٥٦ — ١٧٦٣ م هدفاً مرسوماً في علاقاتها مع الوحدات السياسية في الخليج . وكانت سياستها إزاء هذه الوحدات تقسم بالتردد وعدم الثبات^(٣) . إلا أنها كانت تدرك العلاقات التجارية بين بحارة عمان ومسلمي سرديشيس وبوربون الفرنسيين في المحيط الهندي . ولذا أجدها تعمل منذ حرب الاستقلال الأمريكية ١١٩٢ — ١١٩٨ هـ — ١٧٧٨ — ١٧٨٣ م على توطيد

(١) د . محمد علي الداد ، الخليج العربي والعلاقات الدولية ١٨٩٠ — ١٩١١ ، ص

١٦ — ١٩ .

(٢) John Marlowe, The persian gulf in 19 century, pp. 15-16. (٢)

(٣) د . جمال زكريا ، دولة الواسع ، ص ١٠٣ .

صداقتها بمسقط ، ولقيت هذه السياسة ترحيباً من بعض حكام البوسعيد الذين أمدوها بما كانت تحتاجه . فأدى ذلك بحكومة بومباي إلى المطالبة « بضرورة وقوف ميناء مسقط محايداً في الصراع الدائر بين الإنجليز والفرنسيين »^(١) .

وقد أشار كل من حاكم جزيرة موريشيس والقنصل الفرنسي في بغداد في تقاريرهما لحكومة بلادهما بأنه يمكن اتخاذ مسقط مركزاً للتجسس على الإنجليز في الهند خاصة وأنه يوجد بها وكيل لحاكم حيدرآباد الذي اشتهر بمداثه للإنجليز .

وفي أعقاب نشوب الحرب بين فرنسا وبريطانيا ١٢٠٨ هـ - ١٢٩٣ م ، أصبحت فرنسا في حاجة شديدة إلى إيجاد مراكز اتصال لها بالشرق لتكون بمثابة مراكز استطلاع على الممتلكات البريطانية في الهند ، ودراسة الطرق التي يمكن استخدامها في غزوها . ولذا قررت الحكومة الفرنسية تعيين بوشمب Beauchamp فتنصلاً لها في مسقط لمعرفة السابقة بالعالم العربي ، وجاء في التعليقات التي صدرت إليه « أن قنصلية مسقط إنما أنشئت للتجسس على حركة الإنجليز في الهند بدراسة الأحوال الداخلية في هذه البلاد ، وكذلك دراسة الطرق التي يمكن أن يستخدمها غزو فرنسا للشرق »^(٢) ولكن لم يقدر لهذا الممثل الفرنسي أن يصل إلى مقر منصبه الذي اختبره ؛ لأن الحملة الفرنسية على مصر سنة ١٢١٣ هـ - ١٢٩٨ م أدت إلى ازدياد النشاط الإنجليزي لمعرفة أي نفوذ فرنسي في مسقط ، بالإضافة إلى إثارته للشعوب الإسلامية ضد فرنسا^(٣) . وبصفة خاصة البلاد العربية .

وترتب على وصول الحملة الفرنسية إلى مصر ازدياد النشاط الاستعماري

(١) د . جمال زكريا ، المرجع السابق ص ١٠٤ .

(٢) د . صلاح الطاهر - التيارات السياسية في الخليج العربي ، ص ٦٦ .

(٣) د . جمال زكريا ، المرجع السابق ، ص ١٠٧ .

حول الخليج ، وخشى الإنجليز جانب مسقط لمعرفتهم بوجود علاقات تجارية بين التجار المانيين وجزيرة موريشيس الفرنسية ولذا كتب Smith وكيل شركة الهند الشرقية في بومبي إلى حكومة بمباي بتاريخ ١٢/٨/١٢١٢ هـ ١٧٩٨/٥/٢٤ بقول :

« إن مسقط ستصبح مما قريب وكرأ للجانوسية الفرنسية على الهند ، لأن خمساً أو ست سفن عربية تقوم بنقل التجارة بين «موريشيس ومسقط وساحل ملبار . ولاشك أن قل الأنباء سيكون مورد ربح للبحارة العرب»^(١).

ويؤكد كوبلاند أن العلاقات الفرنسية المانية بدأت قوية قبل عهد نابليون^(٢) . وقد سبق لفرنسا أن أرسلت بعثات إلى الشرق ، الهدف منها توطيد نفوذها ومراقبة الطرق المؤدية إلى الهند مثل بعثة أوليفير *Olivière* وبروجير *Brugière* (*) التي كانت الهدف الأساسي لها إيجاد نوع من التحالف مع فارس لتضييق على الإنجليز في الهند^(٣) . ومن المؤكد أن فرنسا لم تستطع حتى مجيء الحملة الفرنسية إلى مصر أن تنجح في مساعيها حول إيجاد مراكز اتصال لها في الشرق ، بل ترتب على ازدياد النشاط الفرنسي في منطقة الخليج قلق حكومة الهند البريطانية وحرصها الشديد على عرقلة هذا النشاط ، وسعت جادة إلى الدخول في اتفاقات مع كل من سلطان مسقط وحكومة فارس ، ولتحقيق ذلك الهدف سارعت بإرسال علي حان الموظف الفارسي في شركة الهند إلى سلطان مسقط لعقد اتفاق معه . وبعد مباحثات استمرت عشرة أيام ، سكن هذا للبعوث من عقد اتفاق مع سلطان مسقط في

(١) فلا من الدكتور صلاح الفداد ، المرحم السابق ، ص ٩٨ .

(٢) Coupland, East Africa and its Invaders, p. 87.

(*) يذكر الدكتور صلاح الفداد في كتابه التيارات السياسية أن أوامر وبروجير عاين وكان القصد من أخبارها تغطية أهداف العثم وإعطائها صورة مهمة عدية . التيارات ، ص ٩٧ .

(٣) Adamyat, Bahrain Islands, p. 40.

٢ جمادى الأول ١٢١٣ هـ - ١٢ أكتوبر ١٧٩٨ م مكون من سبعة مواد تضمنت وجوب تخلي مسقط عن أى اتصال بالفرنسيين ، وعدم السماح لهم أو لسفهم بالنزول فيها في حالة نشوب حرب بين فرنسا وبريطانيا . ونصت المادة السابعة من الاتفاق على السماح للإنجليز بإنشاء وكالة تجارية في بندر عباس - الذي كان تابعاً لمسقط متى رغبوا في ذلك ولا اعتراض للسلطان على إقامة حامية إنجليزية مزودة بالمدافع ، وإقامتهم بحصين هذا البناء^(١) . وقد كان عقد هذا الاتفاق الأول من نوعه بين دولة عربية مستقلة وبين بريطانيا في مصر الحديث^(٢) . • وما يسترعى الانتباه أن هذا الاتفاق لم يرفع سلطان مسقط من معاودة الاتصال بالفرنسيين ، وربما كان ذلك الاتصال الذي هو شجع بونابرت على إرسال رسالته المؤرخة في ١٨ شعبان ١٢١٣ هـ - ٢٥ يناير ١٧٩٩ م إلى سلطان مسقط ، وطبها رسالة إلى تبو صاحب سلطان ميسور ، ليقف على مدى استعداد سلطان مسقط لمساعدته أثناء الزحف الفرنسي المحتمل إلى الهند . إلا أن رسائل بونابرت لم يقدر لها الوصول إلى هدفها لاعتراض الوكيل البريطاني في محاسيلها والاستيلاء عليها^(٣) ، وإن قيل إن شريف مكة هو الذي سلمها للوكيل البريطاني في جدة على إثر وقوعها في يده . بسبب خوف أمراء الجزيرة العربية بعد احتلال الفرنسيين لمصر^(٤) .

وعلى إثر هذه الأحداث بدأت حكومة الهند البريطانية تشك في إحلاص

(١) Aitchison, Collection of treaties, Engagements and sanads, Vol. XII, pp. 207-208; Miles, Countries and Tribes, Vol. 12 p. 261. Ruete, Said Bin Sultan, p. 28. Miles, Op. City., Vol. 2, p. 220.

(٢) يوجد النص العربي لهذا اتفاق في كتابه التيارات السياسية ، ص ٧٠ و٧١ وهو لا يختلف في مضمونه عن النص الإنجليزى .

(٣) د صلاح العقاد ، المرحوم السابق ، ص ٧٠ .

(٤) Ruete, Said Bin Sultan, p. 98. Miles, op. cit., vol. 2, p. 290.

(٥) أمين سعيد ، المبلغ العربي ، ص ٣٧ ، د . صلاح العقاد ، المرجع السابق ،

سلطان بن أحمد حاكم مسقط وأرادت أن تؤكد اتفاق ١٢١٣ هـ - ١٧٩٨ م ، ولهذا أرسلت إلى جون مالكولم John Malcolm الذي كان مبعوثاً في ذلك الوقت إلى فارس . والذي قدر له أن يلعب دوراً بارزاً في سياسة الحكومة البريطانية في الخليج ^(١) ، أرسلت له أن يعمل على الاتصال بسلطان مسقط لتأكيد الاتفاق السابق معه ، وتمكن مالكولم من الاجتماع بسلطان بن أحمد في جزيرة هرمز في شبان ١٢١٥ هـ - يناير ١٨٠٠ م أثناء عودته من غزو البحرين وأوضح له حقيقة الموقف الدولي ، وأوصى إليه بأن بريطانيا قد أصبحت سيدة الموقف منذ تخليط الأسطول الفرنسي في «أبو قير» وقضائها على سلطان ميسور في الهند ^(٢) وهدده بقفل موانئ الهند في وجه سفن أهل عمان ^(٣) . ونجح مالكولم في النهاية في توقيع اتفاق جديد معه في ٢٧ شبان ١٢١٥ هـ - ١٢ يناير ١٨٠٠ م أكد فيه شروط الاتفاق السابق وأضاف شرطاً جديداً هو السماح لسلطان بن أحمد للانجليز بإرسال وكيل لهم في مسقط تنم عن طريقه الاتصالات بين الطرفين بالإضافة إلى إعفاء الانجليز من القوانين المعمول بها في مسقط ^(٤) . وكان الطبيب بوجل Bogle أول وكيل بريطاني في مسقط .

والملاحظ أن سياسة سلطان بن أحمد في هذه الفترة ، كانت غير مستقرة فهو يحالف الانجليز ويمتد معهم معاهدات . وفي نفس الوقت يتصل بالفرنسيين ويحاول أن يقيم معهم صلات ودية . والتفسير الوحيد لتردد سلطان بن أحمد في سياسته الخارجية ، هو محاولته الحصول على المعونة الخارجية من كلا الطرفين ، ضد السعوديين الذين أصبحوا يشكلون الخطر الأول على بلاده . يؤيد ذلك أنه عندما رفضت الحكومة البريطانية في الهند ، أن تمدّه «ولو بإرسال بعض

Adamyat, Op. Cit., p. 43.

(١)

Rueste, Op. Cit., pp. 98-99.

(٢)

(٣) د. صلاح الطاد ، المرجع السابق ، ص ٨٠ .

Miles, Op. Cit., Col. 2, p. 293 ; Atchison, Op. Cit., Vol. 12, (٤)
pp. 208-209. ; Bombay Government, Op. Cit., Vol. 24, pp. 248-250.

الجنود المتعززين على استخدام المدافع . . . للاستمالة بهم ضد الوهابيين»^(١) طبقاً لسياستها آنذاك القائمة على عدم التدخل في شئون جزيرة العرب الداخلية . اضطر سلطان بن أحمد إلى تجاهل المعاهدات التي بينه وبين الإنجليز ، واستقبل قوات فرنسية أرسلها له حاكم مرويشيس لمساعدته في الاستيلاء على البحرين ١٢١٦ هـ - ١٨٠١ م . وبذكر كوبلاند Coupland أن سلطان بن أحمد أرسل إلى ماجالون ١٢١٨ هـ - ١٨٠٣ م يطلب وضع مسقط تحت الحماية الفرنسية . وأرسل لتأبليون هدايا قيمة^(٢) . وأبدى استعداده لقبول « وكيل من قبل الحكومة الفرنسية وأنه سيقترب أعداء الجمهورية الفرنسية أعداءه»^(٣) .

وفي أعقاب عقد صلح أميان ١٢١٧ هـ - ١٨٠٢ م ، أرسلت فرنسا كافنيك M. de Cavaignac ممثلاً لها في مسقط فوصلها في رجب ١٢١٨ هـ أكتوبر ١٨٠٣ م وكانت الحكومة البريطانية في الهند قد أقلقها تحرك السفن الألمانية بين مسقط وجزيرة موريشيس الفرنسية . مما جعلها تنشط في مقاومة ازدياد النفوذ الفرنسي في مسقط ، خاصة وأن القتال قد تجدد بين فرنسا وبريطانيا ، مما ترتب عليه فشل بعثة كافنيك M. de Cavaignac التي لم يستقبلها السلطان وأبدى مندوبه محمد بن خلفان حاكم الميناء للمبعوث الفرنسي أسف السلطان عن عدم استقباله ، وتتمل بوجود سفن كثيرة تابعة للسلطان في الموانئ الإنجليزية في البنغال وساحل ملبار ، وأن السلطان يخشى استيلاء الإنجليز عليها إذا ما سمح للمبعوث الفرنسي بالإقامة في مسقط . فأنجه كافنيك عائداً إلى جزيرة موريشيس فوصلها في ٢٧ جماد ثان ١٢١٨ هـ - ١٣ أكتوبر ١٨٠٣ م^(٤) . بعد أن وقف على حقيقة الاتفاقيات التي أبرمتها حكومة الهند

(١) صلاح العقاد ، المرجع السابق ، ص ٨٢ .

(٢) Coupland, Op. Cit., p. 102.

(٣) الحكومة السعودية ، عرض مشكلة الدرعي ، ج ١ ، ص ١١٧ .

(٤) Wilson, The Persian Gulf, pp. 232-233.

البريطانية مع مسقط ١٢١٣ هـ - ١٧٩٨ م ، ١٢١٥ هـ ١٨٠٠ م^(١) .

وبدل هـ هذا الموقف على خوف سلطان مسقط من كل من الإنجليز والفرنسيين ، ومحاولة كسب ود كل من الطرفين .

وعندما آل حكم مسقط إلى بدر بن سيف الموالي للسعوديين ١٢١٠ هـ - ١٨٠٥ م خشيت حكومة الهند من وقوع مسقط تحت حكومة هـ أقل انقياداً لأهداف السياسة البريطانية في الخليج^(٢) ، ولذا فإنها بدأت تغير من سياستها في المنطقة ، إلا أنه في ١٢٢١ هـ - ١٨٠٦ م وصل إلى حكم مسقط حاكم جديد هو السيد سعيد - على إثر مقتل بدر ، وأدى التقدم السعودي في أراضي عمان في تلك الفترة بالسيد سعيد إلى التخبط في سياسته الخارجية . في بداية حكمه ، فآخه أولاً إلى الفرنسيين وعقد معهم معاهدة في ١٢٢٢ هـ - ١٨٠٧ م بقصد إعادة العلاقات الطيبة معهم ، إلا أن هذه المعاهدة لم تخرج إلى حيز التنفيذ ، طبقاً للسياسة التي اتخذها نابليون في تلك الفترة وهي قصر اهتمامه على تطبيق سياسة الحصار القاري^(٣) .

مما أدى بالسيد سعيد إلى الاتجاه كلية إلى الإنجليز في الهند للاستعانة بهم ضد السعوديين ، خاصة بعد أن نجح الإنجليز في إقصاء النفوذ الفرنسي من المحيط الهندي بالاستيلاء على جزيرة بربون Bourbon في ٩ يوليو سنة ١٨١٠ م وموريشيس Mauritius في ٣ ديسمبر سنة ١٨١٠ م^(٤) .

وكانت السياسة البريطانية في الخليج قد بدأت تسفر بعض الثمرة عن

(١) Guillaïn, Exposé Critique de diverses notions, Tome 2. (١) p. 209.

(٢) Lorimer, Gazetteer of Persian Gulf, Vol 1. p. 438. (٢)

غلا من الوثائق السعودية ج ١ ص ١٢١ -

Ruets, Op. Cit., pp. 21, 103. (٣)

Ibid, p. 102. (٤)

وجها منذ سنة ١٢٢٠هـ - ١٨٠٥م، أي منذ أن أرسلت حملتها الأولى ضد القواسم حلفاء السعوديين ، متجاهلة التحالف والتبعية القائمة بين هاتين القوتين المبريتين ونرى أن العلاقات الإنجليزية - السعودية تبدأ في الموضح منذ ذلك الوقت . ولذا يجب أن نتعرض أولا لنشاط القواسم البحري ، واصطدامهم بالإنجليز كمرحلة أولى للعلاقات الإنجليزية - السعودية .

القواسم وادعائهم:

القواسم قبيلة عربية تنتمي إلى عدنان ، وموطنها الأصلي نجد^(١) ، نزحت إلى ساحل عمان منذ النصف الثاني من القرن السابع عشر الميلادي ، ولم يتم استقرارها في وطنها الجديد إلا في النصف الأول من القرن الثامن عشر ، واشتغلت بالملاحة وغدت قوة بحرية متموقة في نهاية ذلك القرن وبداية القرن التاسع عشر ، وامتد نفوذها على المنطقة الممتدة بين قطر وخورفكان وأجزاء من الساحل الإيراني من الخليج .

وكان رحمة بن مطر القاسمي قد أعلن استقلاله عن عمان على إثر زوال دولة الهنارية ١١٥٤هـ - ١٧٤١م واعترف له أحمد بن سعيد مؤسس دولة البوسعيد بهذا الاستقلال^(٢) ، فأنخذ من رأس الخيمة قاعدة له سنة ١١٧٩هـ - ١٧٦٥م^(٣) . وعرف من القواسم منذ ذلك الوقت الجراءة والإقدام في الأعمال البحرية وتعدى نشاطها البحري دائرة الخليج العربي إلى المحيط الهندي^(٤) .

ووجد الكثيرون من بحارتها بعد الانفصال عن عمان أنه من الأسر لهم تحقيق الربح بأسطو على سفن التجار المانيين التابعين للبوسعيد . وازداد نشاط القواسم المعادي للبوسعيد ، حتى تمكنت هذه القبيلة في نهاية القرن الثامن عشر

(١) Bombay Government, Op. Cit., Vol. 24, p. 300.

(٢) ٢٠٢٠ - سيد نوفل ، الأوضاع السياسية ، ج ٢ ، ص ٥١ - ٥٢ .

(٣) ٢٠٢٠ - صلاح العقاد ، المرجع السابق ، ص ٩٧ .

(٤) ٢٠٢٠ - فدرى قلعي ، الخليج العربي ، ص ١٠٩ .

من انزعاج جزيرة قشم من سلطان بن أحمد ، وأقامت لها مركزاً تجارياً في ميناء
باسيدو بالجزيرة^(١).

وتمكن أحد فروعها أيضاً من الانتقال إلى الشاطئ الشرقي للخليج
وأسس إمارة عربية في لنجة ظلت تدين بتبعتها لرأس الخيمة^(٢) . ومن المؤكد
أن القواسم حتى نهاية القرن الثامن عشر كانت تتجنب في عملياتها البحرية
الإغارة على السفن البريطانية وكانت إغاراتها مقصورة على السفن المانية
والحماية ، ولم تحدث من جانبها اعتداءات على السفن الأجنبية باستثناء الحوادث
التي وقعت سنة ١٢١٢ هـ - ١٧٩٧ م ، ١٢١٣ هـ - ١٧٩٨ م على السفينتين
البريطانيتين The Basuing Snow Viper .

واعتذر عنهما الشيخ صقر ، وذكر المقيم البريطاني في البصرة بأن هاتين
الحادثتين وقعتا من جانب الشيخ صالح الذي انفصل عنهم قبل وقوع الحادثتين ،
وذكر له بأن أتباعه من القواسم يقومون بالمعصوم على السفن المانية فقط^(٣) .
وقد كان دخول الجيوش السعودية إلى الأراضي المانية ، بداية فترة
جديدة في تاريخ القواسم ونشاطها البحري . فقد رحب سلطان بن صقر بهذه
القوة الجديدة وأعلن في ١٢١٤ هـ - ١٧٩٩ م خضوعه لآل سعود واعتناق
مبادئ الدعوة السلفية^(٤) . وتمهد بدفع الزكاة المقررة لعمالها ، طالما أن هذه
الحكومة لا تغير من وضعه كزعيم للقبيلة ، بل على العكس أصبحت قبيلة

Wilson, Op. Cit., p. 231.

(١)

(٢) د. صلاح الطاد ، المرجع السابق ، ص ٩٨ .

Bombay Government, Op. Cit., Vol. 24. p. 302.

(٣)

(٤) أحمد تاسم البوريني ، الإمارات السبع على الساحل الأخضر ، ص ١٤٠ - ١٤١ .

القواسم تستند إلى موازنة دولة قوية لكي تمارس مفاخراتها البحرية على نطاق واسع^(١).

وترتب على التحالف السمودي - القاسمي ، إتساع نشاط القواسم البحري الذي أصبح بعد هذا التحالف يشمل السفن البريطانية والعمانية على السواء . مستغلين في ذلك مبدأ الجهاد الديني ، أحد مبادئ الدعوة السلفية ، وقام بحملة القواسم في عامي ١٢١٩ هـ - ١٨٠٤ م ، ١٢٢٠ هـ - ١٨٠٥ م بالإستيلاء على سفينتين تابعتين للمستر مانيسقي Manisty بمثل شركة الهند الشرقية في البصرة Trimmer Shannon ، وأخذوا سفينة تابعة للشركة نفسها هي Mornington وشنوا هجوماً على السفينة الحربية Queen قرب سقط في ٣٠ محرم ١٢٢٠ هـ - ٣٠ إبريل ١٨٠٥ م^(٢).

وفي نفس الوقت أزعج هذا التحالف سلطان بن أحمد الذي بدأ يناشد الحكومة البريطانية في الهند أن تمد له يد العون ليعمك من مجابهة خطر هذين الحليفين البري والبحري . ورغم أن حكومة الهند البريطانية لم تكن تريد أن تورط نفسها رسمياً في عمليات حربية تجر عليها غضب السعوديين ، وتؤدي إلى تهديد طريق بريدها البري الممتد بين حلب والبصرة ، إلا أنها وجدت ألا مناص من القيام بعمل حربي ضد القواسم ، فأرسلت حملة سنة ١٢٢٠ هـ - ١٨٠٥ م وزود قائد هذه الحملة الكابتن Skinner بتعليمات تقضي بأن يكون رفيقاً في معاملته للقواسم خشية أن تجر القسوة في الدم الحري ضد غضب السعوديين رغم أن حكومة الهند أظهرت تجاهلها تهمة القواسم لآل سعود ،

(١) د. صلاح اللقاد ، المرجع السابق ، ص ٩٤ .

Miles, Op. Cit., Vol. 2, p. 313. ; Curzon, Persia and Persians (٢) Question, Vol 2, p. 449 ; Brydgos, Op. Cit., Vol. 2, p. 37.

واعتبرتھا حركتھن منفصلتين^(١) في الوقت الذي كات فيه دوائر حكومة
بومباي تعتقد بأن السموديين وراء اعتداءات القواسم على السفن الإنجليزية
في الخليج^(٢). واستطاعت الحملة الإنجليزية بالتعاون مع سلطان مسقط ، توجيه
ضربة قوية للقواسم اتھمت بجوقيع اتفاقية في ١٧ ذي القعدة ١٢٢٠ هـ —
٦ فبراير ١٨٠٦ م بين الكابتن David Seton عن شركة الهند الشرقية
والشيخ عبد الله بن كورش نيابة عن الشيخ سلطان بن صقر شيخ القواسم ،
في بندر عباس ، وكان أم ما تضمنته الاتفاقية :

أولاً : قيام سلام دائم بين شركة الهند الشرقية والقواسم الذين تعهدوا
باحترام علم الشركة وممتلكاتها ورعاياها ، على أن تقوم الشركة بمثل هذه
للماملة لسفن القواسم وممتلكاتهم .

ثانياً : إذا خالف القواسم هذا الاتفاق يدفعون غرامة قدرها عشرون
الف ريال .

ثالثاً : يرجع القواسم جميع ما استولوا عليه من الممتلكات البريطانية
سابقاً .

رابعاً : يقوم القواسم بتقديم المساعدات اللازمة للسفن البريطانية التي
تلبأ إلى سواحلهم والحفاظة على ممتلكاتها دون مقابل ، وللقواسم في نظير
ذلك حق التردد على الموانئ التابعة لبريطانيا في آسيا .

خامساً : إذا أرغم سمود القواسم على نقض هذا الاتفاق فليهم الإعلان
عن ذلك في جميع الأحوال قبل النقص بثلاثة شهور^(٣) .

(١) ٥٥ - بيد نوظل ، المرحع السابق ج ٢ ، ص ٦١ - ٦٦ .

(٢) Bombay Government, Op. Cit., Vol 24, p. 433.

(٣) Ibid , Vol. 24, p. 76.

وهكذا يتضح كيف أن مندوب شركة الهند البريطانية حاول أن يتجاهل
خضوع القواسم للدرعية ، إلا أنه لم يستطع ذلك فقد نصت المادة الخامسة من
الاتفاق صراحة على خوف حكومة بمباى من عدم موافقة سموه عليها .
ونستنتج من ذلك أن الإنجليز كانوا يخشون حتى ذلك الحين سنة ١٢٢١ هـ —
١٨٠٦ م الاصطدام المباشر بالسعوديين . ويعلق إيتشيسون Aitchison وكيل
وزارة الخارجية البريطانية على هذا الاتفاق بقوله « يبدو أن هذا الاتفاق قد
وقع دون الرجوع إلى الوهابيين »^(١) (يقصد السعوديين) .

ويبدو أن الضربة التي وجهت إلى القواسم كانت قوية ، ولذا أسرع شيخ
القواسم إلى عقد الاتفاق دون الرجوع إلى الدرعية ، وعلى كل فقد ساد نشاط
القواسم عقب هذا الاتفاق هدوء نسبي ، وقضى سلطان بن صقر شيخ القواسم
الفترة ١٢٢١ / ١٢٢٢ هـ — ١٨٠٦ / ١٨٠٧ م مسالماً ولم يحاول أن يخرج
على نصوصه . إلا أن سفن القواسم عادت إلى سابق سيرتها سنة ١٢٢٣ هـ —
١٨٠٨ م ، واستولت على السفينة البريطانية Minerva التي كانت في طريقها
إلى البصرة وقتلت جميع بحارتها وركابها باستثناء اثنين من بينهما الميرزا تابلور
Mrs. Taylor التي أهدوها بعد دفع فدية لها^(٢) . كما حطم بحارة القواسم طراداً
إنجليزياً صغيراً كان يرافق بعثة مالسكولم الثانية إلى فارس ١٢٢٣ هـ —
١٨٠٨ م وأرسل سلطان بن صقر إلى حكومة بمباى يطلب منها دفع رسم
لرأس الخيمة مقابل منحها حرية التجارة في الخليج ، وقد قبلت حكومة الهند
العمل بهذا الطلب^(٣) ، وإن كان ذلك في حقيقة الأمر تظاهراً منها وكسباً
للوقت حتى تتمكن من توجيه ضربة قاسية إلى القواسم ، وشجع حكومة

(١) Aitchison, Op. Cit., Vol. XI, p. 198.

(٢) Richard Sanger, The Arab Peninsula, p. 171.

(٣) د. د. عمود على الداود ، الخليج العربي ، ص ١٩ .

بومباي على التفكير في إرسال حملة ثانية ضد القواسم ، أنها أصبحت على علاقة طيبة مع السيد سعيد حاكم مسقط الذي ألح كثيراً على حكومة بومباي في ضرورة إرسال حملة ضد القواسم وحلفائهم السعوديين ، وأيدته مكاتبات المقيم البريطاني في مسقط^(١) .

ولما أرسلت حملة ١٢٢٤ هـ — ١٨٠٩ م بقيادة لونيل سميث ، وزودت بتعليمات تقضى بتدمير مراكز القرصنة مع تجنب الاصطدام بالسعوديين وأرسل جوفان دنكن حاكم بومباي إلى السيد سعيد بتاريخ ٢٧ رجب ١٢٢٤ هـ — ٧ سبتمبر ١٨٠٩ م رسالة يقول له فيها : « إنني أعتمد مطمئناً على عظمتكم لتقدموا كل مساعدة ممكنة لتحقيق أهداف هذه الحملة التي تم القيام بها أولاً وبالتأكيد بناء على إشارة عظمتكم »^(٢) . ورغم أن هذه الحملة كانت لديها تعليمات تقضى بتجنب العمليات البرية ، وإطلاع الإمام السعودي على رغبة حكومة بومباي في الإبقاء على علاقات الودية معه ومع المناطق التي خضعت له ، وأن رغبتها هي حفظ سلامة التجارة في البعار وبوجه خاص في الخليج^(٣) . إلا أن الحملة بعد أن تمكنت من تدمير رأس الخيمة في شوال ١٢٢٤ هـ — نوفمبر ١٨٠٩ م وأزلت الهزيمة بالقواسم^(٤) . لم تبق في رأس الخيمة إلا يوماً واحداً أسرعت بعده بالإقلاع^(٥) . ولكنها نحت إلحاح السيد سعيد حاكم مسقط ، هاجت حامية سعودية في ميناء شناس السعودي على خليج عمان في

(١) Miles, Op Cit., p. 315; Ruste, Op. Cit., p. 26.

(٢) حكومة المملكة العربية السعودية ، عرض مشكلة العربي ، ١٠ ، ص ١٢٦
لتناس كويلايد من سجلات وزارة الهند ، ص ١١٣ .

(٣) Bombay Government, Op. Cit., Vol. 24, p. 333.

(٤) Burkhardt, Notes on Bedouins and Wahabys, Vol. 2, p. 206.

(٥) المملكة العربية السعودية ، عرض مشكلة العربي ، ١٠ ، ص ١٢٧ .

ذى القعدة ١٢٢٤ هـ — أول يناير ١٨١٠ م . واستولت عليه وسلخته للسيد سعيد^(١) .

وما كادت أنباء نزول الحملة البريطانية في ميناء شناس تصل إلى مطلق المطيري الأمير السعودي في عمان ، حتى أسرع لإنقاذ الميناء السعودي ، ولكن عند وصوله إلى شناس كانت الحملة قد أقلمت ومعها السيد سعيد ، واستطاع مطلق إنزال الهزيمة بقوات مسقط التي كانت لا تزال بالقرب من شناس التي تمكن الأمير السعودي من إرجاعها إلى حوزة آل سعود .

ومما يسترعى الانتباه أن هذه الحملة الإنجليزية رغم عملياتها الناجحة ضد القواسم ؛ إلا أنها لم تفتح بمعاودة كسابتها (حملة ١٢٢١ هـ — ١٨٠٦ م) ولم تؤد في النهاية إلى القضاء نهائياً على قوة القواسم^(٢) ، وسرى عند الحديث عن العلاقات الإنجليزية — السعودية المباشرة كيف بررت حكومة بومباي للدرعية عملها هذا ضد القواسم .

وفي أعقاب هذه الحملة ساد نشاط القواسم البحري الهدوء غير أن هذا الهدوء كان لتمتمة القوى وتجديد الأسطول^(٣) . فقد ازداد تتبع القواسم للسفن البريطانية في المحيط الهندي في الفترة ١٢٢٦ — ١٢٣٣ هـ — ١٨١١ م ، ووصلوا في معاصرهم إلى مسافة لا تبعد أكثر من ستين ميلاً عن بومباي نفسها^(٤) . فدفع ذلك التعدي في النهاية بحكومة الهند إلى إعداد المدة لتوجيه ضربة قاضية لهذه القوة العربية خاصة وأنها رأت بوادر انهيار حلفائها السعوديين أمام قوة محمد علي . ولذا أرسلت في سنة ١٢٣٤ هـ — ١٨١٩ م

Kelly, Op. Cit., p. 58.

(١)

Ibid., p. 58.

(٢)

Berrebby, Le Golfe Persique, p. 38.

(٣)

(٤) د صلاح الخادم ، التيارات السياسية ، ص ١٠٤ .

حملة قوية تمكنت بعد عمليات حربية قاسية من تدمير رأس الخيمة ، بعد أن
حمد القواسم شهرين كاملين ، وأجبرتهم على توقيع المعاهدة العامة ١٢٣٦ هـ —
١٨٢٠ م التي كانت شاملة لجميع مشايخ العرب الذين فقدوا التأييد الذي كانوا
يلاقونه من حلفائهم السعوديين الذين حلت بهم الهزيمة في الدرعية ^(١) .
وبذلك مهدت بريطانيا لتوطيد نفوذها السياسي في الخليج واستمرت تعمل على
تأكيد طوأل القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين .

العلاقات السعودية — الإنجليزية المباشرة :

سبقت الإشارة إلى أن حكومة الهند البريطانية ، لم تكن تريد أن تورط
نفسها في حروب برية مع السعوديين ، قد لا تحمد عقباها بالنسبة لها من ناحية ،
وخوفاً من تعرض طريق بريدها البري بين البصرة وحلب للغارات السعودية
من ناحية أخرى . ولذا فإنها قصرت عملياتها البحرية ضد القواسم أتباع آل
سمود ، متظاهرة دائماً بتجاهل هذه التبعية القائمة بين القوتين المرييتين .
وظلت تحافظ على سياستها هذه إزاء السعوديين رغم كراهيتها لهم . حتى
انهيار الدولة السعودية الأولى سنة ١٢٣٣ هـ — ١٨١٨ م ، كما سنرى .

وإذا قمنا بعلاقات آل سمود بالإنجليز ، نجد أول إشارة ترد عنهم في
سجلات حكومة بومباي تحت اسم الوهابيين في ١٢٠١ هـ — ١٧٨٧ م ^(٢) .
ولعل ذلك التأخير في ذكر آل سمود في سجلات حكومة الهند يرجع إلى أن
هذه الحكومة لم يكن يهمها كثيراً تتبع التطورات التي تحدث في داخل
الجزيرة العربية بعيداً عن الساحل . يزيد ذلك أن آل سمود قبل عام ١٢٠١ هـ
— ١٧٨٧ م لم يكن لهم أي نفوذ على ساحل الخليج ، ولم تكن قواتهم قد
وصلت إليه بعد .

Richard Banger, Op. Cit., p. 172.

Bombay Government, Op. Cit., Vol. 24, p. 428.

(١)

(٢)

وقد بدأت العلاقات السعودية الإنجليزية بعد هذه الفترة تدخل في مرحلة جديدة ، وبخاصة عندما اضطرت شركة الهند الشرقية ١٢٠٩ هـ — ١٧٩٤ م بعد خلاف مع الساطات العثمانية في البصرة إلى نقل مركزها التجارى إلى الكويت التى كانت فى ذلك الوقت قد بدأت تتعرض للغارات السعودية . مما أدى بحكومة الهند إلى تزويد مركزها فى مقره الجديد ببعض الرجال من الهنود لحراسته من اعتداءات السعوديين .

ويذكر بريدجز Brydges أن رجال الشركة فى ذلك الوقت توددوا إلى السعوديين وأرسلوا الهدايا لشيخهم^(١) .

التزم رجال الشركة موقف الحياد فى الصراع الذى كان قائماً بين الكويت وآل سعود ، لأن الشركة كانت حريصة على ألا يتدخل بريدجا الصعراوى . غير أن بعض المصادر تذكر أن حرس الوكالة الإنجليزية ساهم فى رد الهجوم السعودى على الكويت ، مما أغضب آل سعود وجعلهم يقومون بغارات على بريد الشركة^(٢) . فاضطر مانيسى سنة ١٢١٤ هـ — ١٧٩٩ م إلى إرسال رينود Reinaud أحد مساعديه إلى الدرعية لإعادة العلاقات الطيبة مع آل سعود^(٣) .

فوصل إلى الدرعية عن طريق القطيف والنفوف حيث استقبل فى العاصمة السعودية إستقبالا حسناً^(٤) . وحاول هذا المبعوث الإنجليزي أن يحصل من الإمام عبدالعزيز بن محمد على وعد بتأمين البريد الذى يمر بالطريق الصعراوى من البصرة إلى حلب حيث تقيم بعض القبائل التى تخضع لآل سعود ، إلا أن الإمام عبد العزيز اشترط لتنفيذ ذلك الوعد توسط الإنجليز لإقامة صلح بينه

(١) Brydges, A brief history of the Wahaby, Vol 2, pp. 12-16.

(٢) د. أحمد أبو حكمة ، تاريخ الكويت ، ج ١ ، ص ٢٦٣ .

(٣) Brydges, Op. Cit., Vol 2, pp. 12-13

(٤) د. عبد الحميد الطريقي ، إبراهيم الفايح ، ص ٢١ .

وبين والى بغداد^(١) . ولا نستطيع قبول القول بأن الإمام عبد العزيز اشترط هذا الشرط لإقامة صلح بينه وبين والى بغداد لعدة أسباب منها :

أولاً : أنه في العام السابق لبعثة رينود ١٢١٣ هـ — ١٧٩٨ م كان الأمير سمود بن عبد العزيز قد وقع اتفاقاً مع على باشا الكرخيا كأند حملة الأحساء السابقة الذكر .

ثانياً : أنه في العام المذكور لبعثة رينود ١٢١٤ هـ — ١٧٩٩ م كان والى بغداد نفسه هو الذى أرسل رسولا من لدته وهو عبد العزيز الشاوى من أجل مفاوضة الإمام عبد العزيز وابنه سمود حول إمكانية إقامة صلح بين الطرفين ورأينا كيف أن رد الدرعية كان واضعاً . وأظهر أطاع آل سمود فى الأراضى المراقبة الواقعة غربى الفرات (*) .

ثالثاً : كانت قوة آل سمود حتى ذلك الحين هى القوة المهاجمة وكانت تدبر كل عملياتها داخل الأراضى المراقبة ، فكيف تطلب من طرف آخر التوسط لها فى إقامة صلح مع والى بغداد وهى فى مركز القوة . إلا إذا كانت لها شروط تبني من ورائها تحقيق أهدافها السياسية والدينية والاقتصادية .

ومن الواضح أن هذا القول لا يستطيع أن يصمد أمام النقد التاريخي المقارن . ولا غرابة بعد ذلك أن تبوء بعثة رينود الذى كان أول أجنبي يزور الدرعية بالفشل ولم تسفر عن شيء ذي أهمية لتدعيم العلاقات السعودية — الإنجليزية .

بدأت حكومة الهند البريطانية بعد ذلك تحشى جانب آل سمود ورسمت لنفسها سياسة تقوم على أساس تجنبهم مع إبداء رغبتها دائماً فى استمرار

(١) د. صلاح المقاد ، المرجع السابق ، ص ١٠٠ .

(*) انظر الفصل الثامن ، ص ١٩٣ — ١٩٤ .

العلاقات الطيبة بين الطرفين . ولذا فإنها حاولت على إثر قيامها بالعمل المشترك مع سلطان مسقط ضد القواصم حلفاء السعوديين ، أن تترجم عملها هذا ، فأرسلت إلى وكيلها في بوشهر تعليمات تحتم عليه بأن يخبر أمير الدرعية ورجال حكومته برغبة الحكومة البريطانية في استمرار العلاقات الطيبة معهم وجاء في هذه التعليمات ، التبرير الذي استندت إليه الحكومة البريطانية استمرار العلاقات الطيبة معهم وجاء في هذه التعليمات التبرير الذي استندت إليه الحكومة البريطانية في مهاجمتها للقواصم فقد ذكرت : « ولطالما تعرض القواصم دون مبرر للسفن البريطانية وانتهكوا حرمة المعاهدة الإيجابية التي عقدت مع زعيمهم سنة ١٨٠٦ .. » وأن تأييدنا العادل لحليفنا إمام مسقط لا يمكن أن يكون سبباً مفضولاً لاسيما أية دولة أو حكومة » ^(١) .

ورغم إفصاح حكومة الهند البريطانية الواضح عن تأييدها لإمام مسقط إلا أن الأمير سعود من حاشيه كان حريصاً ألا يدخل في صراع مع الإنجليز في ذلك الوقت ، وأناحت له مراسلة حكومة الهند الفرصة في السيطرة المباشرة على أملاك القواصم ، ولذلك نعهده يستدعى سلطان بن صقر زعيم القواصم سنة ١٢٢٥ هـ - ١٨١٠ م ويحتجزه عنده في الدرعية ، ويعين عاملاً سعودياً للإشراف الإداري على المنطقة التي كانت تابعة للقواصم من الساحل الماني ويربطه بالدرعية مباشرة . ويرسل إلى حاكم بومباي رسالة يوضح له فيها أنه منع أتباعه القواصم من التعرض للسفن البريطانية في الخليج ، وأنها ستكون آمنة متى رغبت في المجيء وجاء في رسالة سعود التي انفراد بكركها جيمس مورير * : « أن سبب الخصومات المتواصلة بيني وبين من يدعون أنفسهم أنهم مسلمون هو زعمهم عن كتاب الله ورفضهم الامتثال لنبيهم محمد ... (يقصد أهل عمان) ... وفي هذه الظروف

رأيت من الضروري أن أحبركم أنى لن أقرب من شواطئكم ، وأبى منعت أتباع عقيدة محمد رسنتهم من أن يقوموا بأى تدكيل بفسنكم ، فإذا ما ظهر أحد من تجاركم فى موانئ أو رغب فى الجئء إليها فسيكون آمناً . فلا يزدهبكم إذن احتراق عدد من السفن لأنه ليس لها قيمة فى رأيى ولا فى رأى أصحابها أو أهل بلادها . والحقيقة إذن هى أن الحرب مرة ولا يخوضها إلا أحق كما قال أحد الشعراء (١) .

وقد حاولت حكومة الهند البريطانية بعد ذلك أن تحيط مساعداتها للسيد سعيد بالسرية التامة ، وأوعزت إليه أن يقبل إقامة سلام مع السموديين إذا كانت شروطه « متفقة مع شرف دولة مسقط وأمنها » وأنه « ليس من الضروري أن يشير إلى صلاته بالحكومة البريطانية عند كتابة رده على أية عروض بتلقاها من عدوه » (٢) .

ومن الجانب الآخر ، نجدها تؤكد للدرعية أن عملياتها البحرية السابقة كانت موجهة إلى القراصنة ، وتعرب عن ارتياحها لرد سمود السابق وتؤكد له « أنه لا دخل للحكومة البريطانية بشأن العمليات الحربية التى تقومون بها ضد الخارجين على الدين الإسلامى بسبب ما قيل عن ابتعادهم عن فرائض القرآن والسنة ولن نستخدم الحكومة البريطانية قوتها إلا ضد أولئك الذين يعتبرون أعداء لجميع الدول من جراء ممارستهم مهنة القرصنة البغيضة . أما الآن وقد فتح طريق المراسلة بيننا فإنى أكون مسروراً دوماً لأن أسمع عن رفاهيتكم ونوفيقكم » (٣) .

وواضح أن السموديين فى هذه الرحلة من تاريخهم عملوا على مهادنة

Morrier, J. A Journey through Persia, Armenia and Asia (١)
Minor, p. 347.

(٢) الدباس كولاند ، من سجلات وزارة الهند ، س ١٤٦ ، فلا من الوثائق السمودية ، ج ١ ، ص ١٢٩ .

(٣) فلا من أمن سعيد ، الدولة السمودية ، ج ١ ، ص ١٠٥ .

البريطانيين ، ومحاولة إبادةهم عن دائرة الصراع بينهم وبين سلطان مسقط
فقد ذكر موريزي أن الأمير السعودي في عمان مطلق المطيري وقع مع سميت
قائد حملة سنة ١٢٢٤ هـ — ١٨٠٩ م معاهدة بعد معركة شناس ١٢٢٥ هـ —
١٨١٠ م . نصت على عدم تعريض الوهابيين وأتباعهم للسفن الإنجليزية مقابل
وقف الحكومة البريطانية مساعداتها للسيد سعيد في حروبه الظالمة ضد
السعوديين بسبب عدم دفعه الضرائب المقررة عليه^(١) .

وقد سبقت الإشارة إلى أنه عند وصول مطلق المطيري إلى شناس وجد
أن قائد الحملة البريطانية كان قد انسحب بقوته واصطحب معه السيد سعيد ، ولم
يجد القائد السعودي إلا قوات عمالية استطاع هزيمتها واسترد منها الميلاء
السعودي . ولذلك لا يسعنا إلا أن نشك في رواية موريزي عن توقيع اتفاق
بين مطلق المطيري وسميت القائد الإنجليزي .

وعلى كل ، فإن الحكومة البريطانية رأت أنه من الحكمة ألا تدخل في أي
اتفاق أو معاهدة رسمية أو شبه رسمية مع آل سعود . واكتفت بإظهار محافظتها
على العلاقات الودية معهم إحتظاراً لما ستمتدخص عنه الأحداث التي ترتبت على
وصول الحملة المصرية إلى الحجاز ، رغم إلحاح الإمام سعود في عقد اتفاق معها ،
إلا أن رد حكومة عمبابى عليه كان قاطعاً في رفض أي اتفاق . فقد ذكرت
« بأنها ترى من الحكمة والصواب أن تحافظ على علاقات ودية مع الإمام
وتحترم شعوره ، ولكنها لا ترى من المناسب في هذا الوقت الدخول في أي
تعاهد ولو كان تجارياً »^(٢) .

ظلت الحكومة البريطانية على موقفها النامض هذا إزاء آل سعود حتى

Mouriz, V. (Shaikh Mansur) History of Sey Sald Sultan (١)
of Muscat, p. 67.

Bombay Government, Op. Cit., Vol. 34, p. 185.

(٢)

بانهيار الدولة السعودية وسقوط الدرعية في يد إبراهيم باشا سنة ١٢٢٣ هـ - ١٨١٨ م . عندئذ أفصحت حكومة الهند البريطانية عن كراهيتها لآل سعود ، وأنها لم تكن راغبة في تكوين وحدة سياسية كبيرة بين الإمارات العربية في الخليج ، تحت سيادتهم ، ولذا فإن الحاكم البريطاني العام في الهند أرسل إلى إبراهيم باشا يهنئه بنجاحه في القضاء على الدولة السعودية قائلاً « إن الهزيمة والانهار الكامل لدولة ما بعد ارتفاع غير عادى إلى درجة السمو ، مما هو أدعى إلى السرور أن تفردوا انخامتكم بإخضاعها » ^(١) .

وجاء في نهاية تقرير المستر فرانسيس واردن الذى قدمه لحكومة الهند سنة ١٢٣٤ هـ - ١٨١٩ م عن الدولة السعودية الأولى « هكذا قامت وسقطت ، ويؤمل ألا تقوم مرة ثانية تلك الجماعة الشاذة التى شجعت وحثت الفارات البحرية في الخليج وبحار الهند (المحيط الهندى) بدرجة من النجاح وبمراة ووحشية لا تقونها غم بشاعة الجزائريين في أوروبا » ^(٢) .

وقد عبر القنصل الانجليزى في مصر عن سرور بلاده لسقوط الدولة السعودية بقوله « عصابة من الصوص أثبتت أنها أكثر تمصباً وأشد عداوة من أتباع الدين الذين حاولت هذه العصابة أن تحمل حملهم » ^(٣) .

ورغم أن السلطات البريطانية سواء في الهند أو خارجها أبدت سرورها لسقوط الدولة السعودية الأولى وأفصحت عن كراهيتها المكبوتة ضد آل سعود ، إلا أنها في نفس الوقت خشيت أن تحمل قوة محمد على مكانها ، في توحيد بلدان المنطقة وإقامة دولة قوية فيها ، تشكل خطراً جديداً عليها وعلى حايثها سلطان مسقط . ولذا فإن سياستها لمزاء القوة الجديدة أصبحت تقوم على

Badlier, G.F., Diary of a Journey across Arabia during the (١) year 1819, p. 83.

Bombay Government, Op. Cit., Vol. 24, p. 436. (٢)

Dodwell, Henry, the Founder of Modern Egypt, p. 43. (٣)

أساسين ، يهدفان إلى المهولة دون قيام وحدة سياسية قوية على الخليج^(١) ، والوقوف في وجه التوسع المصري وكان الأساسان هما :

أولاً : محاولة إقحام إبراهيم باشا في مطاردة السعوديين وحلفائهم للقواسم ، بقصد التخلص النهائي منهم^(٢) . وإنهاء القوة المصرية في عمليات حربية برية وبحرية قد لا محمد عقبها ، بالنسبة للجيش المصري .

ثانياً : التعرف على الأهداف التي يرى إليها إبراهيم باشا في حروبه وغزواته القادمة نحو الخليج والتحالف معه ، وقد كلف بهذه المهمة السكاكين سادلر Sadler الذي كلف في نفس الوقت بنهضة إبراهيم باشا على نجاحه في القضاء على الدولة السعودية^(٣) ، ولكن سادلر لم يستطع أن يحقق أهدافه ، ولم يحصل من إبراهيم باشا على موافقته على المقترحات الإنجليزية ، لأن تلميحات والده إليه كانت تحذره من الاتصال بالإنجليز في ذلك الوقت^(٤) .

وعلى كل ، فإن بريطانيا في أعقاب سقوط الدولة السعودية ، بدأت تعمل جادة في توطيد نفوذها السياسي على سواحل الخليج ، والوقوف في وجه أى قوة جديدة تحاول الظهور على سواحلها ، وطبقاً لهذه السياسة ، أرسلت حملة ١٢٣٤ هـ - ١٨١٩ م ضد القواسم ، وكبلت شيوخ المناطق بمعااهدات تمهيدية أعقبتها بماهدة عامة ١٢٣٥ هـ - ١٨٢٠ م ، ضمنّت لها استقرار حالة التفكك بين مناطق الخليج^(٥) .

(١) أحمد عزت عبد الكريم ، مقدمة الاستعمار في الخليج الفارسي ، ص ٩ .

(٢) جمال زكريا ، دولة الدوسعيد ، ص ١٦٩ .

(٣) عبد الحميد الطرمي ، إبراهيم باشا وحروبه في بلاد العرب ، ص ٢٦ .

(٤) دار الوثائق ، من إبراهيم إلى محمد علي ، عنقطة (٥) بحرياً ، وثيقة ١٩٢ رمضان ١٢٣٣ هـ - يوليو ١٨١٨ م .

(٥) سيد نوفل ، الأوضاع السياسية ، ج ٢ ، ص ٥٦ - ٥٧ .

وبدأت الحكومة البريطانية بعد ذلك تفهم نفسها في عمليات برية على أرض الجزيرة العربية خلافاً لسياستها السابقة ، ففي ١٢٣٩ هـ - ١٨٢١ م اشتركت قواتها مع قوات السيد سعيد في عمليات برية ضد قبيلة بني بوعلى الوهابية ، التي كانت تقوم بعمليات بحرية ضد السفن البريطانية^(١) . ونجحت هذه الحملة التي كانت بقيادة الكولونيل سميت في الاستيلاء على قلعة جملان حصن هذه القبيلة وسمتها للسيد سعيد الذي فشل في الاستيلاء عليها من قبل^(٢) .

وهكذا أكدت الحكومة البريطانية أن موقفها السابق من الدولة السعودية الأولى لم يكن إلا ذراً للرماد ، وأنها كانت تتعين الفرصة المناسبة لتحقيق أهدافها السياسية والاقتصادية ، وقد هيأ لها سقوط الدولة السعودية الأولى ١٢٣٣ هـ - ١٨١٨ م هذه الفرصة .

المعارف السعودية - الفرنسية :

سبق أن رأينا عند الحديث عن التنافس الإنجليزي - الفرنسي ، كيف أن النشاط الفرنسي كان موجهاً أساساً إلى مسقط ودارس . وحاول بعض حكام مسقط إستغلال النشاط الفرنسي في الحصول على مساعدة فرنسية ضد السعوديين ؛ إلا أن ازدياد النفوذ الإنجليزي في الخليج وحصوله على الأرجحية ، جعل حكام مسقط يتجهون كاية إلى الاستمانة بالانجليز دون الفرنسيين ، مما جعل العلاقات الإنجليزية السعودية تظهر بصورة أوضح من العلاقات الفرنسية - السعودية . ومن المؤكد أنه قبل الفترة النابليونية . لم يحدث أى تفكير لدى الفرنسيين للاتصال بآل سعود . وبما يؤيد ذلك أن بونايرت حينما

(١) هيئة الأمم المتحدة / لجنة عمان في المحافل الدوابة ، ترجمة سليمان وإبراهيم أ. أ. - الشيخ حمد الحارثي ، ١٩٦٦ ، ١٩٦٧ ، ص ١٠٣ .

(٢) السالى ، تحفا الأعيان بسيرة أهل عمان ، ج ٢ ، ص ١٨٨/١٨٩ .

وصل إلى مصر ١٢١٣ هـ - ١٧٩٨ م . وحاول الاتصال بحكام وأمراء الشرق للحصول على تأييدهم له ضد الإنجليز . أراد طبقاً لسياسته هذه أن يتصل بزميم الحركة الوهابية (الأمير عبد العزيز بن محمد بن سعود) ولكنه لم يستطع آنذاك أن يتعرف على اسمه بالضبط^(١) . هذا من جانب .

ومن جانب آخر فإن سجلات حكومة بومباي ، وكتابات الرحالة للمصريين التي ذكرت كل شيء عن النشاط الفرنسي في الخليج ، لم تذكر شيئاً عن أى اتصال جرى بين الفرنسيين والسعوديين حتى نهاية القرن الثامن عشر . رغم امتداد النفوذ السعودي في ذلك الوقت على أجزاء كثيرة من ساحل الخليج .

وعندما حاولت فرنسا جدياً الاتصال بآل سعود ١٢٢٣ هـ - ١٨٠٨ م ، كان النفوذ الإنجليزي قد ازداد بصورة واضحة ، ولم تتمكن بعثة جاردان ، التي كانت مكلفة بالقيام بنشاط واسع في فارس ومنطقة الخليج ، ودراسة الطرق التي يمكن استخدامها عبر المنطقة إلى الهند ، على أن يشمل نشاطها الاتصال بآل سعود والوقوف على مدى استمدادهم لقطع بريد الهند ، إلا أن هذه البعثة لم تتمكن من تحقيق أهدافها ، بل إن الضابطين الفرنسيين تريزيل ودوبريه اللذين زارا جزيرتي قشم وهرمز في فبراير ١٢٢٣ هـ - ١٨٠٨ م أكدوا أن النفوذ البريطاني في منطقة الخليج قد وصل إلى حد لا تجدى معه المنافسة^(٢) .

ويبدو أن بعثة جاردان اقتنعت بفشل مهمتها ولذا فإنها لم تحاول الاتصال بآل سعود كما كانت مكلفة .

وفي ١٢٢٥ هـ - ١٨١٠ م تمكن الإنجليز من إقصاء النفوذ الفرنسي عن المحيط الهندي باستيلائهم على جزيرتي موريشيس وبوربون الفرنسيتين فترتب على ذلك خمول النشاط الفرنسي في المنطقة .

(١) صلاح العقاد النبذات السياسية ، ص ٧٥ .

(٢) صلاح العقاد ، المرجع السابق ، ص ٩١ - ٩٢ .

وتذكر بعض المصادر أن نابليون أرسل في نهاية ١٢٢٦ هـ - ١٨١١ م
بعثة فرنسية على رأسها دي لاسكارس M. de Lascars إلى الأمير سعود
وتذكر هذه المصادر أيضاً أن البعثة الفرنسية وصلت إلى الدرعية في جو ودي
وعقدت عدة اجتماعات سرية مع الإمام سعود . وتم الاتفاق بينهما على مساعدة
الإمام سعود لنابليون في إكتساح الدولة العثمانية ، والوصول إلى الهند ، فوافق
سعود لأنه وجد في هذه الخطة ما يلائم أطماعه في غزو سوريا . ولكن الوكالات
الإنجليزية في الشرق علمت بالمفاوضات الدائرة في الدرعية فأسرعت في الإخبار
عنها ، فأرسل الإنجليز بعثة إلى الدرعية للاتفاق مع الإمام سعود ونحذيره من
الإضمار إلى جانب نابليون ، ووعدوه بالحصول له على إعتراف من السلطان
العثماني بالإستقلال السعودي ، إن وعد بعدم مهاجمة تركيا . ولكن سعود فضل
في النهاية الإضمار إلى الجانب الفرنسي فهاجم سوريا واقترب من دمشق ، إلا
أن فشل جيوش نابليون في غزو روسيا ١٢٢٧ هـ - ١٨١٢ م أدى إلى إنهاء
التحالف السعودي - الفرنسي^(١) .

وبمقارنة الأحداث نجد أن قبول رواية وصول البعثة الفرنسية إلى الدرعية
وما ترتب عليه من نتائج مشكوك فيه :

أولاً : لا المصادر النجدية ولا سجلات حكومة بمباي تذكر أى شيء عن
هذه البعثة ، ولم تذكر سجلات حكومة الهند شيئاً عن إرسال بعثة إنجليزية إلى
الدرعية للاتفاق مع سعود على عدم إضماره إلى الجانب الفرنسي ، مع ذكرها
لكل الاتصالات التي حرت بين السعوديين وحكومة الهند .

ثانياً : بالمقارنة نجد أن وصول هذه البعثة المزعومة قد تم في نهاية سنة
١٢٢٦ هـ - ١٨١١ م وبداية سنة ١٢٢٧ هـ - ١٨١٢ م وفي هذه الفترة كانت

(١) Jacques Benoist Mechin, Arabian destiny, pp. 51-52.

ل أ . سبدو ، تاريخ العرب المعاصرين ، ترجمة عادل زعير ، ص ١١٢ - ١١٦ ؛ محمود
كامل ، الدولة العربية الكبرى ، ص ٢٠٩ - ٢١٠ .

القوات المصرية قد وصلت إلى جزيرة العرب وبدأت حروبها مع آل سعود .
 طيس من المقول أن يقبل سعود تحالفاً فرنسياً بهدف أولاً إلى مساعدة نابليون
 في الوصول إلى الهند ، في الوقت الذي كان هو نفسه قد بدأ يرسل الإنجليز
 لإقامة علاقات ودية معهم ، وكانت حكومة الهند البريطانية نفسها ترفض
 الدخول معه في أى إتفاق كما رأينا من قبل ، وبالتالي نجد أن القول بوصول
 بعثة إنجليزية إلى الدرعية مرفوض .

ثالثاً : إن آخر غزو سعودي لبلاد الشام تم ١٢٢٥ هـ — ١٨١٠ م أى
 أنه تم في وقت سابق للوقت الذي حدده أصحاب القول بوصول البعثة الفرنسية
 إلى الدرعية . فكيف إذن يمكن الربط بين وصول هذه البعثة ومهاجمة سعود
 لبلاد الشام ؟

لهذه العوامل نرحم عدم إرسال هذه البعثة للدرعية ، وربما كانت مشروعاً
 لم يتم تنفيذه

ويقول جان جاك بيربي في معرض حديثه عن هذه البعثة أنه « مهما تكن
 سبب الصحة في هذه الوقائع فإن الإعجاب الذي يسكنه ابن سعود للامبراطور
 الكبير كان السبب في خلق شعور الصداقة نحو فرنسا » . أى إن هذا الكاتب
 الفرنسي يثلث في صدق هذه الرواية ، لعدم توافر الأدلة على صحتها^(١) .

المعوقات السعودية — موريتانية :

ارتبطت العلاقات بين الدولة السعودية الأولى وإيران ، بالخلاف المذهبي .
 فقد كان الإيرانيون الشيعة يرون في مبادئ الدعوة السلفية السنية التي تبناها
 آل سعود ، خطراً يهدد كياناتهم في الوقت الذي كان فيه أمتاع الدعوة يرون
 في مبادئ الشيعة خروجاً على تعاليم الإسلام

ولذا فإن الحكومة الفارسية اتخذت موقفاً معادياً لآل سعود منذ البداية حتى إننيار الدولة السعودية ، وأزكى من هذا العداء هجوم آل سعود على الأماكن المقدسة للشعبة في كربلاء والنصف سنة ١٢١٦ هـ — ١٨٠١ م مما ترتب عليه تهديد شاه إيران بغزو العراق والقضاء على آل سعود^(١) ، كما أشرنا من قبل .

ومنذ ذلك الوقت والحكومة الفارسية لم تأل جهداً في تقديم المساعدات العسكرية لأعداء آل سعود ، وهدفها القضاء على النفوذ السعودي ، ومبادئ الدعوة السلفية

ف عندما رأت مساعدة آل سعود لآل خليفة في إسترداد البحرين من سلطان بن أحمد حاكم مسقط ، خشيت لإزدياد النفوذ السعودي في الخليج ، فأسرت بتقديم المساعدات المطلوبة إلى حاكم مسقط سنة ١٢١٧ هـ — ١٨٠٢ م^(٢) . وأبحرت القوات الفارسية من بندر بوشهر وانضمت إلى جانب قوات مسقط التي تمكنت بفضل هذه المساعدة الفارسية من هزيمة آل خليفة وحلفائهم السعوديين ، واسترداد البحرين لفترة قصيرة تمكن بعدها آل خليفة بفضل المساعدات السعودية من استردادها مرة ثانية^(٣) . وعندما بدأت الجيوش السعودية تغزو عمان ، وتهدد سلطان مسقط أسرعت الحكومة الفارسية في تقديم المساعدات لسلطان بن أحمد وشجعته على محاربة آل سعود ، والوقوف في وجه توسعهم في مناطق الخليج^(٤)

ومما يؤكد الموقف العدائي من جانب الفرس إزاء آل سعود أنه و

(١) أحمد علي الصوي ، الممالك في العراق ، ص ٨٢ .

(٢) Adamyat, Op. Cit., p. 37.

(٣) حال زكريا ، دولة الوسميد ، ص ٧٨ .

(٤) Bombay Government, Op. Cit., Vol. 24 p. 430.

١٢٢٥ هـ - ١٨١٠ م ساعدت الحكومة الفارسية آل خليفة في استرداد البحرين من تحت سيطرة آل سعود ، بينما رأيناها من قبل تمد يد المساعدة لسلطان مسقط ضد آل خليفة وحلفائهم السعوديين^(١) ونستخلص من ذلك أن الحكومة الفارسية ، كانت على استعداد دائم لتقديم المساعدات العسكرية اللازمة ، لكل من يرغب في الوقوف في وجه التوسع السعودي ، أو يعلن التمرد والخروج على طاعة الدرعية ، وإن كان الذي يطلب المساعدة يخالفهم في المذهب ، ولكن يتفق معها في الهدف وهو القضاء على الدولة السعودية والبادي التي تدعو لها .

وبلاحظ أن حكام مسقط استفلوا موقف إيران العدائي لآل سعود ، وحاولوا أن يستفيدوا منه لصالحهم ، فقد أرسل السيد سميد ١٢٢٦ هـ - ١٨١١ م أخاه السيد سالم إلى البلاط الفارسي لعقد معاهدة مع الحكومة الفارسية ضد العدو المشترك ، ويقال إن موريزي طيب السيد سميد الإبطالي هو الذي أشار عليه بالإتجاه نحو فارس ، واستغلال العداء الفارسي لآل سعود^(٢) .

وتذكر سجلات حكومة بومباي أن الإمام سعود خشي قيام تعاون فارسي مسقطي . فأسرع بإرسال مبعوث خاص لشاه إيران ، لإقامة علاقات ودية بين الطرفين ، ومنع الشاه من إرسال أي عون فارسي لمسقط^(٣) . على أنه من الملاحظ أن هذه المحاولة لم تمنع السعوديين من مواصلة غاراتهم ضد شبة العراق .

ويبدو أن محاولة آل سعود هذه لم تلق قبولا لدى شاه إيران الشيعي الذي استقبل السيد سالم مبعوث سلطان مسقط إستقبالا حسنا ، وأبدى إستعداده

(١) جمال زكريا ، قضية عمان ، ص ١٨٦ .

(٢) Mourd, Op. Cit., p. 80. Guilaïn, Op. Cit., tome. 1, p. 188.

عثمان بن بقر ، الرسم السابق ، ج ١ ، ص ١٥٤ .

(٣) Bombay Government, Op. Cit., Vol. 24, p. 183.

لتقديم مساعدة حربية لمسقط ضد السعوديين ، وأعد لهذا الغرض حملة فارسية قوامها ثلاثة آلاف فارس ، وبعض قطع الأسطول ، وانضمت هذه الحملة بقيادة صادى خان إلى قوات السيد سعيد^(١) . وحاربت ضد القوات السعودية واستطاعت استرداد حصون سمائل ومحل^(٢) .

ولكن مطلق الطيرى القائد السعودى الجرىء تمكن ، بعد ذلك من هزيمة القوات المتحالفة ونجح فى بث دعاته بين أهل عمان « بأن الفرس يعملون على احتلال عمان ، وبذلك أعاد إلى الأذهان الأحقاد القديمة التى يكنها العمانيون للفرس ، ومن هنا وقع الإضطراب فى النفوس »^(٣) . فقام السيد سعيد بطرد صادى خان وقواته إلى بندر عباس . لإعتقاده بأنهم السبب فى الهزيمة^(٤) .

وعلى كل ، فإن موقف السيد سعيد هذا من القوات الفارسية لم يغير شيئاً من عدااء الحكومة الفارسية لآل سعود ومبادئ الدعوة السانية ، فقد ظلت الحكومة الفارسية على موقفها هذا حتى انهيار الدولة ، وكانت أنباء هزيمة القوات السعودية أمام قوات محمد على تتلج صدور المسئولين الفرس ، وكان لبناً سقوط الدرعية رنة فرح قوية فى البلاط الفارسى حتى إن الشاه عباس أرسل إلى محمد على يهنئه على نجاحه فى القضاء على الدولة السعودية ويتنى عليه وعلى أعماله الخيرية التى قام بها فى سبيل الدين ، قائلاً « فاطلمت على ما صنعت فى قتال العرب وصبرت فى إحتمال التعب واجتهدت فى تجهيز السكايب وتشديد

(١) Mourzi, Op. Cit., p. 81.

(٢) جمال زكريا ، دولة الوسميد ، ص ١٥١ .

(٣) Mourzi, Op. Cit., p. 81.

(٤) يد كرمورى أن قوام هذه الحملة الفارسية كان ١٥٠٠ فارس بالإضافة إلى بعض قطع الأسطول ، بينما يذكر ابن بشر أن عدد جنودها كان نحو ثلاثة آلاف (٣٠٠٠) ولعل موريزى فى تقديره أقرب إلى الصواب حيث أنه كان يعمل طبيباً لدى سلطان مسقط و من الوقت كان يشير عليه فى كثير من الأمور .

أطرو : Mourzi, p. 81 ، وابن بشر ، ص ١٥١ .

الفواضل حتى وطيت أرجاء التهمة بأقدام الشهامة وخلصت أرض النجد
بالمز والمجد وفتحت باب الأمانة بفتح الدرعية وبالف في دفع البدع ونقى
الدين المخترع وقطع دابر المفسدين ونصر لإسلام المسلمين حتى شرحت صدرهم بعد
حرجه واستقام الأمر بعد عوجه وبدأ حلو الدين وبادعدو المؤمنين^(١)، ثم
يذكره في حاشية رسالته أنه لم يجد ما يقدمه له مكافأة على عمله الجليل إلا
السوف العتيق الذي ورثه ملوك الفرس عن أجدادهم من سالف الدهر،
لأنه يناسب عزمه في الحد والمضاء . على حد تعبير الرسالة مصحوباً بخاتم من
الفهوزج^(٢) .

ولا غرابة في أن نجد شاه الفرس الشيعي يهنيء والى مصر الحق على
نجاحه في القضاء على دولة آل سعود السنية ، لاتفاقهما في الهدف . وإن اختلفا
في المذهب .

(١) دار الوثائق القومية ، من عباس مرزا إلى محمد علي ، دفتر ٤١ ص ١٤ مكانة
عربية ، بدون تاريخ . انظر ملاحق الرسالة . ملحق ١٨ .
(٢) غس الوبقة الساحة .

الفصل الحادى عشر

استرداد الحجاز من آل سعود

- ١ - تمهيد .
- ٢ - سفر حملة طوسون .
- ٣ - وصول الحملة إلى ينبع وبداية الغور الأول من الحرب .
- ٤ - استمالة القبائل الحجازية .
- ٥ - هزيمة الحملة في وادى الصفراء .
- ٦ - الاستيلاء على كل من المدينة وجدة ومكة .
- ٧ - الغور الثانى من الحرب ونزول محمد على إلى ميدان القتال .
- ٨ - فشل قوات محمد على في الاستيلاء على القنفذة .
- ٩ - هزيمة محمد على في وادى زهران ومحاصرة آل سعود للطائف .
- ١٠ - نجاح محمد على في فتح القنفذة .
- ١١ - عودة محمد على إلى مصر .
- ١٢ - استيلاء طوسون على الرس .
- ١٣ - الصلح بين طوسون وعبد الله بن سعود .
- ١٤ - وفد سعودى يصل إلى القاهرة .
- ١٥ - مراسلة عبد الله بن سعود لكل من السلطان محمود الثانى ومحمد على ، حول قبول إعلان تهميته للدولة العثمانية وإنهاء الحرب .
- ١٦ - فشل محاولات عبد الله .
- ١٧ - نجاح القوات المصرية في السيطرة على الحجاز وعودة طوسون إلى مصر .

الفصل الحادي عشر

استرداد الحجاز من آل سعود

فهرس :

أزعج التوسع السعودي الدولة العثمانية ، وزاد من إزعاجها كما سبق أن ذكرنا إعلان آل سعود زوال السيادة العثمانية عن الحرمين ، بالإضافة إلى مهاجمتهم لولايات الدولة في العراق والشام ، ومنعهم لحامل الحاج التي تأتي من الولايات التابعة لها^(١) . وزاد من مخاوفها فشل ولاية العراق والشام في القضاء على قوة آل سعود .

وكانت الدولة حريصة على استرجاع سيادتها على الحرمين لاسترداد هيبتها في العالم الإسلامي^(٢) ، ولذا وجدت ألا مناص من الاستعانة بوالى مصر محمد على باشا للقيام بالمهمة التي فشل فيها كل من والى بغداد ووالى دمشق . وكانت تهدف من وراء ذلك إلى هدفين كما يذكر بعض المؤرخين أولهما القضاء على الدولة السعودية التي أصبحت خطراً يهدد سمعتها في العالم الإسلامي ، وبالتالي إضعاف هذا الوالى باستنزاف موارده في هذه الحرب ، التي قد لا تحمد عقباها بالنسبة له حتى يظل حاضماً لها خضوعاً تاماً^(٣) . ونستبعد أن الدولة في ذلك الوقت كانت تهدف إلى استنزاف موارد محمد على لعدة عوامل منها أن

Thomas Archer, The War in Egypt and The Soudan, Vol. (١)
1, p. 45.

G Jean, Louis Soulié et L. Champenols, Le Royaume D'Arable
Saoudite, pp. 15-16.

(٢) حسن مؤس القرن الإسلامي في العصر الحديث ، ص ١٩٩ .

(٣) عبد الحميد الطربقي ، إبراهيم باشا في بلاد العرب ، ص ٣ ، ٥ ، ٥ .

محمد على في الوقت الذي بدأت الدولة تكلفه فيه مهمة القضاء على آل سعود كان في مركز مالي حرج بسبب حروبه مع المماليك وسيطرتهم على معظم موارد الصعيد بالإضافة إلى انخفاض الفيضان في بعض السنوات حتى إن تفكيره اتجه في ذلك الوقت إلى الاتجار في القمح كما يذكر دودويل^(١) ولم يجد إلا الانجليزية للاتجار معهم^(٢). بالإضافة إلى اضطرابه دائماً إلى دفع رواتب الجند حتى يضمن ولائهم^(٣). يؤيد هذا الرأي أنه عندما بدأ في إعداد الحملة والإذعان لأوامر السلطان استعان بالمهروقي سرتجار القاهرة ليمده مالياً فأمدّه الأخير بما احتاج إليه. وهذا يجعلنا نرجح أن الدولة لم تكن تضع في اعتبارها استنزاف موارد محمد على لوقوفها على حقيقة هذه الموارد وضمها بالإضافة إلى أن محمد على في ذلك الوقت لم يكن خارجاً عن طاعة الدولة حتى تهدف إلى ذلك، بل كان دائماً في ذلك الحين يملأ رسائله للباب العالي بعبارات التملق وإظهار عبوديته للسلطان.

وتشير الوثائق إلى أن أول تكليف ورد من السلطان العثماني (مصطفى الرابع) إلى محمد على للقيام بهذه المهمة، كان في ١٢٢٢ هـ - ١٨٠٧، إلا أن محمد على أرسل للسلطان يعتذر له عن عدم قيامه بتنفيذ هذا الأمر بسبب التدهور الاقتصادي الذي انتاب البلاد نتيجة لانخفاض الفيضان واستيلاء المماليك على الصعيد وخشيتهم من أطماع الدول الأوروبية في مصر^(٤).

ولما كرر السلطان العثماني تكليفه لمحمد على للقيام بهذه المصلحة الخيرية، مفرياً إياه بأن القضاء على الخارجين لا يأتي إلا على يديه^(٥)، خشي

Dodwell, Op. Cit., p. 29.

(١)

(٢) كريم ثابت، محمد على، ص ٥١.

(٣) محمد فهمي لمبقة، تاريخ مصر الاقتصادي في العصور الحديثة ص ٧١.

(٤) دار الوثائق القومية، مائتين، من محمد على إلى الباب العالي، دفتر (١) مائة ترك،

وثيقة (٤) تاريخ دي الحجة ١٢٢٢ هـ - ديسمبر ١٨٠٧ م.

Rev. B. M., Zwemer, Arabia, pp. 195-196.

(٥)

محمد على أن يكون هناك شرك تنصبه له الدولة ، ولذا فإنه أرسل للسلطان
بتمثل بالإضافة إلى ما سبق ذكره بأن قوته العسكرية غير كافية لإنفاذ
« المصلحة الخيرية » والقضاء على آل سعود الذين وسع سلطانهم معظم جزيرة
العرب ، وأن إنفاذ هذه المهمة يحتاج لحشد طاقات عسكرية كبيرة تأتي من
ولايات العراق والشام بجانب قوة مصر^(١) .

على أن محمد على بدأ يشير للدولة منذ ١٢٢٢ هـ - ١٨٠٨ م مشكلة تخوفه
من سليمان باشا وإلى الشام وربط بين القيام بمهمته وبين عزل سليمان باشا .
متهماً إياه بتعاونه مع الماليك وكتابته الشكاوى في حقه للسلطان ، ولذا فإنه
يخشى جانبه أثناء تنفيذه عن مصر ، ويرجو دفعه عن ولاية الشام واسنادها
لصديقه يوسف كنج اللاجئ عنده حتى « يصبح ... مطمئن القلب وبمحصل
إنجاز مصلحة الحجاز بسرعة »^(٢) ولما تكررت رسائل الدولة إليه تلح عليه
في القيام بسرعة لإنجاز مصلحة الحجاز أرسل يؤكد للدولة أن لديه أدلة قاطعة
على إيواء سليمان باشا للماليك الفارين من السودان مما يشكل خطراً عليه
وذكر أن « بقاء الوزير المشار إليه هناك (أى في بلاد الشام) سبباً مستقلاً
لبطء جريان « المصلحة الخيرية » ؛ « ولتأخر إنجازها »^(٣) . وأكد للباب
المالى أن سفره على رأس قواته البرية مرتبط بإبعاد سليمان باشا عن إيالة الشام
فإذا لم يتم هذا الأمر فإنه سيكون مضراً لإرسال قوات بحرية فقط وفي هذه

(١) دار الوثائق القومية ، من محمد على إلى الباب العالي ، دفتر (١) معية ترك ، وثيقة
(٧) بتاريخ ١١ محرم ١٢٢٣ هـ - ١٠ مارس ١٨٠٨ .

عبد الرحمن المرتضى ، بحال الآثار في التراجم والأخبار ، ج ٤ ، ص ٧٨ .

(٢) دار الوثائق القومية : من محمد على إلى الباب العالي - دفتر (١) وثيقة (١٣) تاريخ
٢٥ شعبان ١٢٢٣ هـ - ١٦ أكتوبر ١٨٠٨ م .

(٣) دار الوثائق القومية : من محمد على إلى الباب العالي - دفتر (١) وثيقة (٨) تاريخ
٥ شوال ١٢٢٣ هـ - ٢٦ سبتمبر ١٨٠٨ م .

الحالة لا يكون مسئولاً عن نتيجة القتال^(١) . رغم استعداده للقيام بهذا العمل
الخبرى من كافة الوجوه^(٢) :

وأشار في إحدى رسائله إلى كبير أغوات الحرم السلطاني إلى وجوب
تسيير جيوش من الشام تحت رئاسة سليمان باشا ليشارك معه في القتال إذا كانت
القوة نصر على بقائه في إمالة الشام ، وأما عزله وتميين صديقه يوسف كنج
الذي تشفع له مراراً بذلك وفي هذه الحالة فإنه مستعد للفرح حالاً للفاية المرجوة^(٣) ،
مؤكداً ضرورة مشاركة بلاد الشام في تخليص الحرمين^(٤) .

ونفساً ما الهدف الذي كان يرى إليه محمد علي من إثارة هذه المشكلة ؟
وهل كان بحق يريد تعيين يوسف كنج على ولاية الشام ؟ وهل كان صادقاً في
إتهامه لسليمان باشا وإلى الشام ؟

والإجابة على هذا السؤال لها شقان تؤكدهما الوثائق التي تبودلت بين
محمد علي والباب العالي ؟

أولهما : رغبة محمد علي الشديدة في الحصول لمصر على مكانة ممتازة مستفلاً
ظروف الدولة العثمانية وإلحاحها المستمر عليه في القيام بمحاربة آل سعود وتخليص
الحرمين بمدة أن فشل غيره من الولاة المجاورين للجزيرة في تحقيق هذه الرغبة

(١) دار الوثائق القومية : من محمد علي إلى الباب العالي . دفتر (١) وثيقة (٥١) تاريخ
٢٢ شوال ١٢٢٥ هـ - ٢٥ نوفمبر ١٨١٠ م .

(٢) دار الوثائق القومية : من محمد علي إلى محمد نجيب ، دفتر (١) وثيقة (٥٦) تاريخ
٥ ذي الحجة ١٢٢٥ هـ - ١ يناير ١٨١١ م .

(٣) دار الوثائق القومية : من محمد علي إلى كبير أغوات الحرم السلطاني ، دفتر (١)
وثيقة (٨٠) تاريخ ٢٧ ذي الحجة ١٢٢٦ هـ - ١٢ يناير ١٨١٢ م .

(٤) دار الوثائق القومية : من محمد علي إلى كبير أغوات السلطان ، دفتر (١) وثيقة
(٨٣) تاريخ ٢٣ محرم ١٢٢٧ هـ - ٧ فبراير ١٨١٣ م .

للدولة ولذا أراد من السلطان أن يحمل من مصر ولاية مختارة كالجزائر وانضمت
رغبته هذه لأول مرة في ١٢٢٥ هـ - ١٨١٠ م حيث أبدى خوفه من تعرض
مصر للعصار من إحدى الدول المدوة للدولة العلية في أثناء غيابه عنها في جزيرة
العرب بالإضافة إلى تعرض تجارتها للخطر مما يترتب عليه تعطل مصلحة الحجاز
فذكر للصدر الأعظم « وحيث إن تجارة مصر مع الخارج ضرورية لها فإن
امتيازها يضمن حيادها ومصلحتها الاقتصادية »^(١).

ثانيهما : نطلع محمد علي إلى ضم ولاية الشام ولكنه في هذه للرحلة وحتى
سفر جيوشه إلى الحجاز ، لم يفصح عن تطلعه صراحة ، وإنما أفصح عن رغبته
هذه بعد ذلك كما سنرى في حينه ، ونكاد لانصدق إتهام محمد علي سليمان باشا
وإنما نرى أنه أراد أن يكون على ولاية الشام وآل ليس له مقدرة سليمان باشا
حتى يضمن ولاءه له مثل يوسف كنج الذي ألح كثيراً على الدولة في أن تميده
إلى ولاية الشام . متعللاً بتخوفه من سليمان باشا وخشيته من أن يقوم ضده
بأعمال عدائية أثناء قيامه « بالمصلحة الخيرية » وهي تخليص الحرمين من آل سعود
يؤيد هذا الرأي أنه أرسل للباب العالي بعض الأوراق ذكر أن كشتدا سليمان
باشا أرسلها إلى المالك في السودان ولكنها وقعت في يده فرد عليه الباب
العالي « أن مضمون هذا الورق عبارة عن مجرد إظهار الصفاة والإخلاص
ولا يستنتج من هذا حكم » فرد محمد علي مؤيداً قول الباب العالي ولكن مع
تحفظه فقال : « نعم بامولاي أنتم صادقون والواقع أنه غير مشتمل على حكم
صریح ولكن حيث حرد في الورق المذكور بعد إظهار الإخلاص على طريق
التعنة والإخبار ... على فرض أن الورق ليس فيه حكم ولا تعليم ، وخلافاً لذلك أن
أقرب ما يلاحظ أن يكون مع هذا الرجل الحامل لذلك الورق تقارير خفية »^(٢).

(١) دار الوثائق القومية : من محمد علي إلى الصدر الأعظم ، دفتر (١) وثيقة (٥١)

تاريخ ٢٧ شوال ١٢٢٥ هـ - ٢٥ نوفمبر ١٨١٠ م

(٢) دار الوثائق : من محمد علي إلى الباب العالي ، دفتر (١) مادة تركي وثيقة (٥٠)

تاريخ ٩ صفر ١٢٢٦ هـ - ٥ مارس ١٨١١ م

ولما رأى أن كل محاولاته مع الدولة في ذلك الوقت لم تجد نفعا أعد الجيوش البحرية والبرية وسبورها إلى الحجاز مرحلتا تطلعاته لظروف أخرى . وإذا كان محمد علي قد تخلص من الزعامة الشعبية بنفى السيد عمر مكرم إلى دمياط في ١ رجب ١٢٢٤ هـ — ١٢ أغسطس ١٨٠٩ م ^(١) . كخطوة أولى في تنفيذ فكرة التخلص من المقبات الداخلية التي رأى أنها تقف في سبيل انفراده بحكم مصر . فإن حملة الحجاز أُناحت له تنفيذ خطوة أخرى في سبيل تنفيذ فكرته عندما تخلص من أمراء المالك وأتباعهم في مذبحه القلعة التي دبرها لهم في ٤ صفر ١٢٢٦ هـ — ١٨١١ م ^(٢) في المهرجان الذي أقامه لإلباس ابنه طوسون خلة القيادة وأرسل رؤوس بعض الأمراء للباب العالي ذاكراً أنه « بهذا الوجه حصل الخلاص والتخلص من غوائلهم ومصرفاتهم » ^(٣) وبذلك قضى على المقبات الداخلية التي كان يخشى منها على ولايته .

ورغم أن محمد علي جند كافة طاقاته من أجل إعداد الحملة ، ودب النشاط في دور الترسانة في القاهرة والسويس لتجهيز السفن اللازمة لنقل جنودها الذين سيأفرون عن طويق البحر ومعداتهم .

إلا أنه أرسل يطلب من الباب العالي لوازم ستة أشهر للبحر وهدايا وحلح للعربان لعدم توفرها في مصر ، قدرت بما ينوف عن سبعة وستين ألفاً من الجنهيات ، بالإضافة إلى طلبه مدافع ومهمات للسفن التي أنشئت للسويس ، مع إدراكه لسوء حالة الدولة المادية وأقسم في رسالته للباب العالي « أنه لو كانت اللوازم المذكورة توجد في محل غير الدولة العلية ، وكان يمكن أخذها منه

(١) عبد الرحمن الجبرتي ، المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٩٨ — ٩٩ ؛ اراضى ، عصر محمد علي ، ص ٩٠ .

(٢) عبد الرحمن الجبرتي ، المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٢٧ ؛ اراضى ، المرجع السابق ، ص ١٠٧ — ١٠٩ .

(٣) دار الوثائق ، من محمد علي إلى الباب العالي ، دفتر (١) وثيقة (٩٠) تاريخ ٩ صفر ١٢٢٦ هـ — ٥ مارس ١٨١١ م

لكت أبيع أولادى وأشترى هذه اللوازم^(١). ويبدو أن سلطات الدولة العثمانية، أدركت أن محمد على يساومها ولذا غضت النظر عن طلبه ولم ترسل له إلا بعض المدافع^(٢). ومن عجب أن محمد على أعد الحملة فعلا دون أن تصله اللوازم التى طلبها، مستعينا فى ذلك بالسيد محمد المحروق سرتجار القاهرة^(٣). وقد بلغ تعداد الحملة ثمانية آلاف. خمسة آلاف من المشاة والمدفعية، سافروا عن طريق البحر على السفن التى تم صنعها محليا والمستأجرة على دفتين :

الأولى بدأت سفرها فى ١٩ رجب ١٢٢٦ هـ — ٨ أغسطس ١٨١١ م.
والثانية بدأت سفرها فى ٥ شعبان ١٢٢٦ هـ — ٢٦ أغسطس ١٨١١ م. وقد بلغ عدد السفن التى أفلت الفريقين ثلاث وستون سفينة^(٤) :

أما فريق الفرسان الذى بلغت قوته ثلاثة آلاف فارس بينهم الكثير من البدو فقد كان على رأسه ابنه أحمد طوسون القائد العام وقد سافر بطريق البر عبر العقبة إلى ينبع التى اتفق أن تكون مكان التجمع والالتقاء للقوات البحرية والبرية.

وكان محمد على قد راسل الشريف غالب عن طريق تجار جدة وبنبع القاطنين بمصر بقصد استمالته إلى جانبه، رغم أن الصدر الأعظم كان قد أرسل سابقا للشريف المذكور بيلفه « أن الدولة العلية مازالت عند حسن ظنها بسيادته وأنها تعطف عليه، وأنه مازال موضع ثقها فيه فينبى له أن يتنبه لعملو

(١) دار الوثائق القومية، من محمد على إلى الباب العالي دقر (١) وثيقة ٢٢ تاريخ ١٢٢٤ هـ — ١٨٠٩ م.

(٢) دار الوثائق القومية، من السيد عثمان نائب السلطان إلى محمد على، محضلة رقم (١) بحريرا، وثيقة (٢٣) تاريخ ١٠ صفر ١٢٢٥ هـ — ١٧ مارس ١٨١٠ م.

(٣) المبرق، المرجع السابق، ج ٤، ص ١٢٣.

(٤) دار الوثائق، من محمد على إلى الباب العالي، دقر (١) وثيقة (٧٠) تاريخ ٩ شعبان ١٢٢٦ هـ — ٩ أغسطس ١٨١١ م.

الشك وأن يكون حريصاً على بقاء إدارة الحكم بحجة وينبع في يده مخافة أن تفلت إلى يد العدو»^(١) وأكده رسل محمد على له وقوف الشريف إلى جانب قواته فور وصولها إلى الأراضى الحجازية فأرسل إلى الباب العالي يخبره بأنحياز الشريف إلى جانبه قائلاً «فإن ميله إلينا ورغبته فينا»^(٢) ولذا فإن قواته لم تجد صعوبة عند نزولها إلى ينبع.

وصول الحملة إلى ينبع وبرية الدرر الأول من الحرب :

ينبى أن نشير أولاً إلى أن محمد على كان يدرك ، أن قواته التي أرسلها إلى الحجاز ، كانت تحارب قوات ، تعتبر قتالها جهاداً في سبيل نشر مبادئ عقائدية ، ولذا فإنه زود حملته بمقتى المذاهب الأربعة ، وبجمل المحروقي كبير تجار مصر « مأمورين بالسعى في استغلال قلوب قبائل العربان والمشاير الموجودة بإقليم الحجاز بما يلزم تزويدهم به من التعليمات»^(٣) ويذكر الجبرتي أن محمد على أوصى ابنه طوسون ألا ينفذ أمراً إلا بعد مراجعة المحروقي فيه^(٤).

وكانت التعليمات التي لدى طوسون أن يتخذ ما يراه صالحاً للعمليات العسكرية لدى وصوله إلى ينبع^(٥)، التي كان حكمها بيد حرب جبهة تحت إمرة آل سعود^(٦) وعندما وصلت قوات الحملة إلى مرقأى ينبع والموبلح استولت

(١) دار الوثائق ، من يوسف كنج إلى محمد على ، محفظة (١) بحرياً ، وثيقة (٢١)

بتاريخ ١٩ في الحجة ١٢٢٤ هـ — ٢٥ يناير ١٨١٠ م .

(٢) دار الوثائق ، من محمد على إلى محمد نجيب ، دفتر (١) ، وثيقة (١٦) تاريخ

٢٤ ربيع الآخر ١٢٢٦ هـ — ١٨١١ م .

(٣) دار الوثائق القومية : من محمد على إلى الباب العالي ، دفتر (١) وثيقة (٧٧) تاريخ

هرة رمضان ١٢٢٦ هـ — ١٩ سبتمبر ١٨١١ م : الجبرتي ، الترجع الساس ، ص ١٣٥ .

(٤) عبد الرحمن الجبرتي ، الرحم السابق ، ج ٤ ، ص ١٣٥ .

M. Saby, L'Empire Egyptien Sous Mohamed Ali, p. 40.

(٥) دار الوثائق ، الوثيقة السابقة (٧٣) .

(٦) لمع الشهاب ، ص ١١٤ .

عليهما دون كبير عناء ، ويجب ألا ننفل أن سوء الأحوال الاقتصادية التي ألمت بسكان التمور الحجازية والقبائل القاطنة على طريق الحج على إثر انقطاع الحامل^(١) . كانت من أبرز الموامل التي سهلت للقوات المصرية طريق تقدمها فقد تمكنت قوات المشاة لدى نزولها ميناء ينبع من إغراء بعض القبائل القاطنة بإهدائهم الطرف والأموال والخلع ، واستغلال هذه القبائل في توصيل الرسائل إلى مشايخ القبائل الأخرى بقصد استمالهم إلى جانب قوات الحملة وانضمامهم عن جانب آل سعود ، وقد نجح هذا الأسلوب في استعماله مع القبائل كثيراً^(٢) .

تمكنت القوات المصرية بمساعدة القبائل التي انضمت إليها من إزلال هزيمة قاسية بأول فرقة سعودية تلتقي بها تحت قيادة جابر بن جبارة وسعود ابن مضيان اللذين أمرعا بالانضمام إلى جانب الجيش السعودي الرئيسي الذي أعد للقاء قوات الحملة . وأخذ طوسون بعد ذلك يضع الخطط ويقوم بعمليات التجهيز اللازمة للزحف نحو المدينة المنورة^(٣) واستغلالها من يد القوات السعودية . وكانت خطة طوسون أساساً تقوم على استمالة أكبر عدد من القبائل العربية القاطنة على الطريق إلى المدينة ، ووجد طوسون في نصر الشديد رئيس قبائل الحويطات وعمره أداة سهلة في القيام بهذه المهمة بتقديم الهدايا والخلع لمشايخ العربان عن طريقهم بالإضافة إلى قيامهم بعمليات الاستكشاف له في هذه المرحلة ، وقد ذكر محمد علي أن القبائل التي استطاع ابنه طوسون أن يستميلها عن طريق عميلة نصر الشديد وعربانه هي : الحويطات . المبادنة . بلي . الطربين . الخابسة . الصوالحة . الكواملة . المليقات . مزينة . تبة .

(١) الجبرتي ، للرجع السابق ، ج ٤ ، ص ١٣٥ .

(٢) دار الوثائق القومية ، مرقد علي إلى الباب العالي ، دفتر (١) ودية (٧٥) تاريخ ٢٣ رمضان ١٢٢٦ هـ — ١١ أكتوبر ١٨١١ م .

(٣) انصرف على الطرق الموصلة إلى المدينة وموانئها والحياء فيها وواحاتها بالتصعيد

الطر :



لحون . عمران . علوين . حميرات . الدقيقات . بنى هبة . بنى واصل .
جينة^(١) . وكالها من القبائل القاطنة بالقرب من المدينة أو على الطريق إليها
ومن طريق مساعدة هذه القبائل لم تلق قوات طوسون صعوبة كبيرة في طريق
زحفها نحو المدينة في بادئ الأمر وتمكنت بسهولة من الاستيلاء على قريتي
السويقة وبدر بعد اشتباك بسيط مع الفرق السعودية التي كانت في كل منهما^(٢) .

إلا أن القوات المصرية الزاحفة صوب المدينة سرعان ما حلت بها هزيمة
قاسية في أول اشتباك حقيقى لها مع القوات السعودية التي كانت تحت قيادة
عبد الله بن سعود وسعود بن مزيان في وادي الصفراء الذي تحيط به
الصخور الصلبة وكانت القوات السعودية قد تمكنت من احتلال روايه
الصخرية العالية التي على جانبيه . طبقاً لخططها في القتال والتي كانت دائماً تعتمد
على احتلال المرتفعات ، ولذا نسي لها أن تنزل هزيمة سهلة بقوات طوسون باشا
التي استولى عليها الرعب^(٣) وأسرع لاثذاً بالفرار صوب ينبع من بقى منها حياً
مستبقاً غيره في النزول إلى السفن ، وقد جيش طوسون في هذه المعركة كثيراً
من عدته وعتاده ومعلم جنده ، فقد أحصى طوسون جنوده الذين وصلوا إلى
ينبع في أعقاب المعركة فوجدهم ثلاثة آلاف جندي ، ولذا أرسل يطلب المدد
المستعجل من والده^(٤) .

(١) د.ر الوثائق القومية ، من عهد على إلى الباب العالي ، وثيقة (٧٨) دفتر (١)

معية تركى بتاريخ ٥ ذى القعدة ١٢٢٦ هـ — ٢١ نوفمبر ١٨١١ م .

(٢) عبد الرحمن الرافعى ، المرجع السابق ، ص ١٢٥ .

(٣) عبد الرحمن الرافعى ، المرجع السابق ، ص ١٢٦ .

(٤) عبد الرحمن الجبرتي ، عجائب الآثار ، ج ٤ ، ص ١٣٨ .

(*) بصور الجبرتي حالة الجنود المصري فيذكر أنهم لم يحرصهم وخوفهم واستعجالهم
على النزول في الطائر يخوضون في البحر لكي يرغبهم وكأنما الفاريت في أرم ترم خطفهم .
ورجم طوسون باشا إلى يدم البحر بعد أن تقيب يوماً عن معسكره حتى أنهم ظنوا قتله ...
وأما المحروقي فإن كبار المعسكر قامت آياه وأسموه الكلام اللسع وكادوا يقتلونه فذل في
حمة وخاس منهم وحصر ناحية القصير . . . وكان صالح أها لوح الأرناءوط ينفه رأى
المحروقي وطوسون باشا ويقول هؤلاء الصغار كتب يصلحون لتدبير الحرب .

أطر الجبرتي الجزء الرابع ، ص ١٣٧ - ١٣٨ .

وهنا لاحت الفرصة لمحمد على مرة أخرى ليؤكد أهمية ولاية الشام له مستعلا هذه الهزيمة التي حلت بقوات ابنه طوسون في الصفراء ، فبعد أن صور للباب العالي فظاعة الهزيمة رغم استبسال قواته ، أمام القوات السودية التي رسم لها صورة مبالغا فيها لاشك ، وذكر أشياء بعيدة جداً عن نظام آل سمود الحربي ، ومما لا ريب فيه أن محمد على لجأ إلى هذا الأسلوب تمهيداً لمرض مطلبه الذي سبق الإفصاح عنه ، إذ بدون ولاية الشام ومواردها والجيش التي تجرد منها لا يمكن لقواته أن تحقق أمل السلطان في استخلاص الحرمين^(١) . ويذكر أن طلبه لإيالة الشام ليس لجر منفعة ولا لتوسيع منصب بل مجرد إبراز حسن الخدمة للدين والقوة العلية « فهما كان الشام الشريف على سبع عشر مرحلة من الحل الذي يقال له البرعية مع كون أكثر منازل هذا الطريق ومراحله معمورة ذات مياه وأعشاب فالسهولة ظاهرة في سوق العاكر الكلية والذخائر وسائر المهمات بهذا الطريق كما يسهل بذلك أيضاً حصول النالبية بتنصيب قوة العدو على نصفين بإخراج الجيوش الكلية السلطانية من الطرفين . . . لكن الله يعلم أن الغرض من طلب المنصب المذكور مجرد الخدمة والصداقة وأن ذلك لم يكن مبنياً على خيال آخر فلو لم أكن قادراً على إعاشة نفسي بإقليم مصر وطلبت منصباً لتوسيع العاش لكنت خارجاً عن حدود الأدب جداً لأنني إذا عجزت عن إدارة نفسي بمنصبي الجليل الذي هو من المناصب التي إليها يتعصر الوزراء يلزم أن أبقي عاجزاً عن إدارة نفسي لوضعي إلى ذلك المنصب بلاد الأناضول بأكلها »^(٢) .

إهتم الباب العالي بطلب محمد على ، فقد مجلس الشورى عدة اجتماعات

(١) دار الوثائق ، من محمد على إلى كبير أمانة دار السعادة ، دفتر (١) سبعة تركي وثيقة (٨٠) بتاريخ ٢٧ ذي الحجة ١٢٢٦ هـ — ٢٢ يناير ١٨١٢ م .

(٢) دار الوثائق ، من محمد على إلى الباب العالي ، دفتر (١) وثيقة (١١٨) ، تاريخ ٢١ جمادى ١٢٢٨ هـ — ٢٠ أغسطس ١٨١٣ م .

دراسة هذا المطلب ، ويبدو أن الدوائر العثمانية عدت طلب الباشا غربياً فأبدت الإهتمام به خوفاً من أطماعه ، فقرر مجلس الشورى في النهاية « الإستسلام عن أنه في حالة توجيه ولاية الشام إلى دولتكم كيف يكون النظر في أمورها وبأى وجه تحصل المعونة وتكون المبادرة لإدارتها »^(١) وذكر له محمد نجيب وكيله لدى الباب العالي يخبره « أنه وإن كان حصل الإهتمام في حصول الملتبس المذكور من كل الوجوه إلا أنه لم يحن وقته المرهون ولم يبرز الدليل في هذا الأوان »^(٢).

أدرك محمد علي تخوف الباب العالي من مطلبه ولذا غرض الطرف عنه إلى حين . ورى بثقله في حرب الحجاز ليرفع من سمعته في العالم الإسلامى وليحقق جزءاً من أطماعه بفرض سيطرته على بعض أقاليم جزيرة العرب .

ومحب أن نشير إلى أن محمد علي اتخذ من هزيمة الصفراء أيضاً مبرراً لفرض ضرائب جديدة على أراضي الأوقاف في مصر بالإضافة إلى فرض إتاوات من الغلال على القرى^(٣) . وجد في إرسال المدد إلى ابنه طوسون في الوقت الذى أرسل فيه إلى رؤساء الجند يحثهم على التمسك بينبع إلى حين وصول المدد إليهم^(٤) . ولكن طوسون كان قد استغل الخطأ الذى وقعت فيه القوات السعودية لعدم تتبعها فلول الجيش المصرى المنهزم وبدأ يبذل كل جهده في استمالة القبائل البدوية بتقديم المال والهدايا إليها إلى أن وصلت الإمدادات من مصر

(١) دار الوثائق ، من محمد نجيب إلى محمد علي ، محفوظات المية ، وثيقة (١٢٨) بتاريخ ١٥ صفر ١٢٣٠ هـ - ٢٧ ديسمبر ١٨١٤ م

(٢) دار الوثائق ، من محمد نجيب إلى محمد علي ، محفوظات المية ، وثيقة (١٨٣) ، تاريخ ١٥ صفر ١٢٣٠ هـ - ٢٧ ديسمبر ١٨١٤ م .

(٣) دار الوثائق ، من محمد علي إلى الباب العالي ، دفتر (١) وثيقة (٨٣) ، تاريخ ٢٣ محرم ١٢٢٧ هـ - ٧ فبراير ١٨١٢ م .

(٤) دار الوثائق ، من محمد علي إلى رؤساء الجند ، حفظة (٧) بحرياً ، وثيقة ٨٢ بتاريخ ١٥ محرم ١٢٢٧ هـ - ٣٠ يناير ١٨١٢ م .

بقيادة أحمد بن نابت (الخازندار) ١٢٢٧ هـ - ١٨١٢ م ، فتمكن بعد وصولها إليه من نقل مركزه إلى بدر ، وهناك نظم قواته ورتبها ترتيباً عسكرياً جيداً وزحف بها إلى وادي الصفراء وتمكن من احتلاله^(١) .

وفي نفس العام وصلت قوات طوسون تساندا قبائل حرب وجبينة إلى المدينة المنورة بعد رحلة مضيئة نتيجة لوعورة الطريق وبعد المسافات وشدة الحر التي اضطرت الجيش أن يسير بالليل ويستريح في النهار^(٢) . وحاصر طوسون بقواته المدينة مدة طويلة تمكن في أثناءها من فتح ثغرات في سورها بواسطة المتفجرات ، فاضطرت القوات السعودية التي كانت متحصنة بها إلى الاستسلام بعد أن فشلت الأمراض بها نتيجة لطول مدة الحصار وقطع المياه والطعام عنها^(٣) ، وأرسل طوسون لوالده بشار النصر مصحوبة بثلاثة آلاف من آذان القتلى ومقاتيح الحرم النبوي الشريف « وكان لفتح المدينة المنورة رنة فرح في كل أرجاء الدولة العثمانية »^(٤) . وبذلك برهن أن خيانة الشريف غالب للعامة السعودية كانت من أهم أسباب إسسلامها^(٥) .

ويبدو أن القوات السعودية لم تبد أي عزم على استردادها لأن القوات المصرية أصبحت تسيطر سيطرة تامة على المنطقة الشمالية من الحجاز على خط يمتد من ينبع إلى المدينة المنورة . وأصبح جل اهتمام القوات السعودية مركزاً

(١) عبد الرحمن الرافعي ، المرجع السابق ، ص ١٢٧ ، دفتر (١) وثيقة (٨٧) ، تاريخ ٧ رمضان ١٢٢٧ - ١٢٨١٢ م .

(٢) المرجع نفسه ، ص ١٢٨ .

(٣) محمد بن عبد بن عبد الحسن ، تحفة المستفيد ، ج ١ ، ص ١٣٩ : أحمد عبدالصبور حطار ، صقر الجزيرة ، ج ١ ، ص ٧٧ .

(٤) دار الوثائق ، من عهد علي إلى الباب الثاني ، دفتر (١) وثيقة (٩١) تاريخ ١٥ ذي الحجة ١٢٢٧ هـ - ٢٠ ديسمبر ١٨١٢ م .

(٥) عثمان بن بدر ، المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٥٩ .

على الإحتفاظ بمنطقة مكة والمناطق المحيطة بها^(١).

وفي أعقاب فتح المدينة ظهرت حاجة الجيش المصري إلى مرفأ على البحر ليكون مركز تزويد للجيش المصري أثناء زحفه إلى مكة ، فأنجحت أنظار القادة إلى جدة فراسل طوسون باشا الشريف غالب سرأ على أمل أن يرخص لبعض القوات البحرية بدخول هذا المرفأ وبعد مفاوضات ، وافق الشريف على ذلك نكابة بآل سعود رغم تجديد عهده لهم في موسم الحج من نفس العام . لأنه كان يرى في سيطرتهم على الحجاز ضياعاً لنفوذه ، فأسرعت القوات المصرية بدخول مرفأ جدة بحراً وبرأ في ١٢ محرم ١٢٢٨ هـ — ١٥ يناير ١٨١٣ م دون حدوث أى قتال ، وبهذا العمل تيسر الزحف إلى مكة^(٢).

إنجحت القوات المصرية عقب دخولها جدة صوب مكة تسبقها فرقة استكشافية بقيادة مصطفى بك قائد الفرسان ، وتمكنت القوات المصرية من الوصول إلى البلد الحرام وبمساعدة الشريف غالب والبدو المؤيدين لها دخلت مكة دون حدوث أدنى قتال^(٣). مع قوات عبدالله بن سعود التي انسحبت إلى قرية العبيلا^(٤). قرب الطائف واتخذتها معسكراً عاماً لها . ولم تكن فرقة الاستيلاء على مكة في مصر والأستانة بأقل من فرقة الاستيلاء على المدينة ويذكر الجبرنى أن القاهرة زفت على إثر وصول نبأ فتح مكة إليها خمسة أيام

H. St., Philby, Op. Cit., pp. 125-126.

(١)

(٢) دار الوثائق ، من طوسون إلى محمد علي ، محطة (٣) بحريرا ، وثيقة (٨١) ١٢ محرم ١٢٢٨ هـ — ١٥ يناير ١٨١٣ م.

(٣) محمد توفيق صادق ، تطور الحكم والإدارة في المملكة العربية السعودية ص ٢١.

(٤) دار الوثائق ، من مصطفى بك إلى محمد علي ، محطة (٣) بحريرا ، وثيقة (٨٢) جاريخ ١٥ محرم ١٢٢٨ هـ — ١٨ يناير ١٨١٣ م ؛ من طوسون إلى محمد علي ، وثيقة (٨٣) بحريرا ٢٥ محرم ١٢٢٨ هـ — ٢٨ يناير ١٨١٣ م.

متواليات^(١) . بخلاف ما ساد نجد من حزن نتيجة لهذه الهزائم^(٢) .

ولما استتب الأمر لطوسون في مكة وأعلن الأشراف إنضمامهم إلى جانبه سير قوة من جيشه تحت قيادة مصطفى بك وسمه الشريف راجح وابن الشريف غالب إلى قرية المبيلا حيث تسكر القوات السعودية بقيادة عبد الله بن سعود وعلى إثر مناوشات بسيطة أخلت القوات السعودية المبيلا وانسحبت صوب نجد ، وأتاحت لقوات مصطفى بك دخول القرية والسيطرة عليها في ٢٥ محرم ١٢٢٨ هـ — ٢٨ يناير ١٨١٣ م ، وترتب على وقوع المبيلا في يد القوات المصرية ، سهولة فتح الطائف أمام هذه القوات ، وأسرع طوسون بصحبه الشريف غالب إلى الطائف على إثر وصول الأنباء إليه بفتحها ، وأرسل لوالده يخبره بذلك^(٣) .

ترتب على انتصارات الجيش المصري المتتالية ، بمساعدة الأشراف والبدو حدوث تغيير في الخطط السعودية يهدف إلى إستئراج قوات طوسون إلى الداخل حيث الصحارى والوديان بالإضافة إلى إبادة عن مراكز تمويها وخطوط مواصلاتها حتى يسهل إيقاع الهزيمة بها^(٤) * ، اعتقاداً من آل سعود أن طوسون لا يستطيع التغلب عليهم في الصحراء التي لا يزالون سادة لها لأنهم أكثر صبراً على تحمل مشاقها وتحمل الجوع والمطر من قواته على

(١) عبد الرحمن الجبرتي ، المرجع السابق ، ص ١٧٢ .

(٢) عثمان بن بشر ، المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٥٩ .

(٣) دار الوثائق ، من طوسون إلى محمد علي ، محطة (٢) بحريرا ولبنة (٨٣) تاريخ

٢٥ محرم ١٢٢٨ هـ — ١٨ يناير ١٨١٣ م .

(٤) أمين سميد ، تاريخ الدولة السعودية ، ج ١ ، ص ١٠٠ : أحد عنة معجزة توفى

الرمال ، ص ٢٥ .

(٥) يذكر أحمد أنه أن لعبت هذا التعبير هو استمرار القوة المصرية إلى بعد

حين المواعيد الجبرية أكثر ، مساعدة للدفاع ولقد لوجبت الولاء الشعي للقيادة والقوة

أكثر رسوخاً مما يحمل احتلال مصر أكبر . المرجع السابق ، ص ٢٥ .

حد قول المثل السعدي في مسقط لموريزي الطبيب الإيطالي^(١).

ولتنفيذ التخيير السعدي في خطة القتال ، أعدت الدرعية جيشين كبيرين الأول بقيادة سعود نفسه زحف صوب الحناكية * للسيطرة على الطريق الرئيس بين المدينة والقصيم ، وجمع هذا الجيش في أسر الحامية المصرية التي كانت في الحناكية وأرسلها إلى العراق تحت حراسة أمير جبل شمر^(٢) . وقام سعود بحملات تأديبية ضد البدو الفاطنين في المنطقة عقاباً لهم على تأييدهم للقوات المصرية واقتربت عملياته من المدينة نفسها ، مما أزعج القوات المصرية وأعاد إلى أذهانها ذكرى هزيمة الصفراء .

أما الجيش السعدي الثاني فقد كان تحت قيادة فيصل بن سعود واتخذ من بلدة تربة مركزاً له ، وتمكن هذا الجيش بمساعدة البعثات التي أتت إليه من ييشة من إزال هزيمة ساحقة بقوة مصرية كانت تحت قيادة مصطفى بك رئيس الفرسان والشريف راجع ، تكبد الجيش المصري فيها خسائر فادحة^(٣) . وأرسل طوسون لوالده يخبره بهزيمة قواته في تربة ، وجهله بمصير الحامية التي في الحناكية ورئيسها عثمان الكاشف لسيطرة سعود على الطرق الموصلة إليها وذكر له أن « سعود ما فتئ يرسل على الدوام للعربان كتباً مشتملة على أنواع التهديد والوعيد ، وما زال يسوق ابنه وبمصر أمرائه من حين إلى آخر لغزو العربان »^(٤) وأنه يخشى من فتنة هؤلاء العربان ونكثهم امهودم له وانضمامهم

(١) H. St. Philby, Op. Cit., p. 124.

(*) الحناكية بلدة تقع شرق المدينة المنورة في الطريق إلى نجد .

(٢) Moural, Op. Cit., pp. 45-46.

(٣) عبد الرحمن الراعي ، المرجع السابق ، ص ١٤٠ ؛ أحمد عبد الغفور ، المرجع السابق ، ص ٧٧ .

(٤) دار الوثائق ، من غالب إلى محمد علي ، مخطوطة (١٦) بحريرا ، وثيقة (١٢٣) بدون تاريخ .

إلى جانب سعود تحت وطأة التهديد . ولذا ألح على والده في سرعة إرسال
نخبة إليه .

ترتب على نجاح الخطة السعودية تكبيد قوات طوسون خسائر فادحة
زاد من وطأتها إنتشار الأمراض بين صفوف الجند نتيجة لعدم توفر العناية
الصحية الكافية ، وإرهاق الجند في ميادين صحراوية لم يتمودوها من قبل ،
ولذا قرر طوسون إنقاذ ما بقى من قواته ، والاكتفاء بإقامة حاميات في كل
من الطائف ومكة وينبع وجدة ^(١) ، إلى حين وصول الإمدادات من مصر
التي كرر الحاجة في طلبها ^(٢) .

ومما ينبغي ذكره أنه في ذلك الوقت ظهرت فكرة عقد صلح بين الطرفين
خاصة وأن القوات المصرية قد نجحت في تحقيق الهدف الأساسي من الحملة وهو
تخليص الحجاز من السعوديين وكان محمد علي يخشى التورط في حروب صحراوية
داخل جزيرة العرب قد لا تحمد عقباها . إلا أن الطرفين لم يتوصلا إلى تمام
تام حول شروط الصلح ، نظراً لإصرار محمد علي أن يدفع سعود كل
ما صرفه على حملة الحجاز إلى وقت الصلح ، ورد النفاس التي كانت في الحجرة
النبوية وحضور سعود بنفسه لمقابلة محمد علي ، فعد سعود هذه الشروط إهانة له .
وانقطع حبل المفاوضات وقرر كل من الطرفين مواصلة القتال ، وصمم محمد علي
على خوض الحرب بنفسه لإنقاذ قواته ورفع سمته لدى الباب العالي والعالم
الإسلامي ، وأرسل إلى ابنه طوسون يخبره بذلك ^(٣) . كما أرسل إلى رؤساء
الجند بمنهم على الثبات والتقوى إلى حين وصوله « إبتئوا إذن كرحال واعلموا

(١) عبد الرحمن زكي ، التاريخ الحديث لمصر محمد علي ، ص ٥٠ .

(٢) دار الوثائق ، من طوسون إلى محمد علي ، محطة (٣) بحريرا ، وثائق ١١١ .

١١٥ ، ١١٦ محرم وسفر ١٢٢٩ هـ — ديسمبر ١٨١٣ ويناير ١٨١٤ .

(٣) دار الوثائق : من محمد علي إلى طوسون ، محطة (١) دوات ، وثيقة (٢) تاريخ

١٢٢٩ هـ — ١٨١١ م .

أنى بعد إتمام إرسال الجنود البرية والبحرية سأقوم بنفسى إلى الحجاز لأرى
هتكم ، كونوا بدأ واحدة وصلوا أوقاتكم الخمس فكانكم مكان صلاح
واستغفار ، ينصركم الله ويثبت أقدامكم»^(١).

وبنزول محمد على إلى ميدان القتال ، يبدأ دور جديد فى تاريخ الحروب
المصرية السعودية ، لإحداث تغييرات جذرية فى خطط القتال ، وفيتها . وفى
٢٨ شعبان ١٢٢٨ هـ - ٢٥ أغسطس ١٨١٣ م عهد محمد على بمسئولية حكم
مصر إلى ولديه اسماعيل وإبراهيم وتحرك إلى السويس ومنها إلى جدة^(٢).

المرور الثانى من الحرب (١٨١٣ - ١٨١٥) :

ما كاد محمد على يصل إلى جدة فى ١ رمضان ١٢٢٨ هـ - ٢٨ أغسطس
١٨١٣ م ، ويقف على حقيقة موقف قوات ابنه طوسون والظروف التى أحاطت
بها ، حتى أخذ يركز كل جهده ، على التخطيط الحربى الذى تقتضيه هذه
المرحلة من الحرب مع آل سعود^(٣) . لإستكمال أسباب استتصال التدابير
للزدية إلى انقطاع عروق الخوارج من تلك الحوالى بالمره^(٤) على حد قوله
للسلطان ، وكانت خطة محمد على الرئيسية التى رسمها للقضاء على عدوه تقوم
على عدة مبادئ هامة لضمان نجاحها هى :

(١) دار الوثائق ، من عهد على إلى رؤساء الجند ، محفلة (٣) بحريه ، وليقة (٨٢)
بتاريخ محرم ١٢٢٧ هـ - ١٨١٢ م .

(٢) Playfair, R.L., Op. Cit., p. 130.

Dodwell, Op. Cit., p. 43.

انظر أيضاً

إدوار حوان ، مصر فى القرن التاسع عشر ، تعريب محمد سعود ، ص ١٥٦ - ١٥٧ ؛
عبد الرحمن الجبرتن ، السابق ، ج ٢ ، ص ١٧٩ .

(٣) أحمد عه : معجزة فوق الزمان ، ص ٢٥ .

(٤) دار الوثائق : من عهد على إلى القائمقام ، دفتر (١) وليقة (١٢١) ٢١٤ رمضان

١٢٢٨ هـ - ١٧ سبتمبر ١٨١٣ م .

أولاً : تخفيف الضرائب عن العربان ، وإظهار مناصرتهم حتى يقضى على
أى تفرع بينهم .

ثانياً : جعل ثمر جدة للمستودع الرئيسى لعتاد الحملة .

ثالثاً : ترتيب الوسائل الكفيلة بنقل هذا العتاد إلى الداخل في
صورة جيدة .

رابعاً : الإتصال بسلطان مسقط عدو آل سعود واستئجار عشرين سفينة
منه لمدة عام للمشاركة في أعمال الحملة .

خامساً : صرف رواتب شهرية للعربان للوكول إليهم حفظ الأمن
في الطرقات .

سادساً : إقامة حاميات عسكرية في النقاط الهامة لاجتناب خطر المفاجأة^(١)
من جانب العدو .

وعلى إثر إنتهاء محمد علي من تخطيطه للقتال ، إنجه صوب مكة لأداء
فريضة الحج ، في نفس الوقت الذى بدأ فيه تنفيذ هذا التخطيط بإرسال ابنه
طوسون الذى أخذ من الطائف قاعدة له — على رأس جيش من المشاة
والفرسان للملاقاة جيش سعود الذى تحصن في بيشة ورنية ، وقام في أثناء
وجوده في مكة بالقبض على الشريف غالب لأنه ارتاب في مسلكه ورأى أنه
« كان من أسباب استفعال الدعوة الوهابية ، وأن بقاءه في مركزه قد يحول
دون فوز الحملة وسرعة وصولها إلى غايتها فأمر بالقبض عليه »^(٢) وتم له ذلك
بحيلة بارعة في ذى الحجة ١٢٢٨ هـ — نوفمبر ١٨١٣ م وصادر أمواله وبعث به

(١) عبد الرحمن زكى : التاريخ المروي لسعود محمد علي ص ٥٢ .

(٢) عبد الرحمن الرضى ، المرجع السابق ، ص ١٢٢ .

هو وشريف جدة إلى القاهرة ومنها إلى إسطنبول حيث أرسل إلى سلاطه ،
وظل الشريف غالب بها حتى توفي في ١٢٣٢ هـ - ١٨١٦ م ^(١) .

أما قوات ابنه طوسون فلم تتمكن من الاستيلاء على تربة وانهزمت أمام
قوات آل سعود ولذا اضطرت إلى الانسحاب إلى الطائف فتعقبها القوات
السعودية ولكن طوسون فوت عليها فرصة الاستيلاء على النمام على أن أمر
بمروق الخيام ، تفادياً لوقوعها في أيديهم ^(٢) .

وينبغي أن نشير إلى أن الحملة في هذا الدور أصبح موقفها حرجاً رغم
التخطيط المتقن الذي وضعه لها محمد علي ، لأن حادثين وقعا في تلك الآونة ،
كادا أن يقضيا على هذا التخطيط :

أولاً : إنشقاق الأشراف عن جانب محمد علي وانضمامهم إلى آل سعود ؛
فإن الشريف راجع الذي عينه محمد علي على شرافة مكة خلفاً للشريف غالب
حتى أن يكون مصيره كصير سلفه ولذا فإنه في غفلة من محمد علي هرب ومعه
أتباعه وانضم إلى جانب القوات السعودية واشترك معها في القتال ضد قوات
محمد علي ، وتأثر بهذا الموقف الكثير من القبائل ، مما أخرج موقف
قوات مصر ^(٣) .

ثانيها : إن القوة التي أرسلها محمد علي لإحتلال القنفذة مركز المقاومة
السعودية في الجنوب فشلت في مهمتها بسبب استيصال القائد السعودي طامي
ابن شبيب واستيلائه في غفلة من القوة المصرية على آبار الماء التي كان الثغر يستند
عليها في الحصول على الماء العذب ، فاضطر قائد الحملة إلى إخلاء الثغر بعد أن

(١) عبد الرحمن ركن : أعلام الجيش والبحرية في مصر في القرن التاسع عشر ج ١

George Stitt, A Prince of Arabia, p. 26.

ص ١٨

(٢) عبد الرحمن الرافعي : عصر محمد علي ص ١٢٢ .

(٣) محمد عمر ربيع : في ربيع حيدر ذكريات وناريخ ص ١٨٠ - ١٨١ .

نكبد الكثير من الخسائر واستولت قوات طامي على ما كان لدى الحملة من خيام وعناد^(١).

ترتب على هذا الموقف الحرج أن أرسل محمد علي إلى كتخده محمد لاظ أوغلي بطلب منه أن يوافيه بالمدد والمؤن^(٢)، وفي نفس الوقت حاول أن يوطد للموقف الداخلي في الحجاز، فاتخذ عدة إجراءات منها إطلاق سراح الأسرى الذين لديه بعد أن أخذ منهم عهداً بعدم انضمامهم إلى جانب العدو. وعقد تحالفاً مع عربان هذيل وثقيف وبنو سعد وعتبة القاطنين بين مكة والطائف. وذهب بنفسه إلى الطائف لتوكيد الروابط مع أهلها^(٣).

وفي تلك الأثناء التي كان محمد علي يبذل فيها كل جهوده لإبجاح حملته حدث تصدع كبير في جبهة آل سعود، بوفاة سعود الكبير في جداد أول ١٢٢٩ هـ — أبريل ١٨١٤ م وهو يعد من أعظم آئمة الدولة السعودية الأولى، وأقوى قادتها وخلفه ولي عهده عبد الله الذي «لم تكن له نفس صفات أبيه لا الحرية ولا الإدارية»^(٤). بالإضافة إلى أن عبد الله بن محمد بن سعود ظهر كمنافس له على السلطة وحاول أن يفتزعها منه وإن لم يتمكن من ذلك بسبب اشتعال الحرب، وتأييد الكثيرين لعبد الله بن سعود الذي رجعت كفته في النهاية^(٥). وهذه أول مرة يظهر فيها التنافس على السلطة في الدولة السعودية الأولى.

هزيمة قوات محمد علي في وادي زهران ومحاصرة الطائف:

قدر محمد علي خطورة الجنوب على مركز قوائمه الحرجي في الحجاز، فأرسل

(١) محمد عمر وفيه، المرجع السابق، ص ١٨٠ — ١٨٢.

(٢) عبد الرحمن الجبرتي، المرجع السابق، ج ٤، ص ٢٠٤.

(٣) عبد الرحمن ركن، التاريخ الحرجي، ص ٥٣.

(٤) H R Dickson, Kuwait and her Neighbours, p. 118. (١)

(٥) أحمد مه : معجزة فوق الزمان ص ١٦.

قوة كبيرة بقيادة عابدين بك ، لتطهير وادي زهران — الذي يفصل اليمن عن الحجاز — من القوات السعودية ، التي كانت متحصنة به تحت قيادة طامي بن شبيب وتمكن عابدين بك من تطويق القوات السعودية في حصن « بخروش علالش » .
إلا أن القوات السعودية تمكنت من فك الحصار المضروب حولها واتخذت موقف المحجم ، فاضطرت القوات المصرية تحت وطأة الهجمات السعودية إلى الانسحاب بسرعة تاركة وراءها الكثير من الخيام والدخائر ، فتعقبها القوات السعودية حتى الطائف وضربت حولها حصاراً شديداً ، وكان طوسون باشا أيضاً بقوة في الطائف ، وبلغ نأ حصار الطائف إلى محمد علي الذي كان بجدة فأسرع لفك هذا الحصار المضروب حول قواته ، ونجح في هذا العمل بحيلة بارعة ، إذ تمكن من إيهام القوات السعودية أنها أصبحت محصورة بين قوته وقوة ابنه طوسون التي في الطائف ، فأسرعت بفك الحصار والإبتعاد عن الطائف .

وفي أعقاب ذلك اصطعب محمد علي ابنه طوسون إلى مكة في رجب ١٢٢٩ هـ — ١٨١٤ م ومنها إلى جدة وهناك بدأ تدريباً قاسياً لجنوده استمر ثلاثة شهور استعداداً للمعارك القادمة^(١) .

ومما ينبغي ذكره أنه في أثناء فترة التدريب وقعت حادثة كادت تودي

(*) أحد الحصون التي كانت تمتد من أقوى مراكز المقاومة في تلك المنطقة .

(**) تناقض الحيلة التي أخذ بها محمد علي قواته المحصورة في الطائف في أنه وقف مع مشيرين من رجاله على جبل يشرف عليها ، وتمكن رجاله من أن يأتوا إليه بغارس عرب من جيش آل سعود وبعد أن سأله محمد علي عن قوتهم . عرض عليه أن يطلق سراجه نظير حيلة رسالة إلى ابنه طوسون فرعى الرجل بهذا العرض وسلمه محمد علي رسالة تهوى الكلمة الآتية : « إن فادم إليك فاحصر والحق بنا فوق الحبل » ولكن القادة الوهابيين تمكنوا من الإحلاع على الرسالة فتوهموا أن جيشاً كبيراً قد أتى لإنقاذ القوات المحصورة وأنهم سيفنون بين نارين فاستقر رأيهم على رفع الحصار وبذلك تمكن محمد علي من إنقاذ قواته المحاصرة في الطائف .

المبترى ، السابق ، ص ٢١٣ — ٢١٧ : انظر الرافعي ، ص ١١١ .

(١) عبد الرحمن الرافعي ، المرجع السابق ، ص ١١١ .

بكل ما فعله محمد علي في هذه الرحلة ، إذ أن حاكم المدينة المنورة من قبله قتل شيخ قبيلة حرب فأدى ذلك إلى ثورة قبائل البدو الفاطنة بين ينبع والمدينة وقامت بأعمال تخريبية كبيرة وقطعت السبل بين جدة ومكة وينبع والمدينة وكاد زمام الأمر يفلت من يد محمد علي إلا أنه عالج الأمر بالحكمة ؛ إذ أرسل ابنه طوسون إلى رؤساء القبائل لاسترضائهم ومصالحتهم ، وتمكن طوسون من الإجماع بهؤلاء الرؤساء في بدر ، وفي أثناء مفاوضاتهم وصلته الأنباء عن وفاة حاكم المدينة الذي تسبب في خلق هذه المشكلة ، فاستغل طوسون هذه الأنباء وأنزل في روع رؤساء البدو أن أباه قتل هذا الحاكم عقاباً له على فعلته ، فهدأت ثورة القبائل وجنحت للسلم وكفت عن قطع السبل^(١) .

ويبدو أن محمد علي فهم أسلوب السعوديين في القتال ، واحتلهم الدائم للمرتفات وإدارة القتال من فوقها ، واستفاد من ذلك ضعف فرسانهم وعدم وجود مدفعية قوية لديهم ، وهذا ما أكدته له عيونه من البدو . وم على حق في ذلك ، فإن هذه العيوب كانت من أبرز نقاط الضعف في القوات السعودية ، فركز محمد علي خططه الحربية على أساس استغلال نقاط الضعف هذه في قوات عدوه ، ولذا قام بعملية توزيع واسعة لقواته لإيهام العدو بكثرة عددها . وأثبتت هذه الخطة نجاحها ، فقد تمكنت القوات المصرية في ٢٨ محرم ١٢٣٠ هـ - ١٠ يناير ١٨١٥ م من احتلال « بسل » الواقعة بين الطائف وثربة على إثر معركة حامية الوطيس مع قوات آل سعود التي كانت تحت قيادة فيصل بن سعود وشارك محمد علي قواته في هذه المعركة « التي تعد من أهم للمشارك في تاريخ مصر الحربي »^(٢) .

ويبدو أن معركة بسل أحدثت تصدعاً شديداً في الجبهة السعودية فقد أحرزت القوات المصرية بعدها انتصارات مهمة ومتوالية ضدها واستولت على ثربة التي اتخذ منها محمد علي معسكراً دائماً له .

(١) عبد الرحمن الزبيدي ، السابق ، ص ١١٢ .

(٢) حسن الزعيم ، ص ١١٢ .

وفي تلك الأثناء وصلت إلى محمد علي أوامر من الباب العالي تحثه على قتال القبائل اليمنية الخاضعة لنفوذ آل سعود ليسهل عليه بعد ذلك مهاجمة الدرعية وهو مأمون الطهر . وكان محمد علي نفسه يدرك خطورة هذه القبائل على قواته ولذا فإنه زحف نحو الجنوب على رأس قوة كبيرة من جنوده ، للقضاء على قوة هذه القبائل وإخضاع منطقة عسير وتخليصها من آل سعود^(١) . ويمكن من الإستيلاء على بيشة التي تعد مفتاح اليمن من جهة الشمال الشرق وواصل زحفه في وادي عسير رغم المتاعب والصعوبات المضنية التي واجهته وقواته ، وزاد من شدة هذه المتاعب نفاذ المذاه مما اضطر القوات إلى الاعتماد على التمر وشارك محمد علي جيشه شظف العيش ليرفع من معنوياتهم ويشجعهم . وفي وادي زهران تمكن محمد علي بقواته من هزيمة قوة سعودية تحت قيادة طامي بن شعيب ، الذي أسر وأرسل إلى مصر ومنها إلى الآستانة حيث لقي مصيره^(٢) .

واصل محمد علي عملياته الحربية في مناطق عسير وتهامة ، واتجه نحو الشاطئ . وتمكن من إحتلال ثغر «قنفذة» الذي فشلت قواته في الاستيلاء عليه من قبل كما رأينا ، وبذلك إطمأن على تطهير الميدان الجنوبي في عسير وتهامة من القواعد السعودية ، وعاد راجعاً إلى مكة ليطمئن على الميدان الشمالي الذي كانت قيادته بيد ابنه طوسون^(٣) .

إلا أن محمد علي لم يتمكن من مشاركة قوات ابنه طوسون عملياتها في الميدان الشمال وإيقاع الهزيمة النهائية بآل سعود ؛ لأنه اضطر تحت ضغط ظروف

(١) دار الوثائق ، من سليمان أبا إلى محمد علي في الحجاز ، محطة (٤) وثيقة (١١٠) بتاريخ ٣ ربيع ثاني ١٢٣٠ هـ ١٥ مارس ١٨١٥ م .

(٢) دار الوثائق ؛ من محمد نجيب إلى محمد علي ، محطة (١) وثيقة ١٣٨ بتاريخ ١٥ صفر ١٢٣٠ هـ ٢٧ يناير ١٨١٥ .

أحمد ص ، المرجع السابق ، ص ٢٧ .

(٣) أمين سعيد ، الدولة السعودية ، ج ١ ص ٧٧ .

داخلية وخارجية إلى العودة إلى مصر^(١). من بينها خطورة الموقف في أوروبا وتأزمه نتيجة لحرب نابليون من منغاه في جزيرة « ألبا » نخشى أن تصبح مصر هدفاً لحملة فرنسية جديدة^(٢). ويذكر بوركهارت أن محمد علي كان مهتماً كبيراً بأحداث أوروبا وأنه يخشى من تأثيرها على استقلال مصر. وإن قيل إن السبب المباشر لعودة محمد علي إلى مصر سرياً هو ماسمه عن مؤامرة لطيف باشا ضده^(٣) ومحاولة استيلائه على الحكم في مصر.

على كل فان محمد علي أبحر من جدة في ٥ جمادى ١٢٣٠ هـ - ٢٠ مايو ١٨١٥ م وعاد إلى مصر^(٤) ليقتضى على كل المواجهات التي أصبحت تجول في ذهنه، ويخشى منها على منصبه.

وفي الوقت الذي أبحر فيه محمد علي عائداً إلى مصر كان ابنه طوسون قد

Burkhardt, Op. Cit., Vol. 2, p. 347. (١)

Ibid, p. 347. (٢)

(٣) الرافى، المرجع السابق، ص ١١٤.

(٤) كان لطيف باشا من ممالك محمد علي وأرسله إلى الباب العالي ليترى بغير فتح المدينة المدورة، وإبل إن بعض رجال الباب زينوا له فرصة الاستيلاء على الحكم في مصر أثناء غياب محمد علي في الحجاز، فأغرى هذا العرس لطيف باشا، فحاول ذلك أثناء وجود محمد علي في الحجاز، ولكن الجبرتي ورافى يشكون في ذلك ويربان أن محمد علي لا يوافق على ذلك. كتحداً محمد علي هو الذي ألقى روح محمد علي بتمرد لطيف باشا كراهية لجنس المالك. والحق أن المؤرخين المصريين على سوابق رأينا لأن رواية مؤامرة لطيف باشا هذه لا تليق صامدة أمام النقد التاريخي ويكفي أن نذكر أن الدولة العثمانية لم تكن ترى أن الوقت مناسب لتأخر صد محمد علي وهو منصرف إلى توجيه كل جهوده ضد آل سعود ولم تكن حتى ذلك الحين تخشى بأسه. ويذكر الرافى « وأغلب الظن أن محمد علي وحاشيته قد ساءم الإنعام على لطيف باشا بالباشوية إذ لم يسبق السلطان أن أنعم بها على أحد بعد تولية محمد علي غير أبياته ».

أطهر الجبرتي، ج ٤، ص ١٨١ - ١٨٣؛ الرافى، السابق، ص ١١٤.
M. Sayry, Op. Cit., pp. 46-47.

(٤) عبد الحميد البطريق، إبراهيم الفاتح، ص ١١.
Dodwell, Op. Cit., p. 46.

أحرز انتصارات في الميدان الشمالى أوصلته إلى بلدة الرس^(١) الواقعة بين
للدبية والدرعية ، وتمكن من التغام مع سكانها وسكان بلدة الخبرا في القصيم
حول النسيم بدون قتال ونجح في دخوله وقواته بلدة الرس قبل وصول قوات
عبدالله بن سعود إليها ، وكان جيش عبدالله قد وصل إلى بلدة الروضة بالقرب
من الرس ، وتمكن طوسون بمساعدة قوة من عشائر حرب ومطير من الإستيلاء
على كثير من قرى القصيم مثل الخبرا والشيبة وغيرها وأصبح الطريق
إلى الدرعية مفتوحاً أمامه^(٢) ، إلا أنه لم يقدر له أن يقوم بهذا العمل في
تلك الفترة .

وينبى أن نذكر أن النجاح الذى لقيته القوات المصرية سواء في الميدان
الجنوبى أو الشمالى ليس مرجعه قط هو إحكام الخطط الحربية التى رسمها محمد
على ، وإنما هناك عامل آخر رئيسى ساعد على نجاحها وهو ضعف شخصية
عبدالله بن سعود القيادية ، وعجزه في إدارة المارك بحزم وثبات ، فقد اكتفى
بإنخاذ موقف الدفاع ضد القوات المهاجمة ، ولم يحاول أن يبذل أى جهد حربي
لحماية حدود بلاده التى بدأت تتعرض لهجمات القوات المصرية .

الصلح :

ورغم وصول طوسون إلى منطقة القصيم النجدية وسيطرته على الموقف
في الحجاز ، فإنه بدأ يتشاور مع قواده حول إمكانية الانسحاب إلى المدينة
المنورة ويبدو أن طوسون أدرك أنه أخطأ حريماً بتوغله في الصحراء ، وخشى
عاقبة ذلك على قواته بالإضافة إلى خشيته من قطع طريق المواصلات بينه وبين
قواده تمويته في الحجاز وكان عبدالله بن سعود رغم وجود قوات كثيرة لديه

(١) بلدة الرس تقع على مسافة ٢٧٠ ميلاً من شمال شرق المدينة المنورة .

انظر أحمد ع : معجزة لوق الرمال ، ص ٧٨ .

(٢) أمين سعيد ، المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٧٧ .

قد عجز عن القيام بأي جهد حربي لإسترداد القصيم من يد طوسون . ولذا جنح كل من الطرفين إلى عقد صلح بينهما ، خاصة وأن عبدالله بن سعود قد إزداد إلحاح جيشه عليه بالخروج إلى طوسون أو الخروج عليه ، أي إما الصلح معه أو قتاله^(١) .

ودارت المفاوضات بين الطرفين على مشروع الصلح بالشروط التالية :

أولاً : إحتلال الجيش المصري للدرعية .

ثانياً : يرد آل سعود كل ما أخذوه من الحجرة النبوية .

ثالثاً : يضع عبدالله بن سعود نفسه تحت تصرف الجيش المصري فيسافر إلى الجهة التي يريده أن يسافر إليها في الوقت المناسب .

رابعاً : أن يكون عبدالله خاضعاً لحاكم المدينة من قبل محمد علي إلى حين الموافقة على الصلح .

خامساً : لا تصبح هذه الشروط في حالة الإنفاق عليها نافذة إلا بعد إقرارها من محمد علي^(٢) .

ولما عرضت هذه الشروط على عبدالله بن سعود عدها إهانة له ولذا قرر إرسال وفد من لده إلى مصر للتفاوض مع محمد علي مباشرة حول شروط الصلح ، ووصل الوفد السعودي الذي كان يضم عبدالله بن محمد ، والقاضي عبدالعزيز بن حمد بن إبراهيم القاهرة في شوال ١٢٣٠ هـ - سبتمبر ١٨١٥ م^(٣) .

ومما يسترعى الإنتباه أن القتال بين الطرفين توقف إنتظاراً لنتيجة

(١) أمين الريحاني ، تاريخ نجد الحديث وملحقاته ، ص ٨٤ .

(٢) عبد الرحمن الرافعي ، المرجع السابق ، ص ١١٦ .

(٣) عثمان بن بشر ، عنوان المهد ، ج ١ ، ص ١٨٣ .

المفاوضات الدائرة . ومما يلفت النظر أن طوسون أحل منطقة القصيم - دون أن يبين الأسباب التي دفعته إلى مثل هذا التصرف . وربما يكون تقديره لسوء موقف قواته هو الذي دعاه لذلك . وعند وصوله إلى المدينة أرسل إلى والده يستعلمه في السماح له بالعودة إلى مصر ، لسوء حالته الصحية^(١) ، فاستأذن له والده الباب العالي الذي وافق على عودة طوسون بعد أن تمهد محمد علي بالقضاء على قوة آل سعود وتحطيم الدرعية في الوقت المناسب^(٢) . وأبحر طوسون من بنبع إلى السويس ، ووصل القاهرة في ٥ ذي الحجة ١٢٣٠ هـ - ٨ نوفمبر ١٨١٥ م فاستقبله أبوه استقبالا حافلا^(٣) .

أدرك طوسون الوفد السعودي في القاهرة ، وكان هذا الوفد قد فشل في مهمته التي لم يجد لها لدى الباشا حلا وسطا . ووقف على حقيقة نوايا باشا مصر وتصميمه على تحطيم الدرعية والقضاء على قوة آل سعود نهائيا^(٤) .

وكان عبدالله بن سعود حريصا على أن يتم الصالح بين الطرفين لئلا يلقى نفسه وقومه وملوكه شر القتال مع القوات المصرية التي أدرك تفوقها العسكري على جيوشه ، ولذا أردف وفده الذي وصل إلى مصر لمفاوضة محمد علي برسائل إلى كل من السلطان محمود الثاني ، ومحمد علي أوضح فيها وجهة نظره في الصلح ، وألقى تبعة ما حدث من الفتنة على كاهل الشريف غالب واتهمه بتزوير خط والده وكتابة رسائل مزورة إلى الباب العالي دون علم والده لإثارة الفتنة

(١) دار الوثائق ، من طوسون إلى محمد علي ، محصة (١) بحريبر ونبلة (١٤٨) تاريخ ٢١ رمضان ١٢٣٩ ٢٧٥ أغسطس ١٨١٤ م .

(٢) دار الوثائق ، من رؤوف إلى محمد علي ، محصة (١) بحريبر ، وثيقة ١١٧ بتاريخ ٦ شوال ١٢٣٠ ١١٥ سبتمبر ١٨١٤ م .

(٣) عبد الرحمن الرافعي ، عصر محمد علي ، ص ١٤٣ .

H. St. Philby, Op. Cit., p. 132.

(٤)

بين الطرفين . وأبدى رغبته في إعلان خضوعه للدولة العلية نظير منحه وقومه الأمان^(١) .

وأكد محمد علي في إحدى رسائله أنه على استعداد لقبول الدعاء باسم السلطان العثماني على المنازير الواقعة في حوزة ملكه ، وكف يد الأذى عن الوارد إلى المالك المحروسة والمصادرة منها^(٢) .

ويذكر ابن بشر المؤرخ النجدي أن عبد الله أرسل في ١٢٣١ هـ - ١٨١٦ م حسن بن مزروع وعبد الله بن عون إلى محمد علي في مصر بهدايا ومراسلات بتقرير الصلح^(٣) . ولكن محمد علي « كان يرمي إلى بسط حكمه على شبه جزيرة العرب لأنه رأى في بقاء الدولة السعودية مهما بلغ تظاهر عبد الله ابن سعود بالخضوع والولاء حائلا دون استقرار حكمه هناك »^(٤) . أو على حد تعبير ابن بشر « أن حاملي هدايا ومراسلات الإمام السعودي لما قدموا عليه (محمد علي) في مصر وجدوه قد تغير »^(٥) ، ولذا فإنه فرض على الوفد السعودي شروطا قاسية تعنى إسسلام آل سعود نهائيا وحضور عبد الله بن سعود نفسه إلى مصر لإرساله إلى السلطان الذي يمكنه أن يحدد مصيره ، ولا بد أن محمد علي كان يعلم مسبقا رفض عبد الله بن سعود لهذا الشرط ، فترتب على ذلك

(١) دار الوثائق ، من عبد الله بن سعود إلى السلطان محمد الثاني محفوظة ١٦ بحريرا وثيقة ١٢٢ ، عربية الأصل ، بدون تاريخ ؛ أنظر الملاحق ١٥ ، ١٦ ، ١٧ .

(٢) مقارنة حديث ابن بشر عن إرسال عبد الله هدايا ومراسلات إلى محمد علي في مصر نستطيع أن نستنتج أن تاريخ رسائل عبد الله بن سعود إلى كل من السلطان محمد الثاني وعهد علي باشا هو عام ١٢٣١ هـ ١٨١٥ ، ١٨١٦ م .

(٣) دار الوثائق ، من عبد الله بن سعود إلى محمد علي باشا ، محفوظة (١) ، بحريرا وثيقة (٣٣) ، عربية الأصل (بدون تاريخ) أنظر الملاحظة السابقة .

(٤) عثمان بن نصر ، عنوان الحمد ، ج ١ ، ص ١٨٠ .

(٥) هذا الرحمن الرازي ، المرجع السابق ، ص ١١٧ .

(٥) عثمان بن نصر ، المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٨٥ .

أن أصبح الطرفان في حالة هدنة غير محدودة المدى^(١)، واستمرت الاستعدادات في مصر ونمذ تأخذ سبيلها تمهيداً لتحديد القتال وخوض الجولة النهائية في الحرب كاسنرى . ويجب أن نشير إلى أن كل ما استطاعت القوات المصرية حتى عام ١١٣٠ هـ - ١٨١٥ م أن تسيطر عليه من أملاك الدولة الممودة الأولى هو إقليم الحجاز فقط الذي أصبح يتبع مصر إدارياً تحت السيادة العثمانية .

(١) بير كرينس ، إبراهيم باشا ، ترجمة محمد بدران ، ص ١٤ .

الفصل الثاني عشر

حملة إبراهيم باشا وانهيار الدولة السعودية الأولى

- ١ — حملات عبدالله بن سعود ضدالةبائل التي انضمت إلى قوات مصر .
- ٢ — إختيار إبراهيم قائداً للعملة والإستعداد لها .
- ٣ — سفر الحملة ووصولها إلى ينبع .
- ٤ — تخطيط إبراهيم لعملياته الحربية .
- ٥ — الإستيلاء على الرس .
- ٦ — إستسلام عنيزة .
- ٧ — فتح الشقراء وبريدة .
- ٨ — معارك الدرعية وانهيار حكم آل سعود .
- ٩ — أسباب سقوط الدولة السعودية .
- ١٠ — نتائج سقوط الدولة السعودية .

الفصل الثاني عشر

حملة إبراهيم باشا وانهياد الدولة السعودية الأولى

أخرى انسحاب طوسون المفاجيء من القصيم ورحيله إلى مصر — حيث وافته منيته في ٧ ذو القعدة ١٢٣١ هـ — ٢٩ سبتمبر ١٨١٦ م — عبد الله بن سعود الذي وقف من رساله على حفيظة نوالها محمد علي واستمداده للقضاء على ملك آل سعود^(١) على القيام بعمليات حربية ضد المناطق التي كانت قد أعلنت ولاءها للحكم المصري ولذا فإنه أعد جيشاً كبيراً يجمع بين صفوفه البدو والحضر من أهل الأحساء وهران ووادي الدواسر والجبيل والجلوف وانجه نحو القصيم واستولى على الخبر والبكيرية وغيرها من بلدان المنطقة التي كان طوسون قد استولى عليها قبل رحيله إلى مصر . وقام بعمليات تآديبية واسعة ضد العربان الذين سبق لهم الانضمام إلى جيش طوسون^(٢) . ووصلت عملياته التآديبية هذه إلى المناطق القريبة من المدينة المنورة ، وأسر ثلاثة من رؤساء الرمس واصطحبهم معه إلى الدرعية ضمماً لدم نكبتها بدهامة ثانية . وعرفت هذه الغزوة عند النجديين باسم « غزوة بحيط وعمرش » ؛ لأنها كانت سبباً مباشراً في التعجيل بتجديد القتال^(٣) .

وفي الوقت الذي كان عبدالله بن سعود يقوم فيه بعملياته هذه ، كانت

(١) محمد رفعت ، التوجيه السياسي للمكرة العربية المدينة ، ص ٣٠ .

(٢) دار الوثائق ، من رؤوف إلى محمد علي ، مخططة (١) بحريرا ، وثيقة ١٥٧

بتاريخ ٨ شعبان ١٢٣٩ هـ — ٤ يوليو ١٨١٦ م .

(٣) يذكر ابن بعر « وسبت هذه غزوة بحيط وعمرش لأه حدث النفس من

أروم سببها » ص ١٥٥ .

(٣) عثمان بن بعر ، المرجع السابق ، ص ١٥٥ .

الاستعدادات في مصر تجري على قدم وساق للجولة التالية من الحرب التي اختير إبراهيم باشا قائداً عاماً لها^(١). وشهدت الموانئ المصرية على البحر الأحمر (السويس والقصير) نشاطاً متزايداً؛ فقد كانت القوافل تصل إليها بصورة مستمرة حاملة المؤن والمعدات لتخزينها تمهيداً لنقلها إلى مراكز التخزين في الحجاز، وفي الوقت ذاته شهدت المعسكرات المصرية التي أقيمت بين مصر القديمة وطرة ومناطق أخرى تدريباً عنيقاً للجنود الذين اختيروا للحملة الجديدة^(٢).

والجدير بالملاحظة أن محمد علي عمل في هذه الحملة على تلافى جميع الأخطاء التي أحاطت بحملاته السابقة؛ فقد زودت الحملة بيمثة طبية تضم أربعة من الأطباء الإيطاليين هم: سكونو Scoto وجينتلي Gentili وتودسكين Todeschini وشيشو Socio للإشراف الصحي على جنود الحملة بالإضافة إلى تزويدها ببعض الخبراء العسكريين الأجانب وعلى رأسهم السيو Vassiere الذي كان بمثابة أركان حرب لإبراهيم باشا، وهو ضابط فرنسي خدم في جيش نابليون.

وبعد استكمال جميع معدات الحملة انبجحت إلى ينبع لتبقى هناك إلى حين وصول القائد العام الذي أبحر من ميناء القصير صوب ينبع في ١ ذو القعدة ١٢٣١ هـ - ٢٣ سبتمبر ١٨١٦ م فوصل إليها بعد ثلاثة أيام. ونصب معسكره خارج أسوار المدينة^(٣). وأقام مناورة عسكرية ضخمة في المنطقة ليرهب كل من نول له نفسه الخروج عن الطاعة، وليظهر الاستعداد الضخم الذي أعد للقضاء على آل سعود. ويبدو أنه قصد من وراء هذه المناورة إلى هدف آخر وهو

Playfair, R.L., op. cit., p. 133.

(١)

(٢) عبد الرحمن زكي، التاريخ الحربي لصدر محمد علي، ص ٦٥.

(٣) عبد الرحمن زكي، المرجع السابق، ص ٦٥ - ٦٦.

H. St. Philby, op. cit., p. 148.

وصول أنبائها عن طريق بعض البدو إلى عبدالله بن سعود ليدخل في روعه مسبقاً ضالة قوته أمام هذا الاستعداد الكبير . ولقد نجحت هذه المناورة في إدخال الرعب في قلوب كثير من أهالي القرى والقبائل المجاورة التي أسرعت تنهافت على معسكره لتجديد ولائها للحكم المصري .

إنجى إبراهيم باشا بعد ذلك إلى المدينة المنورة لزيارة قبر الرسول الذي يقال إنه أقسم أمامه ، بعد أن وضع عليه العقد الذي أهدته له أمه . إنه لن يمتد سيفه في جرابه حتى يفرق شمل الأعداء^(١) .

وإلى حين وصول حملة إبراهيم باشا إلى بلاد الحجاز كان عبدالله بن سعود لا يزال يكتب محمد علي والسلطان مبدئياً رغبته في إعلان طاعته للدولة العثمانية وإنهاء حالة الحرب ، إلا أن الباب العالي أرسل إلى محمد علي يحذره « بأنه لا يجب الرد على الرسائل التي يرسلها عبدالله بن سعود . وعدم الاهتمام بمثل هذه الرسائل »^(٢) . ولما فرغ إبراهيم من زيارة قبر الرسول أخذ يضع تكتيكاً عسكرياً لخططه الحربية يقوم على عدة أسس متلافياً فيها جميع الأخطاء التي أحاطت بالحملات السابقة وهذه الأسس هي :

أولاً : بناء الحصون واتخاذها مراكز للجنود .

ثانياً : استمرار التدريب المنيف للجنود لزيادة مقدرتهم القتالية وإرهاباً للعربان في نفس الوقت .

ثالثاً : استعمال الشدة مع الجند وعقاب كل من يمتدئ على العربان أو يسلب منهم شيئاً ، ولذا كان يدفع ثمن كل ما يأخذه جنوده من العربان وكان

(١) Palgrave, Narrative of A years Journey Through Arabia, Vol. 2, p. 30.

(٢) دار الوثائق ، من رؤوف ابن محمد علي ، مخطوطة (١) بحرياً وثيقة ١٦٤

بتاريخ ٩ صفر ١٢٣٢ هـ — ٢٩ ديسمبر ١٨١٦ م .

لهذا العمل تأثير كبير على نفوس البدو الذين أعلن معظمهم الطاعة للحكم
للمصري^(١).

رابعاً : الإغداق الواسع على العربان ودفع رواتب منتظمة لبعضهم وتقديم
المهدايا والرشاوى لبعض الآخر .

واستمر سنة أشهر كاملة يعمل على توطيد نفوذه بين العربان وكسب
ودم حتى تمكن بهذا الأسلوب من تطعيم جيشه برجال المشاة المحلية
تطعماً قوياً ، وجذب إليه أكبر عدد من القبائل البدوية^(٢).

وبعد أن أمن ظهره بهذا الأسلوب بدأ زحفه صوب البلاد النجدية ،
متغلباً على كل مصاعب الطرق الصحراوية . ووصلته الأنباء في تلك الاثناء عن
طريق عيون بتحصن عبدالله بن سعود في الرس ، فأتخذ حبل الزحف إليها .

الرس :

تمكن إبراهيم باشا أثناء زحفه صوب الرس من الاستيلاء على بلدتي
الصوبدرة والحناكية التي اتخذ منها مقراً لمسكره ، « ولبت فيها كالصيد
براقب فرائسه ، فكان تارة ينير على البدو الذين لم تغلح معهم سياسة الابن
أو المال ، وتارة أخرى يفيض على شيوخهم بما حمله من هدايا وما أعد لهم
من منفع مالية^(٣) . وبدأ يرسل فرقة الاستطلاعية للتجسس على العدو في المناطق
الحيطلة ، وتمكن من هزيمة عربان حرب ومطير وتأديبهم وإخضاعهم
لسيطرته^(٤) .

(١) د . عبد الحميد البطريق ، إبراهيم باشا في بلاد العرب ، ص ١٣ ، ٢٢ .

(٢) أحمد عه ، الرجم السابق ، ص ٢٩ .

(٣) د . عبد الحميد البطريق ، إبراهيم باشا ، ص ١٣ — ١٤ .

(٤) دار الوثائق ، من إبراهيم إلى محمد علي ، مخططة (١) بحر را ، وثيقة (١٦٢)

تاريخ ٩ صفر ١٢٢٢ هـ — ١٨١٦ م .

ونشير الوثائق إلى أن الخطة السعودية في ذلك الوقت تقوم على ثلاثة أسس أولها : استدراج القوات المصرية إلى الصحراء . وثانيها : القيام بعملية الخفاف حولها من الخلف وقطع طرق المواصلات بينها وبين مراكز تموينها بالاتحاد مع القبائل البدوية الموالية لتنفيذ السموذى . وثالثها : تطويق الحلة والقضاء عليها ، ورتب جيش خاص لكل عملية من هذه العمليات إلا أن الجيش السموذى الأول الذى كانت مهمته القيام بعملية الاستدراج فشل أمام قوة إبراهيم في معركة « ماوية » ولحقته خسائر فادحة ، فترتب على ذلك فشل الشطرين الآخرين من الخطة لإرتباط أجزائها والتنسيق الذى كان معداً بين القوات السعودية لتنفيذها .

وأصبحت كفة آل سعودية في ذلك الوقت بتصدع شديد ، نتيجة لانضمام فيصل الدويش بعربائه إلى الجانب المصرى . فترتب على ذلك انكماش القوات السعودية وتمحصنها في بلدتي الرس وعبيزة وعمل الإستعدادات اللازمة للدفاع عن الدرعية والمناطق الوسطى من أراضي الدولة السعودية^(١) .

اتجه إبراهيم بعد ذلك نحو الرس وحاصرها مدة ثلاثة شهور وسبعة عشر يوماً ، ورغم طول مدة الحصار ، واستعماله أعنف الوسائل في مهاجمتها إلا أنه فشل في الإستيلاء عليها ، إذ استماتت الحامية السعودية في الدفاع عنها رغم ضعف أسلحتها ؛ لإدراكها أنها مفتاح الطريق إلى الدرعية . ورغم فداحة الخسائر التى أصابت جيش إبراهيم باشا نتيجة لطول مدة الحصار وانتشار الأمراض بين جنده بسبب سوء الأحوال المناخية إلا أنه رفض فكرة عقد الصلح التى ظهرت من الجانب السموذى وأندر أمير المدينة محمد بن مزدروع بأنه إذا لم

(١) دار الوثائق ، من محمد نجيب إلى محمد طي : مخططة (١) بحربراء ، وليلة (١٧١)

بتاريخ ٣ رمضان ١٢٣٢ هـ - ١٧ يوليو ١٨١٧ م .

أطرا أيضاً : M. Sabry, Op. cit., p. 48.

يسلم مدينة الرس فإن القتال سيستمر إلى النهاية واستمر القتال متواصلاً^(١) حتى جدد أمير المدينة رغبته في عقد صلح مع إبراهيم باشا الذي اشترط لعقد الصلح شرطين :

أولاً : يقدم له أهل الرس ألفي رأس من الخيل وألفين من الجبال ومؤونة تكفي جيشه ستة أشهر .

ثانياً : يقدم له إثنان من أولاد عبد الله بن سعود رهينة لديه .

رفض الجانب السعودي هذين الشرطين واستأنف القتال بين الطرفين مرة أخرى^(٢) . ولكن إبراهيم باشا لم يسوء حالة جيشه فاضطر إلى قبول عقد صلح مع أمير مدينة الرس وقبل شروطاً لم يكن ليقبلها لو لم تمتنع عليه المدينة^(٣) قبل :

أولاً : رفع الحصار عن الرس .

ثانياً : يضع أهل الرس السلاح ويقيمون على الحياد .

ثالثاً : لا يجوز لجنود إبراهيم باشا وضباطه دخول الرس^(٤) .

رابعاً : عدم إجبار أهل الرس على تقديم شيء من المؤن والميرة للجيش ولا يدفعون غرامة أو ضريبة .

خامساً : في حالة إسقيلاء الجيش المصري على حديزة بدون قتال تسلم الرس له وإذا لم يتجمع في ذلك يعتبر القتال متجدداً بين الطرفين^(٥) .

(١) عبد الرحمن ذكي ، التاريخ الحربي ، ص ٧١ - ٧٢ ؛ شاذ بن بدر ، المرجع السابق ، ص ١٨٦ ، ١٨٧ .

(٢) أمين الريحاني ، تاريخ نجد ، ص ٨٩ .

(٣) عبد الرحمن الراعي ، مصر محمد علي ، ص ١١٧ .

(٤) أمين سعيد ، الدولة السعودية ، ج ١ ، ص ٨٠ .

ويبدو أن آل سعود منذ ذلك الوقت إتبعوا خطة تقوم على أساس توزيع القوات المصرية وإرهاقها بعمليات الحصار المتعبة ، متجهين في ذلك أساليب حرب المصائب التقليدية المعروفة في الصحراء بين القبائل^(١) . فقد رزعت القوات السعودية على كثير من الحصون ، إلا أن إبراهيم باشا ركز كل قواته المعهومة على عنيزة للاستيلاء عليها كي يحقق هدفه في الاستيلاء على الرس طبقاً للشرط الأخير من شروط الصلح السابقة مع أميرها . ونجح إبراهيم فعلاً في الاستيلاء على عنيزة بعد حصار دام ستة أيام استسلمت على إثره الحامية السعودية التي كانت تحت قيادة محمد بن حسن بن مشاري بن سعود على الشروط التالية :

أولاً : عدم أسر حامية عنيزة .

ثانياً : السماح لهذه الحامية بالذهاب أنى شامت .

ثالثاً : تسليم الحامية ما لديها من الأسلحة والذخائر والمؤن للجيش المصري^(٢) .

قبل إبراهيم شروط الحامية السعودية ودخل عنيزة ، وفي أعقاب دخوله عنيزة أرسل فرقة من جيشه لاستلام الرس طبقاً لشروط الصلح معها . واضطر عبد الله بن سعود على إثر ذلك إلى الانسحاب إلى الشقراء والتحصن بها للدفاع عن الدرعية^(٣) ، وترتب على استيلاء إبراهيم على كل من الرس وعنيزة إذهاب القبائل في بلاد القصيم إلى التسليم خوفاً من بطش إبراهيم وقسوة العمليات الحربية خاصة وأنها رأت مدهور نفوذ آل سعود واندحاره إندحاراً سريعاً إلى الزوال . وهكذا ضاعت كل منطقة القصيم من يد آل سعود .

H. st., Philby, op. cit., p. 135.

(١)

(٢) عبد الرحمن الرافعي ، المرجع السابق ، ص ١١٨ .

(٣) المرجع نفسه ، ص ١١٨ .

الشقراء :

استأنف إبراهيم باشا زحفه متجهاً صوب الشقراء التي اتخذ منها عبد الله ابن سعود معسكراً عاماً له . وتمكن إبراهيم باشا في أثناء زحفه صوب الشقراء من الاستيلاء على بلدة بريدة بعد أن أمّن حاميتها وأهلها على أساس تسليمهم لأسلحتهم وقد قبل حجيلان أمير البلدة من قبل آل سعود شرط إبراهيم باشا وسلمها له . وهنا رأى إبراهيم أن من الصواب إراحة قواته وتجديد نشاطها لاستعداداً للهجوم على الشقراء والحصون السعودية الأخرى التي تعترض طريق زحفه إلى الدرعية ، وأرسل لوالده يخبره بذلك^(١) . واستقر في بريدة شهرين قبل استئناف زحفه .

وفي ربيع الأول ١٢٣٣ هـ - ديسمبر ١٨١٧ م زحف إبراهيم بقواته نحو الشقراء التي هاجمها فور الوصول إليها بمنف واستمر القتال حولها ثلاثة أيام وثلاث ليال متواصلة حتى تهدم سورها وأسفر عن بيوتها ظاهر متكشفة ، فأدرك أهلها إلا أمل في الانتصار ويذكر إبراهيم في رسالة لوالده أن الأهالي ضجعوا بالهول والاستغاثة وارتفعت أصواتهم منادية أن « الأمان يا إبراهيم ارحم عيالنا واعفوا عما بدا من تقصيرنا » ونستنتج من ذلك عنف وقسوة هجوم إبراهيم على الشقراء التي كانت تمثل الحصن الأخير أمامه في طريق الزحف إلى عاصمة آل سعود . ويذكر إبراهيم أن نفراً من شيوخ المدينة جاءوا يلتمسون منه الأمان والصلح فأجابهم إلى ما طلبوا على الشروط التالية :

أولاً : أن يسلموا له المدافع الخمسة التي في قلعة المدينة .

ثانياً : تسليم كافة الأسلحة التي يحملها أربعمائة مقاتل من أعوان عبد الله ابن سعود جاءوا لتجدة المدينة .

(١) دار الوثائق ، من إبراهيم إلى محمد علي ، مخططة (٥) بحرياً ، وثيقة ١٧٨

بتاريخ ٩ محرم ١٢٤٣ هـ - ١٩ نوفمبر ١٨١٧ م M Sabry. op. cit., p. 52.

ثالثاً : أن يبيعوا للجنود ما عندهم من ميرة .

راجاً : بسمع لأهل المدينة في نظير ذلك بالذهاب حيث شاءوا شريطة عدم حملهم السلاح والقتال ضد قواته مرة ثانية ، وإذا أخلوا بهذه الشروط التي اتفقوا عليها سحبل دماءهم^(١) .

ويذكر إبراهيم في رسالته هذه أنه في أعقاب تسليم الشقراء له حضر طرفه شيوخ قرى وادى الدواسر الأحد عشر وطلبوا منه الأمان نظير إعلانهم الخضوع للحكم المصري سلماً فأجابهم إلى طلبهم^(٢) .

والحق أن سقوط شقراء في يد إبراهيم باشا كان بمعنى سقوط إقليم الوشم كله في يده ، وانحسار نفوذ آل سعود عنه^(٣) . مكث إبراهيم في شقراء عشرة أيام لإراحة جنده كمادته عقب كل قتال ، وأنشأ بها عيادة طبية لمعالجة المصابين من جنده تحت رعاية اثنين من الأطباء والصيداة الذين كانوا معه^(٤) .

وبعد انتهاء فترة الإراحة إتجه إبراهيم بقواته إلى وادى حنيفة في منطقة المعارض حيث الدرعية عاصمة آل سعود . إلا أن بلدة « ضرمى » التي كانت بها حامية سعودية تحت قيادة سمود بن عبد الله بن محمد بن سمود اعترضت طريقه وأرقت بقواته بعض الخسائر ، لكنها لم تستطع الصمود طويلاً أمام هجمات جيش إبراهيم ، فانسحبت الحامية السعودية منها ، تاركة الأهالي هدفًا لقتائف قوات إبراهيم ، الذي يبدو أنه استعمل العنف مع هؤلاء الأهالي سكاية بهم ، فقد ذكر ابن بشر عند تسجيله لأحداث ضرمى أن « الروم

(١) دار الوثائق ، من إبراهيم لى محمد بن ، مخطوطة (٥) بحريرا ، وثيقة (١٨٦) بتاريخ ١٢ ربيع الأول ١٢٣٣ هـ — ٢٥ يناير ١٨١٨ م .

(٢) نفس الوثيقة السابقة .

M. Sabry, Op. cit., p. 51.

(٣)

(٤) عبد الرحمن الرامسى ، المرجع السابق ، ص ١٤٨ .

(يقصد جيش إبراهيم) يأتون أهل البيت أو المصابة الجذمة فيقولون الأمان ويأخذون سلاحهم ويقتلونهم ^(١) . وبعد أن انتهى إبراهيم من إخضاع ضرمى أخذ يعد المدة للزحف صوب الدرعية إلا أن سقوط الأمطار بشدة عاقه عن مواصلة زحفه فكث بضمى شهرين ، واصل سيره بعد انتهائهما عن طريق ممر الحبسية ووادي حنيفة ماراً بالمدينة وجيلة حتى وصل إلى مزارع ملقة على مسيرة ساعة من الدرعية ونصب معسكره فيها .

معارك الدرعية ونهبها حكم آل سعود :

أدرك إبراهيم حصانة الدرعية ، وقوة قلاعها السامقة . ولا بد أنه قدر بالإضافة إلى ذلك ، أن أهل المدينة سوف يبذلون أرواحهم في سبيل الدفاع عنها حتى آخر قطرة من دمائهم ولذا فإنه أرسل لوالده يذكر له « أن فتح الدرعية وإحلال النظام فيها منوطان بثلاثة أمور :

أولاً : النقود .

ثانياً : مقذوفات المدافع .

ثالثاً : الجنود المشاة .

فع أن لدى عبدكم مقذوفات كثيرة ومبالغ من النقود وافرة إلا أن استدعاء ورودها وتوالبه لن يستحسن الأمور وأجلها خطراً ^(٢) .

وينبغي أن نذكر أنه في الوقت الذي كانت فيه قوات إبراهيم باشا تتقدم في الأراضي الجبلية متخذة طريقها صوب الدرعية ، كان القائد حسن باشا يقوم

(١) هناك بن بصر ، عنوان المهد ، ج ١ ، ص ١٤٨ ؛ أبو الطيب صديق ، التاج للكل ، ص ٣٠٩ .

(٢) دار الوثائق ، من إبراهيم إلى محمد علي ، صفحة (٥) بحريرا ، وثيقة ١٨٦ بتاريخ ١٧ ربيع ١٢٢٣ هـ — ٢٥ يناير ١٨١٨ م .

بتطهير الجيوب السعودية في عسير ونهامة ونجران ، واستطاع توطيد النفوذ المصري في كل هذه المناطق ، ووضع على رأس قبائلها رؤساء جدد مواليين للحكم المصري . وبذا لم يعد أمام الجيش المصري في جزيرة العرب سوى إسقاط الدرعية حتى يتم له نهائياً القضاء على الدولة السعودية الأولى وهذا ما ركز عليه إبراهيم باشا كل تطلعه الحربي^(١) .

كانت الدرعية تتألف من خمسة أقسام لكل منها أبواب وأسوار مستقلة تغلقها الحصون والأبراج . ومحيطها لا يقل عن إثني عشر كيلو متراً ولذا قدر إبراهيم بعد أن اقترب منها ونزل في علب نخل فيصل بن سعود ، ضخامة القوة التي تحتاجها معركة الدرعية^(٢) ، ورغم ذلك استطاع بمعاونة فيسير Vaisiare الضابط الفرنسي أن يرتب مواقع جنوده وبعد المدة للهجوم وبدأ بحفر الخنادق وبقيم التاريس منذ أن اقترب منها في غرة جماد الثاني ١٢٢٣هـ - ٦ أبريل ١٨١٨م وكان جيش إبراهيم الذي بدأ يضرب حصاره حول الدرعية يضم عربان حرب ومطير وعتيبة وبنو خالد .

أما عبد الله بن سعود فقد رتب على كل جهة من جهات الدرعية قوة كبيرة تحت قيادة أحد أمراء آل سعود . والحق أن قوة الدرعية لم تكن تنقصها الشجاعة أو البسالة في القتال بقدر ما تنقصها فنيته ومخطيطه ، ورغم تفوق قوة إبراهيم باشا في فن وأساليب القتال بالإضافة إلى مدفيعته القوية . إلا أن أول هجوم له على الدرعية استمر عشرة أيام متواصلة اشتد خلالها أوار المركة وركز أثناءها إبراهيم مدفيعته القوية على مدخل شعيب المعيصبة ولكن دون جدوى فاضطر إلى إيقاف القتال كي يتخذ مواقع جديدة لهجومه ، ووقع اختياره على أقصى شمال غبيرة . وعلى أثر هجوم مباغت تمكن إبراهيم

(١) دار الوثائق ، من حسن باشا إلى محمد علي ، مجلد (٤١) بحربر ١ ، وثيقة (١٦٩)

بتاريخ ٢٧ رجب ١٢٢٢ هـ - ١٧ يونيو ١٨١٧ م .

(٢) مبارك بن بطر ، المرجع السابق ، ص ١١٤ .

وقائده على أوزون من زحزحة القوة السعدية إلى الورا قليلا ، واستمر إبراهيم باشا شهرين لم يحرز خلالها تقدماً ملموساً في هجماته المتواصلة على الدرعية فتخرج مركزه ، ومما زاد حرجه اندلاع النار في مستودع ذخيرته في ١٦ شعبان ١٢٣٣ هـ - ٢١ يونيو ١٨١٨ م على إثر هبوب ربيع السوم التي حلت جذوة من نار كان يوقدها أحد الجنود لطهو طعامه^(١) . وقد حاول السعديون استغلال هذه الفسكة التي حلت بقوة إبراهيم ، إلا أنه أبدى شجاعة نادرة وواجه العدو مستمداً على السلاح الأبيض وأمر جنوده أن يقتصدوا في استعمال الذخيرة . وتمكن إبراهيم بهذه الشجاعة من الانتصار على عدوه .

وأرسل إبراهيم إلى أبيه يطلب منه الإمدادات العسكرية وفي الوقت نفسه بعث رساله إلى المناطق والقرى المجاورة التي أذعنّت له . فوصلت الإمدادات إليه من البصرة والزيبر مع أهل نجد الذين كان آل سعود قد أجلّهم في السابق تحمل له جميع حاجات المعسكر من الأرز والحنطة والتبغ ، وبدأ يجند رجالاً من القرى النجدية التي خضعت له ليقفوا بجانب قواته^(٢) . وفي تلك الأثناء وصلت إليه الإمدادات العسكرية من مصر بقيادة خليل باشا * أحد أقاربه^(٣) .

ويبدو أن طول مدة الحصار والهجمات المستمرة على الدرعية والتي بلغت

(١) عبد الحميد الطريق ، المصدر السابق ، ص ١٦ .

(٢) ابن بقر ، الرحم السابق ، ج ١ ص ١٩٧ .

(*) كان خليل باشا شغل منصب محافظ الاسكندرية ، وعند ما علم إبراهيم من رساله لأبيه أنه سيرسل له المذكور ليكون عوناً له على فتح الدرعية خشي أن يكون أبوه قد طر به صمماً فأرسل له يده بفتح الدرعية قبل وصول خليل باشا إليه . انظر مخططة (٥) بحري ، وثيقة (٩٤) رسالة من إبراهيم إلى محمد علي في رمضان ١٢٣٣ هـ - يوليو ١٨١٨ م .

(٣) دار الوثائق ، من إبراهيم إلى محمد علي ، محطة (٥) بحري ، وثيقة (٩٤) بتاريخ ٩ رمضان ١٢٣٣ هـ - ١٣ يولي ١٨١٨ م .

مدتها أكثر من خمسة أشهر جلبت السأم واليأس إلى نفوس بعض النجديين الذين كانوا بداخل الدرعية ولما هرب بعضهم من الدرعية وانضم إلى جانب جيش إبراهيم باشا ودلوه على الطرق والمساكن التي توصله إلى هدفه بسهولة ، وترتب على حصول إبراهيم على هذه المعلومات أن تمسكت مدفعيته من هدم كثير من حصون ومتاريس الدرعية ، واستمرت طلقات مدافعه تنطأ في الجو بصورة متواصلة كأنها رجوم الشياطين على حد تعبير ابن بشر المؤرخ النجدي^(١) ورغم ذلك فإن آل سمود أبدوا في دفاعهم شجاعة لا تقل عن شجاعة الجيش المهاجم . إلا أن خروج الكثير من أهلها والمدافعين عنها نتيجة لطول الحصار وارتفاع الأسعار في داخلها أدى إلى ضعف كفتها ومما زاد من هذا الضعف خروج رئيس فرسانها غصاب العتيبي وانضمامه إلى جانب قوات إبراهيم باشا ويذكر ابن بشر أنه « لما خرج منها (غصاب) قوى عزم الباشا على الحرب وقرب القبوس (المدافع) من البلدة وأصاب أهل الدرعية كآبة ووهن من خروجه »^(٢) وقال أيضاً « أنه لما خرج من خرج من أهل الدرعية وغيرهم منها إلى الباشا أخبروه بعوراتهم وغرائبهم وأخبروه بالموضع الذي ليس في أهله شدة في الحرب وبالموضع الذي يتفوقون عنه في الليل وبالموضع الذي ليس به إلا قليل وبالموضع الذي يدخل منه على أهل الدرعية وهم لا يعلمون »^(٣).

ولاربيب أن المعلومات التي استطاع إبراهيم باشا أن يحصل عليها من الخارجين من الدرعية أفادته كثيراً ومكنته من إحكام خطته النهائية لهجوم شامل عليها من كل الجهات أوصلته في النهاية إلى هدفه ، فعلى إثر معركة البجيري * تمكن من الأسفلاء على السهل مما اضطر عهد الله بن سمود إلى

(١) عثمان بن بقر ، المرحوم السابق ، ص ٢٠٦ .

(٢) المرحوم السابق ، ص ٢٠٤ .

(٣) نفس المرجع ، ص ٢٠٤ — ٢٠٥ .

(*) البجيري : حرم من أحياء الدرعية .

نقل مسكره من مهران إلى الطريف * فركز إبراهيم هجمات مدفيعته على الطريف واشتد القتال وتهاوت مباني الطريف تحت شدة قصف المدفعية ويقول ابن بشر « تفرق عن عبد الله أكثر من كان عنده وبذل لهم الدراهم فأخذوها وهرروا . فلما رأى عبد الله ذلك بذل نفسه للترك وفدى بها عن النساء والولدان والأموال . فأرسل إلى الباشا وطلب المصالحة فأمره أن يخرج إليه فخرج إليه » (١) . وكان خروج عبد الله بن سعود إلى مسكر إبراهيم باشا في ٨ ذي القعدة ١٢٣٣ هـ - ٩ سبتمبر ١٨١٨ م واستقبله إبراهيم بالخفاوة وتم بينهما الإنفاق على الشروط التالية :

أولاً : تسليم الدرعية للجيش المصري .

ثانياً : يتعهد إبراهيم باشا بأن يبقى عليها وأن لا يوقع بأحد من سكانها .

ثالثاً : يسافر عبد الله بن سعود إلى مصر ومنها إلى الآستانة نهلاً برغبة السلطان (٢) .

ووقع على الاتفاق من كلا الجانبين ، وبإتهاء التوقيع انتهى عصر الدولة السعودية الأولى سياسياً . ولم يكثف محمد علي بهذا الإنهيار والتسليم وإنما رفض قبول الشرط الثاني من الاتفاق وأرسل إلى ابنه إبراهيم تعليمات تقضى عليه بأن يهدم الدرعية وحصونها وأسوارها ويخرب منازلها (٣) . وبذكر الكابتن سادلر Sadlier مبعوث حاكم الهند إلى إبراهيم أنه حينما التقى معه بالقرى من المدينة ذكر له أن أوامر حرق الدرعية وتخريبها إنما صدرت من

(*) الطريف : حى من أحياء الدرعية .

(١) عثمان بن بقر ، المرجع السابق ، ص ٢٠٧ .

(٢) أمين سعيد ، الدولة السعودية الأولى ، ص ١١٠ .

(٣) عبد الرحمن الرافعي ، المرجع السابق ، ص ١٢٩ .

الباب العالي وليس من والده^(١) ، ولا يستبعد ذلك فإن أوامر الباب العالي لحمد علي فيها ما يؤكد هذه الرواية .

تخذ إبراهيم تعليمات والده . وخرب الدرعية وأشعل فيها النيران فأصبحت أثراً بعد عين . ووصل عبد الله بن سعود إلى مصر في ١٧ محرم ١٢٣٤ هـ - ١٦ نوفمبر ١٨١٨ م فاستقبله محمد علي في قصره بشراً بالبشاشة وقال له « ما هذه المطاوعة » فرد « الحرب سجال » فقال له « وكيف رأيت إبراهيم » فرد « ما قصر وبذل همته ونحن كذلك حتى كان ما قدره المولى » فقال محمد علي « أنا إن شاء الله أترجى فيك عند مولانا السلطان » فقال عبد الله « المقدر يكون » فألبسه محمد علي خلعة وقدم له عبد الله ما كان في حوزة أبيه من نفائس الحجرة النبوية وكان قد اصطحبها معه في صندوق صغير^(٢) . وفي ١٩ محرم ١٢٣٤ هـ - ١٨ نوفمبر ١٨١٨ م سافر عبد الله بن سعود إلى الأستانة ليلقي مصيره المحترق على يد جلاديه .

أما إبراهيم فبعد أن أدى مهمته وأعلنت له المدن النجدية الأخرى ولاهاها عاد إلى القاهرة في ٢٢ صفر ١٢٣٥ هـ - ٩ ديسمبر ١٨١٩ م فاستقبل بكل مظاهر الحفاوة والتكريم .

ونحنم حديثاً ببيان العوامل التي نرى أنها طأنت على سقوط الدولة السعودية الأولى وسنناقشها فيما يلي بإيجاز :

أسباب سقوط الدولة السعودية الأولى :

أولاً : عدم تكافؤ القوة الحربية السعودية لقوة الجيوش المصرية . حقاً

(١) Sadler, G.F., Diary of Journey across Arabia, p. 83

(٢) مع الرحمن الجبرتي ، ج ٤ ، ص ٢٩٩ .

انظر : الفاج المكنن ، ص ٣٠٩ .

إن القوات السعودية كان لها دائماً التفوق العددي ، ولكن من حيث أساليب القتال وطرقه الفنية والأسلحة الجيدة والدفعات القوية ووفرة كليات الذخيرة والقيادة المحسنة في كل هذه الجوانب كان التفوق للقوات المصرية . بالإضافة إلى أن القوات السعودية لم تحاول أن تستفيد من الأخطاء التي وقعت فيها القوات المصرية ، أو من الظروف السيئة التي أحاطت بها في بعض الأوقات . في الصفراء . الرس . الدرعية . مما أدى إلى تدهور مركز القوات السعودية يوماً بعد يوم حتى سقوط الدرعية .

ثانياً : النزعة القبلية ، فكثير من القبائل العربية التي خضعت لنفوذ آل سعود كانت دائماً تسمى إلى الخروج عن طاعة الدولة ، ولم تكن هذه النزعة مقصورة فقط على القبائل الحجازية والأحسانية والعمانية وإنما شملت القبائل النجدية نفسها ، فهي نزعة قبلية عامة ، نجحت القوات المصرية في إطفائها وأزكتها بإغداقها على مشايخ القبائل وأفرادها بالمال والكسوى والرشاوى . وقد سبقت الإشارة إلى أن القوات المصرية لقيت الكثير من مساعدات القبائل العربية في أثناء تقدمها صوب الدرعية بل إن المعلومات التي حصل عليها إبراهيم باشا في أثناء حصاره للدرعية من بعض أهل نجد كانت من أبرز العوامل التي ساعدته في إنجاز مهمته وعجلت بانتهيار مقاومة الدرعية وسقوطها في يده ، كما مر بنا .

تأثير سقوط الدولة السعودية الأولى :

أولاً : إنهاء الكيان السياسي للدولة السعودية لفترة معينة وإن بقيت مبادئ الدعوة السلفية راسخة في نفوس بعض أتباعها الذين عملوا على نشرها ، ونجحوا في ذلك إلى حد كبير فقد تأثر بها بعض علماء الأقطار الإسلامية الأخرى وظلوا إلى بلادم ، فالحركات الإصلاحية التي قامت في العالمين الإسلامي والعربي تأثرت كثيراً بمبادئ الدعوة السلفية .

ثانياً : ترتب على إنهاء الكيان السياسي لآل سعود وسقوط دولتهم إزدياد نفوذ محمد علي ، التي أصبحت سيطرته تمتد على معظم الأراضي التي كانت تحت حكم آل سعود في جزيرة العرب ، وبالإضافة إلى إعلاء مكانته في نظر العالم الإسلامي ، وتوطيد حكمه في مصر فلم يمد السلطان العثماني يده إلى القيام بأي محاولة لزعزعته عن ولاية مصر وإنما أصبحت فرامات الولاية تتجدد له سنوياً دون أدنى اعتراض .

ثالثاً : ترتب على إنبهار الدولة السعودية أيضاً إزدياد تطلع النفوذ الاستعماري إلى سواحل الخليج وسمي بريطانيا إلى توطيد نفوذها على السواحل العربية ولقد عارضت بشدة في إحتلال القوات المصرية لساحل عمان وجزر البحرين ، وكلفت قفصها في الإسكندرية بإبلاغ محمد علي ، عزم بريطانيا على التدخل بالقوة لاحتواء القوات المصرية فزود هذه المفاطق ^(١) مما سيؤدي بدوره إلى الاصطدام بين السياسة البريطانية ومحمد علي حتى انسحاب قوات مصر من الجزيرة العربية عام ١٨٤٠ م على إثر التدخل الأوروبي المسلح ضدها ^(٢) .

(١) أحمد محمود صبحي ، البحرين ودهوى ليران ، ص ٩١ .
(٢) محمد محمود السروحي ، موقف مصر لزاء بعض مشاكل شبه الجزيرة ، ص ٨٥ .
محمد صديق طريال ، منهاج مصل لدروس المواصل التاريخية ، ص ٩١ .
(٣) تعرض بعض المصادر أنه كان من خير الإسلام والعرب لو تعاون كل من محمد علي وآل سعود لأنها ترى في كل من الطرفين تائراً ضد الدولة العثمانية ولولها حدب واحد هو إعادة الدولة الإسلامية من الناحية الدينية ومتمهدين في ذلك على أساس عربي ، ولكن يمكن الرد على هذا الافتراض بأن اتجاه كل من الطرفين كان يختلف عن الآخر ، بالإضافة إلى أنه لا يمكن إعتبار محمد علي تائراً ضد الدولة حتى إنبهار الدولة السعودية وتطعيم الدرعية .
وأيضاً كما مر ما أن عبد الله بن سعود حاول أن يساند ببيتته للدولة العثمانية وفشل في ذلك نتيجة لإصرار محمد علي على تطعيم الدرعية .
أطرح بخصوص هذا الرأي :

محدثات ، التوجيه السياسي للمركبة العربية الحديثة ، ص ٢٦ - ٢٧ ؛ جلال يحيى المدحل
لدى تاريخ العام العربي الحديث ، ص ٩٨ .

الملاحق

ملحق (١)

مطالب محمد علي من الدولة

دفتر رقم (١) ممية تركي صفحة ١١، ١٢ وثيقة رقم (٨)

بتاريخ ١١ محرم ١٢٢٣ هـ - ٩ مارس ١٨٠٨ م

صورة القائمة الموضوعة على دفتر المقيد في الذيل :

إن الأشياء المذكورة المسطورة في دفتر المقدم إلى موطن أقدم الدولة
الأبدية المدة مطلوباً داخل عريضة هذا الخادم المطيع ضرورية الورود من الدولة
المالية ، على كل حال كما تقضى بذلك الحاجة لأها على تقدير إجراء ابتياعها من
هنا يكون إلتباع كل ذراع من الجوخ بخمسة وعشرين قرشاً اليوم ، بسبب
أسفار الدول الحربية الجارية ، ولا تكاد توجد أصلاً الأشياء المذكورة في دفتر
من الأجناس وغيرها ، على تقدير عدم إجراء المصالحة معهم من الآن فصاعداً ،
أما ما احتاج إلى تجهيزه من المصروفات من هنا فما يوجد بمية خادمكم المطيع
من المساكر البالغ عددهم عشرة آلاف جندي لأجل الحركة والقيام على
الخارجي ، حيث أن ما بنوف على النصف منهم فرسان خيالة يزيد عدد
المتخدمين السواس والجهالين وعكاً^(١) الجيش وسقاتهم على ثلاثين ألف
شخص ، وأجرة مصروفات ستة آلاف جل لنقل ما يحتاج إليه من المؤن
لطعامهم اليومى لكل يوم ، وثمن مائتي ألف أردب من الفلال لسة أشهر في
الحل المبارك وثمن أربع مائة ألف أردب من الفلال لسة بالحل المذكور وأجرة
مهارى لنقلها برأ إلى مرقأى القصير والسويس ومصروفات السفن أيضاً
لإرسالها إلى ينبع وجدة ، والمطايا الضخمة لأغوات الداخل والخارج ، وستمر

(١) مكذال الأصل (عبد الرحيم)

الرجال الأميرة وعلوقات عساكرنا ومعيناتهم على حساب مائة وخمسين ألف خرج^(١) وهصروقات عمارة خمسة قلاع لوضع الذخائر فيها إلى أن تصل من مصر إلى الحجاز والصرر والمطايا على المعتاد القديم لطائفة العربان الواقعة في الطريق ولأهالي مكة والمدينة والحضرة شريف مكة والصرر فوق المعتاد، لجلب قلوب العربان بإعطائها على حسب الاقتضاء أحياناً والحاصل أن إعطاء هذه المصروفات يحتاج إلى خمسة وثلاثين ألف كيسة نقدية أو إلى أربعين ألف كيسة نقدية وتصرف هذه المبالغ خدمة لديننا ودولتنا بناء على أنها تكون سبباً لإنجاز المصلحة الخيرية ومع ذلك قد بقيت الأقاليم شراقي من قلة الماء في هذه السنة المباركة .

(١) المرح : يوارى عديم الذكر من الاموات . كان مصطلحاً عليه قبل ربط الصاكر بالروثب (المرحم زهدى الكوثرى) .

صفحة ١٢ من دفتر رقم (١) من مئة تركي
دفتر لوازم ستة أشهر للجيش الذي يرتب للحجاز تبين تلك اللوازم وتذكر
على الوجه التالي

رقم الطلب	اسم الصنف المطلوب والهدف من طلبه	العدد للمطلوب	نوع الوحدة بالقروش	القيمة بالقروش	النوع الكلي بالقيمة والقروش
١	علال ستة أشهر عن ألف وثمانمائة وثمانين أردباً كل يوم لاثني وأربعين ألف إنسان وحيوان .	٤٣٩٨٤٠ أردب	١٠ قروش	٣٢٩٨٤٠٠ قرشاً	قرش ٤٠٠ ٦٥٩٦
٢	سكراء جمال العلال الباقية التي ترسل من طريق البحر بعد إفراز خمسين ألف أردب لتقل بطريق البر بالعبية من مجموع ثلاثمائة ونسمة وثلاثين ألف أردب وثمانمائة وأربعين أردباً .	٢٨٩٨٤٠ أردب	٥ قروش	١٤٤٩٢٠٠ قرشاً	٢٠٠ ٢٨٩٤
٤	سكراء السفينة لأجل ماتتين ونسمة وثمانين ألف وثمانمائة أردباً من العلال ترسل بطريق البحر إلى جدة وينبع وموئج .	٢٨٩٨٤٠ أردب	كل واحد منها ٣ قروش	٨٦٩٥٢٠ قرشاً	٢٠ ١٧٢٩

(٥) رتبنا المطلوبات في جدول يسهل على القارئ معرفتها لأنها مكتوبة في الدفاتر بصورة

طرية .

(٥) كيسة : حماتها قرش في اصطلاح ذلك العهد ، المرحوم محمد زهدي الكواري .

رقم مسل	اسم الصنف المطلوب والهدف من طلبه	العدد المطلوب	نقطة الوحدة بالقروش	التمن الكلى لصنف المطلوب بالقروش	التمن الكلى بالكيسة والقروش
٤	١ كياس غلال بمقدار خمسين ألف زوج لقل هذا المقدار من الغلال في مرات بطريق البحر وخمسة وعشرين ألف زوج لملها بالجلال من البر ايضاً .	٧٥٠٠٠ ١ كياس حبوب	في قيمة ٣ قروش	٢٢٥٠٠٠ قرشاً	فرش — ٤٥٠
٥	القرب اللازمة لماء الشرب لواحد وأربعين ألف أو اثنين وأربعين ألف إنسان وحيوان	٢٠٠٠٠	لم يذكروا نقطة الواحدة	١٨٠٠٠٠ قرشاً	فرش — ٣٦٠
٦	الشال الكشميري اللازم لجلاب عربان العرب وامناتهم من الأعلى والأوسط والأدنى .	٥٠٠ شال	سعر الشال ٢٥٠	١٢٥٠٠٠ قرشاً	فرش — ٢٥٠
٧	جيب خفيفة (كراكة) على ألوان من الجوخ مقصبة مطرزة بمنأ وثملاً لجلاب العراق .	٥٠٠ جبة	سعر الجبة ٨٠ قرشاً	٤٠٠٠٠ قرشاً	فرش — ٨٠
٧	درجيات رسمية لاجل الركوب (بش) على ألوان لجلاب العربان المذكورة ايضاً	٥٠٠ بش	سعر البش ٤٠ قرشاً	٢٠٠٠٠ قرشاً	فرش — ٤٠
٩	مراء مموور لإلباسها حضرة لشريف وكبار مشايخ حرب وحمية ونقض الأذراف - أعلى ووسط وأدنى .	١٠ مموور	١٠٠ فرش	١٥٠٠ قرشاً	فرش — ٣

رقم سلسلة	اسم الصنف المطلوب والهدف منه	العدد المطلوب	نوع القرش	الثنى الكلى بالقرش المطلوب	الثنى الكلى بالقرش المطلوب
١٠	(كراكت) جيب خفيفة مخ وفرجية لإلباسها بشاخ العربان والعلاء والخطباء .	١٥٠	سعر الواحدة ٥٠ قرشاً	٧٥٠٠٠ قرشاً	قرش ١٥
١١	جهاز فرس (سرج) مزدكش كامل التطريز مستوفى العدد من الجام وركاب وعطاء على الجاري إعطاؤها لحضرة التشريف وكبار الشايخ كما هو المعتاد .	جهاز كامل (طقم) (٥)	سعر الواحدة ٣٠٠٠ قرشاً	١٥٠٠٠٠ قرشاً	—
١٢	ما يحتاج إليه ثلاثة عشر الف شخص أو أربعة عشر الف شخص من الخيام ، ثلاثة آلاف خيمة ١٠٠٠ خيمة ذات مظلة ، ١٠٠ قبة خضراء ، ٥٠٠ خيمة خفيفة ذات عمودين ، ١٠٠ قبة بيضاء ، ٤٠٠ خيمة خضراء .	المجموع ثلاثة آلاف ٣٠٠٠	لم يذكر	لم يذكر	—
١٣	جهاز مطبخ كامل المعدة وقناديل ومفروشات ومائر الوارم لمن يكون القائد العام على الساكر (سر عسكر)	١ بجميع لوازمه	٢٥٠٠٠ قرشاً	٢٥٠٠٠ قرشاً	—

رقم مسلسل	اسم الصنف المطلوب والمهدف من طلبه	العدد المطلوب	ملاحظات	الامن الكلى للصنف المطلوب بالقروش	الامن الكلى بالسكينة والقروش
١٤	البغال اللازمة للشاة بحية القائد العام ليتمكنوا من السير مع الفرسان (وعدم تأخرهم عن الفرسان الحياطة).	١٠٠٠ بغل	سعر البغل ٢٠٠ قرش	٢٠٠٠٠ قرشاً	فرش ٤٠٠ كسبة
١٥	فيكون مجموع ائمان جميع المطلوبات	-	-	-	١٣٤٣٥ كسبة

هذه الترجمة طبق أصلها التركي
مجد زهدى الكوثرى

ملحق (٢)

اقتراحات يوسف كنج الخاصة بحرب آل سمود

محفظة (١) بحر برأ وثيقة (٨) بتاريخ ١٩ صفر ١٢٢٣ هـ - ١٦ أبريل ١٨٠٨ م
من كنج يوسف باشا والى دمشق إلى محمد علي والى مصر (كنج = شاب)

حضرة صاحب الدولة والكرم والإحسان والإنسانية وذوى القوة
والشجاعة والرجولة والمهابة والعظمة سيدى الحاكم الأعظم والأكرم وعزيزى
الوزير الجليل الشأن صاحب المقام الرفيع .

يشرف بحسبك الصادق هذا الذى يثمنى لكم بصدق وإخلاص طول
البقاء ودوام العمر بأن يعرض على مسامعكم الكريمة أنه مواظب على الدوام
على رفع الدعوات الطيبات إلى الله الرب المتعال الذى يحقق الآمال أن يجعل
هالة البدر المنير لطلعتكم اليوسفية تزداد نوراً وتوسع دائرة نورها اتساعاً حتى
يصل النور إلى السموات السبع العلى وأيضاً أن يجعل ذاتكم الحيدرية الصفات
التي هي جوهرة ترمز إلى الجهد والمظلة زينة يزداد بها جمالا وبهجة الأكليل
المرصع لجاء العظمة والمهابة وأيضاً أن يكلاً شخصكم الكريم بيمين عنايته وحسن
رعايته ليصونكم من كل سوء في كل وقت وحال .. وبعد فإن بحسبك هذا
الذى يمضى أوقاته كل يوم في الصباح والمساء بتلطيف لسانه بذكر مناقبكم
العطرة وبترديد محاسن أوصافكم البهية والذي يكن في سويداء قلبه منذ وقت
بعيد الصداقة الخاصة لذاتكم الكريمة صاحبة الشرف الباهر بينما كان مترقباً
سلوح فرصة سعيدة يفتتحها في تلقى الأخبار السارة عنكم من أن الصحة والعافية
على أنهما وأن نعم مجد دولكم قد أخذ يملو في سماء الجهد ويزداد فيه لعاناً
وربهاً إذ به يحظى مؤخراً بتلك الفرصة السعيدة إذ تشرف بتسلم تحريراتكم
السامية التي بمنتم بها إليه فلم منها أن سعادة الأخ عبد الكريم أغا الماين

الهابوني (الهابين الهابوني) = الجناح الخاص لاجتماع الوزراء ومقربى السلطان
 بقصره وكذلك الخاص لانتظار من يريد مقابلة السلطان (قد قدم مؤخراً إلى
 لندن دولتكم من الآستانة موفداً من قبل جلالة السلطان ملك الملوك في العالم وأنه
 قد سلم لكم الهدايا العظيمة المباركة التي أهدى بها إليكم جلالة السلطان والتي
 أصبحت بشرف نيلها من السعداء وأبلغكم النطق الشفوي الكريم الذي
 أصدره جلالة إليكم من أن جلالتهم جد مرتاح منكم وراض عنكم ومعجب حق
 الإعجاب بالخدمة الجليلة التي قمت بها إذ أخذتم فتنة أمراء مصر القاهرة
 (المماليك) تلك الفتنة التي أثارها أولئك الأمراء بشتمهم عصا الطاعة على الدولة
 فسلطتم على رؤوسهم حوامك البتار للعدو فحسبها حساً بل التقمها إلتقاماً مثاماً
 يلتقم الحوت الأسماك في معركة حاسمة بينكم وبينهم فرالت الفتنة بذلك بفضل
 عطف جلالة السلطان عليكم وبركة الدعوات الصادقات الصادات عن قلوب
 أخلائكم الذين يريدون لكم الخير ويعملون على أن ينالوا المزيد من وُد دولتكم
 ومحبتكم لهم ، وعاد الأمن والأمان بسودان مصر القاهرة من جديد ، والله الحمد
 والمنة . كما أبلغكم كذلك أن جلالة السلطان قد استبشر بهذا النجاح الباهر
 الذي كان حليفكم في القضاء على فتنة أولئك العصاة واستهل به استهلالاً
 طيباً فأمركم بأن تستلوا حوامك البتار للعدو هذا مرة أخرى وتقاتلوا به كذلك
 طائفة الوهابيين الذين قد انحرفوا منذ وقت ليس بقصير عن سبيل الطاعة
 وسلكوا سبيل العصيان والظلم واستولوا على الحرمين المحترمين عنوة وظأوا
 فيهما فساداً وتحامروا على ارتكاب أفعال وحشية تشتمز منها النفوس الأبية
 الطاهرة وتحسوا به كذلك رؤوس هؤلاء العصاة الطغاة مثلما حسستم به رؤوس
 أمراء القاهرة المذكورين قبلاً حتى تزول فتنتهم من أرض الحرمين الشريفين
 وتنتهي الأرض من فسادهم وذنوبهم . هذا وأنه قد غادر سعادة الأخ المشار إليه
 مصر القاهرة لانهاء مهمته وأنكم سلمتم له ميثاقاً خطياً منكم لجلالة السلطان
 مصدقاً عليه بخطكم الكريم بأن أمر جلالة إليكم على الرأس والدين وأنكم

ستفقدون الأمر بكل رغبة وقبول وأنكم ستفقدون الدولة العلية التي تتفنون
لها الدوام الأبدى وستبدلون جهدكم في مقابلة أولئك الوهابيين الخوارج وفي
سبيل إجلائهم عن أرض الحرمين الشريفين وإنقاذ هذه الأرض وأهلها من شر
هؤلاء الخوارج وفسادهم ... وأنه بما أن مهمة مقابلة هؤلاء الخوارج والعمل
على إجلائهم عن الأرض المقدسة المذكورة مهمة جد عظيمة تتطلب أن يساهم
فيها كل مخلص صادق غيور على عرضه وشرفه مسارع إلى أداء واجبه نحو دينه
وملته بصدق وإخلاص فإن دولتكم تطلبون مني أن أساهم فيها أما كذلك
وأساعدكم على أن تكون مساهمتي ومساعدتي بتوحيد الجهود فيما بيننا
وبالانفاق بيننا على ميعاد مناسب ومهكر نصرب فيه العدو ضربتنا في آن واحد
كل واحد منا من جانبه بالعتاد والقوة اللذين يكون قد أعدهما لتأدية هذه
المهمة لأننا إذا وحدنا جهودنا في تأدية هذه المهمة وساعد بعضنا البعض وضرنا
العدو في آن واحد نكون حينئذ قد ملكنا الوسائل الكفيلة لتدمير العدو
ودحره من كل جانب وأيضاً أسباب نصرة دين مولانا وسيدنا وصفاة خلق
الله في الدنيا والآخرة محمد المصطفى (صلى الله عليه وسلم) وأسباب إحصاء دولتنا
ونيل رضا الله تعالى عنا وحيازة إعجاب جلالة السلطان بمعلما وتقديره الحسن
له تقديرًا عظيما . وعليه فإنه لم يكذب بقع بصرى على الأسطر التي تضمنت هذه
الأنباء السارة العظيمة حتى خيل إلى من شدة الفرح الذي أحسست به لكانها
اليواقيت وقطع المرجان قد نظمت تنظيما بديعا في تحريراتكم السامية هذه لتزف
إلى هذه الأنباء الجارية فشمرت بسرور بالغ عظيم لا يسعني القلم ولا اللسان أن
أصفه لدولتكم إذ أنها قد أزالته عن فوراً بل أقول قد أزاحت عن قلبي
الحيران المتعذب الذي كان قد أشرف على الهلاك جميع الآلام والأحزان
والهموم والغموم التي انتابته من جراء سوء الأحوال ومعاكسة الخط فديت
فيه من جديد حياة جديدة فأخذ يذوق دقا قويا كما مسحت عن مرآة خيالي التي
كانت تنعكس عليها الأمال التي تريد تحقيقها ذلك الصدا الذي كان قد غطي

عليها ، وحال دون انمكاس الآمال عليها حتى الآن ، فأصبحت والحمد لله والملة صافية براءة مستعدة لتنعكس عليها الآمال من جديد أسأل الله سبحانه وتعالى أن يطيل بقاء حصرة صاحب الجلالة والقدرة العظيمة والأبهة والكرامة مولانا ومليكنا وولى نعمتنا وأن يحمل جلوس جلالاته على عرشه السميد قريباً بالخلود أبد الأبدين ودهر الداهرين وأن يجرى له العطاء ويأتمه التوفيق وسداد الرأى في تصريف شئون ملكه ويذل أعداءه الذين يريدون له سوء ويرسل عليهم النكبات على الدوام آمين .

ياسيدى يا من شعاره الروة والإنسانية يا من يبادر إلى لقائه للمهوف وإنفاذ من حلت به الضائقة إن الخطة التى كان بحكم الصادق هذا الذى ينار على الشرف وبسمى فى حفظه قد اقترح على الدولة العلية منذ سنة أن تتبعها فى طريقة مقاتلة العدو الوهابى هذا فى أرض الحجاز وإجلاله عنها والتى كان قد كتب عنها للدولة المرة بعد المرة وألح على تنفيذها إنما كانت نفس هذه الخطة التى أشرتتم إليها الآن دولتكم فى تحريرائكم السامية هذه إذ إنى طلبت من الدولة أن يكون الهجوم على طائفة الوهابيين من جهات ثلاث بدلاً من جهة واحدة وعلى مقامهم نفسه الذى هو مدينة الدرعية وفى ميعاد واحد قبل موسم الحج تتفق عليه الجهات الثلاث وهذه الجهات هى جنابكم الحيدرى مثال البطولة والشجاعة وأخونا الوزير الجليل والى مدينة بغداد التى هى دار الجهاد ذلك الوزير الخطير الذى اعتبره نظيراً للحكيم أرسطو فى تصريف أموره وتديرها بالسياسة والحكمة . وبحكم الصادق هذا بحيث يبدأ كل واحد منا الهجوم على الدرعية من جهته فى الميعاد الذى نتفق عليه بالقوة العسكرية والعناد الحربى الذى يكون قد انتهى من إعداده لغاية حلول الميعاد المتفق عليه . ويراعى أثناء الهجوم كذلك نظام توحيد الهجوم و جيش واحد حتى يكون الهجوم موحداً منظماً والضرب كذلك مركزاً قوياً هذا كما أوضحت للدولة العلية الأهمية العظمى

لهذا الهجوم الذي سيكون على الدرعية معقل العدو نفسه من جهات ثلاث
وبيئت لها أنه هو الذي سينفذ الحرمين المحترمين نهائياً من أيدي الطفلة بإذن
الله تعالى وبكل سهولة عندما تهجم الجيوش الثلاثة على الدرعية من جهات
مصر والشام وبغداد وتنقض عليها أسراباً أسراباً مثل أسراب البوم والغرابان
تنذر الغراب والدمار وتذكها ذكاً وتدمرها بعون الله المنتقم القهار . إلا أنه قد
تبين بعدما تقدمت هذه الخطة للدولة العلية وأوضحت لها أهميتها أنه لم يكن
في الإمكان الشروع في تنفيذها بسبب العقبة الكؤود التي قامت في سبيل تدبير
المهمات والعتاد الحربي اللازم لتجهيز بها القوة العسكرية التي ستكون تحت
قيادتي إذ أن هذه المهمات والعتاد لم يكن جلها موجودة عندي بدمشق حتى
تجهز بها القوة العسكرية المذكورة فوراً فكان لا بد من الانتظار بعض الوقت
حتى أبلغ الاستانة لزوم تدبير تلك المهمات والعتاد من عندها وإرسالها إلى
دمشق الأمر الذي قد أخرج العمل بالخطة المذكورة بعض الوقت هذا كما وأنه لما
لم يكن جائزاً أن تمنع الدولة العلية في العام الماضي الحجاج المسلمين عن تأدية
فريضة الحج وأن تكلف عن إرسال الصرة المخصصة لفقراء الحرمين المحترمين
وعن إرسال النقود المخصصة للمرب التي ترسأها عادة إلى الحجاز كل سنة كان
لا بد للدولة من أن تصرح لحجاجها بأن يسافروا إلى الحجاز لتأدية الفريضة
ومن أن ترسل الصرة ومخصصات المرب إلى هناك كالأول فأصدر جلالة
السلطان في العام الماضي أمره الكريم بأن يسافر الحجاج وترسل الصرة
والمخصصات المذكورة إلى الحجاز من الشام إرسالاً سليماً تحت إمرة شخص
آخر بدلا عن محبكم الصادق هذا وذلك تجنباً من حدوث قيل وقال بين الناس
قد بسى سمة الدولة فدفزت أمر جلالة بحذافيره إذ أرسلت على الفور الحجاج
والصرة والمخصصات إلى الحجاز إرسالاً سليماً تحت إمرة شخص آخر بدلا مني
حسب أمر جلالة السلطان ثم جاءت الأخبار وليتها ما جاءت بأن الحجاج ما أن
وصلوا إلى مكان يبعد نحو ثلاثين ساعة من أرض الحرمين المحترمين حتى

فوجئوا بجنود طائفة الوهابيين هؤلاء مرابطين هناك وأنه قد اقترب منهم هؤلاء الجنود وأخذوا منهم العمرة والمخصصات المذكورة ومنعوا من دخول المكان ومتابعة السفر إلى الحرمين المحترمين وقالوا لهم لا يجوز لكم دخول الأرض المقدسة لأنكم مشركون أجباس وقرأوا عليهم الآية الكريمة « إنما المشركون نجس فلا يقربوا المجد الحرام » وأنذروهم أن يعودوا أدراجهم فباد هؤلاء الحاج المساكين من هناك مقهورين مهانين دون أن يتمكنوا من تأدية فريضة الحج ومن الوقوف بعرفات بعدما تكبدوا المشاق الجسام ليصلوا إلى هناك على أمل أن يؤدوا الفريضة ويقفوا بالعرفات بينما لم يمنع هؤلاء الجنود الإيرانيين الذين وصلوا إلى هذا المكان من إيران من دخول المكان ومتابعة السفر إلى مكة والمدينة لتأدية الفريضة وأداء فريضة الحج والوقوف بعرفات . وأن هؤلاء الجنود إنما فعلوا ذلك بحجاج الدولة العلية أي أنهم تصرفوا معهم بهذا التصرف الشاذ الكريه الذي يشير الدهشة والخيرة في المقول والاشتمزاز والكراهية في النفوس لأن كبير طائفتهم ذلك الحسود اللدود الذي يحسد جلالة السلطان على خلافته للمسلمين والذي يحقد حقداً كبيراً على الدولة العلية من أجل ذلك ونادى بنفسه أنه هو الخليفة الشرعي للمسلمين قد أصدر إليهم أمراً مشدداً بأن يفعلوا ذلك بحجاج الدولة العلية عما استفتجنا من هذا التصرف أن معاملة جلالة السلطان الطيبة له نعم معاملة جلالته الإنسانية اللطيفية هذه لم تستطع أن تخرق غشاء الحسد الذي أحاط بقلب الحسود من كل جانب حتى ينفذ في القلب فتوثر فيه بعض التأثير ليميل لحب الدولة أو لاحترامها أو لنبذ العداوة أو ترك البغضاء من أجهالها على الأقل ، وأن الحسود ما زال مستمراً في عداوته وبغضائه للدولة وجلالة السلطان ومصرراً على عباده فيهما أسأل الله تعالى أن يؤيد الدين والدولة العلية وأن يطيل نقاء إخواني المسلمين آمين .

وبعد فإنني إذ كنت قد افترحت على الدولة العلية الأبدية الاستقرار ، أن

نفذ الخطة المذكورة في مقاومة طائفة الوهابيين وإجلائهم عن الأراضي المقدسة
 فإنما اقترحتها بقصد لت نظر الدولة إلى ما فيه سهولة التنفيذ لتحقيق مصلحتها
 لا بقصد السعي وراء تحقيق أية مصلحة أخرى لأننى ما أن وصل سعادة
 عبد الكريم أغا المشار إليه إلى دمشق وبرفقته ولدنا عزة سليمان أغا فبوجود قدر
 أندرون دولتكم (الموظف المختص بإدارة شؤون حريم محمد على) الذى
 أقدّمه من المشار إليه حتى اجتمعت بسعادته فوراً بعد الانتهاء من إجراء
 واجبات استقباله والترحيب به وكلمته بخصوص موضوع الخطة المذكورة
 وشرحت له أهميتها وعظيم فائدتها وذكرت له أثناء الحديث أننى مسرور جداً
 من دولتكم وشاكر لكم على تقديركم لمصلحة الدين والدولة واهتمامكم بها أشد
 الاهتمام وأننى متضامن معكم في تحقيق هذه المصلحة وطلبت منه أن يبايع أسيادنا
 أولياء النعم في الآستانة أننى منتظر منهم بفارغ الصبر أن يخبرونى سريعاً
 بالمهمات والأدوات الحربية التى سبق أن طابعتها منهم واستعملتهم في إرسالها
 إلى . هذا وقد غادر سعادته مؤخراً دمشق بصحبة عبيدكم سعاة يريدون الذين
 أمرتهم أن يرافقوه في الطريق ويخدموه فيه . كما وأنه قد جاء في الأوامر العالية
 التى تلقيتها أخيراً من أسيادنا أولياء النعم في الآستانة على يد عبيدكم أغا سعاة
 يريدون (كبير سعاة يريدون) الذى حضر مؤخراً من هناك أنهم قد اهتموا
 مؤخراً بتزويدكم بالمهمات والأدوات المذكورة إهتماماً بالفاً وشرعوا فعلاً في
 إعدادها وإرسالها إلى بسرعة الأمر الذى استعشرت به واعتبرته فال خير
 فبجرد وصول هذه المهمات والأدوات في القريب العاجل إن شاء الله تعالى
 سأشرع بإذن الله في تجهيز القوة العسكرية التى ستكون تحت قيادى أثناء
 تنفيذ الخطة ولن ألو جهداً في تجهيزها بها وفي سبيل إعدادها إعداداً تاماً حتى
 تكون معدة ومستعدة للشروع في تنفيذ الخطة لحماية حلول الميعاد الذى سنتفق
 عليه إلا أن هناك مطالباً أودعها خاصاً لى لدن دولتكم التمس أن تمده

اهتمامكم الجليل به وكرم عنايةكم به ، وهو أن تكتبوا كذلك دولتكم خطاباً من عندكم للآستانة تستنهضون فيه هممها في إعداد تلك المهمات والأدوات وإرسالها إلى بسرعة حتى تنشط في إعدادها وتجهل في إرسالها إلى فلا يذهب الوقت هدرًا بالتسويف وفتور الهمة في الحصول عليها حتى حلول ميعاد تنفيذ الخطة . وأيضاً تحثونها فيه على أن تصدر أمرها لوالى بغداد الذى هو قريب من منعة المصاة هؤلاء ومجاور لها أن يستعد هو كذلك من جانبه للمساهمة في تنفيذ هذه الخطة وذلك بأن يشرع فوراً في تجهيد جيش كتيّف عنده وأن يتصل بنا على الدوام عن طريق المراسلة حتى يبلغ الخبر إلى المدو فيستولى الرعب على قلبه فيضطرب ويرتبك ولا يقدر أن يعرف كيف يتصرف لمواجهة هذه الجيوش وأخيراً فنظراً لأن ميعاد الشروع في تنفيذ الخطة قد أخذ يقترب يوماً فيوماً فإن رجائى الخاص أن لا تضنوا دولتكم على بمساعدتكم في استنهاض همة الآستانة في إرسال المهمات والأدوات المذكورة التى طلبتها منها حتى تنفادى بذلك إضاعة الوقت في تنفيذ الخطة وأنتى أؤكد لدولتكم أنتى سأبذل أقصى جهدى في سبيل تحضير تلك المهمات والأدوات من الآستانة كما وأنتى متضامن معكم في تنفيذ الخطة ومتفق معكم بشأنها اتفاقاً تاماً وأعطيكم ميثاقاً قوياً ووعداً حقاً صحيحاً مضبوطاً بأننى قد تمهدت على نفسى أن أبذل كل ما فى إمكاني من جهد واستعداد في سبيل نصرة الدين والدولة العلية وأن أوفى بميثاقى ووعدى هذين وفاء تاماً وأن لا أسكت بهما مطلقاً هذا وسأراسلكم على الدوام بإذن الله تعالى بكل دقة وعناية ولن أقصر في مراسلتكم قط ونظراً لأنى أحب دولتكم حباً صادقاً ينبعث من قرارة فؤادى في الظاهر والباطن ولأنى أعتبركم في الوقت نفسه كذلك أخاى الأكبر الأكرم الذى سما مقامه العالى في سماء المجد فوازى منزلة النجم (الثريا) فيه حتى أصبح له بذلك الحق في أن يفخر بين أنداده ويمتز به فإننى قد كتبت لكم هذه الرخصة لإبلاغكم بها .

لأننى كتبتها لكم كوثيقة جديدة منى إليكم أجدد بها لكم ميثاقى الذى كمت

قد تعهدت به على نفسي على أن أكون معكم على الدوام وأيضاً كخطاب رفيق
منى إليكم يتضمن رجاء خاصاً منى إليكم أن تشرفوني بين الحين والحين
بمحادثاتكم الكريمة المتضمنة الأخبار السارة عنكم وأتى سلتها لبعيدكم سليمان
أغا المولى إليه وأرسلتها معه إلى جنابكم السامى بمناسبة مودته من عندنا فأرجو
أن أكون عند حسن ظن دولتكم وموضع عطفكم كذلك من بعد الآن
وتشرفوني بمراسلتكم بين الحين والحين وعلى كل فالعطف والكرم لمن شيم
عزيزى الوزير الجليل صاحب الصفات السامية والمهم العالية .

ختم

يوسف

ملحق رقم (٣)

طالب إيالة الشام ليوسف كنج

وثيقة ٤٣ ، دفتر (١) معية تركي ، ص ٧٤

بتاريخ ٢٥ شعبان ١٢٢٥ هـ - ٢٥ سبتمبر ١٨١٠ م

صورة القائمة المحورة لرجاء توجيه إيالة الشام لمهدة يوسف باشا كنج
(الشاب) مع إطلاقه والإفراج عنه . . .

إن حضرة سليمان باشا والي إيالة صيدا من الممالك يحب جنس الممالك
بالطبع ، ولا سيما ممالك مصر ويهوى أن يساعدهم قدر استطاعته ، حتى إنه سوى
ما كان يجري عليه من للكاتبة الدائمة بينه وبين محمد بك الأتقي المتوفى من قبل
مدة حياته ، وخلا تسببه لإيراث مضرات كثيرة بنا ، بتحريره الشكاوى في حق
هذا الخادم المطيع إلى الدولة العلية وإلى حضرات أولياء الأمور من غير أصل
ولاموجب ، كان هو السبب لفرار طائفة الممالك الذين كانوا استجلبوا إلى مصر
وأسكنوا في العام السابق بالاستئمان والصلح ، على أن يستخدموا في خدمة هذا
العاجز ، كان هو الداعي لمصيانهم بتعليمه الفتنه والفساد لهؤلاء المنطوين عليهما ،
بإرسال خطابات التهيج والاستثارة إليهم تفكيراً فاسداً منه في صرفي وتعطيلي
عن مأموريته بالحرمين حتى صار ذلك باعثاً لوقوعي في مصروفات كثيرة ، وإن
كنت تمكنت من إزالة غائلة الممالك بالسيف ، والله الحمد بالنظر إلى ما أملاكه
من القوة والقدرة تحت ظلال رعاية حضرة السلطان وأعطيت المناصب المصرية
التي كانت أعطيت لهم ، لمبيدكم أصحاب الخدمات القديمة بمعيتي حتى أصبح هذا
التعريبك من الوزير المشار إليه والاستثارة منه محض خير ومن قبيل اللطاف في
حق هذا العاجز على فعوى « عسى أن تكرر هوا شيئاً وهو خير لكم » لكن
عند إرسال ولدي طوسون أحمد باشا مع عساكره المشاة المرتبة بمرأاً لطرف

الحرمين وعند سفرى قريباً من جهة البر بعله يرجع الوزير المشار إليه إلى عادته القديمة ويتصدى للفتنة من حيث يقعد ولا يبقى هادئاً بل يتوغل في وجوه الإهانة بمخلصكم بالنظر إلى أنه لا يتمكن من الذهاب إلى جانب الحجاز البتة وإن كان مرتباً لها ، لعدم وجود عسكر ولا قوة عنده وأمضى في رؤية مصلحتي غير متزلزل أدنى تزلزل من فتنة المشار إليه بناء على أن معتقد هذا العاجز مضمون « من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها » لكن مقتضى المصلحة أن لا يترك خلف من ينتدب ويؤمر بالقيام بأعباء أمور جسيمة ، لم يكن ولم يتيسر لأحد القيام بحمها ، منذ خمس سنين وعشرين سنين وعشرين سنة ، ولا في جواره ، ما يكون شاغلاً لأفكاره بوجه ولا ما يدعو إلى الملاحظة وانشغال الخاطر فإذا دفع وأزيل الوزير المشار إليه من جوارى ووجهت ولاية الشام لمهدة يوسف باشا كنج مع التفضل بسفوف ذنبه وإبقاء وزارته يصبح هذا الخالص مطمئن القلب ويحصل إنجاز مصلحة الحجاز بسرعة وقد اجترى على هذه الإفادة بناء على أن من مقتضى طبيعة المصلحة ، تسهيل مأموريته بدفع الأمور التي تحدث غوائل لمخلصكم في مصلحة الحجاز ، الجسيمة فقط ، من غير أن تحمل إفاذتي على الفرض النفساني في حق سليمان باشا وعلى التعيز في حق يوسف باشا لأنى ما كتبت ولا أفدت سوى المواد الواقعية في حق المشار إليهما خيراً كانت أو شراً من تاريخ وزارتنا لحد الآن وقد ابتدأت إليها لشفاعة في حق يوسف باشا كنج حجة الله بالنظر إلى أنه عبد لا ذنب له وإعما لى النصب السلطاني بحسب افتراء وسهتان عايه . وحيث التجأ هذا البرىء إلى مخلصكم وهو يُعدنى مسموع الكلمة مُمتثراً لدى النولة العلية أرجو أن تقرن شفاعة هذا العاجز في حق المشار إليه الذى لا ذنب له بالقبول لدى الحضرة الملوكة إعتاداً على أن ولى نعمتنا وولى نعم العالم صاحب الشوكه مولاي رحيم الشيم حكيم الخصلة بخلاف اللاطين السابقة وقد قال تعالى :

« والكاذمين النفيذ والمافين عن الناس » فأخص رجاء هذا الأحقر
دفع سليمان باشا الذي أجزم يقيناً بسعيه في المقامد المستلزمة للفوائد والشواغل
القلبية في مأموريته هذه ، مأمورية الحرمين وإبعاده من جوارى مع إسعاد
يوسف باشا كدج بالعفر والإطلاق وتوجيه ولاية الشام لمهده عند إحاطة
علمكم العالي بأني لست متعيزاً لهذا ، ولا أتي في صدد إجراء غرض فسادى
لسليمان باشا من غير سبب موجب . . .

في ٢٥ شعبان ١٢٢٥ هـ / ٢٥ سبتمبر ١٨١٠ م

هذه الترجمة طبق أصلها التركى

ملحق رقم (٤)

خاص بجلب سفن الضاو وعزل سليمان باشا

وثيقة ٤٨ ، دفتر (١) معية تركي ص ٨١

بتاريخ • شوال ١٢٢٥ هـ - ٣ نوفمبر ١٨١٠ م

تحرير متعلق بإرسال مقدار سبعة آلاف جندي من العساكر المشاة مع ست سفن من السويس لحد اليمن لجلب سفن الضاو وبشأن عزل سليمان باشا .

نم من جملة ما أنا ساع في إتمام إنشائه من سفن بمرفأ السويس لأجل مصلحة الحجاز إنشاء ست سفن حربية منها ثلاث سفن كبيرة وثلاث سفن أخرى من صنف الفرقاطة ووضعت في تلك السفن الست الأشربة والقلوس والدافع وسائر الأدوات - فتجهزت وأزالت في بحر السويس ولم يبق من نواقصها سوى أدوات الصواري والأعمدة وأوحى كتحداثنا بالباب العالي عبدكم صاحب العزة نجيب أفندي بأن يرسل تلك النواقص وقد عزم على تسيير تلك السفن للاستحضرة في البحر بإركاب عساكر لهم خبرة بالأمور البحرية وإرسالها أولاً لحد اليمن آن ورود تلك اللوازم لأخذ ما يصادفونه في وجه البحر وسواحل جدة وبنبع واليمن من السفن والمراكب المعبر عنها بالضاو وجلبه إلى مرفأ السويس فإلى أن تصل إلى الحال المذكورة تلك السفن الست للاستحضرة في البحر التي سترسل إليها عقب ورود ما سلف ذكره من لوازم الصواري التي يرسلها الأفندي المسمى إليه وإلى أن تعود تلك السفن إلى المرفأ المذكور مستحبة لمراكب الضاو التي تصادفها في تلك الجهات يتم إنشاء بقية سفن فتكون جاهزة في المرفأ المذكور من غير نقصان وعند انتهاء مسألة السفن في زمن قريب بمقتضى هذه الصورة توضع فيها الذخائر والعلال الوافية وسائر مهماتها اللازمة المخزونة المعدة في المرافئ. وتشعن تلك السفن في الحال ويركب

عليها ولدى عبدكم طو-ون أحد باشا مع عساكرى المشاة المرتب إرسالهم محرراً
 البالغ عددهم سبعة آلاف جندي تأسى العدد وبعد هذا الإرسال لا محالة يتوجه
 هذا الشاكر لنعمكم الثنى عليكم إلى جهة مأموريى بالحركة من مصر إن شاء
 الله؛ ثم إن الله استصحباً لمساكرى من الفرسان السككية المتوافرة المرتبين برأ
 قربنا سبحانه أكرم بالتوفيق والسلامة آمين. ومن الجلى الظاهر أن من أساس
 نظام المصلحة حصر عقل وفكرى في تدابير الأشغال الكثيرة المائلة أمامى
 بأن لا يبقى ولا يترك غائلة توجب وسوسة في الصدر وإخلالا في الفكر بالنظر
 إلى كونه مأموراً بالاستقلال ومتمهداً بهذه المصاحبة الخيرية الجسيمة مع أن
 حضرة سليمان باشا المتفضل عليه بإيالة الشام كما هو مبتغاه مناه غاية الاسقياء
 بناء على حقوق مكاتبته ومصادقته المولومتين مع أشقياء الممالك من إعمالها
 السيوف إلى هذه الدرجة في الأشقياء المذكورين حتى لو أمكن أن يحول دون
 تمكبي من إبقاء هذه المأمورية الحجازية بفداء جميع ما يملكه في هذه السبيل
 لعد ذلك منة كبرى على نفسه بكل نحر ولهدل وأعطى جميع ما يملكه في آن
 واحد بغية أخذ الانتقام من طرفنا ولا سيما أن عدة مئات من الأشقياء بقية
 السيوف مقيمون الآن بولاية السودان فارين من مصر وهم على اختلاف فيما
 بينهم في محل استقرارهم حيث صاقت عليهم الأرض بما رحبت، وفريق منهم
 يريد الاندفاع والارتقاء نحو تونس والسفر إلى ولاية فرانسة بالركوب من
 هناك في السفن. وفريق آخر منهم يختار الانسلال إلى ولاية الوهابية بالدور
 واللف من إقليم الحبشة وفرقة منهم ينتخبون القصد توأ إلى جهة الوزير المشار
 إليه بالانسلال من داخل الجبل على اتجاه القدس بتدارك كل منهم هجيناً بإعطاء
 كافة موجوداتهم ومفقوداتهم فعدل الفريقان الأولان عن رأييهما رأى الذهاب
 إلى فرانسة ورأى الانتقال إلى بلاد الوهابية واستحسنوا جميعاً رأى الأخير
 واستصوبوه واستقر قرارهم على الذهاب إلى الوزير المشار إليه فإذا تحققت

وتأكدت من مضيقهم على هذا الاتفاق لاحتالة أساط على جهة العريش وغزة
وأرسل إلى تلك الجهات مقداراً من عساكر العربان ليقطعوا السبيل عليهم
فحينما يبلغ هذا التصميم من هذا العاجز إلى سمع الوزير المشار إليه لاشك أن
ببادر إلى تحرير الشكاوى وتسييرها إلى الدولة العلية في حق هذا الخادم المطيع
فظاهر أنه على كل حال لا يبقى حادثاً مشتبهاً بمخاصمة أمر نفسه بعد سفرى من
مصر بل يتصدى لمفاسد تدعو وتبعث لحدوث اضطراب باطنى لهذا الخادم
إبقاءً على فى الغلط و تدايىرى (فيكون بقاء الوزير المشار إليه هناك سبباً
مستقلاً لبطء جريان الصلحة الخيرية ولتأخر إنجازها) . ومن أجل ذلك سبق
تحرير عريضة من عبدكم وتقديمها إلى الباب العالى من عبدكم الافندى المولى
إليه كتختاتنا بالباب العالى على رجاء التفضل بالمساعدة لإبقاء مأموريتى بدفع
الوزير المشار إليه من إيالة الشام وعندما أحاط علم ولى النعم الذى هو زينة
العالم بصورة إهانة المشار إليه ومضرته فى أمر مأموريتى من عريضتنا ومن تقرير
الافندى المولى إليه وإفادته أرجو بدفع المشار إليه من الإيالة المذكورة بحمل
إفادتنا على منتضى الصلحة دون إجراء غرض نفسانى له وفى شأن التفضل
بإجراء المساعدة والمعاونة السكلية لرؤية هذه الصلحة الخيرية بهذا الوجه .

فى ٥ شوال ١٢٢٥ هـ / ٣ نوفمبر ١٨١٠ م

هذه الترجمة طبق أصلها التركى

محمد زهرى

ملحق رقم (٥)

طلب إبعاد سليمان باشا من إيالة الشام

وثيقة رقم ٥٦ ، دفتر رقم (١) معية توكى ص •

بتاريخ • ذو الحجة ١٢٢٥ هـ - ١ يناير ١٨١١ م

صورة ما حرر إلى نجيب أفندي فقط لدفع سليمان باشا من إيالة الشام .

إن حضرة سليمان باشا هذا ليس على حسن التأزر معنا بل حرر إلى الباب العالي عدة مرات مضية واستمراره على إجراء مفسد ضدنا بما يوقع مصالحنا في اضطراب وارتباك لكن المفهوم أنه ما أجيب لحد الآن إلى طلبنا وإنهائنا حملاً لتحرير اتنا إلى إجراء الأغراض النفسانية ضده فيا أخى إن حضرة المشار إليه ليس بأكبر منى من أية جهة جهات الشأن والمنصب والاعتبار والرفعة والبطولة حتى أحسده وأنهج معه منهج إجراء الأغراض النفسانية ضده وما حظيت به بحمد الله تعالى تحت رعاية حضرة السلطان من المساعدات الجليلة والتوجيهات السنية لم يرمثه ولا ناله أى وزير من الوزراء منذ نشأة الدولة العثمانية إلى يومنا هذا وأعرف قدر هذه النعم التى لا تحصى وأديم الشكر عليها فبأى تملل أم بأية وسيلة أكون فى خيال إجراء الأغراض النفسانية ضده فوالله العظيم وبالله الكريم ليس فى عقل ولا فكرى أصلاً ذرة ما من خيال إجراء الأغراض ضده وإنما أجتريء على التحرير إلى الباب العالي مرات لجرد إفادة ما بوجبه التبصر والروية فى خدمة ديننا ودولتنا وتبين المواد التى تمنع من إنجاز هذه الخدمة لأنى جدمقتنع بأن المشار إليه حيث يعلم أنه لا يقدر على الذهاب إلى الحرمين مع كونه مأموراً أيضاً بذلك ويجزم ببقينا أى تهيات من كل الوجوه وتم هذه المصاحبة الخيرية على يدى وحدى يجرى على اتخاذ تدابير فاسدة لإحداث هوائى توجب عدم حركتى مثله وبسى فى مفسد تجملى

— لا قدر الله — خجلا عند الدولة الماية ساقط الاعتبار . وقد بعث المشار إليه خبراً إلى بقايا المالك من الاشقياء القليلة الذين طردوا وأجلوا إلى بلاد السودان حيث يزار لهم غاية الفيرة في وقت إشرافهم على الهلاك تدريجاً من الجوع والمطش قاتلاً لهم لأناسفوا فأنا سأريحكم قريباً إن شاء الله تعالى ، فإبصال المشار إليه مثل هذا الخبر إلى مثل هؤلاء المصابات المكسرة الأجنتة والمقطعة الأصول والفروع أمر يفيد الإمداد لهم بوجوه ، والمضرة للحوطة من تديره هذا وإن كانت راجمة إلى طرفنا صورة ولفظاً فهي عائدة إلى الدين العالي والدولة السنية حقيقة ومعنى . فإن كان المطلوب إنجاز المصلحة المحازية على الوجه التام كما ينبغي فلتبذل المهمة لدهاني بصرف العناية إلى دفع المشار إليه من إهالة الشام وأما إن كان لا يلزم سفرى . ولا أدرى هل يتم الأمر أم لا بالعساكر المرتبين الذين أرسلهم بحراً فيجب أن لا يرمى تقصير إلى طرفنا على تقدير عدم إنجاز المصلحة المذكورة لأن من ضروب الأمثال المعلومة ما يقولون ألف عامل ورئيس واحد . وعند العلم يتوقف ذهاني على دفع المشار إليه من إهالة الشام كما أفدت مرات حسبة لله تفهم مقتضى الحال لحضرات أولياء الأمور إن كان المراد إنجاز المصلحة الخيرية إنجازاً تاماً وتحرر ما تقتضيه الإرادة السنية بسرعة إلى طرفنا بإقدام تام وحيث أن هذا هو مطلوبنا المستعجل ، قد حررت هذه القائمة المنبئة عن المودة لإفادة هذه المصلحة وللإسهمجال في مادة الصواري المحولة لمهدتكم ولأحطار مسألة المدافع المحولة تسويتها — لعمدة حضرة الأغا وكيل الخزينة المهابونية . وعند وصولها بمنه تعالى نسعى في مقتضى ذلك وتبذل المهمة في عدم مصادفة وقت حركتنا زمن اشتداد حر الصيف بتسيم مصالحنا المذكورة في أسرع وقت ممكن ...

في ٥ ذى الحجة ١٢٢٥ هـ / ١ يناير ١٨١١ م
هذه الترجمة طبعن أصلها التركي

ملحق رقم (٦)

إظهار أهمية الشام لإنجاز مصلحة الحجاز

وثيقة ٦٤ ، دفتر (١) ممية تركي ص ١١٩

بتاريخ غرة ربيع الأول ١٢٢٦ هـ - ٢٦ مارس ١٨١١ م

حرر إلى نجيب أفندي حينما ورد إطلاق يوسف باشا كنج :

قد ورد إطلاق يوسف باشا كنج ولم تبق لي أيضاً شبهة أنه ينال بأمله بتعيينه لمنصب لكن يا أخى لم يكن ماحررته ورجوته كراراً ومراراً على هذه الصورة لكن كان مرادى أن هذا الرجل حيث قام وقعد وطاشر مع الوزراء العظام من مدة مديدة في طريق الحجاز يعرف جيداً أمور تلك النواحي ومصالحها فلي تقدير إعطاء الشام له خلا وجود أنواع الخيم ذات عمود واحد وغيرها والحيوانات وسائر المهنات عنده من ملكه كنت أعطيه عدة آلاف فارس مع مئيناتهم فيزحف من طرف الشام وتقع حركتى أيضاً من مصر بقوى كلية لتسمى في إنجاز المصلحة الجسيمة بسهولة حتى نخدم لسلطاننا ولدينا ونقوم بخدمة عظيمة فلو كان يوسف باشا كنج هذا عين الشام على وفق طلبنا لكانت المصلحة تخرج إلى حيز الوجود بكل سهولة حيث يشهد الله أن سليمان باشا لا يقوم (بخدمة المصلحة الحجازية) . وأما المصلحة الحجازية فخلا أنه قد صرف في سبيلها لحد الآن مقدار أربعة آلاف كيسة نقدية من غير مهالة احتاج بالضرورة إلى جانب مقدار أربعة آلاف جندى من المشاة من طرف ولايتي وسائر المحلات بناء على أنه يرسل أكثر عساكري الموجودة عندي إلى جهة الحجاز حسب كمال مخوف واحتياطى ونمرزى من مهاجمة دول النصارى وتسلطهم وإن كان يكفى ما بقيه من المساكر بمصر وبمرافئها كافياً

ووافقاً لحافضة أمور السلطنة حيث بنشت أوراقاً متعددة إلى مراقى الروم
(أناضول) وأرسلت مندوباً وورقاً آخر أيضاً إلى روملى لاستجلاب هذا
المقدار من الجنود وبالنظر إلى أن جلب هؤلاء الأربعة آلاف من الجنود إنما
هو ترتيب يعود إلى مصلحة الحجاز وفي سبيلها يعلم عند الملاحظة بأى مقدار
من التعيينات أو الصروفات يمون مثل هذا المقدار العظيم من العساكر في
السنة فلو علموا أنه لا شك أن كل هذا السعى وهذا الاجتهاد وهذا التناثر وهذا
الانتشار كلها إنما هي لأجل الخدمة الحجازية وأن سليمان لا يقوم بخدمة الحجاز
فمرلوه في حينه وأعطوا اليوسف باشا هذا أرسله البتة من طرف الشام بتجهيزه
وتدارك لوائمه وكان على ذلك وعلى رقبتي وفق تحريري وأقوم أنا من هذا
الطرف بتنظيم مقتضيات التدبير اللازم من وراء ولدى الباشا المولى إليه على
ما هو اللازم والحاصل أن هذه الصورة تكون صورة حسنة لإعجاز المصاحبة
بسرعة فلا يحملن إشعارنا هذا على نسكولنا وحينما يستمر ولدى المولى إليه في
طريق ذهابه حيث يقام من بركة الحج قريباً ذاهباً إلى الجانب المقصود بطريق
السويس فأنتم يلزم عليكم أن تتخذوا قراراً وجيهاً لهذه الصورة حالاً
بالاستشارة مع بعض الناصحين لنا ومربدى الغير بنا وأن تسعوا جهدكم في
تنظيم ذلك .

في غرة ربيع الأول ١٢٢٦ هـ / ٢٦ مارس ١٨١١ م

هذه الترجمة طبق أصلها التركي

ملحق رقم (٧)

خاص بسفر حملة طوسون

وثيقة ٧٢ ، دفتر (١) معية تركي ص ١٧٢

بتاريخ غرة رمضان ١٢٢٦ هـ - ١٩ سبتمبر ١٨١١ م

صورة القائمة المحررة إشعاراً عن خبر حركة مولانا صاحب الدولة
طوسون أحمد باشا من بركة الحج مع جيشه

وكان أنهى سابقاً إلى الباب العالي وعرض إركاب العساكر في ثلاث
وستين سفينة وإرسالهم بحراً إلى الحجاز تحت قيادة الأغوات رؤساء البوايين
(الحجاب) * - المستخدمين بمعية هذا الخادم المطيع بترتيبهم على قسمين
مع التنبيه لقائدي هذين القسمين بإيصال القسم الأول منهما توماً إلى مرفأ ينبع
وإمرار القسم الآخر بمرفأى موبلح والوجه (وش) وإبقاء المقدار الكافي من
العساكر والذخائر فيها ثم الذهاب بالباقي إلى ينبع أيضاً وباتراً ما يلزم من
التعليمات . وأن ولدي عبدكم الحاج طوسون أحمد باشا يرسل إلى جهة مأموريته
مع جيشه عقب انتهاء تجهيز مارتب من الزاد والذخيرة للمحلين المدعوين بحجة
المنية والواقمين في الطريق المستقيم براً .

فما هو قد أرسل عبدكم الباشا المولى إليه أيضاً يوم الخميس غرة شهر
رمضان الشريف الحالي براً إلى الجهة الباهرة السعادة بترحيله من بركة الحج
تام العدد مستكمل التجهيزات ومعه من العساكر المنتخبين ثلاثة آلاف فارس
أصحاب السيوف والأسنة فآله سبحانه من عليهم بالعفو فوق والسلامة وأوصى
للقائد العام على هؤلاء العساكر (سر عسكر) عبدكم الباشا المولى إليه

(*) في الأصل غرة رمضان سنة ١٢٢٨ و صوابه سنة ١٢٢٦ كما يظهر من المحررات
السابقة واللاحقة (الترجمة) .

(**) يعني المأمرين أربعة رياسة البوايين (الترجمة) .

بأنخاذ طور يستلزمه ما يتخذ من التدبير والحركة حسبما تنقضى به المصلحة لدى
وصول حيثه إلى حوالى ينبع في عهد قريب إن شاء الله تعالى واجتماع الجيوش
البحرية والبرية هناك كما وقع الإيماء إلا ذلك في عريضق السابقة وزود أيضاً
حضرات مفتي للذاهب الأربعة وبجل المحروقي الذين هم بمعية الباشا اللوى إليه
مأمورين بالسمى في استجلاب قلوب قبائل العربان والعشائر الموجودين بإقليم
الحجاز بما يلزم تزويدهم به من التمليات وحيث أن الجيوش للذكورة في غاية
من التمام والسكال والثانة من جميع النواحي كما لو كان وقع الزحف من الشام
وبنداد ماشاء الله ثم ماشاء الله ندعو الله خير الحافظين أن يحفظهم من إصابة
العين وسوء النظر ويمن عليهم بتوفيقاته الجليلة آمين .

فيا مولاي على المهم إلى حيث أوصل وآمل من علامات حضرة واهب
المطايا موقناً من غير أدنى اشتباه أن نوفق إن شاء الله تعالى إلى استجلاب
الدعوات الخيرية لساطنة حضرة ملك الملوك ولدوام جاء ولى النعم وجلاله في
هذه السنة المباركة من الحجاج ذوى الابتهاج حال اصطفاقهم قياماً ببجل عرفات
معدن المنفرة والبركات وقع تحرير هذه المريضة عبدكم الشاكر على نعمكم
وللتقى عليكم وتقديمها في هذه المرة أيضاً إلى تراب أقدام حضرة المنفضل
باسماق مقاصد الراجين تبشيراً بذلك وطلباً لدعوانكم السنية والتفضل بما
احتاج إليه من توجبها نكم السنية المستوجبة للتوفيق في حق هذا الخادم الطمع
عندما أحاط علم حضرة على المهم بمغه تعالى بكيفية الحال ... ٤ .

في غرة رمضان ١٢٢٩ هـ / ١٩ سبتمبر ١٨١١ م

هذه الترجمة طبق أصلها التركي

محمد زهرى

ملحق رقم (٨)

ترجمة معابفة واردة من طوسن باشا بتاريخ

١٧ صفر ١٢٢٩ هـ - ٧ فبراير ١٨١٤ م محفوظة

في المخططة نمرة / ٣ نمرة / ٧٤ نمرة سلسلة / ١١٥

ليعى حضرة مولاي صاحب الدولة والعناية والعاطفة والجلالة ولى النعم
الكريم الشيم بالدولة والإقبال والسرور والإجلال . فمريضة عبدكم القديم
العبودية . أنه قد وصل إلى أنامل التكريم أمر مكارمكم المتفضل بإرساله في
هذه المرة لطفاً وإسعاداً مع عبدكم عباس أغا وأحاط عبدكم علماً بمغايمة السنية .
فعلى ما سبق عرضه لحضرتكم العالى قد وصل إلى قرى بنى سعد عبدكم عبادين بك
ومعه كنج أغا وسائر رؤساء القواد فجمع القبيلة المذكورة في حق راجع الذى
يتجول في تلك الحوالى لإفساد قبيلتى بنى سعد وبنى ناصرة ولسوقهم إلى طريق
الضلال ودير البك الموى إليه السير والزحف إلى راجع المذكور وجاعته
ولما بلغ هذا الخبر إلى سمع راجع المذكور فر من تلك الأنحاء ولم يمكن
التحقيق والتأكد بمد من محل اتجاهه في الهروب ولم يعلم أنه إلى أى جهة
جفل وقد حرر إلى البك الموى إليه أن يقوموا من قرى بنى سعد بالأمس وبأثوا
إلى قرية صور في مبدأ حدود ناصرة لجميع القبيلتين المذكورتين وقد سارع
سلحدار عبدكم وسائر رؤساء الفرسان الذين كنت أرسلتهم إلى جانب تربة إلى
معسكر طائفة الخوارج السكرية المناهضين على ما بلغهم من الخبر لكنهم لم
يخضعوا في مواضعهم ، فمادوا ووصلوا إلى طرف عبدكم وحيث بلغنا الآن أنه
قد تحقق أن طائفة الخوارج تحصنوا بصور وتربة فنان من مرحلة مظالمة (هكذا)
يوم الأربعاء يوم تاريخ عريضة خادمكم استناداً على التوفيق الإلهى وإمدادهم
ولى النعم فنصل إلى الموضع الذى يدعى دكيا ثم تنصب الخيام في اليوم الذى
بليه بقرية صور ونوجه وجهه سيرنا متوكلين على الله إلى تربة مع استصعاب

المولى إليه التوسل المذكورين وقد حررت عريضة عبدكم إخلاص هذا
الإعلام ذلك وإفادة الحال وقدمت إلى مقامكم العالى مع إعادة عبدكم عباس أغا
المذكور فالأمر والإرادة فى هذا الشأن وفى سائر الشئون عند حصول السمد
بوصولها بمنه تعالى وأحاطة علم ولى النعم بالأحوال الجارية من تقرير الأغا
المذكور لحضرة مولاي صاحب الدولة والعناية والمأطفة والجلالة ولى النعم
الكريم الشيم .

فى ١٧ صفر ١٢٩٩ هـ / فبراير ١٨١٤

عبدكم

طوسوره أحمد

ختم

صاحب دلم (٩)

ترجمة مكتوبة واردة من طوسون باشا بتاريخ

٢٣ صفر ١٢٢٩ هـ - ١٣ فبراير ١٨١٤ م

في المخططة / ٣ نمرة / ٧٤ / ١ نمر سلسلة / ١١٦

ليسمى حضرة مولاي صاحب الدولة والعناية والمناطة والجلالة ولي
النعم الكثير الكرم بالدولة والإقبال الأبدى والأبهة والإجلال السرمدي .
فمروض خادمكم الصادق في الخدمة : أنه قد وصل خطاب كرمكم وعطفكم
مع المبالغ الملوحة القدار والكسوة وأحاط عهدكم علماً بفناهم أسر ولي النعم
فعل ما سبق مرضه بتمامكم العالي عند وصولنا إلى قرية مظلة (مظلة له) تمهد
جميع مشايخ بني سعد الذين كانوا يطلبون الأمان — بمجيئهم إلى طرفنا عند
دخولنا قرية صور التي هي في الأمام لكن عند وصولنا إلى قرية صور حضر
بعض مشايخ بني سعد وتحلف من سوام عن الحضور نا كثرين تمهدهم باقتراف
الكذب بيد إن إضاعة الوقت من طرف جيشكم الجسيم الباسل لتأدية سائر
مصالحتنا التي هي أم وأقدم وتبعث إلى قص الذخائر فلذلك قد عهد على مقتضى
الحال أسر ناديب مثل هؤلاء الناقضين لعودهم وأسر معاقبتهم وانتهاب أموالهم
إلى حضرة صاحب الدولة الشريف يحجي بالتحريم إليه مع إرسال كشف عن
أسماء الذين حصروا الدينا إلى جانب المشار إليه فاستصحبنا هؤلاء المشايخ الذين
حضرنا لدينا مع جماعتهم وعطفنا لجام السفر وعنان الرحيل نحو تربة متوكلين
على الله تعالى باستصحاب الجيش المنصور يوم الاثنين يوم تاريخ عربية
خادمكم هذه وقد صار إسمار ذلك ، اعتنا على تحرير هذه المربضة من طرف
عهدكم فبعد حصول السعد بوصولها بمنه تعالى وإحاطة عطفكم العالي بهذه

الكيفية أرجو بذل همكم الأضحية للتحرير إلى حضرة الشريف المشار إليه
لأجل أن يهتم بالشأن المذكور فالأمر والإرادة والعناية والإحسان في هذا
الشأن وفي سائر الأحوال لحضرة مولاي صاحب الدولة والعناية والعاطفة
والحلافة ولي نعم الكثير الكرم .

في ٢٣ صفر سنة ١٢٢٩ هـ - ١٣ فبراير ١٨١٤ م

عبدكم

طاهر بن أحمد

(الختم)

حاشية :

حضرة مولای صاحب العنایة ولی الهمم :

قد سرنا بتوفیق الله تعالى فی التاريخ المذكور متجهین إلى تربة
لكن كانت حرکتنا مع ما یکنی خمسة أيام فقط من البقعات والعلیق أبعثاً
على هذا القیاس ولا سیما وأن ضائقنا من جهة البقعات لا تقاس بسائر اللوازم
عند إحاطة علم ولی النعم وبذلك كله یرجو عبدکم هذا مدید همکم العالیة نحو
إبصال مقدار ما یکنی من البقعات إلى الطائف وإلى طرفنا وبذل عنابتکم
لذلك سیدی ومولای .

ختم

طه-ورد احمد

ماحق رقم (١٠)

طلب إمالة الشام

وثيقة ١١٨ ص ٢٣٢ دفتر ١ / من دقائر للمية

بتاريخ ٢١ شعبان ١٢٢٨ هـ - ٩ أغسطس ١٨١٣ م

صورة القائمة المحررة إلى الباب العالي جواباً عن الرسوم العالي (الفرمان) الذي أتى به الافندي كتنغدا الباب .

وقد اقترن بفهم ذهن هذا الخالص المستديم مضمون مراحم الخط المهابوني المبارك المقرون بالمانية السلطانية التفضل بإرساله عبدكم النجيب كتنغداننا بالباب (العالي) لدى وصوله إلى مصر مع العطية البهية القيمة الملوكية في اليوم الخامس عشر من شهر شعبان الشريف الجاري عند الفتح والقراءة بعد الاستقبال مشياً على الوجه والمقابلة بالقبيل والتلثم بكمال الآداب والتعظيم . وظاهر أتى عاجز وقاصر عن أداء شكر المنابات السلطانية القيمة للغاية التي برزت على التعاقب بهذا الوجه في حق هذا العاجز غير المستحق وبديهي ما هو أنى لو تكررت لي عمرى الطبعي فيما بعد عدة مرات واستكملت تلك الأعمار والمدد ووقفت وصرفت وجودي الظاهر الضعف ليل نهار لخدمات الدولة العلية مع تطبيق جميع أقوالى وأفعالى للزجاج المحسروى الذى له بالمعدالة امتزاج لا يمكن نأدية شكر واحد من ألف مما لا يعد من عنابات ملجأ الخلافة التي تلتها وشهدتها لحد الآن . فربنا الحى الوودود أدام مولانا ولى نعم العالم وسبب أمن بنى آدم صاحب الشوكة والقدرة والعظمة السلطان ملاذاً للعالم ملاك الملوك البصير القلب على سرير سلطنته الحارسة للعالم ، إلى آخر الأدوار وأغل بظلال مراحم الملوكية مفارق عبيده ولاسيما مفرق عبده هذا الذى لا يقبل المتق وبدوام واستمرار أمين باللهي الأمين . فببكم هذا العبد الأدنى الذى عبوديته لا تقبل المتق من ٢٤ - الدولة العبودية الأولى

عبيد مولانا روح العالم قد ترك النوم والاستراحة وشمساق الغيرة وجمع ذيل
الحية ، رتباً له بوسطه منذ أربع سنين وخمس سنين على مقتضى مأموري حتى
وقعت لتنظيف البلديتين المباركتين وتطهيرهما من لوث وجود الخوارج بمحض
آثار التوجيهات السامية الآيات الملوكية ولكن من الحالات التي تظهر
للجميع بأدنى ملاحظة أن الدرعية مقر محوسة هؤلاء الطائفة الخائفة طائفة الخوارج
مالم تشاهد ولم تلق صدمة قاهرة من العساكر السلطانية الذين لهم مآثر الظفر
ومالم يصبح أكثر هؤلاء الخوارج طعمة سيوف الغزاة ولم تدخل البقية الباقية
من هؤلاء الخوارج داخل سلك الإيمان بأن يتوبوا ويستغفروا قلباً وروحاً من
أن ينظروا فيما بعد الآن لطرف البقيتين المباركتين نظراً معوجاً وشزرأ لا يمكن
أن يقال نجرت المصاحبة وأديت خدمة مأموري لدنبي ودولتي . . ومع ذلك
قد سبق العرض مراراً للباب مستقر العدالة من طرف حضرة صاحب الشريف
وغيره من المطامير على أحوال تلك الحواري أن حسن حتام هذه المصلحة الخيرية
لا يحصل على وفق المرام بالمجوم من طرف واحد بل يحتاج ذلك على كل حال
إلى المجوم بكل جهد وغيره من الجهات الثلاث بما يتراوح عدده بين عشرين
ألف وثلاثين ألف من العساكر السلطانية في كل جهة من تلك الجهات الثلاث
ولكن من غير أن يكون في معرض التشكي والامتنان حاشائهم حاشا لم يحسن
ولم ير أحد بذل الجهد لهذه المادة وصرف القدرة لإجراء الإرادة الحسروية المفيدة
للكرامة وإلا فإذاها على قدر الإمكان سوى هذا المخلص فأنحصر حصول المصاحبة
في الجهة الواحدة كما هو ظاهر . ومسبق وأرسل من طرف هذا العاجز على العقاب
وما يحري إرساله لحد الآن من العساكر السلطانية أن كان الخمسة والعشرون منهم
استشهدوا حين الحاربة فالخمس العشرون منهم يموتون من وخامة الهواء وشدة
الحر - آناً فآناً . وحيث تبعث هذه الكيفية إلى الدهشة في الصفوف العسكرية
أصبح من المتمسرين سوق العساكر وإرسالهم إلى الدرعية التي هي بمسافة عشرين مرحلة
وثلاثين مرحلة من مكة المكرمة والمدينة المنورة . حتى أن من الواضح البديهي
نظراً إلى مزاج الوقت أنه غير بعيد أن يترك هؤلاء العساكر البلديين العائنين وأن

بنسحبوا منها متدققين إلى مصر لو أحسوا أن بمصر تكون سلامة أحوالهم
(ويرحب بهم) وهذا الخالص لم يضر بشيء غير الروح على من يصلح
للخدمات العسكرية من المساكر وقد عاملت كلا منهم معاملة مع أولادى
مخدفاً عليهم أنواع النعم السلطانية منذ خمسة عشرة سنة تحت سحر رعاية
حضرة السلطان وإعما وفقت لا كتساب رضا حضرة ظل الله الذى اليأس من
مقتضاه بهذا القدر فقط باستخدام هؤلاء المساكر الذين نشأهم تحت تربيته
بهذه الصورة فى تلك الخدمة وإلا فمعلوم عند الجميع مبلغ صعوبة إقامة المساكر
عدة سنوات فى تلك الحالات الصعبة المالك لو كانوا محشودين من هنا وهناك
كيفما اتفق . ولم يبق مما أرسلته سابقاً ولاحقاً من عدة آلاف خيل وخيال
سوى مقدار ثلثمائة أو خمسمائة حصان مابين صالح للعمل وغير صالح .
ويكون معلوماً لدولتكم من مفاد معروضات الوزير المكرم حضرة صاحب
السعادة طوسون أحمد باشا التواردة على التعقب منذ عدة أيام المرفوعة إلى
الاستانة العلية ببعضها فى هذه المرة أن السعود المردود كيف أنى بالنفس بمساكر
كلية إلى جوار المدينة المنورة وماذا أحدث من التلعة والغفار هناك حيث
لم يحس بحركة مامن طرف آخر وليس الفرض من تفصيل الكيفية بهذا
الوجه - ورب البيت - إله الشكوى ولا هو من نوع الامتحان بل القصد
من ذلك أولاً : إفادة حقيقة الحال . وثانياً : إفادة أنه لم يكن المراد من طلب
الشام أولاً وآخرأ جد المنفعة ولا توسيع المنصب . والله يعلم ذلك - بل مجرد
إبراز حسن الخدمة للدين والدولة العلية وإظهار الصدق والاستقامة فهما كان
الشام الشريف على سبع عشرة مرحلة . من الحبل الذى يقال له الدرعية مع
كون أكثر منازل هذا الطريق ومراحله معمورة ذات مياه وأعشاب فالسهولة
ظاهرة فى سوق المساكر السكلية والذخائر وسائر المهمات بهذا الطريق كإسهل
بذلك أيضاً حصول الغالبية بتنصيب قوة العدو على نصفين بإخراج الجيوش
السكلية السلطانية من الطرفين . وبناء على أن إقليم مصر أريد من قدر عبدكم

واستعفاقه بمائة درجة وأنه ليس له رغبة ولا مد نظر إلى محل سواء تحت رعاية حصرة السلطان لو أجبرت وأبرمت بعد إكمال الخدمة وإجازتها بقطع الماء واستئصاله من ينبوعه من مدة قليلة بمون الله ونصرته . وقيل لى إيق الشام تحت إدارتك البتة لكان يضطر عبدكم إلى إضجاركم باستقالتى مع رجاء تفويجه وإعطائه لوزبر آخر . ومبالغ حاصلات الشام الشريف ومصرفاته التى تحدث فى هذه السنين وكلفه ظاهر عند أربابه باهر بالوجوه عند هذا الخالص فيكون سمي الشخصى مع العلم بذلك فى تحصيل ما يحمل عليه المصارف الزائدة وبكافه المصروفات البهظة مفايراً لطور العقلاء بالاتفاق ، ومن ثمة أحسب وأنجيل أن هذا المخلص لكم قد أظهر صداقته وعبوديته من هذه الجهة أيضاً لمولانا وولى نعمتنا المنعم بغير من بما أنعم ولكن حيث لم يجرب صدق وكذنى بعد على مقتضى طامى لم يسمح بإسفاف مسئولى فهما كان الملك والعبد لمولانا صاحب الشوكة روح العالم يتصرف فيهما كيف يشاء وثرثرة هذا الخالص إلى هذا الحد وإن كانت تتناقى مع مراسم العبودية لكن الله يعلم أن الفرض من طلب المنصب المذكور مجرد الخدمة والصداقة وأن لذلك لم يكن مبنياً على خيال آخر فلو لم أكن قادراً على إعاشة نفسى بإقليم مصر وطلبت منصباً لتوسيع العاش لكنت خارجاً عن حدود الأدب جداً لأننى إذا عجزت عن إدارة نفسى لمنصبى الجليل الذى هو من المناصب التى إليها يتعصر الوزراء يلزم أن أبقى عاجزاً عن إدارة نفسى لو ضم أيضاً إلى ذلك المنصب بلاد الأماضول بأكلها . فلو لوحظت ملتزمات هذا الخالص الذى يتلقى أنها باردة ملاحظة تامة بالوجوه لحق أن يكون معلوماً لدولتكم بالتهرب أسها غير باردة إلى هذا الحد بل هى تنجر إلى الخدمة والصداقة باعتبار النتيجة . وحيث أن سفر مخلصكم بعد العيد إلى الحجاز التى لها المفترة طراز محقق ومصمم بمده تعالى لأداء فريضة الحج وتنظيم المساكين وتجهيزهم وتأليف المربان تحت ظلال المراسم الخمرية — سأرسل

عند وصولي إلى جدة بعون الله تعالى في الحال على طبق الإرادة السلطانية التي
نفيد الكرامة لاستقبال حضرة الوزير المكرم أحياناً صاحب السعادة سليمان
باشا خاصة من المدينة المنورة عدة مئات من الفرسان ومقدار ألف أو ألفين من
العربان وبعض الذخائر على أن يأتوا بمعية الباشا المشار إليه وفي خدمته .
في أي محل لا قوة مع التنبيه والتأكيد لهم أن يذهبوا إلى حد «مان» إذا أدركوا
من غير مكث عند ورودهم قرب المدينة المنورة ولا انتظار هناك مع الاهتمام
وصرف جل المسكن لذهاب حجاج الشام الشريف وإياهم سالمين غافلين .
ولا استجلاب الدعوات الخيرية من غير إهمال تعقب مصالحة الدرعية فأمر ف
غاية وسمى وإياقتي حتى أكون موقفاً لفتح الدرعية وتسخيرها أيضاً بعون
الله جل وعلا وعنايته وبإمداد روحانية سيدنا مفخر الموجودات (صلى الله
عليه وسلم) وببركات حسن توجه مولانا صاحب الشوكة والقدرة ولي نعم
العالم وسهرته والله سبحانه جعل ظلال مولانا صاحب الشوكة دائمة الإظلال
على عبيده عامة وعلى عبده هذا الذي لا تقبل عبوديته المتق خاصة مدى
الأزمان آمين .

في ٢١ شعبان سنة ١٢٢٨ هـ / ٩ أغسطس ١٨١٣

المرجم

نور زهدى الكوثرى

ملحق رقم (١١)

كتاب واعتذار مع إبراز أهمية الشام

لإفقاذ مصالحة الحجاز

وثيقة رقم ١٢٢ ص ٢٤١ دفتر ١ من دفاتر اللعبة

بتاريخ ٥ شوال ١٢٢٨ هـ - ٢٠ سبتمبر ١٨١٣ م

الجواب المحرر للقائمقام عن مكتوبه الوارد بشأن تأمين سلامة حصرة
والى الشام سليمان باشا - مع الحجاج ذهاباً وإياباً .

وقد صار معلوماً بالوجوه لهذا العاجز مضمون كتاب كرمكم الوارد بالبريد
للردوج في هذه المرة خاصة بيانياً عن أن حضرة والى الشام أمير الحاج الوزير
المكرم صاحب السعادة سليمان باشا يستوق من قبائل العربان الموجودين بطريق
الشام بتحايط سند يمينه وبينهم ثم يتحرك وهو تام القوة والمدة مستصحباً
الحجاج للسلمين في هذه السنة المباركة وأن من الضروري تأمين سلامة من
بعمية المشار إليه من حجاج السلمين ذهاباً وإياباً وأنه إذا حدث نوع من الضرر
نحو حضرة المشار إليه ولحقه ضرر وكدر - معاذ الله تعالى - سواء كان
ذلك بين الحرمين أو في أثناء الطريق من الشام إلى المدينة المنورة بالنظر إلى
ما بلفكم من تحشد الطائفة الوهابية بالدرعية بعد ذلك بتعريك العربان
وتسايطهم من طرفنا بسبب عدم إحالة الشام الشريف لطرف الخادم للطبع
فتذهب خدمتنا لحد الآن في مصالحة الحرمين المحترمين سدى وهباء مفثوراً
ويوجب ذلك نزل ما بذل في حق هذا العاجز من التوجهات التي لها من تأثير
الاكسير آيات لدى جناب صاحب المصالحات وتتميز هذه الكيفية إلى عبدكم بالمرّة .
فها عبدكم هذا وإن كان من الحرمين الذين جازت تقصيراتهم الحد . ولكن

حيث أنى است من أصحاب البغى والفساد الذين لا يعرفون الدين والدولة المليمة بل من عبيد السلطنة السنية المبتاعين بالدرهم الحائزين لرتبة الوزارة العليا من غير استحقاق مع كونى من أمة محمد أباً عن حد — والله الحمد والمنة — فإن كان مشكوكاً عند دولتكم أن الاجترار على مثل هذه الفضاحة التى لا يرتكبها سائر الملل من نوع الكفر عند هذا الماجز فهو معلوم لحضرة الله ذى الجلال العالم لاسر والخفايا وظاهر بالتواتر خروج أكثر قبائل العربان بطريق الحج مقذ عشرين سنة عن طريق أهل السنة المستقيم وتبعيتهم للسعود الردود وكونهم أشد كفراً من الكافر الخارجى الذهب . وديهي باهر أيضاً أنهم ليسوا تحت حكمى وأهم لا يحلون عن إيرات ضرر وخائر لحضرة الباشا المشار إليه ويطرف هذا الماجز لو اقتدروا على ذلك ومع كون العربان المذكورين قد نكل بعضهم بالسيف السلطانى الدافع للحيث واستأنف بعضهم بأنواع التكريم والمطايا الموكية منذ عدة سنين قد تحقق لدى هذا الماجز أن للطائفة الذين اجتلبناهم نحووا إمداداً وإطاة . لحد الآن لعربان الوهاية الذين يبتدرون كلما سدت لهم فرصة إلى حالات النهب والقتل إزاء العساكر السلطانية المنبئين فى مختلف أنحاء الحجاز حتى إنهم قبل مدة دهموا فى جهة الطائف ثلاثمائة عسكرى من فزاة المسلمين ومعهم قائدهم البكباشى الذى له منزلة واعتبار عندنا على حين غفلة فقتلوا هؤلاء العزة عن آحرم فراحوا شهداء من غير أن ينجو منهم أحد كما أن عبدكم مصطفى بك سر جشمة الدلاة حينما قام فى هذه المرة من الطائف مع عساكره الموجودين عميته واشتبك بالحرب بأعلى قلعة طرية (تربة) دهمهم على غرة ابن شسكيان وعبد الله الماعون ولد السعود ومعهما عربان كثيرة للغاية فنهبوا الجيش وأغاروا عليه وقتلوا عدة مئات من رجاله فما هو قد وقع التحرير والإنهاء من طرف حضرة والى جدة الحالى الوزير المكرم

صاحب السعادة طوسون أحمد باشا إلى طرف هذا العاجز أن للمربان الذين هم
في جهتنا مدخلا خفياً في هذه الإغارة وحيث قدمت التعهيرات المذكورة
بعينها إلى طرف دولتكم يكون تفصيل السكيفية معلوماً لدى دولتكم من
هذه التعهيرات والسمود المردود الذي يدعى الخلافة والسلطنة من غير
أكثرات بشيء من سنين وافرة لا يتأخر عن النخيانة بالوجوه لطرف هذا
العاجز وطرف المشار إليه . إذا قدر واستطاع لذلك ظاهر ظهور الشمس في
وسط السماء عند الجميع وليس بمعلوم ، ولا بمفهوم لدى هذا الخادم المطيع أنه
إذا لزم وقوع نوع من الضرر - معاذ الله تعالى - لحضرة والى الشام الباشا المشار إليه
بأى جهة يكون تجويز عزو ذلك إلى صوب عبدكم حتى انقلبت مسرة العيد الشريف
- والله يعلم - إلى أنواع من الحزن والألم لمصادفة ورود أمركم ليلة العيد الشريف
وأظن أنه لو كان السمود المردود منقاداً للدولة العلية الأبدية الدوام جاريًا أمره
ونهيته على أكثر طوائف العربان وهم تحت الطاعة ما كان يستحق لهذه القولة
وهذا النوع من التوبيخ والتعنيف بملاحظة ظهور فضيحة من عدة قبائل تخالفة
واحتمال وجود أمثال ذلك بين تلك الطوائف الكثيرة على أن عبدكم هذا عبد
صادق في العبودية لمولانا السلطان ملجأ الأنام والعدل في الأحكام ولى نعم
العالم باعث أمن الملال والأمن صاحب والشوكة والقدرة والعظمة بحيث تقبل
عبوديتى العتيق ، ويعلم الله العليم للغيوب والسرائر في الباطن والظاهر أنه ليس
لى بنية ولا أمنية في هذه الدنيا الفانية سوى أن يكتب اسم هذا العاجز ويسجل
في جريدة العبيد الصادقة المبودية للدولة العلية بتحصيل الرضا الخسروى الذى
من مقتضاه الميامن ولما فكرت أن تعينى بهذا الوجه مع ذلك كله فى مثل
هذه الأيام المباركة إنما يكون فى تقصير صادر منى هدأت نفسى بعض هدوء
وتلى قلبى الحزون بملاحظة أنه لا نهاية لمنو حضرة السلطان وعنايته ولعل
من جملة تقصيراتى طاب إحالة إيالة الشام إلى طرف هذا العاجز فى هذه السنة

نقط لكن الله يعلم أن هذا الطالب ما كان لجر منفعة ولا لتوسيع المنصب بل كان ذلك عبارة عن مجرد الخدمة والصدقة من هذا الوجه أيضاً وكنت اجترأت من غير تفكير بسوء الظن الجارى في حق هذا العاجز على تحرير مادة الشام الشريف بملاحظة أن بلاد العرب يسر فيها إنتاج مصلحة بمجرد النقود والساكر بل يلزم فيها رؤية المصلحة اللازمة والحل على رؤيتها مرة بالجير والإقدام وأخرى بالدارة والإكرام حسب ما يحتمه التعريب المكتسب من إضاء مدة كبيرة في درس طبائهم وكما يقتضيه الحال مع أن حضرة والى الشام المشار إليه وإن كان من أعقل الوزراء العظام وأرشد في حد ذاته وعن يفتخر بفداء المال والروح في سبيل مرضاة حضرة السلطان لكنه حيث لم يمض إلا مدة قليلة منذ شرف الشام الشريف برتبة الوزارة العليا ليس له اطلاع بعد على هذه الدقائق وقد لا ينتبه إلى دسائس طائفة المربان ومكرهم فربما تحدث في أثناء الطريق — معاذ الله — حالة توجب المذلة فتذهب الأتباب التي عوئيت في سبيل إخضاعهم أدراج الرياح فلو أخرج من الشام الشريف إلى طرف الحجاز وإلى جهة الدرعية جيوش كلية سلطانية وضيق الخناق على الطائفة الخائفة الوهابية من الطرفين لكان ذلك مداراً على تحصيل أمن الحجاج المسلمين وسهولة حصول فتح الدرعية وتسخيرها بعون الباري وعنايته وبيمين توجيه جناب مالك العالم لكن لم يسمح بإسفاف مسئولى هذا الواقع لمجرد عرض الخدمة والصدقة . بهذا النوع من التدبير وأبقى الباشا المشار إليه حتى تعلقت الإدارة الملوكية التي مفادها الكرامة ، بالإعانة له من طرفنا على مرتبة الإمكان ، ولما أصبح معلوماً عند هذا الغادم المطيع بورود عيكم نجيب أفندى كنفدانا بالباب العالي بأمورية مضمون المرسوم الجليل الشأن الصادر بالشرف لهذا الشأن والأوامر والتنبيهات الشفوية من جانب السلطان فاتح الأقاليم ، كنت بعد إفاة الراس والسمع والطاعة عرضت وأهيت لمقام دوائكم صادقاً كيفية صرف قد غيّرني

وجهدى للإعانة المستطاعة لحضرة الباشا المشار إليه . وحينما ورد عبدكم الأغا
سلحدار حضرة الباشا المشار إليه اطلب الإعانة من طرفنا قبل ورود الأندى
المومى إليه . كنت ذكرت أننا مع حضرة أخينا صاحب الدولة الباشا بناء
على أن مأموريتنا من مصالح الدولة العلية لا يقع بمجوز أدنى تقصير بوجه من
الوجوه فى المعاونة اللازم إجراؤها فيما بيننا وكررت تلك المرايا كلمة وقلت
أنه إذا رغب الباشا المشار إليه فى الإمداد بفرسان كثيرة كلية على أن يعطى
جميع المأكولات والمشروبات واللوازم من طرفنا دون أن يكون ذلك مثقلاً
لكواهل حضرة أخينا الباشا أصلاً أقوم بذلك ، وإن كان لا حاجة له إلى
المساكر أرسل إليه ما أمكن إرساله من النقود وأنعمد أن أعطى له ما يكفى من
الذخائر بين الحرمين وهكذا أعدت السلحدار المومى إليه موصياً له بتبليغ دعوائى
مع الإسراع فى إشعار ما يختارونه واحتاره ، وبينما أنا فى انتظار ورود الجواب
منه إذ ورد عبدكم نجيب أفندى وأفاد أنه يناسب استقباله بمقدار من الفرسان
من المدينة المنورة وأن ذلك هو المطلوب فحررت ترتيبات هذا الخادم المطيع
بشأن الاستقبال تفصيلاً إلى الباشا المشار إليه على الوجه الذى عرض سابقاً
لطرف دولتكم وبعث التحرير بساعينا الخاص ولما ورد سلحداره إليه قبل
وصول تحريرنا المذكورة وعلم الباشا المشار إليه كيفية إعانتنا أنى عبدكم كاتب
ديوانه الأفندى فى أواسط شهر رمضان الشريف ولما علم عبدكم من تحريره
وتقريره أنه يطلب أن يرسل إليه مقدار من النقود بالمدول وحرف النظر عن
إرسال المساكر قلت بمحضر دعائكم السادات قضاء مكة والمدينة ومصر
(مكة ومصر ملاطرى أفدير) وبحضور عبدكم نجيب أفندى : أنى كنت
نعمدت بآنى لا أقصر فى الإعانة لحضرة أخينا الباشا المشار إليه وبأنى أجرى
حالاً أى شق يختارونه من الشقين المذكورين لكن امتثالاً لما أصدرته الدولة
العلية من الأمر والإرادة العلية الآن أقوم باستقبال أخينا الباشا لحد «معان» من
المدينة المنورة بمقدار كل من الفرسان بعرف ما يتراوح بين خمسمائة وستمائة

كبسة نقدية من النقود لذلك وكتبت هذه الكيفية إلى الدولة العلية مع أن
حضرة الباشا الآن لا يطلب المساكر بل يطلب النقود ، فإذا وردت تحريراته
القطعية الإفادة في أنه لا حاجة إلى المساكر على هذه الصورة أرسل إليه
ما يصرف للمساكر من خمسمائة كبسة نقدية نقداً وبناء على المصروفات التي
لا تطاق لأجل المساكر المرتبة المهياة لمحافظة الحرمين وللزحف على الدرعية
لا يمكن لي أن أعين من الجهتين ، وإنما أقدر أن أعين من جهة واحدة وأما
ما سوى ذلك ففارج عن وسعي ، وحيث إن الوقت ما كان يساعد ويقع
لتحرير ذلك تفصيلاً إلى حضرة المشار إليه وورود جوابه تكرار استصديت
حوالة بمبلغ مائتين وخمسين كبسة نقدية إلى تجار معتبرين بالشام الشريف
وأرسلناها بساعيها الخاص مع التحرير والإنهاء تفصيلاً لطرف الباشا المشار
إليه أن يسلم مبلغ مائتين وخمسين كبسة نقدية من محلاتها عند حلول معياد
أحد عشر يوماً من تاريخ الحوالة ومبلغ مائتين وخمسين كبسة نقدية الباقى
سيُدفع إليه نقداً يوم دخوله المدينة المنورة إن شاء الله تعالى فيما إذا كان عساكر
الاستقبال غير لازمة والحال أن عبدكم على أمل إبراز الخدمة والصدقة وإظهار
السعى والفيرة لهذا الشأن حسبما تعين بالتجريب .

إن الحرمين الشريفين لا يبقيان مصونين من مكائد الوهابيين ما لم تنته
مصلحة الدرعية ، أقوم بالنفس من مصر بمساكر كلية بوسيلة الحج لغاية ستة
أيام من تاريخ عريضتي هذه ، وأذهب إلى المدينة المنورة وقد تركت النوم
والاستراحة لشئون الإقدام والاهتمام بأمن حجاج المسلمين ذهاباً وإياباً ولتحصيل
أسباب ضبط الدرعية وتسخيرها مع صرف الوسع والطاقة لاستجلاب الدعوات
الخيرية من حجاج المسلمين وسكان البلدان المباركتين لمولانا صاحب الشوكة
والقدرة . أقسم رب البيت : لقد انسلب شعوري من حيرتي حيث لم يدرك
عقلي القاصر ما هي الحكمة في تعنيق هذه الصورة مع ذلك كله وما هو السر

في تعنيف عبد لا تقبل عبوديته العتق ويتفانى في الخدمة إلى هذه الدرجة بمثل هذا التعنيف لمولاي ولي النعم إذا كان يلزم عروماً يقع من الخيانة لحضرة وإلى الشام المشار إليه إلى طرف عبدكم فإلى أى طرف يلزم أن تنسب الخيانات الواقعة مرتين في حق المساكر السلطانية المأمورة من طرف عبدكم كما بين آنفاً ، والمساكر السلطانية الموجودة بالحجاز منذ ثلاث سنين إن مات منهم من وخامة الماء والهواء مقدار ثلاثة آلاف أو أربعة آلاف عسكري فسبعة أو ثمانية آلاف نفر منهم استشهدوا في محاربة قبائل العربان وراحوا ضحايا لمولانا ظل الله صاحب الكرامة وولدى حضرة طوسون أحمد باشا قد جرح في الحرب مرتين فإلى من يلزم أن يعزى ذلك أيضاً والحاصل أن الذوات الكرام الذين يتولون إمارة الحاج أباً كانوا إذا لم تسكن حركاتهم بقوة وقدرة من جميع الجهات مادام هذا العدو القوي مثلاً في ميدان الكفاح لاشك أن العدو المترصد للفرصة من القديم يسعى في استهاز الفرصة وعدم إفاتها فإذا قام حضرة وإلى الشام المشار إليه خفيف القوة لاجرم تحصل وسوسة مهما أعين من طرف هذا العاجز كما هو بديهي معانين من لوائح الحال . والله ذو الجلال خالقنا جميعاً يعلم أنه لا يقع من طرف عبدكم غير الإعانة لحضرة المشار إليه فلنسع ولتقدم بالاتفاق جميعاً لاكتساب ذكر جميل بين الأقران بإبراز خدمة حسنة لمولانا ملجأ الخلافة وإلى نعم العالم الذي لا يمن بأنعامه من غير أن يرى لائقاً التزام أحد الجانبين وتحقير الجانب الآخر بدوسه تحت الأقدام وحيث أن عبدكم من العبيد الذين حرموا النوم على أعينهم والاستراحة في الليل إلى الصبح بالتفكير في طريق حصول الموفقية لافي هذه الخدمة للدولة العلية فقط بل في أمثالها الكثيرة للغاية من المصالح الجسيمة المشككة الصعبة . فكرت وصممت بوسيلة الحج الشريف في هذه السنة المباركة على أخذ الانتقام من أعداء الدين وتصفية الدرعية بصرف مبالغ طائلة جداً كما يعلم ذلك إذا نظر بنظر الإنصاف وقد علم الجميع إغارة العربان الذين هم تحت حكومة حضرة وإلى صيدا على جمالنا بصورة علنية ومع ذلك

ما كان عرى التقصير إليه في ذلك بل عومل بالتسامح والتفاضي عنه وعومل
عبدكم بالتكذيب فكيف يمكن أن يسند ويعزى إلى عبدكم ما إذا وقع إرث
ضرر وخسارة لحجاج الشام عياداً بالله من قبل أشقياء العربان الذين لا مناسبة
لي معهم ولا هم تحت حوزة حكومتى ولا سيما طائفة الوهابية الذين هم أعداء
أرواحنا جميعاً . والله سبحانه قهر باسمه القهار بحرمة الحرمين المحترمين واسمه
الأعظم من يستهدف ويقصد إرث ضرر خفية أو علناً ناظرراً بأذى نظر خيانة
للدين المبين المحمدى وللدولة العلية السرمدية وآثال من يبطوى على نية الخدمة
والصدقة لآماله في الدارين أمين بالنبي الأمين لحيننا أصل بمنه تعالى إلى مكة
والمدينة استفتح البيت الشريف والروضة المطهرة اللطيفة وأهل قاضى مسكة
وقامى المدينة على الهداء بهذه الصورة بأعلى صوت بسمه جميع الموجودين من
حجاج المسلمين من صغير وكبير وأطلب منهم التأمين على هذا الهداء وأحلمهم
عليه وإن كان ظاهراً سوء ظن حضرات أولياء الأمور في حق عبدكم لكن
عبدكم على مقتضى عبوديتى وصدقتى أقدم جهد طاقى بكل افتخار وأسى في
رؤية خدمة مولانا وولى نعمتنا الذى لا يمن بإنعامه وإن لم يعرف ذلك ولم
يعترف به أحد فله يعلم أولاً وحضرة مولانا روح العالم ثانياً وحيث إنى جازم
أنه لا يرضى بمراحه وشفقته الملوكية في حق هذا العاجز وقع إبراز إخلاص هذا
بوسيلة رجاء العفو عن إرث الصداق إلى هذا الحد .

في ٥ شوال سنة ١٢٢٨ هـ / ٢٠ سبتمبر ١٨١٤

الترجم

محمد زهير السكوتى

ملحق رقم (١٢)

الاستعلام عن كيفية إدارة الشام في حالة توجيهاها

إلى محمد علي

ترجمة مكاتبة واردة الدعية السانية بتاريخ ١٥ محفر ١٢٣٠ هـ - ٢٨ يناير ١٨١٥ م

من محفوظات المية السنية رقم ١٣٨ من محمد نجيب إلى محمد علي

حضرة سيدي وولي نعمتي صاحب الدولة والعناية والمطوفة والأبهة والرحمة : مع الدعاء لامتداد عمركم بالإقبال والإجلال والدولة والأبهة الدائمة وتلكن شمس منظار ذاتكم الولية النعم نائرة الشعاع الوفير . يمرض عبدكم أنه قد ازدانت يد التعظيم بأمر ولي النعم المرسل هذه المرة مع عبدكم سليم أغا الساعي ورفيقه والمحتوى على أنكم تفضلتم وأرسلتم مكاتبة إلى الباب العالي وأخرى إلى عبدكم وذكرتم بوجه التفصيل أنكم تفضلتم بهذا المقدرة والهمة للوفورة في إنتاج المسائل الخيرية والحجازية وتهينة الجبال واللوازم الأخرى التي هي من أقوى الأسباب وفي أمر قهر واضمحلال الخوارج العونة وبما أن حبال اليمن والحجاز مملوءة بالخوارج وهؤلاء قاموا سابقاً وبدون ريب بالمعونة الكثيرة لأن سعود للرود واستولوا على الحرمين الشريفين ، فليس من المأمول أن يستتب الأمن في الحرمين بدون إتمام وضع الخوارج المذكورة داخل النظام وإصلاحهم قبل القيام بالحروب وأنه تحصل السهولة في مسألة الدرعية أيضاً بعد هذا الانتظام بمعونة الرب المستعان وبناء على أنه يتم الحصول على إخضاع ما لا يحصى من القبائل الصالة الكائنة في الحدود والجبال المذكورة وعلى صرفهم على ما ألفوه من الاعتقادات الباطلة وإصلاحهم بالسيف وأنه جار إخراج المساكر الوفيرة والحرب قائم ، فنقرر أن ذات ولي النعم المنظوبة على الشجاعة ستحصل بإظهار السطوة والبسالة من جهة الصحراء كما أن عساكر البيادة والحواري التي ستزد بعد حلول وقت الحج ستخرج من فوق الجبال المذكورة

بالجمال المرتبة وستبذل المساعي والحيلة في قهرهم واستئصالهم عنه تعالى فقط بما
أن المسائل المذكورة هي من الأمور الجسيمة ، فعندما يتم الإصلاح في تلك
الجهات بعناية المولى فإن التوجه إلى الدرعية يحتاج على الأقل إلى عشرين ألف
جمل من غير كلام وقد أمكن هذه المرة استحصار ثلاثة آلاف جمل فقط من جهات
الشام بما بدل من كثرة المساعي والأموال ثم إنه بناء على لزوم مداركة الجمال
والمواشى الأخرى اللازمة بحسب هذا التقدير والمبادرة لتهيئة عساكر وإخراج
جيش من جهة الشام بالنظر إلى قربها لجهة الحجاز المشرفة فإن توجيه ولاية
الشام المذكورة إلى دولتكم من أهم الأمور ولقد اطلعت على مضامين أمركم
هذا وحالا عرضت ذلك على الباب العالي وعلى المحلات العالية الأخرى وقت
بالإفادة والتفصيل بوجه التفصيل عن أن الوقت هو وقت بذل الهمة في حصول
الملتزم وأيضاً الاوان هو أوان إعادة إنجاز الوعد بالنظر إلى أن حصول نتيجة
حسن الختام في المسائل الخيرية هو من لأمر العتق بها ، كما أني اهتمت في هذا
الشان وأفدت إلى حضرات أولى الأمر وإلى من يلزم من الأجلة السكبراء فرداً
فرداً بأن إيفاء شروط الممونة مترتب على عهدة الديانة كما أنه من لوازم السلطنة
لأنه يتوقف النظر في الأمور المذكورة وإدارتها وحسن ختام المصلحة على
إنجاز الملتزم ، كما أن ذلك يكون موجباً لسهولة المسألة من كل الوجوه ، ثم إنى
زدت من الحد وبذلت القدرة في قول الحق ، وحيث إن اتفاق الآراء في
الخصوص التي من هذا القبيل هو من القواعد المرعية فقد عقد مجلس الشورى
بضعة مرات ، وفي المشورة الأخيرة نقرر الاستسلام عن أنه في حالة توجيه ولاية
الشام إلى دولتكم كيف يكون النظر في أمورها وبأى وجه تحصل الممونة
وتكون المبادرة لإدارتها وعليه فعندما يكون تفصيل الأمر معلوماً لدولتكم
من مكانة حضرة الصدر الأعظم بازم التفصيل ببذل العناية في الإسراع بإعادة
المساعي المذكورة بالجواب اللازم وما أنى عبد مملوك لأحكام دولتكم . فإن

ما بذلته من المقدرة وكثرة الساعى فى الإفادة عن الرام ، واجتنابى ارتكاب
 القصير والفتور مع نسيان النوم والراحة وترك كل شىء من الأمور المعلومة
 لعالم الأسرار والخطايا والظاهرة أيضاً لقلب سيدى ولى النعم الملهم وقد وضعت
 على هريضتى صورة من الإفادات التى قدمت إلى الباب العالى بعد القيام بكتابة
 تقرير عبدكم سليم أغا المولى إليه لى تكون منظورة لعلكم . وحيث
 إنه وإن كان قد حصل الاهتمام بحصول المتتمس المذكور من كل الوجوه إلا
 أنه لم يحن وقته المرهون ولم يبرز الدليل فى هذا الأوان فقد أوجب ذلك انسلاب
 الراحة والاستقرار فى بحر التفكير ومن البديهي أن كيفية الموانع التى ظهرت
 ستكون بتقرير عبدكم المولى إليه لأنها معلومة له . هذا وأن الإفادة عن أبى
 والحالة هذه منتظر وصول جواب المـآلة التى حصل الاستعلام عنها فى أقرب
 آن وعن أبى قائم بالدعاء لدوال الدون والعناية الإلهية صارت وسيلة لمرض
 عبوديتى لدى التفصل بإحاطتها علماً إن شاء الله تعالى فإن الأمر لجناب سيدى
 ولى النعم .

١٥ صفر ١٢٣٠ هـ / ٢٨ يناير ١٨١٥

ترجمة
 يوسف فهمى

ختم
 محمد فريب

ماحق رقم (١٢)

فتح شقرا

ترجمة للكتاب الفرقي المؤرخ ١٧ ربيع الأول ١٢٣٣ هـ - ٢٥ يناير ١٨١٨ م
والمرسل من إبراهيم باشا إلى الجناب العالي مفصلاً لمركة

الشقرا ومبشراً بفتحها

وثيقة رقم ١٨٦ / محفظة / ٥ بحر بر ١/٧

صاحب الدولة والرحمة مولاي ولي نعمتي :

أدعو الله الذي لا يسأل عما يفعل أن يديم أمانكم ويبطل همكم وإقبالكم
وأن يحمل ظلكم السامي فينا دائماً - مؤيداً لفرق عبدكم المديم الرضاء موثقاً
إياه إلى ما فيه استندوار رضاكم المرتضى .

من موافق الأعمال ، آمين . وبعد - فيعرض عبدكم الدائم الولاء أنه
بتاريخ إحدى عشر ربيع الأول الجاري قد حوصرت « قلعة الشقراء » وشرع
في محاربة أشرار الوهايين الذين في الأسوار وفي نحو العشرين برجاً المبنية جميعها
حول الجوانب الأربعة للحدائق التي بخارج القلعة للمعسوسة . واستمر القتال
بالمدافع والبنادق يوماً وليلة فهدم محل في السور ولم ينفذ الصبح إلا وقد أمر
عبيدكم عساكر الموحدين فخرجوا من متاربسهم منقضون على من كان في
البروج وفي خلال الحدائق من طائفة الخوارج فزقوم وهزموهم بعناية الله تعالى
ونفحات ولي النعم الطاهرة واستولوا على أسوارهم وبروجهم قاتلين منهم عدداً
كبيراً . ثم هجم على المتحصنين من الخوارج في السور الآخر للنشأ مجاه نفس
القلعة الأصلية التي بالمدينة المذكورة وفي عدة الأبراج التي فيها قتم أيضاً
بإذن الله تعالى فتح هذا السور وتسخير أبراجه كما وضع سيف القتل والمقاب

في عدد من الرقاب وعلى الفور قربت المدافع من جدار القلعة « المنعوسة » بحيث صارت منه قيد ذراع واستمر القذف والرمي ثلاث أيام وثلاث ليال حتى تهدم شطر من السور وأسفر من البيوت نفسها ظاهرة متكشفة ، فلما تقوضت منازل الخوارج وخربت وانصرم حبل رجائهم في النجاة ضجوا بالموبل والاستغاثة أن « الأمان يا إبراهيم » أرحم عيالنا وأعف عما بدا من تقصيرنا ، هكذا التمسوا الأمان وجاء نفر من ذوى الكلمة المسموعة من شيوخهم إلى مكان عبدكم فآمقهم على شرط أن يقدموا مدافعهم الخشبية التي في القلعة وأن يسدوا كافة الأسلحة التي يحملها أربعائة مقاتل من أعوان عبدالله الذين جاءوا للإمدادهم ، وعلى أن يعاهدوا أن يبيعوا الجنود ما هو عندهم من ميرة على هذه الشروط منعوا الأمان فأخذ سلاحهم غنيمة امبيدكم المساكر وأطلق سبيل أولئك الأعوان المجهودين ، هذا وسيكون نهوضنا ومسيرنا على قلعة الدرعية بعد تاريخ عريضقى هذه بعشرة أيام . وأنى قد سطرت عريضقى الفائضة بمفروض تنائى مضمناً إياها البشارة بهذه الفتوح العظيمة وباعتنا بها مع عبدكم « حسين أغا » حاجى (ياورى - جوقدارى) إلى قدى ولى النعم ، حتى إذا ما حظت إن شاء الله تعالى بـبعد الوصول وتفضل ولى النعم الشامل العلم بالاطلاع عليها فإيما الأمر يرمثد أمره والإرادة إرادته .

سيدى وولى نعمقى صاحب الدولة :

إن على مسافة خمس عشرة ساعة من « الدرعية » إحدى عشرة قرية يطلق عليها اسم « وادى السدير » وإن جميع شيوخ هذه القرى قد أوفدوا رجالهم إلى عبدكم طالبين الأمان مبدئين استمدادهم للخضوع لخادمكم والدخول في حوزة حكمه ومن ثم لا يكون القتال منظوراً في غير الدرعية غير أن فتح الدرعية وإحلال النظام فيها منوطاً بثلاثة أمور أولها (النقود) وثانيها (مقذوفات المدافع قبوز بوارلى) وثالثها (الجنود المشاة) - فع أن لدى عبدكم مقذوفات كثيرة ومبالغ من النقود وافرة إلا أن استدامة ورودها وتواليه لمن مستحسن الأمور وأجلها

خطراً . لأن قاعدة الحرب معلومة حق العلم لدى مولاي صاحب الدولة .
فلقد سمع عبدكم أن من كان ظهره وخلفه متيناً كان ختام مصلحته أدنى إلى
السهولة واليسر . وكذلك أصبحت المقذوقات والنقود والجنود المشاة بمثابة
القلب والقوة من عبدكم إذ لولا التعويل على المدافع في معركة الشقرا المذكورة
أيضاً لما كان شك في هلاك الكثير من الجنود المشاة وللزم المشي لاقتحام القلعة
نفسها وهكذا اضطلعت المدافع بهذا العبء وحملته فكانت قتلتنا وجرحانا
في هجومنا الأول أربعين جندياً في حين قتل وأعدم من طائفة الوهابيين نحو
مائة وخمسين هذا ولم يأت إلى خادمكم لغاية تاريخ عريضته أى من عبدكم
« أحمد أغا أبوشنب » « وبهرام أغا » وهما رئيسا الجنود المشاة — اللذان
أمرا واحداً بعد الآخر بالسفر من مصر مع أن هذا هو أوان استخدام المشاة ،
فتى أحاط شامل علمكم بهذه الحال فعسى أن تفضلوا فتسجيروا لمستول
عبدكم العاجز بأن لا تنقطعوا عنه النقود والمقذوقات وبأن توصوا رئيسي
الشاة النذويين للسفر بالإسراع في قدومهما إلى . وعلى كل حال فالأمر أمركم
والشيئة مشيتكم .

في ١٧ ربيع الأول ١٢٣٣ هـ — ٢٥ يناير ١٨١٨ م

ختم

سليم على إبراهيم

ملحق رقم (١٤)

حرب الدرعية

ترجمة مكاتبة واردة بتاريخ ٢٠ جمادى الأولى ١٢٣٣ هـ - ٢ أبريل ١٨١٨ م

بمختم إبراهيم (محفظة / • بحبر رقم ١٨٧)

حضرة صاحب الدولة والرحمة والمروءة مولاي ولي نعمتي وسلطاني :

إن معروض عبدكم المستديم أنه قد تيسر لنا الوصول بمشيئة الله تعالى إلى الدرعية بتاريخ غرة شهر جمادى الأولى هذا ونصبنا الخيام في مسافة ساعة ونصف ساعة من الدرعية . ونحركنا من المحل المذكور أيضاً في اليوم الرابع من الشهر المذكور وفي أثناء وصولنا وحفر التاريس (الخنادق) في موضع مقابل لتاريس عبدالله بن سمود الواقعة بمسافة نصف ساعة من درعية إذا ابتدر الشقي القهور باطلاق مدافعه الثمانية أو العشرة بدون توقف واضطاع . ولكن مع دوام الحرب بالمدافع في اليوم المذكور أجرى اللازم أيضاً من جهة أخرى نحو إقامة التاريس وتقوية الجبال يميناً ويساراً وبما أن الدرعية كائنة بين جبلين فوزع وقسم المذكور الوهايين الذين يزيد عددهم على الثلاثة آلاف على الجبال وأطراف مضيق درعية وفي داخل الحدائق المختلفة وبقية أعوانه في داخل الأسوار والأبراج ، وقوى متاريسه تقوية جديدة على وجه لا ينفذ فيها القذائف (الرميات) فبعد إقامتنا خمسة أيام على هذه الحالة وإعطائنا المتانة اللازمة إلى متاربسنا وطوابي مدافعنا نحن أيضاً قد هجمنا على متاربس الوهايين الواقعة في جهة الشمال وأخذناها من يدم واضطرارهم إلى الفرار نحو متاربسهم الثانية ومع الاستمرار في القتال في المحل الذي أخذناه مقدار ساعتين قد حملنا متاربسنا وطوابي المدافع ومكثنا فيه بضع أيام وبعد تقوية المحل المذكور أيضاً قد هجم فرساننا من جهة وخدامكم هساكر المشاة من جهة أخرى على أنباعه الموجودين

في جهة الجبل اليمنى وأخرجوا من متاريسمهم وقتل وأعدم مقدار مائة وخمسين منهم وحرح ما فوق المائتين وحيث أن بقية السيوف النجأت إلى المتاريس التي في ورائها القريبة من القلعة الأصلية المهذومة فوضع خدامكم جنود للوحدين في الحبل المختل وجري أعمال الطوابي المتينة للدفاع أيضاً وأقمنا بضع أيام أعطينا في بحرهما المتانة إلى المحلات اللازمة ، وهدمنا أحد أبراج قلعتة وجزءاً من أسواره بالدفاع وقد نهت على عبدكم « بهرام » بالهجوم على الأبراج المهذومة ونحن على وشك الدخول في الأبراج المذكورة والاستيلاء عليها بمون الله وعنايته وبهمة مولاي ولي النعم السامية . إذ الوهابيين الموجودين في جهة شمالنا خرجوا من متاريسمهم وهجموا على متاريشنا ولكن انهزموا بنصرة الله الملك المستعان ، وعندما رأيت عبدكم تشنهم وانهزامهم قد أخرجت جميع خدامكم الفرسان والمشاة من متاريشنا الكائفة في اليمن والشمال وفي مضيق درعية وهجمنا على متاريسمهم وطايبية مدافعهم ودخلنا مع الأشقياء القهورين في داخل الأسوار والأبراج مدحجاً لبعض واستولينا على المحلات الواقعة في مسافة مرمى مدفع إلى بلادهم الأصلية وغنمنا أربعة أعداد من المدافع الصفر (النحاس الأصفر) التي كانوا أخذوها في السنوات السابقة ومحونا أربعمئة نفر من الوهابيين وقويت أيضاً المحلات التي استوليت عليها وأنه صمم إرسال أحد خدامكم إلى أعقاب ولي النعم بيشارة فتح وتسخير درعية هذه إلا أنه اكتفى الآن برجاء عدم انشغال أفكاركم في هذه المسألة حيث أنها ستنتهي بدون شك طبق رغباتكم وأن مدد الوهابيين الذين قتلوا وفروا في هذه الحروب يبلغ الألفين وحيث أن رجوع عبدكم إلى المدينة المنورة بعد ختام هذه المسألة أو إقامتي في هذه الجهات ليست معلومة عندي فأنسى التكرم بإشعار ذلك لاتباع إرادتكم السامية التي ستصدر بهذا الشأن ، وإني لا أحتاج الآن إلى الذخائر والمهمات من اللوازم الحربية ولا مضيق لدينا بخصوص النقود أيضاً . ولكن لا بد من إرسالها للزومها بعد الآن على كلتا حالتى الإقامة والمودة وقد توفى إلى رحمة الله تعالى عبدكم « أحمد أغا أبوشنب » من قواد ولي النعم في أثناء الحروب قبل اثني عشر يوماً

من تاريخ عريضة عبدكم هذه ليظيل المولى عز وجل عمر مولانا ولى النعم ...
 وأنه حضر أيضاً عبدكم الحاج على أغا الدرمللى (الدرمامه لى) قبل ثلاثة أيام من
 التاريخ المذكور إلى طرف عبدكم وقد أطلعت عبدكم على مآل ومفهوم
 مكاتبتكم الكريمة السامية التى صار التكرم بإرسالها ، وحيث أن سرورى
 وحبورى الذى تولد من حسن أنظار دولتكم ومحاسن آثار نفاذتكم بلغ درجة
 الكمال فكررت أدعية دوام أيام عمركم ودولتكم التى هى فريضة ذمة عبدكم وقد
 حررت عريضة عبدكم هذه ببيان أنه صار إرسال ثلاثون عدداً من أوراق
 المكاتبات البيض التى أمر بإيمانها فى مثل أوامركم العلية . وسياق الإفادات
 الأخرى وأرسلت وقدمت إلى أعتاب ولى النعم التى تقضى الحاجات بمعرفة
 عبدكم إبراهيم نجل شيخ الهلالية من قرى قصيم فإن شاء الله تعالى لدى شرف
 الحصول والتفضل باطلاع دولتكم على كيفية الأحوال والأخبار السارة ،
 فالأمر ، والفرمان بامولاي صاحب الدولة والرحمة وولى نعمتى .

٢٥ جماد الأول ١٢٣٣ هـ — ٢ أبريل ١٨١٨ م

ختم
 سلام على إبراهيم

ملحق (١٥)

محفظة ١٢٧/١٦ بحريرا

مكانية من محفوظات الملية السنية (بدون تاريخ) (*)

المريضة العربية المباركة المقدمة من طرف عبد الله بن سمود

إلى طرف الدولة الملية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل للداء المضال دواء وحسم وألقى نيات الأعداء السيئة
بالملاح والصلاح اللذين كانا أول مانع من الوقوع في المهالك المهلكة والصلاة
والسلام على أشرف خلقه وأصفياه محمد خاتم أنبيائه الذين بلغ أحسن أنبيائه
وعلى الله وأصحابه والتابعين وبعد :

فإن أطوف حول كعبة آمال المبيد التي هي أعتاب دولة مولانا قطب دائرة
الوجود وروح جسد العالم للوجود وملأ الحاضر والبادي وعط رحال آمال
الرائح والنادي علم الأعلام إنسان عين أعيان الأنام من نام في ظل عدله كل
خائف ولجأ إلى حماه كل عاقل عارف ذي الأخلاق هي أرق من نسيم الصبا مع
الهيئة التي تحمل من أجلها الحبا سلطان البرين وخاقان البحرين الذي برز بطلمته
طالع السمود السلطان بن السلطان سيدنا السلطان محمود الفازي وأقدم عريضتي
هذه المشتملة على الضراعة وهي أنه لما كان عبدكم هذا من اللطيفين الذين
لا ينفكون عن أداء شروط الإسلام التي هي إعلاء كلمة الشهادة
 وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصيام رمضان وحج بيت الله الحرام ومنع الظلمة
من الإضرار بالناس وكف أيديهم والحث والحض على تأدية الواجبات التي هي

حقوق الله تعالى ومفروضاته فوقاً للأوامر الشاهانية تمنع الظالم الخفيف وتضع
يد الإسعاف والمعاونة في يد المظلوم والضعيف وتزد النفوس الأمانة عن اتباع
أهوائها ونسوقها ونقتادها إلى المنهج الشرعي الشريف ولذلك فقد حمد حضرة
الشريف عبدكم هذا من عدوانه له ورماه بسهام الافتراء وجمع وحشد عساكره
بمظاهرة البدو والحضرين لقتالنا ولكن لما كان قتاله لنا ظلماً وافتراء وقاتلنا
دفعاً للشروع والبلوى عاد مخذولاً بصفة خاسرة ومع ذلك سرت أحج كل عام
كسائر المسلمين ومع كوني لم أحدث حدثاً في الحرمين المحترمين تشبث المشار
إليه بأذيال الخدعة والحيلة وادعى بأن الحجاج الواردين من قبل الدولة العلية لم
يكن لهم غرض إلا السعى في الفساد وقتل النفوس في الحرمين الشريفين
وخدع عبدكم والذي وأغراه بزخرف الأقوال لمنع الحجاج وإرجاعهم وحجز
عنده العرائض التي قدمها عبدكم والذي إلى الاعتبار العلية عن هذا الخصوص
بمحجة أنه سيرسلها بواسطته وكتب عرائض أخرى مزورة على لسان والذي
مخالفة للعرائض الأولى وقدمها إلى الباب العالي كما تحقق ذلك وتبين فيما بعد -
وأنه وإن كان رأى نمرة سوء أفعاله تصديقاً لقوله تعالى « لا يبحى المكر السيء
إلا بأهله » ، ولكننا لم نتدخل في شئون البنادر الموجودة تحت يده ولم نجز
الفساد الذي سعى فيه بين رعايا الدولة العلية وإنما وافقناه على إرجاعه حجاج
المسلمين برأيه الخاص بحجارة له ومن الواضح أننا لا نجرؤ على منع حجاج
المسلمين أصلاً لكونهم مستظلين بظل سطوة حمايتكم الشاهانية ، ولما كان
حجاج المسلمين رحمة عامة لكافة البلاد والعباد وروافض الأتباع طامة وأي
طامة فالشهور عنا أننا لا نتدخل ولا نتعرض بأي وجه كان لمرور حجاج
روافض الأتباع وعبورهم في كل عام . من حوالينا . وعلى العموم فإن كل
ما سب إلى عبدكم هذا من أمور الطغيان والخورج كلها ناشئة عن خدعة
الشريف المشار إليه ودسيسة وقد كنتم وأسكر ما بذلناه من الحسنات وحرص

الناس علينا ودعاهم إلى قتالنا بدون علمنا بذلك وفي النهاية جند الجند ووصل الأمر إلى مثابة إهلاك الحرث في أرض النور والتجد وقد شمر حضرة صاحب الدولة الوزير الحاج محمد علي باشا وإلى مصر الخالي الموصوف بالجلاد عن ساعد الاهتمام والإقدام وأحال سيف الحرب والانتقام على العربان المتعشدين بالحرمين الشريفين وفي سائر الأقطار الحجازية فأرسل نجله المحترم وإلى جدة الوزير المكرم صاحب الدولة طوسون أحمد باشا مع الجيش الخديوي المظفر الذي سقى الأعداء سم العدم إلى موضع يسمى التقصيم فلما وصل الوزير المشار إليه إلى اللوضع المذكور ونصب فيه الخيام وأخذ مقرراً للحرب والجدال وعدّ عبدكم هذا من ضمن الذين عصوا الدولة العلية وأوقد نار الحرب ضدنا أوضحنا لدولته كيفية أحوالنا وعرضنا اعتقادنا الصحيح إلى حضرة والده العالي المشار إليه والتمسنا الأمان من ذاته العلية صيانة لروح عبدكم هذا وأرواح قومنا وقبيلتنا وسائر من مجوارنا على أن نعلن الإطاعة للدولة العلية من الآن ونتبرأ من الذين اجتمعوا على تفريق الجماعة ورغبت في الصلح والمصالح وبادرت بها بحسب ما يجب على ذمة عبوديتي التي تقتضيه حقوق الرعية وقدمت عريضتي هذه التي هي أشهر من المثل الشائر مصداقاً لمصادقي على أن لا أنفك عن قيد الإطاعة وأن أعد من عبيدكم القائمين بجميع خدمات الدولة العلية فهي برهان قاطع يشهد بأني قائم بالدعوات في الأعياد والمخافل وعلى المغابر بدوام عمركم ودولتكم وحينما يحاط علم مراحمكم بما ذكر أن تفضلوا بالسماح والتجاوز عن جرائم عبدكم - هذا وذلاته السابقة واللاحقة ومحوها بالصفيح الجميل عملاً بقوله تعالى « والكاظمين الفیظ والمافین عن الناس » . وذلك بمقتضى حكمكم ومرحمتكم وشفقتكم اللتين هما ظل ظليل لأمن كل خائف وأمانه وم شوكتكم وصلابتكم الملوكتين القويتين اللتين هما قاحتان لجلالكم العم والأمر والإرادة الحضرة من له الأمر .

حتم دائري ، الواثق بالله المهور عهده الله بن سعود ، تحية عهده الله بن سعود

ملحق (١٦)

رسالة من عبد الله بن سعود إلى محمد علي

محفظة رقم / ٤ / ٣٣ بحر برأ صورة عربية أصيلة (بدون تاريخ) (٥)

بسم الله الرحمن الرحيم

محمد علي باشا :

نحمدك اللهم على ما منيت به من الإصلاح بالصلح الحاقن لدماء المسلمين
عن السفك بالسلاح وحيت به حي الدولة الإسلامية عن الوقوع في إشراك
البلية وكففت به أكف الأمة المحمدية عن بلوغ العدو فيها غاية الأمانة ونصلي
ونسلم على أشرف الرسل الهادي لأحسن السبل محمد أكرم أنبيائه وأفضل
أصفيائه وعلى آله الكرام وأصحابه هداة الأنعام ، ثم ينتهي لحضرة الجنتاب العالي
الدائم في طلب المعالي عزيز مصره وبدر دهره بلفه الله من المعالي ما شاء ذوالهمة
العلية والأخلاق المرضية حرسه من طوارق البلا وبلغه ما أراد من الرتب
العلا وبند : فغير خاف على جنابكم حقيقة ما نحن عليه وما ندعو الناس إليه
إننا جاهدنا الأعراب حتى أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وألزمناهم صيام رمضان
وحج بيت الله الحرام ومنعناهم عن ظلم العباد والسعي في الأرض بالفساد وعن
قطع سبل المسلمين والتعرض لحجاج بيت الله الحرام من الوافدين فعند ذلك
شكوا إلى وإلى مكة غالب ورمونا بالكذب والبهتان وخرجونا وبدعونا
وقالوا فبنا ما نحن منه براء فببر علينا بأجناد وعدد وعدة فأعجزه الله وله الحمد
والمنة . فقاتلناهم دفعا أشده ومقابلة لفعله القبيح ومكره فردده الله بفيضه لم يفل
خيرا واستولينا على الحرمين الشريفين وحدة وبنع فلما تمسكنا من أوطاه فعلنا
معه كل جميل وأقربناه على ما كان تحت يده من البلدان وروحها مدخول

(٥) ترجع أن تاريخ هذه الرسالة عام ١٢٢١ ١٨١٥ م اطر الرسالة الفصل

الحادي عشر ص ٣١٢ (المؤلف) .

البنادر إليه وأكرمناه غابة الإكرام توقيراً للنسب الشريف وتنظيماً للبلد
الحرام ثم بعد ذلك قام وقعد وأكثرت القلب واجتهد وبالحق عند أبي رحمه الله
في رد الحجاج القادمين من جهنكم وزعم أنهم إن قدموا مكة شرفها الله
سفكوا فيها الدماء واستحلوا حرمتها وأكثرت القول فيهم حتى قال لهم أهل
غلب وخيانة فظن أني ذلك نصيحة منه فتم الحجاج خوف الفساد والفتن وكثب
للدولة إذ ذاك كتباً مضمونها إننا لم نمنع الحجاج القادمين من تلك الجهات
إلا لأجل ذلك فإن جانا من الدولة خبر تمتدده أن الحجاج القادمين يحجون
البيات الحرام ويوزرون المسجد النبوي على صاحبه أفضل الصلاة والسلام من
غير أن يحدثوا حدثاً تسبّح به حرمة الحرمين الشريفين فنحن نحميهم عن
جميع من تحت يدينا من جميع حاضر وباد حتى يحجوا ويرجعوا إلى أوطانهم
ثم إن الشريف طلب من أبي رحمه الله أن يتولى إرسال تلك الكتب التي هذا
مضمونها إلى الدولة فأجابته أكرامه أعرف منا بذلك الجهة ثم إننا نحققنا أن
ذلك مكر منه بنا لأنه أظهر للدولة عنا غير ذلك وصار يكتب لهم على لسان أبي
ما يورث المداوة والإحسان بيننا وبين الدولة من الكذب والبهتان ومهر تلك
الكتب التي زورها بمهر قد نقشه باسم سعود وبمجلس ما كتبه أبي عنده
وقصده بذلك إثارة الفتن واضطراب نار الحرب ونحن لا نشعر بشيء من مكروه
حتى تثار الحرب بيننا وبينكم وأحاط به سوء فله ولا يحقيق المكر السيء إلا
بأهله - فلما أن مطلوب الدولة العلية صيانة الممالك الإسلامية لاسيما الأقطار
الحجازية ومن أعظمها صيانة الحرمين الشريفين والذب عن حماها الأحق بلا
رب ولا مدين والقيام للدولة على قدم السمع والطاعة والإقدام على إظهار الشعر
بما حسب الاستطاعة ومنها ادعاء محضرة سلطان السلاطين نصره الله تعالى
على المنابر وكف يد الأذى عن الوارد إلى الممالك المحروسة والصادر فأطمانا
من الشد حريقاً وفحصنا إلى الصالح طريقتاً ولم نزل نجتهد في إبرامه حتى انقضى بين

الفريقين وبذلنا الوسم في حقن السماء من الجانبين وصورة ما وقع عليه انعقاد
الصالح من الشروط محرر في الوثيقة مضبوط فبوصلها إليكم تشرفون على
إجمالها وتفصيلها ونرجو أنكم تستحسنون مواقع تأسيسها وتأصيلها وتشرفون
على كتابنا المعروض على حضرة السلطان ولكم الأمر بعد الله في جميع هذا
الشان وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

عبد الله بن سعود

ختم دائري

الواثق بالله المعبود عبد الله بن سعود

ملحق رقم (١٧)

رسالة من عبدالله بن سعود إلى محمد علي

محفظة رقم ٩/٤ بحربر تاريخها ٢٩ صفر دون ذكر سنة

بسم الله الرحمن الرحيم

محمد علي باشا :

حمداً لمن أحى فراس الواصلة بوابل هذيان المكاتب والمراسلة وأماط به
مادة المقاطعة والمفاضلة والصلاة والسلام على سيدنا محمد أشرف من أرسله وعلى
آله وصحبه الذين بلغوا من محبته ومحبة غاية المنزلة إلى من شرفت به الدولة
المرعية والرتب العلية حتى صار ملهج لسانها فخل من عينها مكان إنسانها فريد
مصره ووحيد قطره بعد التسليمات الواقعة والتحيات المتكاثرة نهي إليكم
أدام الله سبحانه سوابغ نعمه عليكم أنه قد وصل إلينا كتابكم وفهمنا ما تضمنه
خطابكم فوقفنا على معانيه وعرفنا المصريح به والمشار إليه فيه وما ذكرتم من
القبول لما أنبرم من أمر الصلح أن كان ما قلنا حقاً وما حررناه محكاً وصدقاً
فنحن بحمد الله للسكر والخديمة مجانبون وللصدق والوفاء بالعهد معاملون وليست
الخديمة والسكر من شيم الكريم الحر والصدق قد تقرر من سيرتنا عند البعد
والفضل ما شهدت به الأعداء وليس عندنا لكم إلا الصدق والوفاء . فيما ظهر
وحنى فلككم منا العهد والميثاق أننا لما جرى بيننا وبينكم ملتزمون ولأمر
المقايدة محققون فالواجب منكم مراعاة العهد بالتزام أحكام الحق وإبشار أسباب
الرفق لما في ذلك من الصلاح الشامل ، والتخير العاجل والآجل ومثلك وفلك
الله عن يستغنى بإشارة التذكيرة ويكتفى بلمحة التبصيرة لما تأوى إليه من

السياسة والتجربة وما أشرتم إليه من حروبنا السابقة مع أهل الحجاز وغيرهم فلم نقاتل أحداً منهم ابتداء بل هم بدءوا بالقتال بغيرنا وعدواناً فقاتلناهم دفعاً لشرهم فجعل الله لنا عليهم سلطاناً ولم نقابلهم بما جرى منهم إلا إحساناً فلما كانت لنا القدرة عليهم أمرناهم بإقامة شرائع الإسلام والتزام سائر الأحكام من عبادة الله وحده لا شريك له وإقامة الصلوات الخمس وصوم شهر رمضان وحج بيت الله الحرام فانعسم بذلك مواد شرهم وفسادهم لأن أكثرهم مفسدون في الأرض مضيعون لما أمر به الله من الواجب والفرض بل أكثرهم للطرق قاطمون وجملتهم للبعث منكرون يقولون ما قاله سلفهم الأولون ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون ، فلما كانت لنا القدرة عليهم وجب علينا أن نعلمهم على الشرع الشريف عملاً بقوله سبحانه : «الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر والله عاقبة الأمور» وبقوله صلى الله عليه وسلم فيما صح عنه وثبت « من رأى منكراً فليغيره بيده فمن لم يستطع فبلسانه فمن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان » ، ولأننا نعلم علماً قطعيّاً أن السلطان لا يرضى منهم بذلك ولا يأمر بدخولهم تلك المسالك ، وأما ما أشرتم إليه من اهتمامكم بالحرمة من الشريفين وسعيكم في مصالحها فهذا أمر قد تحققناه من سيرتكم وعرفناه ومن طريقكم ونحن إن شاء الله فلتزم لكم بذلك فتكف عنهم الأذى ما استطعنا ونوصل من الأقوات إليهم ما قدرنا ونمنع حجاجكم من أرادهم بسوء ومكروه أو حام حامهم بأمر لا يرضوه ولو كانت الحرمان الشريفان من أعوانكم خالية ومن عسكركم صافية لم يأتهم منا ما تكرهون ولم يقع منا ما تحذرون فمن من طرفنا قرير العين والقلب طيب الخاطر واللب فتعني إن شاء الله في طاعة الله ورسوله يد واحدة على من سوانا متصمون بحبل الله على من عادانا وفي الحقيقة ماتحت يدينا من الجيوش والأعوان عسكر لكم وفي خدمتكم بلا ديوان فسأل الله العظيم أن يجمعنا وإياكم على طاعته ويدخلنا دار كرامته ويعمر بالسودد

ربك ويوسع لجل أئقال المالى ذرعك وصلى الله وملائكته وأنبيائه ورسله
على أشرف خلقه وحيدته من بريقه محمد وعلى آله وصحبه نسلها كثيراً .

حرر فى اليوم التاسع والعشرين من شهر صفر بدون ذكر سنة

ختم دائرى

الوائق بالله المعبود عبد الله بن سعود — تحية عبد الله بن سعود

ملحق رقم (١٨)

دفتر / ٤ معية تركي ص ١٤

مكاتبة عربية واردة من شاه المعجم (عباس مرزا)

إلى والى مصر محمد علي باشا بواسطة سفير المعجم السيد علي خان *

خطاب يفرح الدهر بذكره ويمبق الخلد بنشده ويكشف أسرار الجنان
ويجمل روضات الجنان إلى الأمير الكبير ذي المجد الأثيل والجاه الخطير شمس
المجد والنجد بدر الجاه ظهر الفزاة وقهر العداة الغازي في سبيل الدين والقائم
لحصون المفسدين محمد علي باشا أيد الله لذيق عيشه وأيده بعزير جيشه أنه قد بلغ
إلينا بحارى أمرك ومعالي قدرك وأنباء ظفرك ونصرك ما يأنشد أبهج عنه ويشتر
البهج به وتحار العقول لديه ونظير القلوب إليه فاطلعنا على ما صنعت في قتال
العرب وصبرت في احتمال التعب واجتهدت في تجهيز الكتائب وتشميد
الفواضب حتى وطيت أرجاء الشهامة بأقدام الشهامة وخلعت أرض النجد
بالمز والمجد وفتحت باب الأمانة بفتح المدرعية وبالفق في دفع البدع ونفى
الدين المخترع وقطع دابر المفسدين ونصر إسلام المسلمين حتى شرحت صدرهم
بعد حرجه واستقام الأمر بعد عوجه وبدأ علو الدين وباد عدو المؤمنين وبشر
خيل البلا بالجلال وسوق الفساد بالكساد وراء اللجاج بالملاج ودين الإله
بالرواج وصفت موارد اللجاج بأمر المسالك ورفع المهالك وخفضت لهم
جناحك وأنست بهم جانبك ولا قيمهم بطيب المعاشرة ورفق المجاورة وسعيت
في الحجج أو بهم وحل عقدهم واستقامة أودم حتى ملأ الأرض ذكرك وبلغ
السماء قدرك وأطربنا صيت محامدك وأعجبنا حسن مجاهدك فلزم على همتنا العالبة

(*) ترجع أن تاريخ هذه الرسالة هو إما نهاية عام ١٢٣٣ هـ - ١٨١٨ م أى عقب سقوط الدولة السعودية الأولى . أو بداية عام ١٢٣٤ هـ - ١٨١٩ م . لأنها صدر من فرحة شاه إيران بطوط دولة آل سعود على يد قوات محمد علي ، (المؤلف) أطراف الفصل العاشر ، ص ١٧٨ - ١٧٩ .

أداء رسوم التهنئة لما خصك الله بتقديم الجهاد وأظفرك على أهل العناد فبعثنا
إليك العالي بالجاء نقر الأنداد السيد الجليل الطيب النبيل السيد على خان
وأظهرنا بهذا من سرور القاب ونشاط البذل في استماع تلك الأخبار والأحوال
وحولنا شرح سائر الحالات وكشف الأرواح ولا مكتوف البراع عن مكنون
الأضلاع بل نجل الدفاعة الروحانية عن بداهع البيانية ولا ندرك إلا ببصار القلوب
الصفائية وسراير الصدور الخالصة فأرجع البصر نحو قلبك وانظر إلى باطن
صدرك وموطن سرك كي ترى مكنون فؤادنا وتعلم حجتنا واعتقادنا عربياً عن كسوة
الوسائل بنجياً عن الرسل والرسائل ولا غرو وأنتا واهتنا معك في العالم الآزل
بعثنا نزل فوقنا الله وإياكم بدين الإسلام وطاعة سيد الأنام والتزام جهاد البايعين
وانتظام نفوذ السلاطين ثم اتخذنا رأيتنا العلية وأهدابك الصفية في أغلب الآفاق
وأكثر الأعراق منها اجتناء أعمار المآثر وقلة الاعتناء بالخبايا - إن خير
الدهر صيت ينبغى به الفخر أو مال يصرف بحسن المآل فأسأل الله تعالى أن
يحتم مآلنا ومآلك بالخير والمقامة بالمافية والنعمة بالسعادة والسلام .

حاشية :

إن خير التحف وأشرف ما يهدى ويتحف سرف واداد يبعث من صفد
الفؤاد لكنه جرت عادة الأسلاف من الملوك والأشراف بإبلاغه التحية مصحوباً
بالهدية وقد كان عندنا سيف حديد بقي من سالف المهود وتركه الملوك إلى الملوك
فكانوا ينقلدون به وينقلون يمينه حتى انتقل إلى الدولة البهية الخاقانية وأعطيناه
من المحصرة العلية السلطانية فخصناه بك لما يناسب عزملك في الحد والمضاء
وحدك في اليمن والبهاء وأصحبناه خاتماً فيروزحاً وأظهرنا من حب الفؤاد
أعمودجاً ...

حتم

شاه العجم عباس مرزا

المصادر

المصادر العربية

أولاً - الوثائق

(١) وثائق غير منشورة :

وهي الوثائق المحفوظة بدار الوثائق القومية التاريخية بمبدين ، (وكانت هذه الوثائق أصلاً مكتوبة باللغة التركية . ترجمت عام ١٩٣٢ م تحت إشراف الحكومة المصرية . وقام بترجمة معظمها الأستاذ محمد زهدى الكوثرى الذى كان آنذاك يعمل مترجماً بالدار التى كانت تعرف فى ذلك الوقت باسم دار المحفوظات التاريخية . وقد اعتمدت على أنواع من هذه الوثائق :

١ - دفتار معية تركي : الدفتار رقم ١ ، ٣ ، ٤ . وهي الدفاتر التى تغطى فترة البحث منذ أن بدأت الدولة العثمانية تكلف محمد على بحرب آل سعود ، وتحوى هذه الدفاتر للرسائل المتبادلة بين محمد على والباب العالي ، ومما يؤسف له أن الدفتر الثانى منها مفقود . وحاولنا أن نقر له على أثر بالدار ولكن دون جدوى ، رغم أن أحد قدامى موظفى الدار أكد لى أنه كان موجوداً بالدار عند ما كانت فى مقرها القديم ولعل يد امتدت إليه لهدف ما أثناء نقل الوثائق إلى مقرها الحالى .

٢ - محافظ بھربرا : وهي تحوى الرسائل المتبادلة بين محمد على وولديه طوسون باشا وإبراهيم باشا وبعض رؤساء الجند وبعض الأشراف بالإضافة إلى بعض الرسائل التى كان محمد على يرسلها إلى الباب العالي يخبره فيها بأبناء إنتصارات قواته على آل سعود والمحافظات التى أمادت فى بحثى هي ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ١٦ .

٣ - محافظ تحت بند منقرقات : وهي محافظ تحوى الوثائق التى بدون تاريخ وقد عثرت فى إحدى هذه المحافظ (محفظة رقم ٩٦) على الرسائل العربية الأصل التى أرسلها عبد الله بن سعود آخر حكام الدولة

السعودية الأولى إلى كل من السلطان محمود الثاني ومحمد علي باشا وإلى مصر . وقد عثرت في هذه المحفوظة أيضاً على رسالة عربية الأصل مرسلة من شاه إيران عباس مرزا إلى محمد علي باشا يهنئه فيها على نجاحه في القضاء على دولة آل سعود . وقد نشرت هذه الرسائل ضمن ملاحق البحث .

٤ — محافظ الحجاز : وهي تحوي جميع الوثائق المتعلقة بالحملات المصرية ضد آل سعود .

٥ — محافظ ذوات : وأُعتمدت على المحفوظة رقم (١) حيث وجدت بها بعض الوثائق المتعلقة ببعض .

وقد استغرقت في دراسة هذه الوثائق ما ينوف على عامين . حيث قمت ببيع كل ما يخدم بحثي منها .

(ب) وثائق منشورة :

١ — وثائق حكومة المملكة العربية السعودية الخاصة بقضية التحكيم لتسوية النزاع الإقليمي بين مسقط وأبو ظبي وبين المملكة العربية السعودية «وهي المعروفة باسم» عرض حكومة المملكة العربية السعودية وهذه الوثائق تقع في ثلاث مجلدات وملحق به جداول الزكاة التي كانت الحكومة السعودية تقوم بجمعها من القبائل العمانية . ولهذه الوثائق أهمية كبيرة حيث توجد بها معلومات قيمة عن تاريخ العلاقات العمانية السعودية والتدخل الإنجليزي في شئون إمارات الخليج . وهي تمثل وجهة النظر السعودية إزاء هذا النزاع مدعومة بأدلة وبراهين مستمدة من الوثائق العربية والأجنبية والسجلات المعاصرة ومن هنا جاءت أهميتها . وقد نشرت هذه الوثائق في ١٣٧٤ هـ — ١٩٥٥ م .

٢ — محاضر الجلسات الخاصة بقضية عمان بهيئة الأمم المتحدة وتوجد لها ترجمة عربية دقيقة بمكتبة أمانة جامعة الدول العربية .

ثانياً - الكتب العربية :

١ - إبراهيم نصيح بن السيد صبغة الله الحيدري :

عنوان المجد في بيان أحوال بغداد وبصرة ونجد . وقد كتب المؤلف كتابه على طريقة للوضوحات أى قسمه إلى ثلاث موضوعات كل موضوع منها يختص بدراسة جزء من العنوان وتعود أهمية هذا المصدر إلى أن المؤلف زار كثيراً من البلاد التى ذكرها فى كتابه بالإضافة إلى أنه كان موظفاً بالبصرة عند تدوينه لكتابه ١٢٨٩ هـ - ١٨٦٩ م وقد ذكر فى الجزء الخاص بنجد الرسائل المتبادلة بين بعض أئمة آل سعود وأبائهم وبعض عمالهم .

والنسخة التى اعتمدت عليها هى النسخة المطبوعة حديثاً ببغداد .
طبع دار البصرى بدون تاريخ . جد أن تمكنت من الحصول عليها .
٢ - أبو الطيب صديق بن حسن بن على بن لطف الله الحسينى البغارى
القنوجى ١٢٤٨ - ١٣٠٧ هـ - ١٨٣٢ - ١٨٩٠ م .
التاج السكال من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول
تصحیح وتعليق الدكتور عبد الحكيم شرف الدين . طبع المطبعة
الهندية العربية بمباى سنة ١٢٨٢ هـ - ١٩٦٣ م .

٣ - أحمد السباعى

تاريخ مكة ، دراسات فى السياحة والعلم والاجتماع ، دار الكتاب
القاهرة ١٣٧٢ هـ - ١٩٥٢ م .

٤ - أحمد أمين

زعماء الإصلاح فى العصر الحديث . طبعة لجنة التأليف والنشر
القاهرة ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٨ م .

٥ - أحمد بن زبى دحلان

خلاصة الكلام فى بيان أمراء البلد الحرام . تأليف أحمد بن زبى دحلان
المبكي المتوفى سنة ١٣٠٤ هـ - ١٨٨٧ م . والمؤلف يسرد تاريخ

مكة المكرمة ومن تولى إدارتها من الأشراف وما وقع في أيامهم من
الفن والحوادث وهو يعبر عن وجهة النظر الحجازية المعادية للدعوة
السلفية وآل سعود ولما أخذنا عنه بحذر والحق أنى تمكنت من
استخلاص كثير من الحقائق عن طريق مقارنة المصادر المعادية للدعوة
وآل سعود وللولاية لهما .

وقد اعتمدت على النسخة للطبعة لهذا المصدر بالقاهرة سنة
١٣٠٥ هـ - ١٨٨٨ م والى بهامتها كتاب الإعلام بأعلام بيت الله
الحرام للعلامة قطب الدين الزهروانى والمحفظة بدار الكتب المصرية
تحت رقم ١٠٨٢ تاريخ .

٦ - أحمد عبد الغفور عطار

مصر الجزيرة ، ثلاثة أجزاء ، طبعة جدة ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م .

٧ - أحمد عزت عبد الكريم (دكتور)

- دراسات فى النهضة العربية الحديثة طبع القاهرة بدون تاريخ .
- تاريخ العالم العربى (مع آخرين) طبع القاهرة ١٢٨٣ - ١٩٦٣ .
- مقدرة الاستعمار فى الخليج الفارسى طبع القاهرة ١٩٥٦ .
- مقدمة حوادث دمشق اليومية . طبع القاهرة ١٩٥٩ م .

٨ - أحمد عس

معبرة فوق الرمال . الطبعة الثانية . بيروت ١٩٦٦ م .

٩ - أحمد على الصوفى

الماليك فى العراق . طبع القاهرة سنة ١٩٥٢ م .

١٠ - أحمد فخرى (دكتور)

اليمن . احبها واحصرها . طبع . معهد الدراسات العربية . القاهرة
سنة ١٩٥٧ .

١١ - أحمد قاسم البوريني

الإمارات السبع على الساحل الأخضر . بيروت ١٩٥٧ م .

١٢ - أحمد محمود صبحي

البحرين ودعوى إيران . طبع اسكندرية ١٩٦٢ م

١٣ - أحمد مصطفى أبو حاكمة (دكتور)

* تاريخ الكويت . الجزء الأول . طبع الكويت ١٩٦٧ م .

* معاضرات في تاريخ شرق الجزيرة العربية في الصور الحديثة طبع

معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٦٨ .

١٤ - إدوار جوان

مصر في القرن التاسع عشر ، ترجمة محمد مسعود . طبع القاهرة سنة

١٣٤٠ هـ - ١٩٢١ م .

١٥ - السيد جمال مصطفى سالم (دكتور)

تكوين اليمن الحديث ، طبع معهد الدراسات العربية سنة ١٩٦٣ م

١٦ - أمين الريحاني

* تاريخ نجد الحديث وملحقاته (الطبعة الثانية) طبع بيروت سنة

١٩٥٤ م .

* ملوك العرب أو رحلة في البلاد العربية ، جزآن ، طبع بيروت

سنة ١٢٩٤ م .

١٧ - أميل سعيد

* الخليج العربي في تاريخه السياسي ونهضته المعاصرة طبع بيروت

سنة ١٩٦٥ .

• تاريخ المملكة العربية السعودية ، ثلاثة أجزاء ، طبع بيروت
سنة ١٩٦٤ .

١٨ — أنور الرفاعي

جزيرة العرب جغرافيا . طبع بيروت

١٩ — بيار كريستس

ابراهيم باخا ، ترجمة محمد بدران ، طبع القاهرة ١٩٣٧ .

٢٠ — جمال الدين الشيال (دكتور)

الحركات الإصلاحية ومراكز الثقافة في الشرق الإسلامي جزآن
طبع معهد الدراسات العربية . القاهرة ، ج ١ ١٩٥٧ ، ج ٢
١٩٥٨ .

٢١ — جمال زكريا قاسم (دكتور)

• إمارات الخليج العربي . طبع جامعة عين شمس ١٩٦٦ .

• دولة البوسعيد ، طبع القاهرة ١٩٦٨ .

• رحمة بن جابر الجلامية . بحث ، منشور في حولة كلية آداب

جامعة عين شمس ١٩٦٤ .

• الأصول التاريخية لقضية عمان . بحث منشور بالمجلة التاريخية
للمصرية ، المجلد الثاني عشر ، ١٩٦٤ .

٢٢ — جلال يحيى (دكتور)

للدخل إلى تاريخ العالم العربي الحديث ، طبع دار المعارف ١٩٦٧

٢٣ — حافظ وهبة

جزيرة العرب في القرن العشرين . طبع القاهرة ١٩٤٦ .

٢٤ -- حسن سليمان محمود (دكتور) وآخرون

تاريخ المملكة العربية السعودية ، طبع القاهرة ١٩٦٠ .

٢٥ - حسين بن أحمد

بلوغ اللرام في شرح مسك الحتام ، طبع القاهرة ١٩٠٠ م -

١٣١٨ هـ .

٢٦ - حسين بن غنام

روضة الأمصار والإفهام لمرئاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوى

الإسلام ، المسمى تاريخ نجد ، تحقيق الدكتور ناصر الدين

الأسد ، طبع القاهرة ١٩٦١ - ١٣٨١ هـ .

وهو من كبار تلاميذ الشيخ محمد بن عبد الوهاب -

وقد قسم كتابه إلى جزأين : الأول خاص بتاريخ

آل سعود وبيان أصول الدعوة السلفية والأحوال الدينية

التي كانت سائدة في العالم الإسلامى آنذاك . والجزء الثانى

أطلق عليه اسم « الغزوات والتوحيات الإسلامية » . أى ذكر

غزوات آل سعود لمناطق نجد والمناطق المجاورة من جزيرة العرب

وأطراف العراق . وتوجد من هذا المؤلف ثلاث نسخ مخطوطة يدار

الكتب المصرية تحت أرقام ٧١٠١ ح ، ١١٠٣٣ ح ، ٩٧٣٧ ح .

كما توجد منه نسختان خطيتان بالمتحف البريطانى بلندن تحت رقمى

Add 19800 ، Add 19799 (١) .

وقد اعتمدت على النسخة للطبعة في القاهرة سنة ١٩٤٩ التى قام

أخيراً الدكتور ناصر الدين الأسد بتعقيها ونهذيبها ونشرها تحت اسم

تاريخ نجد وطبعت بالقاهرة في ١٩٦١ م - ١٣٨١ هـ .

(١) أحمد أبو حاكم ، تاريخ الكويت ، ج ١ ، ص ٢٢ .

وحسين بن غنام بدون أحداثه بطريقة حولية أى يذكر أحداث كل عام مستقلة مرتبة حسب شهور السنة الهجرية . ومن الغريب أن ابن غنام ينهى تاريخه بأحداث ١٧٩٧ م - ١٢١٢ هـ . رغم أنه عاش بعد ذلك فترة ثلاثة عشر عاماً . فقد دون ابن بشر تاريخ وفاته ضمن أحداث عام ١٨١٠ م - ١٢٢٥ هـ (١) . ولا نعرف السبب الذى دفعه إلى التوقف عن الكتابة .

٢٧ - حسين بن محمد بن نصيف

ماضى المجاز وحاضره . طبع القاهرة ١٣٤٩ هـ .

٢٨ - حسين خلف خزعل

تاريخ الكويت ، طبع بيروت ١٩٦٢ .

٢٩ - حسين مؤنس (دكتور)

الشرق الإسلامى فى العصر الحديث ، طبع القاهرة ١٩٣٨ .

٣٠ - خير الدين الزركلى

قاموس الأعلام ، سبعة أجزاء ، طبع القاهرة ١٩٥٦ .

٣١ - دولة الكويت

الكتاب السنوى ١٩٦٦ ، طبع الكويت ١٩٦٦ .

٣٢ - راشد عبد الله الفرحان

مختصر تاريخ الكويت ، طبع القاهرة ١٩٦٠ م - ١٣٨٠ هـ .

٣٣ - رسول الكركوكلى

دوحة الوزراء فى تاريخ وقائع بغداد الزوراء ، خله عن التركية

(١) عثمان بن بشر ، عنوان المحدث فى تاريخ نجد ، ج ١ ، ص ١١٩ .

موسى كاظم نورس ، طبع دارالكتاب العربى بيروت ١٩٦٥ م -
١٣٨٥ هـ تأليف الشيخ رسول السكر كوكلى الذى عاصر حقبة
طويلة من تاريخ البحث . وهذا المصدر من المصادر التى لا يستغنى
عنها الباحث فى تاريخ آل سعود . فقد ذكر حوادث غارات
آل سعود على أطراف العراق تفصيلاً . وإن كان فى ذكره
لهذه الأحداث موالياً للسلطات العثمانية بحكم أنه تركى . وقد
اعتمدت على النسخة للترجمة التى توجد بدار الكتب المصرية
تحت رقم ٢٥٨٠٣ ح .

٣٤ - ساطع الحمصرى

البلاد العربية والدولة العثمانية ، طبع بيروت ١٩٦٠ .

٣٥ - سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب

كتاب التوضيح عن توحيد الخلاق فى جواب أهل العراق
وتذكرة أولى الألباب فى طريقة الشيخ محمد بن عبد الوهاب
طبع القاهرة ١٩٠١ م - ١٣١٩ هـ .

٣٦ - سليمان بن عبد الوهاب

الصواعق الإلهية فى الرد على الوهابية ، طبع القاهرة بدون
تاريخ .

٣٧ - سيد نوفل (دكتور)

الأوضاع السياسية لإمارات الخليج العربى . جزآن ، طبع معهد
البحوث والدراسات المصرية . ج ١ طبعة ثانية ١٩٦٨ ،
ج ٢ طبعة أولى ١٩٦٦ .

٣٨ — سيف مرزوق الشملان

• من تاريخ الكويت . طبع القاهرة ١٩٥٩ .

٣٩ — شركة الزيت العربية الأمريكية بالظهران

• عمان والساحل الجنوبي للخليج الفارسي ، طبع القاهرة ١٩٥٢ .

٤٠ — صلاح الدين المختار

• تاريخ المملكة العربية السعودية في ماضيها وحاضرها ، جزآن ،

طبع بيروت ١٣٧٦ هـ — ١٩٥٧ م

٤١ — صلاح العقاد (دكتور)

• التيارات السياسية في الخليج العربي ، طبع القاهرة ١٩٦٥ .

• الاستعمار البريطاني في الخليج الفارسي ، طبع القاهرة ١٩٥٦ .

• دعوة حركات الإصلاح السلفي . بحث منشور في المجلة التاريخية

المصرية . المجلد السابع سنة ١٩٥٨ .

٤٢ — طه حسين (دكتور)

• الحياة الأدبية في جزيرة العرب . بحث منشور في مجلة الهلال ،

مارس ١٩٣٣ .

٤٣ — عباس المزراوي

• عشائر العراق ، ٤ أجزاء ، طبع بغداد من ١٩٣٩ — ١٩٥٦ .

• تاريخ العراق بين احتلالين ، ٨ أجزاء ، طبع بغداد ١٩٥٩ .

٤٤ — عبد الحميد البطريق (دكتور)

• الوهابية دين ودولة ، بحث منشور بعمولة كلية البنات جامعة

عين شمس ١٩٦٤ .

• إبراهيم باشا في بلاد العرب ، القسم الأول من كتاب ذكرى

البطل الفاتح إبراهيم باشا ، سنة ١٩٤٨ .

- ٤٥ - عبد الرحمن الجبرتي
مجائب الآثار في التراجم والأخبار ، ٤ أجزاء ، طبع القاهرة ١٣٢٢ .
- ٤٦ - عبد الرحمن زكي (دكتور)
* التاريخ الحربي لمصر محمد علي ، طبع القاهرة ١٩٥٠ .
* أعلام الجيش والبحرية في مصر في القرن التاسع عشر ، طبع
القاهرة ١٩٤٧ .
- ٤٧ - عبد الرحمن الرافعي
مصر محمد علي ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ١٣٧٠ هـ - ١٩٥١ م .
- ٤٨ - عبد الله القصيم
* الثورة الوهاية ، طبع القاهرة ١٩٣٦ .
* الفصل الحاسم بين الوهابيين ومخالفهم .
(رد على بعض مخالفى الوهاية ومناقشة بعض افتراءات مجلة
الأزهر) ، طبع القاهرة ١٣٥٢ هـ - ١٩٣٦ م .
- ٤٩ - عبد الله عبد الكريم الجرائي
المقطف من تاريخ اليمن ١٣٧٠ هـ - ١٩٥١ م .
- ٥٠ - عبد القدوس الأنصارى
تاريخ مدينة جدة بدون تاريخ .
- ٥١ - عبد الكريم فراية (دكتور)
مقدمة تاريخ العرب الحديث ، طبع دمشق ١٣٨٠ هـ - ١٩٦٠ م .
- ٥٢ - عبد العزيز حسين
المجتمع العربي في الكويت ، طبع معهد الدراسات العربية .

- ٥٣ - عبد العزيز سليمان نوار (دكتور)
* المصالح البريطانية في أنهار العراق ، طبع القاهرة ١٩٦٧ .
* داود باشا ، طبع القاهرة ١٩٦٨ .
- ٥٤ - عبد الملك بن حسين بن عبد الملك المعصاى السكى
سمط النجوم العوالى فى أبناء الأوائل والتوالى ، أربعة أجزاء ، طبع
الطبعة السلفية بمصر ١٣٧٩ هـ - ١٩٥٩ م .
- ٥٥ - عبد الواسع بن يحيى الواسع
تاريخ اليمن ، طبع القاهرة ١٩٤٧ .
- ٥٦ - عثمان بن بشر
عنوان المجد فى تاريخ نجد ، جزءان ، طبع مكة المكرمة سنة ١٩٣٠ .
توجد من هذا الكتاب - القدى الفه عثمان بن عبد الله بن بشر
للتوفى ١٢٨٨ هـ - ١٨٧١ م . نسخة مخطوطة بدار الكتب
المصرية تحت رقم ٢٤٢ تاريخ ، ونسخة مخطوطة أخرى بالمتحف
البريطانى بلندن تحت رقم 771 Or^(١) . أما النسخ للطبعة من
هذا الكتاب فمنها نسخة موجزة فى مجلد واحد طبعة بغداد ١٣٣١ هـ -
١٩١١ م وطبعة مكة المكرمة سنة ١٣٤٩ هـ - ١٩٣٠ م فى
جزئين وهى الطبعة التى اعتمدت عليها ، وتوجد له طبعة أخرى فى
جزءين . طبع القاهرة سنة ١٩٤٦ وينهى ابن بشر تاريخه
أحداث عام ١٢٦٧ هـ - ١٨٥١ م . رغم أنه عاش حتى عام
١٢٨٨ هـ - ١٨٧١ م . وقد كتب هذا المؤرخ كتابه على الطريقة
الحولية . وبدأ بأحداث ١١٥٨ هـ - ١٧٤٥ م أى بالعام الذى
تم فيه الإنفاق بين الشيخ محمد بن عبد الوهاب والأمير محمد

(١) أحمد أبو مائة ، تاريخ الكويت ، ج ١ ، ص ٢٥ .

ابن سعود وقد ذكر في نهاية أحداث كل عام سابقة من عام سابق
بدءاً من عام ١٢٨٥ هـ - ١٢٤٦ م وظل سبب تدوينه لهذه السوابق
بقوله « فأردت أن أدخل السنين السابقة بين سني هذا الكتب
منشرة فيه متتابعة كل سنة سابقة نعت كل سنة لاحقة والعلامة عليها
قوى « سابقة » ليحصل في الكتاب فائدة في التقدم والتأخر » (١).

وقد بذل ابن بشر كل جهد عند كتابته تاريخه في تعري
الحقيقة وذكر ذلك بقوله « وبذلت جهدي في تعري الصدق ،
ولم أكتب إلا ما يقع في ظني أنه الحق ، من قول تقه يخلب على الظن
صدقه عن صفة الوقائع وموضعها وغير ذلك . فمن وجد في كتابي
هذا زيادة أو نقصاناً . أو تقدماً أو تأخراً فليعلم الواقف عليه أني لم
أعتمد الكذب فيه ، وإنما هو مما نقل إلى ، والمهمة على ناقله ،
وأثبت في كتابي هذا بعض الحوادث التي لا تخص بنجد لأنها ربما
يحتاج إليها بعض من يقف عليها » (٢) .

ورغم ما ذكره لنا ابن بشر من دقته إلا أننا أخذنا كتاباته
بحذر وناقشنا بعضها في ثنايا البحث . لأن هذا للتأريخ يعبر عن وجهة
النظر السعودية ولا يقال في شيء إذا قلنا إنه يعتبر للتأريخ الرسمي
لأن سعود في عصره وقد اطلما على الطبعة الثالثة للكتاب وقت
مؤول الرسالة للطبع طبع الجزء الأول ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م والجزء
الثاني ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م . مطبوع على غقة مطابع القصيم بالرياض

٥٧ - هنان بن سند البصري

مطالع السعود بأخبار احوالي داود ، احتضره أمين الخلواني بعنوان
« مختصر مطالع السعود » ، طبع بمي ١٣٠٤ هـ .

(١) هنان بن بشر ، المرجع السابق ، ص ٦ .

(٢) نفسه ، ص ٩ .

وعثمان بن سند البصرى وهو نجدى الأصل من قبيلة عنزة تولى
عام ١٢٤٢ هـ - ١٨٢٦ م^(١). وقد قام الشيخ أمين الحلوانى باختصار
الكتاب تحت عنوان « مختصر مطالع السعود » وطبع بمبى سنة
١٣٠٤ هـ - ١٨٨٧ م ورغم أن عنوان الكتاب لا يوحى بوجود
أى صلة بينه وبين موضوع البحث إلا أنه بعد من أقيم المصادر وأهمها
التي ذكرت أحداث غارات آل سعود على الأحساء وأطراف العراق
وذكر للؤلؤ الرسائل التي تبودلت بين الأمير سعود وعلى باشا نكبا
فائدة حملة الأحساء كما ذكر سفارة الشيخ عبد المبرز الشاوى إلى
الدرعية للتفاوض مع أولى الأمر فيها لإقامة صلح دائم بين آل سعود
وسليمان باشا وإلى بغداد وللنسخة التي اعتمدت عليها النسخة المختصرة
التي سبقت الإشارة إليها .

٥٨ - عمر رضا حكاة

جغرافية شبه جزيرة العرب ، طبع دمشق .

٥٩ - فؤاد حمزة

قلب جزيرة العرب ، طبع القاهرة ١٩٣٣ .

٦٠ - فريد مصطفى

آل سعود فى التاريخ ، طبع دمشق ١٩٤٩ .

٦١ - قدرى قلمجى

• الخليج العربى ، طبع بيروت ١٩٦٥

• أضواء على تاريخ الكويت ، طبع بيروت ١٩٦٢ .

٦٢ - كاظم الدجيل

عثمان بن سند البصرى ، مجلة لفة العرب ، ١٩١٣ .

(١) كاظم الدجيل ، مقالة بعنوان الشيخ عثمان بن سند البصرى ، مجلة لفة العرب ،
المجلد الثالث سنة ١٩١٣ ، ص ١٨٠ - ١٨٦ .

٦٣ - كريم ثابت

محمد علي ، القاهرة ، بدون تاريخ .

٦٤ - ل . أ . سيدو

تاريخ العرب العام ، ترجمة عادل زعتر ، طبع القاهرة ١٩٤٨ .

٦٥ - لوثر ب ستودارد

حاضر العالم الإسلامي ، تطبيق وحواشي الأمير شكيب أرسلان ،

ترجمة عجاج نوبض ، جزءان ، القاهرة ١٣٤٣ هـ .

٦٦ - مجموعة الحديث الجدية

وهي تشتمل على تسع رسائل هامة عليها تعليقات للرحوم السيد

رشيد رضا ، طبع القاهرة ١٣٧٥ هـ .

وطبعت حديثاً على نفقة سمو الشيخ أحمد بن علي آل ثاني حاكم

قطر بمطبع المروبة بقطر ١٣٨٣ هـ

٦٧ - مجموعة الرسائل والمسائل النجدية

فتاوى ورسائل لعلاء نجد الأعلام ، ثلاثة أجزاء ، يشتمل الجزء

الأول على ثلاثة أسماء :

القسم الأول يحوي رسائل وفتاوى للشيخ محمد بن عبد الوهاب

وابنائه ورسائل وفتاوى أحفاد الشيخ محمد بن عبد الوهاب

(عبد الرحمن بن حسن ، عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن ،

حسن بن الشيخ حسين) .

القسم الثاني والثالث رسائل وفتاوى لغير سلاله الشيخ من

علاء نجد لجده سليمان بن علي ووالده عبد الوهاب بن سليمان وغيرهما .

الجزء الثاني يحتوي على ثلاثة أسماء :

أولها كتاب الإمام ورسائل وفتاوى الشيخ عبد الرحمن بن حسن

ابن محمد بن عبد الوهاب .

ثانيها رسائل وفتاوى الشيخ محمد بن ناصر بن عثمان بن معمر .
ثالثها رسائل وفتاوى الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبي بطين
للتوفى سنة ١٢٨٢ هـ

الجزء الثالث وهى رسائل العلامة الشيخ عبد اللطيف بن الشيخ
عبد الرحمن آل الشيخ .

تتمى مجموعة الرسائل بعبارة «أعلاه الفقير إلى رحمة ربه
عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن تمت المجموعة مع ذيلها وقد
الحد ٤ ، ٣ ج ، ص ٤٥٥ ، طبع المطبعة السلفية .

٦٨ - مؤلف مجهول

لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب ، تحقيق الدكتور أحمد
مصطفى أبو حاكمة ، طبع بيروت ١٩٦٧
كتاب لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب ، مؤلف مجهول .
وترجع أهمية هذا الكتاب إلى أنه أحد المصادر للعاصرة لفترة البحث
ومؤلف الكتاب لا يسجل أحداثه على الطريقة الحولية مثل ابن غنام
وابن بشر ، وإنما يذكر الحدث التاريخي ويعالج أسبابه ونتائجه ،
ورغم أن الكتاب فيه بعض التعامل على آل سعود إلا أنه من
المصادر الدقيقة . وما يؤخذ على هذا المصدر أنه يغفل تدوين تاريخ
كثير من الأحداث مما يضطر الباحث إلى مقارنة أحداثه بكتابات كل
من ابن بشر وابن غنام وغيرهما من المصادر الأخرى .

وقد ظل هذا الكتاب مخطوطة محفوظة بمكتبة المتحف البريطاني
بلندن ، ولكنه لم يطبع إلا أخيراً حينما قام الدكتور أحمد مصطفى
أبو حاكمة بنشره وتحقيقه وطبع بيروت في مايو ١٩٦٧ وإن كانت
هذه الطبعة ينقصها الكثير من العناية والتعقيق . وقد اعتمدت على
هذه النسخة للطبعة حيث أنه لا توجد أى نسخة أخرى خطية أو
مصورة لهذا الكتاب في مكتبات الجمهورية العربية المتحدة .

٦٩ - محمد أبو زهرة (دكتور)

ابن بيمية ، طبع القاهرة ١٩٥٨ .

٧٠ - عبد الدين الخطيب

الوفاية ، بحث منشور بمجلة الزهراء ، المجلد الثالث ، صفحة

١٣٤٥ .

٧١ - محمد أحمد أنيس (دكتور) ، والسيد رجب حراز (دكتور)

الشرق العربي في التاريخ الحديث والمعاصر ، طبع مكتبة النهضة

العربية ١٩٦٧ .

٧٢ - محمد الطيب بن إدريس الأشهب

للهمدى المنوسى ، طبع طرابلس الغرب ، بدون تاريخ .

٧٣ - محمد بن أحمد عيسى العقيلى

من تاريخ الخلاف المالكي ، جزءان ، طبع الرياض ١٩٥٨

٧٤ - محمد بن خليفة النبهاني

التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية ، ج ٩ ، ج ١٠ طبع القاهرة

١٣٤٢ .

٧٥ - محمد بن عبد الله بن عبد الحسن

تحفة المستفيد بتاريخ الأعمام في القديم والحديث ، جزءان ، الرياض

١٣٧٩ هـ - ١٩٦٠ م

٧٦ - محمد بن عبد الوهاب

• كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد ، طبع القاهرة ، بدون

تاريخ .

• كتاب كشف الشبهات ، طبع القاهرة ١٣٥٩ هـ

• كتاب الأصول الثلاثة ، طبع القاهرة ، بدون تاريخ

• كتاب الكبار ، ضمن مجموعة الحديث النجدية ، طبع القاهرة

١٣٧٥ هـ .

• السيرة المختصرة ، طبع للطبعة السلفية ، بدون تاريخ .

• السيرة الأطرولة ، طبع للطبعة السلفية ، بدون تاريخ .

• مجموعة رسائله إلى أهل البلاد النجدية والبدان المجاورة للنشورة

في تاريخ ابن غنام ومجموعة الرسائل والمسائل النجدية .

٧٧ - محمد بن محمد الصنعاني

إنحاف المهنيين بذكر الأئمة المجدين ، طبع القاهرة بدون تاريخ .

٧٨ - محمد بن يحيى الحسني

نيل الوطر من تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر ، طبع القاهرة

١٩٢٩ .

٧٩ - محمد بهجت الأثري

محمود شكري الألوسي ، طبع معهد الدراسات العربية ، سنة ١٩٥٨ .

٨٠ - محمد توفيق صادق

تطور الحكم والإدارة في المملكة العربية السعودية ، طبع الرياض

١٩٦٥ .

٨١ - محمد حامد النقي

أثر الدعوة الوهابية في الحياة الاجتماعية والعمارة طبع القاهرة ١٩٣٥

٨٢ - محمد رشيد رضا

• تاريخ الأسناذ الإمام الشيخ محمد عبده ، طبع القاهرة ١٩٣١ .

• الوهابيون والحجاز ، طبع القاهرة ١٩٢٥ .

• للجلد الأول من مجلة المنار ، القاهرة ١٨٩٨ - ١٨٩٩ .

- ٨٣ - محمد رفعت
التوجه السياسى لفكرة العربية الحديثة ، القاهرة سنة ١٩٦٤ .
- ٨٤ - محمد شفيق غربال
منهاج مفصل لدروس العوامل التاريخية فى بناء الأمة العربية على
ماهى عليه ، طبع معهد الدراسات العربية سنة ١٩٦١ .
- ٨٥ - محمد عبد الله ماضى (دكتور)
النهضات الحديثة فى جزيرة العرب ، القاهرة ١٩٥٢ .
- ٨٦ - محمد عمر رفيع
فى ربوع عبر ذكريات وتاريخ ، طبع القاهرة ١٩٥٤ .
- ٨٧ - محمد فهمى لمبطة
تاريخ مصر الاقتصادى فى العصور الحديثة ، القاهرة سنة ١٩٣٨ .
- ٨٨ - محمد محمود السروحي (دكتور)
موقف مصر من بعض مشكلات الجزيرة العربية فى الستينات .
- ٨٩ - محمد مختار باشا
التوفيقات الإلهامية فى مقارنة التواريخ المجرية بالسنيى الأفرنسية
والقبطية .
- ٩٠ - محمود بهجت سلامة
البحرين درة الخليج العربى ، سنة ١٩٦٣ .
- ٩١ - محمود شكرى الألوسى
تاريخ نجد ، فى آخره تنمة ونقد للشيخ سليمان بن سعدان حقه وعلق
عليه محمد بهجت الأثرى ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٣٤٧ هـ .
- ٩٢ - محمود طه (دكتور)
جغرافية شبه جزيرة العرب ، للمملكة العربية السعودية القاهرة ١٩٦٥

٩٣ - محمود علي الداود (دكتور)

• الخليج العربي والعلاقات الدولية ، طبع معهد الدراسات العربية ،
سنة ١٩٦١ .

• قضية عمان في العصر الحديث ، طبع معهد الدراسات العربية ،
سنة ١٩٦٤ .

٩٤ - محمود كامل الحامي

الدولة العربية الكبرى ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٦٦ .

٩٥ - مصطفى مراد الدباغ

الجزيرة العربية ، موطن العرب ومهد الإسلام ، بيروت ١٩٦٣

٩٦ - منير المعلاي (دكتور)

تاريخ البلاد العربية السعودية ، الجزء الأول ، (الدولة السعودية
الأولى) طبع بيروت بدون تاريخ .

٩٧ - ميخائيل الدمشقي

حوادث الشام ولبنان ١١٩٧-١٢٥٧هـ - ١٧٨٢ - ١٨٤١ م ،
عن بنشره وتعليق حواشيه ووضع فهرسه الأب لويس معلوف
اليسوعي ، بيروت ١٩١٢ .

٩٨ - نجلاء عن الدين (دكتوره)

تاريخ العالم العربي الحديث ، ترجمة ، محمد عوض إبراهيم وآخرون ،
طبع القاهرة ١٩٦٢ .

٩٩ - نور الدين عبد الله السالمى

تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان ، جزءان ، الطبعة الثانية ، القاهرة
١٩٦١ .

١٠٠ - يوسف الفلسكى

قضية البحرين بين الماضى والحاضر .

١٠٩ - الهدية السنية والتحفة الوهاية النجدية

خمسة رسائل لكبار أئمة نجد وعلماؤها ، جمع وترتيب الشيخ سليمان
ابن سحمان النجدي « وقف على طبعا وعلق عليها بعض الفوائد
والإيضاحات السيد محمد رشيد رضا » ، الطبعة الثانية مطبعة للنار
بمصر ، ١٣٤٤ هـ .

(ب) المؤلفات :

١ - حولى كلية البنات جامعة عين شمس ، سنة ١٩٦٥ .

٢ - حولى كلية الآداب جامعة عين شمس ، سنة ١٩٦٤ .

(د) المجموعات :

١ - مجلة الجمعية التاريخية المصرية ، المجلد السابع ١٩٥٨ .

٢ - مجلة الزهراء ، المجلد الثالث ١٣٤٥ هـ .

٣ - مجلة لغة العرب ، مجلة شهرية أدبية علمية تاريخية ، تصدر في بغداد ،
إصدار الأب انتكلس السكرملى ، المجلد الثالث ، ١٩١٣ .

٤ - مجلة للشرق البيرونية ، المجلد العاشر ، ١٩٠٤ .

٥ - مجلة للآثار ، إصدار رشيد رضا ، للمجلد الأول ، ١٣١٥ - ١٣١٦ .

٦ - مجلة الهلال المصرية ، السنة ٤١ ، عدد مارس ١٩٣٣ .

ثانياً - المصادر الأجنبية :

I — DOCUMENTS

1. Aitchison, C.V. : A collection of treaties, Engagements and sanads relating to India and the neighbouring countries, vol. XI, Delhi, 1933.
2. Admiralty War Office, A Handbook, vol. I, London, 1916.
3. Bombay Government, Selections from the records, vol. XXIV, Bombay, 1856.
4. Guillan, M., Documents sur l'histoire, Géographie et le Commerce de l'Afrique Orientale, 3 tomes, Paris, 1856.

II — REFERENCES

1. Abu Hakima (Ahmed) History Of Eastern Arabia, (1705-1800), Beirut, 1965.
2. Adamyat (Feredoun), Bahrein Islands, New York, 1955.
3. Ali Bey, Travels Of Ali Bey, 2 vols., London, 1816.
4. Badger (G. P.), History of the Imams and Seyyids of Oman, by Salil Bin Razik (from 661-1856), trans. by Badger, London, 1871.

لؤله حميد بن محمد بن رزيق وقد ترجمه إلى الإنجليزية للستر جورج برس
بادجر Badger. O.P. تحت الاسم السابق وهي ترجمة غير دقيقة حيث إن اسمه
العربي والفتح البين للبرهن صيرة المادة البوسعيديين وقد ذكر الدكتور أحمد
أبو حاكّة أن بادجر أخطأ في ترجمة اسم المؤلف نفسه فقد ذكره باسم صليل بن
رزيق ولفظه صليل ليست اسماً وإنما هي لفظة نطلق في العربية للدلالة على الصلابة
والنسب وبؤكد الدكتور أحمد أبو حاكّة ذلك اعتماداً على أن المؤلف قد ذكر
اسمه أكثر من مرة في المخطوطة تحت اسم حميد بن محمد بن رزيق وأشار مرات

عديدة بأنه سليل ابن رزيق أى من سلالة ابن رزق (١).

وقد اعتمدت على الترجمة الإنجليزية المخطوطة بدار الكتب المصرية والحق أن للترجم اضاف إلى الكتاب تعليقات وحواشى كثيرة ذات أهمية عن تاريخ العلاقات السعودية وإن جانبه الصواب فى بعضها .

5. Bensoist (J.M.), *Arabia destiny*, London, 1947.
6. Berreby (J.J.), — *Le Golfe Persiques*, Paris, 1959,
— *La péninsule arabique Terre Sainte l'Islam et Empire du pétrole*, Paris, 1958.
7. Blunt (Lady Anne), *Pilgrimage to Najd, the cradle of the Arab race*, 2 vols., second edition, London, 1881.
8. Brydges (Sir Harford Jones), *An account of His Majesty's Mission to the Court of Persia in the years (1807-1810) to which is appended, A brief history of the Wahaby*, 2 vols., London, 1834.

وترجع أهمية هذا المصدر إلى أن بريدجز Brydges كان من مرعفى وكالة مبصرة التجارية فى الفترة من ١١٩٨ - ١٢٠٩ هـ - ١٧٨٤ - ١٧٩٤ م ثم حيت الحكومة البريطانية ممثلا لها لدى باغا بخداد عام ١٢١٤ هـ - ١٧٩٨ م ، وقد شهد بنفسه الاستعدادات الضخمة التى كانت تجري فى بخداد عند وصوله إليها فى صبتبر من العام المذكور لرحلة على باغا الكخيا ضد آل سعود وقد دون ما شاهد وما سمعه عن علاقة آل سعود بمناطق الخليج وأطراف العراق . وقد اعتمدنا على السعة المخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم 7788 hist .

9. Burkhardt (J.L.), — *Notes on the Bedouins and Wahabys*, London, 1930.

مخطوطة فى الجمعية الجغرافية المصرية تحت رقم AB 172
— *Travels in Arabia*, 2 vols., London, 1820.

مخطوطة فى الجمعية الجغرافية المصرية تحت رقم B-H 157

(١) أحمد أبو حاكمة ، المرحم السابق ، ج ١ ، ص ٢٥ .

وقد أمدنا الرحالة بوكهارت بمعلومات قيمة عن قبائل جزيرة العرب وعاداتها
ووصف في كتابه الثاني الحياة التي كانت سائدة في الجزيرة في مطلع القرن
التاسع عشر .

أما في كتابه الأول Notes... فقد أجاد الكتابة عن الوهاية وغزو آل
سعود للحجاز والعراق وحروب آل سعود وجيوش محمد علي ولا تقال في شيء إذا
قلنا إن كتابات بوكهارت من أمتع وأصدق الكتابات الأجنبية التي كتبت في
الوضع وقد أغرقت دقة بوكهارت Brydges عند تأليفه لكتابته السابق فاضطر
أن ينقل عنه صفحات كاملة كما اضطر أحياناً إلى إحالة القارئ إلى إله مرات عديدة وإن
اختلف معه حول بعض النقاط وقد ذكرنا ذلك في ثنايا البحث

10. Bury (G.W.), Arabia Infelix or Turks in Yemen, London, 1915.

11. Corancez (L.A.), Histoire des Wahabis depuis leur origine jusqu'à la fin de 1809, Paris, 1810.

وترجع أهمية هذا المصدر إلى أنه أعادنا كثيراً عند دراسة علاقة آل سعود
بالعراق وتهديدهم المستمر للأماكن الشيعية للقدسة لدى الشيعة مما أدى إلى تهديد
شأن إيران بغزو العراق والقضاء على آل سعود إن لم يقف سليمان باشا موقفاً جازماً
من الغارات السعودية ضد للزارات الشيعية الواقعة في داخل حدود ولايته .

12. Coupland (R.), East Africa and Its Invaders, London, 1938.

13. Curzon, (G.N.), Persia and Persian question, 2 vols, London, 1892.

14. Dickson (H.R.P.), — Arab of the desert, London, 1961,
— Kuwait and her neighbours, London, 1956.

15. Dodwell (Henry), The founder of Modern Egypt, Cambridge, 1931.

16. Gerald (de Gaury), Arabia Phenix, an Account of a visit to Ibn Saud of Austere Wahabis and powerful Arabian King, London, 1914.
17. Hogarth (D.G.), Arabia, Oxford, 1922.
18. Ingrams (H.), The Yemen, Imams, Rulers and Revolutions, London, 1963.
19. Jacqueline P. renne, A la découverte de l'Arabie, Paris, 1957.
20. Jean (G.L.) et L. Champenois, Le Royaume d'Arabie Séoudite, Paris, 1966.
21. Kelly, (Jone), Eastern Arabian Frontiers, London, 1964.
22. Kiernan (R.H.), L'Exploration de L'Arabie Paris, 1938.
23. Lockhart (L.), Nadir Shah, London, 1938.
24. Longrigg H. Stephen, Four Centuries of Modern Iraq, Oxford, 1952.
25. Marlowe, John, The Persian Gulf in Twentieth Century, London, 1962.
26. Miles Colonel S.B., The countries and tribes of the Persian Gulf, London, 1919.
27. Mohammed Sabry, L'Empire Egyptien sous Mohammed Ali et la question d'orient, 1811-1849, Paris, 1930.
28. Morrier, James, A Journey through Persia, Armenia and Asia Minor, to Constantipole, 1809, London, 1812.

وقد تحدث الكاتب بإفصاح عن المسألة الفارسية وعن البعثات الإنجليزية والفرنسية التي أتت إلى بلاط فارس في تلك الفترة وقد انقرد هذا المصدر بذكر نص رد الإمام سمود إلى حكومة الهند ١٢٧٤ هـ — ١٨١٠ م رغم أن سجلات حكومة بومباي أخفئت نشر هذا الرد وإن أشارت إلى ردها عليه .

29. Mourizt, V. (Shaikh Mansur),

History of Seyd Said, Sultan of Muscat together, with an account of the countries and people of the shores of Persian Gulf particularly of Wahabees. London, 1819.

موريزى طيب السيد سعيد الإيطالى الذى أطلق عليه اسم الشيخ منصور :

وتعود أهمية هذا الكتاب إلى أن موريزى عاصر الفترة الأولى من حكم السيد سعيد وتوطيد حكمه وعلاقته بآل سعود وحملاتهم القواسم وقد قاد للؤلؤ نفسه جيوش السيد سعيد فى بعض المعارك ضد القوات السعودية وكان موريزى يعد مستشار السيد سعيد الأول ولذا كانت كتاباته أقرب إلى الدقة . وقد أوضحنا ذلك فى فصل العلاقات الخارجية . ولذا لا يمكن دراسة تاريخ الدولة السعودية الأولى دون الإطلاع على هذا المصدر وقد اعتمدت على النسخة المحفوظة بدار الكتب المصرية .

30. Palgreave (W.G.), Narrative of a years journey through Central and Eastern Arabia (1862-1863), 2 vols., London, 1865.

31. Payly (R.W.), Saudi Arabia in Nineteenth Century, New York 1965.

32. Philby (H.st.), — Saudi Arabia, London, 1955,
— A Pilgrim in Arabia, London.

33. Playfair (R.L.), A History of Arabia Felix or Yemen from the commencement of Christian Era to the present time, Bombay, 1859.

34. Ruete (Rudolf Said), Said Bin Sultan Ruler of Oman and East Africa (1791-1866), London, 1929.

35. Sadlier (C.G.F.), Diary of a journey across Arabia from El Khatif in Persian Gulf, to Yambo in the Red Sea, during the year, Bombay, 1866.

36. Sanger (R.H.), Arabia Peninsula, New York, First Edition, 1964.

37. Scott (H.), In High Yemen Second Edition, London, 1947
 38. Stitt (G.), A Prince of Arabia, London, 1948.
 39. Thomas Archer, The War in Egypt and Sudan, London.
 40. Twitchall (K.S.), Saudi Arabia, New Jersey, 3rd Edition, 1958.
 41. Wilson (Sir Arnold), The Persian Gulf, London, 1954.
 42. Zwerner (Rev. S M.), Arabia the Cradle of Islam, New York, fourth edition, 1912.
-

فهرس

الصفحة

مقدمة الأستاذ الدكتور أحمد عزت عبد الكريم
مقدمة المؤلف
الفصل الأول : إليم نجد الأرض والسكان	١٦ - ١
لحة موجزة عن الأرض والسكان	٧ - ٣
الحالة الاجتماعية	٩ - ٧
الحالة الدينية	١٢ - ٩
الحالة السياسية	١٦ - ١٣
الفصل الثاني : محمد بن عبد الوهاب ودعوته السلفية	٤٤ - ١٧
محمد بن عبد الوهاب نسب ونشأته	٢٤ - ١٩
الدعوة السلفية ومبادئها	٣٠ - ٢٤
جهود ابن عبد الوهاب لنشر دعوته	٣٧ - ٣٠
تقييم الدعوة السلفية	٤٠ - ٣٧
انتقال صاحب الدعوة إلى الدرعية ودخول محمد				
ابن سعود في الدعوة	٤٤ - ٤٠
الفصل الثالث : الدولة السعودية وتوحيد نجد	٤٦ - ٤٥
مناهضة الرياض آل سعود	٥١ - ٤٧
صدام آل سعود والقوى العبدية الأخرى	٦١ - ٥١
العوامل التي ساعدت آل سعود على توحيد نجد	٦٤ - ٦١
الفصل الرابع : ضم الأحساء	٨٢ - ٦٥
المرامل التي دفعت الدولة السعودية				
إلى ضم الأحساء	٦٩ - ٦٧
الصراع الداخلي في الأحساء واستقلال آل سعود له	٧٦ - ٦٩

المنحة

- نجاح آل سعود في ضم الأحساء ٧٧ — ٨٠
- أمر ضم الأحساء على السعودية ٨١ — ٨٢
- الفصل الخامس : التوسع السعودي في الخليج وعمان .. ٨٣ — ١٠٤
- آل سعود وقطر ٨٥ — ٨٦
- » والبحرين ٨٦ — ٨٩
- » والكويت ٨٩ — ٩١
- » وعمان ٩١ — ١٠٤
- الفصل السادس : آل سعود والحجاز ١٠٥ — ١٢٠
- تمهيد ١٠٧ — ١٠٩
- الأشراف والحجاز ١٠٩ — ١١٢
- علامة الأشراف بنجد قبل قيام الدولة السعودية ١١٢ — ١١٤
- علامة الأشراف بآل سعود ١١٤ — ١١٩
- الرحلة الأولى من الصدام بين الأشراف وآل سعود ١١٩ — ١٢٣
- » الثانية » » » » » ١٢٣ — ١٢٥
- تدهور موقف الشريف غالب ١٢٥ — ١٢٧
- الصلح مع الدرعية ١٢٧ — ١٣٠
- انشقاق عثمان بن عبد الرحمن الضائق ١٣٠ — ١٣٣
- فتح مكة وللدولة ١٣٣ — ١٣٨
- عوامل نجاح آل سعود في ضم الحجاز ١٣٨ — ١٣٩
- نتائج ضم الحجاز ١٣٩ — ١٤٠
- الفصل السابع : آل سعود واليمن ١٤١ — ١٧٤
- تمهيد ١٤٣ — ١٥١
- آل سعود والمخلاف السلياني ٢٥١ — ١٥٦
- الشريف حمود وآل سعود ١٥٦ — ١٥٩
- » يضم أجزاء من اليمن باسم آل سعود ١٥٩ — ١٦١

الصفحة

الشريف حمود يسعى للانفصال عن إمارة

عبد الوهاب أبي نقطة ١٦٦—١٦٦

الشريف حمود يعلن انشقاقه عن الدرعية ... ١٦٦—١٦٧

القوات السعودية تحارب حمود ١٦٨—١٧١

نتائج التدخل السعودي في اليمن ١٧٢—١٧٤

الفصل الثامن : تطلع آل سعود إلى العراق والشام ١٧٥—٢٠٨

(أ) آل سعود والعراق ١٧٧—٢٠١

تمهيد ١٧٧—١٨١

آل سعود والعشائر في جنوب العراق ١٨١—١٨٤

حملة ثويني ١٨٤—١٨٦

حملة علي باشا ١٨٧—١٩٤

مذبحة كربلاء ١٩٤—١٩٦

آل سعود والعراق بعد مذبحة كربلاء ١٩٦—٢٠١

(ب) آل سعود والشام ٢٠٢—٢٠٨

تطلع آل سعود إلى الشام ٢٠٢—٢٠٤

سوء أحوال بلاد الشام الداخلية ... ٢٠٣—٢٠٤

منع آل سعود لمهامل الحج ٢٠٤—٢٠٥

موقف ولاية الشام ٢٠٥

الغزو السعودي لبلاد الشام ٢٠٦

فشل ولاية الشام في صد آل سعود وحماية

حدود بلادهم ٢٠٦

مزل يوسف كنج وإسناد ولاية دمشق

الليمان بأهله ٢٠٧—٢٠٨

الفصل التاسع : نظم الحكم والادارة ٢٠٩—٢٤٦

تمهيد ٢١١—٢١٢

الإمام وسلطانه	٢١٦-٢١٣
نظام ولاية العهد	٢١٧-٢١٦
الأمراء السعوديون	٢١٨-٢١٧
نظام الشورى	٢١٩-٢١٨
حكام الأقاليم	٢٢٣-٢٢٠
النظام القضائى وتنفيذ الأحكام	٢٢٧-٢٢٤
النظام المالى	٢٢٧-٢٢٨
(أ) موارد الدخل	٢٢٣-٢٢٨
(ب) أوجه الصرف	٢٢٧-٢٢٤
التعليم	٢٣٨-٢٣٧
النظام العربى	٢٤٢-٢٣٨
تقييم نظم الحكم والادارة	٢٤٦-٢٤٢

الفصل العاشر : العلاقات الخارجية للدولة السعودية الأولى ٢٤٧ - ٢٨٠

تمهيد	٢٥٠-٢٤٩
التنافس الانجليزى - الفرنسى فى الخليج ...	٢٥٧-٢٥٠
القواسم والانجليز	٢٦٤-٢٥٧
العلاقات السعودية - الانجليزية المباشرة	٢٧٢-٢٦٤
العلاقات السعودية - الفرنسية	٢٧٥-٢٧٢
العلاقات السعودية - الإيرانية	٢٨٠-٢٧٥

الفصل الحادى عشر : استرداد الحجاز من آل سعود ... ٢٨١ - ٢٩٤

تمهيد	٢٨٩-٢٨٣
مفرد حملة طوسون	٢٩٠-٢٨٩
وصول الحملة إلى ينبع وبداية الدور الأول من	
الحرب	٢٩١-٢٩٠
استمالة القبائل العجازية	٢٩٣-٢٩١

الصفحة

هزيمة الحملة في وادي الصفراء	٢٩٣ - ٢٩٦
الاستيلاء على كل المدينة وجدة ومكة	٣٩٦ - ٣٠١
الدور الثاني من الحرب ونزول محمد علي إلى	
ميدان القتال	٣٠١ - ٣٠٣
فشل قوات محمد علي في الاستيلاء على القنفذة	٣٠٣ - ٣٠٤
هزيمة محمد علي في وادي زهران ومحاصرة آل	
سعود للطائف	٣٠٤ - ٣٠٦
نجاح محمد علي في الاستيلاء على القنفذة	٣٠٧
عودة محمد علي إلى مصر	٣٠٧ - ٣٠٨
استيلاء طوسون على الرس	٣٠٩
الصلح بين طوسون وعبد الله بن سعود	٣٠٩ - ٣١٠
وفد سعودي يصل إلى القاهرة	٣١٠ - ٣١١
مراسلة عبد الله بن سعود لكل من السلطان محمود	
الثاني ومحمد علي حول قبول إعلان تبعية	
للدولة العثمانية وإنهاء الحرب	٣١١
فشل محاولات عبد الله بن سعود	٣١٢
نجاح القوات المصرية في استرداد الحجاز وعودة	
طوسون إلى مصر	٣١٣ - ٣١٤

الفصل الثاني عشر: حملة إبراهيم باشا وانهاية الدولة السعودية

الأولى	٣١٥ - ٣٢٤
عمليات عبد الله بن سعود ضد القبائل التي انضمت	
إلى قوات مصر	٣١٧
اختيار إبراهيم قائداً للحملة والاستعداد لها	٣١٨
سمر الحملة ووصولها إلى ينبع	٣١٨ - ٣١٩
تخطيط إبراهيم لعمليات الحربية	٣١٩ - ٣٢٠

المصحة

الاستيلاء على الرس ٣٢٣-٣٢٠

استسلام عنيزة ٣٢٣

فتح الشقراء ٣٢٦-٣٢٤

معركة الدرعية وانتهيار حكم آل سعود ٣٣٢-٣٣١

أسباب سقوط الدولة السعودية ٣٣٣-٣٣٢

تأثير سقوط الدولة السعودية ٣٣٤-٣٣٣

لتلاحق ٣٣٥-٤٠٩

١ - مطالب محمد علي من الدولة ١٢٢٣ - ١٨٠٨ ٣٤٢-٣٣٧

٢ - اقتراحات يوسف كنج بحرب آل سعود ١٢٢٣ - ١٨٠٨ ٣٤٣-٣٥١

٣ - طلب إيالة الشام ليوسف كنج ١٢٢٥ - ١٨١٠ ٣٥٤-٣٥٢

٤ - جلب سفن الضار وعزل سليمان باشا ١٢٢٥ - ١٨١٠ ٣٥٧-٣٥٥

٥ - طلب إبعاد سليمان من إيالة الشام ذى الحجة ١٢٢٥ -

يناير ١٨١١ ٣٥٩-٣٥٨

٦ - إظهار أهمية الشام لإنجاز مصلحة الحجاز غرة ربيع أول ١٢٢٦ -

٢٦ مارس ١٨١١ ٣٦١-٣٦٠

٧ - سفر حملة طوسون ١٢٢٦ - ١٨١١ ٣٦٣-٣٦٢

٨ - تربة ١٢٢٩ - ١٨١٤ ٣٦٥ ٣٦٤

٩ - صور وتربة ١٦٢٩ - ١٨١٤ ٣٦٨-٤٦٦

١٠ - طلب إيالة الشام ١٢٢٨ - ١٨١٣ ٣٧٣-٣٦٩

١١ - إبراز أهمية الشام لإنقاذ مصلحة الحجاز ١٢٢٨ - ١٨١٣ ٣٧٤ ٣٨١

١٢ - الاستسلام عن كيفية إدارة الشام ١٢٣٠ - ١٨١٥ ٣٨٤-٣٨٢

١٣ - فتح شقرا ١٢٢٣ - ١٨١٨ ٣٨٧-٣٨٥

١٤ - حرب الدرعية ١٢٣٣ - ١٨١٨ ٣٩٠-٣٨٨

١٥ - رسالة عبد الله بن سعود إلى السلطان محمود (حرية الأصل)

بدون تلويح ٣٩٦-٣٩٤

الصفحة

- ١٦ - رسالة من عبد الله بن سعود إلى محمد علي (عربية الأصل)
بدون تاريخ ٣٩٤ - ٣٩٦
- ١٧ - رسالة من عبد الله بن سعود إلى محمد علي (عربية الأصل)
بدون تاريخ ٣٩٧ - ٣٩٩
- ١٨ - رسالة من شاه المعجم عباس مرزا إلى والي مصر محمد علي باشا
(عربية الأصل) بدون تاريخ ٤٠٠
-

فهرس الخرائط

الصفحة	
٦	١ — خريطة الجزيرة العربية
٨١	٢ — خريطة الأحساء
٩٦	٣ — خريطة قرى البريمي
١٠١	٤ — خريطة عمان ومسقط
١٦٩	٥ — خريطة المناطق اليمنية التي وصل إليها النفوذ السعودي
١٩٩	٦ — خريطة المناطق العراقية التي تعرضت للغارات السعودية
١٩٣	٧ — خريطة توزيع القبائل
٢٢٧	٨ — خريطة تحرك القوات المصرية في جزيرة العرب

صواب الخطأ

الخطأ	الاصواب	الخطأ	الاصواب
٩ ١٤	واصب	واصبحت	١١٤ ١٠
١٠ ٣	واتشدت	واتشرت	١٢٠ ٨
١٠ ١٦	الطواصيت	الطراخيت	١٢٣ ٤
١٤ ٨	بن	ابن	
٢٧ ٤	أهه	أهل	١٢٧ ٨
٣١ ١٩	الجبيلة	الجبيلة	١٢٩ ٦
٣٢ ١	٢٠	٤	
٣٤ ١	سلطان	سليمان	١٣١ ٢
٣٤ ٤	دهرة	دعوتة	١٣٢ ٤
٣٥ ١٩	النبوي	النبوي	١٣٣ ٥
٤٠ ٥	رض	يرضى	١٤٨ ١٣
٤٨ ٦	عائد	وعاد	١٤٨ ١٤
٤٩ ٢٠	لدموة	الدموة	١٥٥ ١٨
٥١ ١٥	الجديبة	النجديبة	١٨١ ٢
٥٢ ١٣	الحفاء	الحفاء	١٨٣ ١٢
٥٥ ١٠	في الجمعة	في الجمعة	١٩٠ ١
٥٥ ١٩	والخرج	والخرج	١٩٥ ١
٥٦ ١٠	حدوى	جدوى	
٦١ ٩	سلطه	سلطة	١٩٧ ١
٧١ ١٥	حليقة	حليقة	١٩٨ ٧
٧٤ ٢١	السعوى	السعوى	٢٠٦ ١٣
٩٨ ٢	بدفع	بدفع	٢١٣ ٨
٩٩ ١١	نصفه	نصفه	٢١٥ ١٦
١٠٠ ١٥	خليل	خليل	٢١٩ ١٨
١٠٠ ١٥	القميدية	القميدية	٢٢٢ ٦
١٠٠ ١٦	الحليل	الحليج	٢٢٢ ٧
٢١٠٣	كانت أنباء الاستعدادات	كانت الاستعدادات	٢٢٢ ١١
		حمد بن سالم	حمد بن سالم

الخطأ	الخطأ	الخطأ	الخطأ	الخطأ	الخطأ
١٤٢٢٣	١٤٢٢٣	١٤٢٢٣	١٤٢٢٣	١٤٢٢٣	١٤٢٢٣
١٦٢٢٣	١٦٢٢٣	١٦٢٢٣	١٦٢٢٣	١٦٢٢٣	١٦٢٢٣
٢٠٢٢٣	٢٠٢٢٣	٢٠٢٢٣	٢٠٢٢٣	٢٠٢٢٣	٢٠٢٢٣
١٤٢٢٥	١٤٢٢٥	١٤٢٢٥	١٤٢٢٥	١٤٢٢٥	١٤٢٢٥
١٢٢٢٦	١٢٢٢٦	١٢٢٢٦	١٢٢٢٦	١٢٢٢٦	١٢٢٢٦
٦٢٢٦	٦٢٢٦	٦٢٢٦	٦٢٢٦	٦٢٢٦	٦٢٢٦
٢٠٢٢٦	٢٠٢٢٦	٢٠٢٢٦	٢٠٢٢٦	٢٠٢٢٦	٢٠٢٢٦
٧٢٨٤	٧٢٨٤	٧٢٨٤	٧٢٨٤	٧٢٨٤	٧٢٨٤
١٨٢٩١	١٨٢٩١	١٨٢٩١	١٨٢٩١	١٨٢٩١	١٨٢٩١
٨٣٠٠	٨٣٠٠	٨٣٠٠	٨٣٠٠	٨٣٠٠	٨٣٠٠
١٩٣٠٠	١٩٣٠٠	١٩٣٠٠	١٩٣٠٠	١٩٣٠٠	١٩٣٠٠
١٦٣٠٦	١٦٣٠٦	١٦٣٠٦	١٦٣٠٦	١٦٣٠٦	١٦٣٠٦
٤٣١٣	٤٣١٣	٤٣١٣	٤٣١٣	٤٣١٣	٤٣١٣
١٩٣٤٣	١٩٣٤٣	١٩٣٤٣	١٩٣٤٣	١٩٣٤٣	١٩٣٤٣
١٥٣٤٤	١٥٣٤٤	١٥٣٤٤	١٥٣٤٤	١٥٣٤٤	١٥٣٤٤
٢٤٣٤٤	٢٤٣٤٤	٢٤٣٤٤	٢٤٣٤٤	٢٤٣٤٤	٢٤٣٤٤
٨٣٤٦	٨٣٤٦	٨٣٤٦	٨٣٤٦	٨٣٤٦	٨٣٤٦
٥٣٤٧	٥٣٤٧	٥٣٤٧	٥٣٤٧	٥٣٤٧	٥٣٤٧
١٩٣٤٧	١٩٣٤٧	١٩٣٤٧	١٩٣٤٧	١٩٣٤٧	١٩٣٤٧
١٧٣٤٨	١٧٣٤٨	١٧٣٤٨	١٧٣٤٨	١٧٣٤٨	١٧٣٤٨
٦٣٤٩	٦٣٤٩	٦٣٤٩	٦٣٤٩	٦٣٤٩	٦٣٤٩
١٧٣٤٩	١٧٣٤٩	١٧٣٤٩	١٧٣٤٩	١٧٣٤٩	١٧٣٤٩
١٩٣٤٩	١٩٣٤٩	١٩٣٤٩	١٩٣٤٩	١٩٣٤٩	١٩٣٤٩
١٩٣٥٣	١٩٣٥٣	١٩٣٥٣	١٩٣٥٣	١٩٣٥٣	١٩٣٥٣
٦٣٥٧	٦٣٥٧	٦٣٥٧	٦٣٥٧	٦٣٥٧	٦٣٥٧

رقم الإبداع بدار الكتب $\frac{٣١٨٤}{١٩٦٩}$